المرشد المعين من كلام سيد المرسلين

تفريغ لمحاضرات الشيخ خالد بن محمد الراشد

الجزء الأول

جمعه واعتني به

أبو محمد عبدالله بن محمد بن علي

إهداء

إلى عشّاق السنة وطلبة العلم ولي محبين الشيخ والواعظين ولعامة المسلمين أهدي هذا الجهد المتواضع، سائلاً الله أن ينفعني وإياهم به، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مدخل

قال تعالى: { من يطع الرسول فقد أطاع الله} النساء: الآية: ٨٠

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ السَّاعَةِ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا قَالَ لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِم (البخاري ٣٦٨٨)

فنحن نشهد الله أننا نحبهم ونحب كل من سار علي نهجهم واخص منهم الخلفاء الأربعة والعشرة وأهل بدر وابن عمر وابن عباس ومالك واحمد والشافعي وأبوحنيفة وابن تيمية وابن القيم وابن باز وتلميذه خالد الراشد ونرجو من الله أن يجمعنا معهم في اعلي الجنان بحبنا لهم

السيرة الذاتية للمؤلف

- أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي الزبيري المالكي
- ولد بالسودان الخرطوم مدينة العيلفون شرق النيل 10-4-1994
- درس مرحلة الأساس بمدرسة النور
- والمرحلة الثانوية بمدرسة العليفون الثانوية ثم مؤسسة الدرة التعليمية
- نال دبلوم في تطبيقات الحاسوب
- درس بمعهد الإمام البخاري الخرطوم
- درس القران والفقه والعقيدة والمصطلح والتفسير والحديث علي
- عدد من الشيوخ أبرزهم
- الشيخ المحدث الفقيه عمر بن عبد الخالق بن عمر
- الشيخ المسند التاج بن عبد المطلب
- الشيخ المسند صلاح الدين بن ابرهيم
- الشيخ الدكتور وليد بن مسلم
- له اجارة في عدد من كتب العلم
- البريد الالكتروني abodee111333@gmail. Com
- الجوال 249920064474-249915903153

سيرة موجزة لفضيلة الشيخ خالد بن محمد الراشد

الشيخ من مواليد عام هـ ١٣٩٠ـ ١٩٧٠م تتلمذ على عدد من المشايخ منهم:الشيخ/عبد العزيز بن باز– رحمه الله تعالى– ولازمه إحدى عشرة سنة.الشيخ/عبد الله بن حبرين – حفظه الله – ولازمه ثلاث عشرة سنة.الشيخ/عبد الرحمن لبراك– حفظه الله–برع الشيخ في علم العقيدة والحديث .. وهو مجاز في أكثر الكتب التحديثية؛ .. له مكتبة عامرة تحوي بعض المخطوطات وآلاف الكتبله العديد من الدروس والمحاضرات واللقاءات العلمية .. وقد أنهى شرح كثير من المتون في مختلف العلوم، ومن ذلك على سبيل المثال:درس في صحيح البخاري و سنن الترمذي و سنن النسائي.شرح سلم الوصول لحافظ حكمي والعقيدة الواسطية والطحاوية ولمعة الإعتقاد. ونخبة الفكر في المصطلح وزاد المستقنع.و الداء والدواء.

كما شرح العديد من المتون العلمية ككتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله–.

أما عن كريم خلقه، ونبيل طبعه، فحدث ولا حرج...فالشيخ معروف بتواضعه، ودماثة خلقه، وصفاء سريرته .. فالشيخ لايرد سائلا ومن عرف الشيخ عن كثب أدرك قوة علميته .. فهو أحيانا يلقي الدرس ارتجالا من غير تحضير ومع ذلك تعجب من استحضاره لرجال الحديث وأسانيده وعرضه للمذاهب!! وهذا إنما يدل على سعة علمه واطلاعه. وعندما سئل شيخنا عن قراءته أخبر أنه يقرأ بمعدل ١٧ساعة في اليوم – وذلك في أيام طلبه–القى الشيخ/ خالد الراشد محاضرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أنواع العذاب التي مر بها لتوصيل رسالته إلى الامة كافة وروى فيها حلماً لإحد المشايخ يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم حزين ويبكي ويقول (قل لإمتي اليس لي حق عليهم ان يفدوني بأنفسهم). فداك أبي وأمي يارسول الله وقد القى خطبته المشهورة يا امة محمد.والتي اخذت التصنيف الأعلى في موقع طريق الإسلام.بقسم الدروس الصوتية وفى هذه الخطبه التي نالت اعجاب الكثير تكلم الشيخ عن اهانة الرسول وحال الامة اليوم صادقت هيئة التميز في المملكة العربية السعودية على الحكم بسجن الشيخ خالد الراشد مدة خمسة عشر سنة حيث تم القبض عليه قبل عام 2005 وبعد فترة تمت محاكمته وصدر بحقه حكم مبدئي يقضي بسجنه خمس سنوات. وكانت هناك محاولات لاستئناف الحكم من قبل عائلة الشيخ خالد، ولكن هيئة التمييز أيدت الحكم الصادر، الأمر الذي أغضب الشيخ خالد الراشد ودخل في نقاش حاد مع القاضي والذي أصدر قراراً بمضاعفة مدة سجنه إلى خمسة عشر سنة.

فك الله أسر الشيخ وأسر كل أسرى المسلمين وأعادهم إلى أهلهم سالمين غانمين عاجلاً غير آجل .. آمين

مقدمة المؤلف

الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليما . أما بعد : فإن الله أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم برسالة خالدة صالحة لكل زمان ومكان وأمره أن يبلغ هذه الرسالة إلى أمته فقال تعالى : { **يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** } {المائدة ٦٧} فقام صلى الله عليه وسلم بعون الله وتوفيقه بتبليغ تلك الرسالة وأداء الأمانة على أكمل وجه وأبلغه مستعملا في ذلك جميع وسائل التبليغ الراتبة والطارئة وكان من وسائل التبليغ الراتبة ما يخطب به الناس كل جمعة مبينا لهم ما تقتضيه الحال ، ويتطلبه الموقف من شرح الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه واليوم الآخر وصفة الجنة والنار وغير ذلك . وسار على نهجه دعاة الحق في كل زمان ومكان من الخلفاء والولاة والوعاظ وأهل العلم إلى وقتنا هذا وكان ممن حباه الله وحمله هذه المهمة العظيمة مهمة الدعوة والتبليغ شيخنا أبو عبد الله خالد بن محمد الراشد حيث تولى الخطابة يوم الجمعة في جامع فهد بن مفلح السبيعي بالخبر حي الثقبة فكان مثالا يحتذى في إخلاص النية وإصلاح العمل وتوجيه الناس إلى الخير بقدر ما يستطيع بأسلوب بين واضح للعام والخاص وبقي على ذلك حتى القي القبض عليه في 2005 وقد من الله وله الحمد والمنة علينا بجمع خطب الشيخ الجليل فاقتدينا به في فكرته وأسلوبه وهيأنا خطبا مناسبة بقدر ما نستطيع وجمعنا من ذلك ما تيسر وقد رأينا من المصلحة أن نقوم بطبعها ونشرها لتعم بها الفائدة وتكون كالتكميل لما ابتدأه شيخنا فك الله اسره فانتقينا من ذلك جملة صالحةمن حوالي 64 خطبة ومحاضرة نسال الله ان يتقبل منا هذا العمل ويجعله خالصً لوجه الكريم ينفعنا بماعلمنا وان يعلمنا ماجهلنا ويرفعنا به اعلي الدرجات

هذا الكتاب وبيان عملي فيه

- **عزونا الآيات القرآنية الي مواضعها**
- **وعزونا الأحاديث الي كتبها والحكم عليها**
- **جمعنا الأحاديث والاثار في كتاب مستقل للفائدة**
- **بينا مراجع الكتاب**
- **فهارس للحديث**

ابو محمد عبدالله بن محمد بن علي

٢٣- ذو القعدة -١٤٣٥هـ

18-9-2014

ابن مسعود والقرآن

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**.**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.معاشر الأحبة! بالأمس القريب كنت في وليمة غلام صغير أتم حفظ كتاب الله تبارك وتعالى، وهذا والله لهو الشرف العظيم، فقد أتم حفظ كتاب الله تبارك وتعالى ولم يتجاوز الخامسة عشرة من العمر.والوليمة التي تقام لحافظ القرآن الصغير تسمى: حذاقة، من حذق الشيء، أي: مهر بالشيء، ويوم الوليمة يسمى يوم الحذاقة.ولما انتشر نور الإسلام يمنة ويسرة وتجاوز حدود هذه الجزيرة في غضون سنوات قصيرة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم؛ أخذت فارس والروم تتحدث: ما السر العجيب الذي غير حياة هؤلاء الأعراب؟! وما السر العجيب الذي نقل هؤلاء الأعراب الذين كانوا يتقاتلون ويتناحرون فيما بينهم إلى هذه الوحدة والتآلف؟! ما الذي غير حياتهم في سنوات قليلة؟! فوجدوا أن السر هو القرآن، وجدوا أن سر قوة هذه الأمة هو كتاب الله تبارك وتعالى، هذا الكتاب الذي تكفل الله بحفظه من التحريف والتغيير والتبديل كما قال سبحانه: **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت:٤٢]**.فتعال معي في دقائق معدودة لننظر كيف صنع هذا القرآن الأبطال؟ وكيف صنع هذا القرآن أولئك الرجال؟ وكيف غير مجرى حياتهم رأساً على عقب، فنقلهم من الذل إلى العزة، ومن الضياع إلى التمكين، ومن الفرقة إلى الوحدة والاتحاد. وسأحدثكم عن حبر من أحبار الأمة، وفذ من أفذاذها، فلا يذكر أهل القرآن إلا ذكر فيهم، إنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وأرضاه.كان في منأى عن سماع آيات القرآن يوم أن جهر به النبي صلى الله عليه وسلم في مكة، **فقد كان رويعي غنم فقيراً معدماً يرعى الغنم لعقبة بن أبي معيط بقراريط قليلة.يروي خبر إسلامه وبداية عهده مع الإسلام حتى أصبح سادس ستة من الذين دخلوا في الإسلام فيقول: (كنت أرعى الغنم في يوم صائف شديد الحرارة، إذ أقبل علي رجلان يظهر على سيماهما الوقار، فجاءاني فقالا لي: اسقنا من هذه الشياه، قلت: أنا مؤتمن، قال: فأعجبهم كلامي، فقال لي أحدهما: أحضر لنا شاة صغيرة**

لم ينز عليها فحل، فقلت في نفسي: ومتى كانت الشياه الصغيرة التي لم ينز عليها الفحول تدر لبناً؟ فجئتهم بأصغر الشياه، قال: فوضع يده على الضرع، ثم أخذ يردد كلمات، فإذا بالضرع قد انتفخ، فذهب صاحبه فأتى بحجرة مقعرة، وبدأ الحليب يدر من ذلك الضرع، وأنا أقول: كيف حدث هذا؟! فشرب الرجل وشرب صاحبه، وشربت معهم حتى ارتوينا، قال: ثم وضع يده على الضرع مرة ثانية وقرأ بكلمات فعاد الضرع إلى ما كان عليه، فلما أراد أن ينصرف قلت له: علمني من هذه الكلمات التي قلتها، قال: إنك غليم معلم)(**حلية الاولياء ١٢٥ /١**) وهذان الرجلان هما: النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه، ورويعي الغنم هو ابن مسعود الذي شهد تلك المعجزة ومعجزات كثيرة بعدها، بل كان هو إحدى تلك المعجزات التي رباها النبي صلى الله عليه وسلم.ومرت أيام قليلة، وخرج ابن مسعود من الظلمات إلى النور، وترك رعي الغنم، وأصبح خادماً لسيد البشر صلوات ربي وسلامه عليه، بل أصبح من المقربين من النبي صلى الله عليه وسلم، وما غدا النبي صلى الله عليه وسلم إلا وابن مسعود معه، وما رجع من روحته إلا وابن مسعود معه، يحمل نعله، ويحمل عصاه، ويقدم له وضوءه، بل وصل إلى درجة من القرب من النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (**إذنك علي –يا ابن مسعود – أن ترفع الحجاب وتدخل**).(**عبد الله ابن مسعود حلية الاولياء ١٢٦"١**) يقول أبو موسى الأشعري : كنا حيناً ما نرى ابن مسعود إلا من آل البيت.وقد علمه القرآن كيف تكون الشجاعة، وكيف يكون الصدع بالحق، فلما انتقلت الدعوة من السرية إلى الجهرية اجتمع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم –وأكثرهم من الضعفاء– ومن بينهم ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه، فقالوا فيما بينهم: **ألا من رجل يخرج إلى نوادي مكة يجهر بالقرآن على مسمع وعلى مرأى من أكابر قريش؟ ألا من رجل شجاع يخرج ويصدع بالقرآن على مسامع أولئك الكفار؟ فقال ابن مسعود : أنا، قالوا: لا؛ فليست لك عشيرة تحميك، وإنا والله! نخشى عليك من بطش أولئك الكفار، فقال: والله! لا يصدع بالقرآن إلا أنا، فكان أول من صدع بالقرآن على مسمع من مكة كلها، فخرج إليهم في ناديهم، وقد اجتمع القوم كبراؤهم وساداتهم في ضحى أحد الأيام، فإذا برويعي الغنم يعتلي مكاناً قريباً منهم ثم يقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ [الرحمن:١-٤]، فإذا هم يسمعونه، فقال قائل منهم: ماذا يقرأ هذا الرجل؟! فقالوا: إنه يتلو الكلام الذي جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم–، فقاموا إليه فأوجعوه ضرباً حتى أدموه رضي الله عنه وأرضاه، ورجع إلى القوم، فلما رأوا حاله قالوا: هذا ما كنا نخشاه عليك يا ابن مسعود ! قال: والله! لهم أهون في عيني مما كانوا من قبل، ولئن أردتم لأصدعن به مرة ثانية على مسمع ومرأى من الجميع،(اول من جهر بالقران بمكة ١/١٦٦سيرة ابن اسحاق**) فلا التهديد ولا الضرب ولا الوعيد يحول بينهم وبين الصدوع بالحق، وهكذا رباهم القرآن.كان

ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه يتفجر علماً، كيف لا وهو أقرب الناس من النبي صلى الله عليه وسلم؟!فقد كان من أقرب الناس هدياً وسمتاً واتباعاً للنبي صلى الله عليه وسلم، حتى وصل إلى درجة من الرفعة لا يعلمها إلا الله، فقد بلغ به القرآن درجة عالية سامية.ففي مرة من المرات، **وبينما عمر في عرفة إذ جاءه رجل من الكوفة فقال: يا أمير المؤمنين! جئتك من الكوفة، وفيها رجل يقرأ القرآن على الناس عن ظهر قلب، فانتفخت أوداج عمر ، وغضب من هذا، فقال: من هو؟ قال: ذاك رجل يقال له: عبد الله بن مسعود ، قال: فانفرجت أسارير عمر وتبسم في وجه الرجل، وقال له: (والله لا أعلم رجلاً على وجه الأرض أحق من ابن مسعود في هذا) أي: لا أعلم أحداً على وجه الأرض أحق من ابن مسعود أن يقرأ القرآن عن ظهر قلب، ثم قال عمر للرجل: (أنا سأخبرك بخبر ابن مسعود : كنا ليلة أنا وأبو بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم، فلما انتصف الليل خرجنا ومررنا بطريقنا على المسجد، فإذا برجل قائم يقرأ القرآن بصوت طري عذب مدي، فتوقف النبي صلى الله عليه وسلم يستمع لقراءته، ولم نميز من كان ذلك الرجل، قال: ثم قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: من سره أن يسمع القرآن غضاً طرياً كما نزل فليسمعه عن ابن أم عبد)، رضي الله عنه وأرضاه، فما كان ذلك الذي يقرأ القرآن في ظلام الليل غضاً طرياً كما نزل إلا ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه، فعمر يقول للرجل: أنا أخبرك بخبره: (سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لنا في تلك الليلة: من سره أن يسمع القرآن غضاً طرياً كما نزل فليسمعه عن ابن أم عبد)، فمن الذي زكى تلاوته؟ إنه الذي ينزل عليه الوحي صلوات ربي وسلامه عليه، قال عمر : (ثم شرع ابن مسعود بالدعاء والنبي صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائه ويقول: سل ابن مسعود تعط، سل ابن مسعود تعط)، قال: فلما أصبح الصباح قلت -يعني عمر - والله! لأذهبن أبشر ابن مسعود بذلك، وكيف لا والنبي صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائه، ويقول: (سل ابن مسعود تعط)؟ قال: فلما أصبح الصباح غدوت إليه أبشره، فإذا بأبي بكر رضي الله عنه قد سبقني إلى بشارته(حلية الاولياء ١٢٤ /١)**.وبلغ **بقراءته القرآن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يناديه من حين إلى حين ويقول له: (اقرأ علي القرآن يا ابن مسعود !)، وهذا يدل على أنه وصل إلى درجة عالية من إتقان القرآن والخشوع عند قراءته؛ لأن النبي الذي تنزل عليه القرآن كان يقول له: (اقرأ علي القرآن يا ابن مسعود ! فكان يقول: أقرأه عليك وعليك أنزل يا رسول الله؟! قال: إني أحب أن أسمعه من غيري، قال: فقرأت من سورة النساء حتى إذا بلغت قوله تبارك وتعالى: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا [النساء:٤١-٤٢]، قال: حسبك يا ابن مسعود ! قال: فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان بأبي هو وأمي) مسلم** (٨٠٠).ولك أن تتخيل ذلك الموقف والمشهد العظيم.بل بلغ من حب النبي صلى الله

عليه وسلم له أنه قال: (لو كنت مؤمراً أحداً عليكم من غير شورى لأمرت عليكم ابن مسعود)، فمن الذي صنع ابن مسعود ؟ لقد صنعه القرآن، صنع ذلك الرجل كلام الله تبارك وتعالى حين قرأ القرآن ووعاه، وتدبر آياته وعمل بمقتضاه، فأحل حلاله، وحرم حرامه، يقول ابن مسعود عن نفسه: (**أخذت من فم النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من سبعين سورة، وما من آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ومتى نزلت، ولماذا نزلت)، قال هذا هو العلم الحقيقي: (أخذت من فم النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من سبعين سورة)**(**حلية الاولياء ١/١٢٢**) ، **مباشرة فماً لفم: (وما من آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ومتى نزلت، ولماذا نزلت، ولو كنت أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله على وجه الأرض تمتطى إليه المطايا لامتطيت إليه)**،(مسلم (٢٤٦٢)) إنهم رجال صنعهم القرآن ورفع قيمتهم وجعل لهم شأناً، وقد تكفل الله بحفظه وبرعايته وقد كان ابن مسعود يخاف من الذنوب، وهذا سر ورعه، فكان يقول: (إن العبد المؤمن يرى الذنب الصغير كأنه الجبل يوشك أن يقع على رأسه، وإن العبد المنافق الذي تمرد على العصيان والنفاق ليرى الذنب الكبير كأنه ذبابة على أنفه قال بها هكذا).وكان لا يحب تضييع الأوقات، وهكذا شأن الرجال الأحبار، وشأن العلماء، فكان يقول: (**والله! إني لأبغض الرجل أراه فارغاً لا يقضي أمراً من أمور الدنيا، أو من أمور الآخرة)**.(حلية الاولياء ١/١٣٠) **وكان عند ابن مسعود أمنية تمناها وعاش من أجلها، وحققها بإذن الله، وقبل أن أذكر الأمنية أريد أن تسأل نفسك أنت: ما هي الأمنية التي تتمناها؟ وكن صادقاً مع نفسك، فلقد تمنى ابن مسعود أمراً فناله وحققه بإذن الله، وأنا أريدك أن تسأل نفسك الآن: ما هي الأمنية التي تتمناها؟يقول ابن مسعود : (خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم تبوك، فلما عسكر جيش المسلمين في تلك الليلة بتنا على أحسن حال، فاستيقظت في منتصف الليل، وكنت بجانب النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا بفراش النبي صلى الله عليه وسلم خالٍ من صاحبه، فحسست فراش صاحبيه أبي بكر وعمر فإذا هو خالٍ من أصحابه، فنظرت في آخر المعسكر فإذا بنار قد أوقدت، والمعسكر نيام، إلا من تلك النار التي هناك وأقوام في الحراسة، يقول: فانطلقت إلى النار، فلما جئت إلى النار إذا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر قد حفروا قبراً وكفنوا شخصاً وأوشكوا على إنزاله في القبر، قلت: يا رسول الله! من هذا المكفن؟ قال: هذا أخوك عبد الله ذو البجادين المزني قد مات ليلة البارحة)، وهل تدري -بارك الله فيك- من هو عبد الله ذو البجادين ؟ عبد الله ذو البجادين كان من أترف وأنعم شباب مكة، أسلم شاباً، وخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يريد أن يخرج من الظلمات إلى النور، فآذاه قومه، فما زاده ذلك إلا تمسكاً بدينه، حتى إنهم لم يجدوا حيلة معه إلا أن يجردوه من ثيابه ويحبسوه في وسط الدار حتى لا يفر من سجنه ومن داره، فما وجد إلا قطعة قماش ستر بها عورته وفر هارباً بدينه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فسمي بذي البجادين .قال: (فلما أنزله**

النبي صلى الله عليه وسلم في قبره قال: اللهم إني أمسيت عنه راضٍ فارض عنه)، يعني: عن عبد الله ذي البجادين .فاسمع الأمنية، وقل: أين هي أمانينا من تلك الأماني؟ يقول ابن مسعود : (**فوالله ما تمنيت إلا أن أكون صاحب تلك الحفرة**(حلية الاولياء ١٢٢/١ عبدالله ذوالبجادين)، تلك هي أمنياتهم: أن يحققوا رضا الله ورضا رسوله، صدقوا مع الله، وصدقوا مع كلام الله تبارك وتعالى، فصدق الله معهم، ورفع شأنهم، وشرح صدورهم، ويسر أمورهم، فحققوا في سنوات قليلة ما لم يحققه أقوام في عشرات بل في مئات السنين؛ إنهم رجال صنعهم القرآن، نفعنا الله بالقرآن العظيم، وبما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وإخوانه.أما بعد:أحبتي أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله عباد الله! وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ [البقرة:٢٨١].**خرج عمر مرة من المرات من المدينة يريد مكة للعمرة، وفي طريقه التقى بعمرو بن نافع واليه على مكة، فقال له عمر : من وليت على أهل الوادي؟ أي: من خلفت بعدك على إمارة أهل الوادي؟ يعني: على أهل مكة؟ قال: وليت عليهم ابن أبزى ، قال عمر : ومن ابن أبزى ؟ قال: مولى من موالينا، قال: تولي على أهل الوادي مولى من مواليكم؟! قال: أما والله! إنه عالم بكتاب الله وبالفرائض، فقال عمر : أما والله! إني قد سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول**: (**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين**).(مسلم (٨١٧)) فابن أبزى كان مولى من الموالي، وكان ابن مسعود رويعي غنم، فلم يؤت سعة من المال، ولا سعة في الجسم، ولا سعة في الجاه، ولم يكن حسبه ولا نسبه سبباً في رفعته عند الله تبارك وتعالى، لكنه القرآن.إنه ابن الإسلام صنعة القرآن، فكيف أصبح عالماً، حبراً، زاهداً، مجاهداً في سبيل الله؟ لقد وصل إلى تلك الحال يوم أن قرأ القرآن، وتدبر آياته، وعمل بمقتضياته، وصل إلى تلك الحال يوم أن قرأ القرآن وعمل بآياته، وتدبر في مراد الله منه، وعمل بمقتضى كلام الله تبارك وتعالى، فأسألك بالله العظيم: أين نحن من القرآن اليوم أين نحن من قوله تبارك وتعالى: **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ [البقرة:٢٣٨]**؟! أين نحن من قوله تبارك وتعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ [البقرة:٢٧٨]؟! أين نحن من قوله تبارك وتعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ [النور:٣٠]** أين نحن من آيات الجنة وآيات النار؟! فإن لم تحرك تلك الآيات فينا المشاعر والأحاسيس فمن الذي يحركها؟!اعلم أن قيمتك عند ربك بقيمة كلام الله في حياتك، فإذا أردت أن تعرف قيمتك عند الله فانظر إلى قيمة كلام الله وأوامره ونواهيه في حياتك، وإذا أردت أن تعرف ماذا لك عند الله فانظر ماذا لله عندك في حياتك، فقيمتك بذلك القرآن

الذي تقرأه وتعمل بمقتضاه.وانظر إلى ما صنع القرآن بابن مسعود ؟ **فقد ارتقى شجرة يوماً فجاءت الريح فأطارت ثوبه وكشفت ساقيه، فإذا بالساقين دقيقتين نحيلتين، فلا سعة في المال ولا في الجاه ولا في الجسم، فقد كان كالعصفور الصغير، فضحك الصحابة لما كشفت الريح ساقي ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه لدقتهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (تضحكون من دقة ساقي ابن مسعود ؟! والله! لساقا ابن مسعود أثقل عند الله في الميزان من جبل أحد)(حلية الاولياء ١٢٧/١)** ، لماذا؟ هل ذلك لنسبه؟ أو لأنه ابن فلان، أو ابن فلان، أو من يملك من الأرصدة المالية كذا وكذا؟ إنما ذلك بما وعاه صدره من القرآن، وبنصره لدين الله تبارك وتعالى.قال صلى الله عليه وسلم: **(من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)** (مسلم (٢٦٩٩)) فقيمة الناس عند الله بما وقر في قلوبهم من إيمان، **يقول عمر رضي الله تعالى عنه عن ابن مسعود : (لقد ملئ فقهاً وعلماً).(مصنف ابن ابي شيبة ٣٢٢٣٦)ويقول أبو موسى : (لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر بين أظهركم)(** حلية الاولياء ١٢٩/١) .ولما أرسل عمر سلمان والياً على العراق جعل ابن مسعود معيناً ومستشاراً له، قال لأهل العراق: **(والله! إني آثرتكم على نفسي بابن مسعود).(الكبير ٨٤٧٨) وكان من كلام ابن مسعود قوله: (من كان متأسياً فليتأس بمن مات، فإن الحي تخشى عليه الفتنة).**([1] حلية الاولياء ١٢٩/١) فهذه بعض من أخبارهم، وبعض من تلك الصور التي سطروها، وبعض من آثار القرآن التي ظهرت عليهم يوم أن صدقوا مع الله تبارك وتعالى، قال تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ [الإسراء:٩]، ونحن الآن في الإجازات الصيفية ينبغي أن يكون أعظم ما تملأ به الأوقات قراءة القرآن، فإن أشرف ما تملأ به الأوقات حفظ كتاب الله تبارك وتعالى.واعلم أن القرآن الذي صنع الجيل الماضي والذي صنع ابن مسعود وأولئك الرجال لا يزال يصنع أبطالاً.وسأروي لك خبراً صغيراً عن شاب صغير في العاشرة من عمره، وكيف أثر القرآن على مسامعه، إنه طالب صغير في حلقة من حلقات القرآن، وكان يداوم على حفظ الكتاب يوماً بعد يوم، وكانت أمه بارك الله فيها هي التي تتعهده في البيت بالحفظ والمراجعة، فليت كل الأمهات كهذه الأم، فجاءها الصغير ابن العاشرة يوماً حزيناً منكسراً مهموماً مغموماً، فقالت الأم: صغيري! أنت صغير على الهموم والغموم، فقال لها: أماه! دعيني فوالله! إني مشغول، وانظر ماذا شغله، وقل: ما الذي شغل صغارنا اليوم؟ فما زالت الأم تلح عليه حتى يقول ما في نفسه، فقال لها: أماه! لقد قرأنا اليوم في الحلقة سورة الإنسان، فسمعت من أخبار الجنة العجب العجاب! يقول ابن العاشرة لأمه: أماه! سمعت من خبر الجنة اليوم العجب العجاب! يقول الله: **وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا [الإنسان:١٢-١٤]، إلى أن بلغ قول الله تعالى: إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا [الإنسان:٢٢]**، ثم يقول الصغير لأمه: أماه! أسألك بالله! ما هو السعي الذي كانوا يسعونه حتى يقول الله لهم: **إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً**

وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا [الإنسان:٢٢]؟! إنها آية أوقفت الصغير وجعلته مهموماً مغموماً؛ يتدبر في كتاب الله تبارك وتعالى. **يقول ابن عثيمين عن قوله تبارك وتعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ [البقرة:٢٢٣]: والله! لو أن القلوب سليمة لتفطرت من الخوف من لقاء الله تبارك وتعالى**.قال عز وجل: **إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا [الإنسان:٢٢]**، كان سعيكم مشكوراً إذ صبرتم على طاعتي، كان سعيكم مشكوراً إذ صبرتم على معصيتي، كان سعيكم مشكوراً إذ صبرتم على الأذى في سبيلي.إنه القرآن الذي صنع الجيل الأول، ولا يزال يصنع أجيالاً متتالية، فأمة تقرأ القرآن وتقيم الحلقات في المساجد وتبذل من أجل كتاب الله أمة لا تقهر بإذن الله ما دامت تحفظ كتاب الله وتقيم آياته.وما يمر به العالم الإسلامي اليوم خاصة سحابة صيف وستنقشع بإذن الله: **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ [الشعراء:٢٢٧]**، فاشغلوا أوقاتكم بالقرآن، واحفظوا صغاركم في حلقات القرآن، وادعموا حلقات القرآن، وابذلوا من أجل إقامتها في المساجد وفي البيوت.أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا من خاصة أهل القرآن، اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا، وحفظنا إياه، وذكرنا منه ما نسيناه، وعلمنا منه ما جهلناه، وارزقنا تلاوته، وتدبر معناه، والعمل بمقتضاه، على الوجه الذي تحبه منا وترضاه، وارفعنا به الدرجات، وكفر عنا به الخطيئات، وألبسنا به الحلل، وأسكنا به الظلل، واجعله نوراً في وجوهنا، ونوراً في صدورنا، ونوراً في قبورنا، ونوراً وذخراً لنا يوم نلقاك يا رب الأرض والسماوات.اللهم اجعلنا من خاصة أهله يا رب العالمين! اللهم اجعله قائدنا إليك وإلى جناتك جنات النعيم.اللهم وفقنا لحفظه وإتمامه وإتقانه، ولا تحرمنا خير ما عندك بأسوأ ما عندنا يا حي يا قيوم!اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين!اللهم من أرادنا وبلادنا وبلاد المسلمين بسوء فأشغله في نفسه، واجعل تدبيره تدميراً عليه يا رب العالمين!اللهم طهر بلادنا وبلاد المسلمين من الفواحش والمنكرات، وادفع عنا الغلاءَ والربا والزنا والفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن.اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا! من الراشدين، واحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وادفع عنا شرور كل ذي شر يا رب العالمين.اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بأسوأ ما عندنا يا علي يا عظيم! اللهم اجعلنا من الذين هم على صلاتهم دائمون، واجعلنا من الذين هم على صلاتهم يحافظون، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.اللهم صل على محمد في الأولين، وصل على محمد في الآخرين، وصل على محمد في الملأ الأعلى إلى يوم الدين.اللهم ارض عن صحابته أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وسائر الصحابة أجمعين.اللهم اجمعنا بهم في جنات النعيم يا حي يا قيوم! يا ذا الجلال والإكرام!عباد الله! إن الله يأمر

بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم. ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون

أحوال العابدات

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**. **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد:السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:حياكم الله وبياكم! وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته، وأن يحفظني وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن.لقاؤنا هذا خاص بأمهاتنا وأخواتنا وزوجاتنا، خاص بالمرأة المسلمة التي هي أساس هذا المجتمع، ولا يقوم المجتمع إلا على أكتاف الرجال والنساء، بل لا يستطيع الرجال أن يقوموا بأدوارهم إلا إذا قامت النساء وسدت جميع الثغرات، وما كان للأبطال السابقين أن يحققوا ما حققوا إلا في ظل وجود المرأة المسلمة الصالحة التقية النقية الخفية. حديثنا إليك أنت بارك الله فيك، فأنت من أحسن ما قيل فيك: إنك نصف المجتمع، ثم أنت تلدين النصف الآخر.فأنت المجتمع كله، أنت أساس هذا المجتمع، وخلف كل رجل عظيم امرأة عظيمة بارك الله فيك.اختار الله لمحمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه حين أراد أن يكلفه بمهام الدعوة، اختار له خديجة ، فكانت نعم الزوجة، ونعم الأم، ونعم المربية، ونعم الداعية الصابرة المحتسبة الباذلة المعطية، كل شيء من أجل هذا الدين، ولا عجب أنها وصلت إلى مرتبة رفيعة، ومرتبة سامية؛ **يأتي جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: (هذه خديجة أتتك ومعها إناء من طعام، أقرئها من ربها ومني السلام، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب)**، **(مسلم ٢٤٣٢)**أسألك بالله العظيم كيف وصلت خديجة إلى تلك المرتبة، الرفيعة، إلا لأنها جعلت حياتها لله رب العالمين.أخية! المعركة بين الحق والباطل معركة قائمة مستمرة، قد يظهر الباطل حيناً، لكن الغلبة والتمكين لا يكونا إلا للحق، بشرط أن يأخذ أهل الحق بالحق بقوة، ويقدموا من أجل الحق كل غال ونفيس.قد يظهر الباطل حيناً، لكنه امتحان وابتلاء من الله للصادقين والصادقات، قال الله: **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا [الإسراء:٨١]، وقال**

سبحانه: بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ [الأنبياء:١٨].
أنت بارك الله فيك جزء من المعركة، بل على عاتقك الجزء الأكبر منها، فأنت مطالبة بدعم الصفوف الخلفية، وبمساندة الخطوط الأمامية، وحتى تستطيعي أن تقومي بذلك الدور لابد أن تكوني عابدة، صلتك بالله قوية مترابطة، إنهم يشغلونك عن الدور العظيم بتوافه الأمور، يشغلونك باللهو والضياع؛ لأنهم يعلمون تمام العلم أنك متى ما تفرغت للمعركة فهي محسومة لك بإذن الله.فخلف الرجال العظماء نساء عظيمات، وما كان للرجال أن يؤدوا دورهم لولا الدور العظيم الذي قامت به النساء، فأنت مطلوبة في كل المجالات، ومطلوبة في سد كل الثغرات، في التعليم، والطب، والتربية، وحتى في القتال، فقد لعبت النساء على مر التاريخ دوراً عظيماً في حسم المعارك، فنساء الصحابة رضوان الله عليهن كن يحرضن أزواجهن على الجهاد وهو أعظم تضحية، بل منهن من حملت السيف تقاتل دفاعاً عن عقيدتها ودينها، **يقول أنس رضي الله عنه وأرضاه: لما كان يوم أحد رأيت عائشة وأم سليم وإنهما لمشمرتان حتى رئي خدم سوقهما تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانها في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآن القرب، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم.**(مسلم ١٨١١) **وهذه مقالةٌ عظيمة من امرأة عظيمة تقول لرسول الله وقد سألها عن خنجر في يدها: إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه يا رسول الله وأقتل هؤلاء الذين يفرون عنك كما أقتل هؤلاء الذين يقاتلونك،** ،(**مسلم ١٨٠٩**) فإنهم لذلك أهل.إنها مقالة أم سليم بنت ملحان زوجة أبي طلحة رضي الله عنه وأرضاه ورضي عنها، كان ذلك يوم حنين حيث أبلت بلاء حسناً، فكانت تسقي العطشى، وتداوي الجرحى، وتحمل قرب الماء، وهي مع ذلك حامل بابنها عبد الله، فقالت تلك المقولة للرسول صلى الله عليه وسلم لتترك للتاريخ عبرة، ولتؤكد أن المرأة المسلمة جزء لا يتجزأ من معركة المسلمين ضد الباطل عبر الزمان والمكان.فأنت مربية الأجيال، وصانعة الأبطال، أنت المقاتلة إذا دعت الضرورة والحال، لن أحكي لك عن أخبار الصائمات والقائمات، والمتصدقات والباذلات، ولكن سأسوق إليك أخبار وأحوال العابدات المجاهدات.الخبر الأول: خبر أول شهيدة في الإسلام.الخبر الثاني: خبر الفارس الملثم. الخبر الثالث: مسلمات في الأسر.الخبر الرابع: شهيدة في ليلة عرسها.الخبر الأخير: المجاهدة المقاتلة.ثم الخير في هذه الأمة حتى تقوم الساعة. **الخبر الأول: أول شهيدة في الإسلام.**
الشهادة درجة رفيعة يختار الله لها من يشاء من رجال ونساء، يكفي أن تعلمي أن الله أعد للشهداء ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر،(**مسلم ٢٨٢٤**) وأن للشهداء عند الله مائة درجة، ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض، والشهداء أحياء عند ربهم فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. يجب أن تعلمي –بارك الله فيك– أن طريق الجنة محفوف بالمكاره والابتلاءات، وأن ثمن الجنة غال أيتها الغالية، وأن الطريق إليها صعب وشاق.. فيه تبذل الأرواح والمهج، وتبذل الأموال، ومن أجله تراق الدماء، لما كانت

السلعة غالية، كان لابد أن يكون الثمن غالياً، ولابد دون الشهد من إبر النحل. إليك خبر أول شهيدة من العابدات الزاهدات: كانت سمية ضعيفة في صباها وشيخوختها، فقد كانت أمة مملوكة في مجتمع جاهلي لا رحمة فيه للعبيد والمماليك، أسلم ابنها عمار ، ودخل في الإسلام الذي يحقق العدل والمساواه للجميع، فقرأ رسول الله على مسامعهم كلام الله فانشرحت الصدور، وأقبلوا على دين الله يتعلمونه ويعلمونه. دخلوا في هذا الدين وهم يعلمون أنهم سيدفعون الثمن غالياً، فلقد كانت قريش تعذب وتضطهد كل من أسلم، فمن كان له قبيلة حمته قبليته، ومن لمن يكن له كآل ياسر فلقد تفننت قريش في تعذيبهم من ضرب وجوع وعطش تحت أشعة الشمس الملتهبة، حتى كادت نفوسهم أن تزهق جوعاً وعطشاً وتعذيباً، لكن كأن صوتاً من السماء يناديهم: يا نار كوني برداً وسلاماً على آل ياسر ، كما كنت برداً وسلاماً على إبراهيم. لكِ أن تتخيلي أيتها الغالية تلك المرأة الناحلة الجسد، الكبيرة السن، وهم يصبون عليها أصناف العذاب، والعذاب يشتد يوماً بعد يوم، وجاءت المواساة للأسرة المعذبة في دينها يوم مر عليها نبي الهدى والرحمة ورأى صنوف العذاب وهي تنهال على تلك الأجساد الضعيفة، فواساها بكلمات كالسلسبيل ، تخفض حدة العذاب، وتعطي للإيمان طعماً وللحياة معنى وقيمة: (**صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة**)، (**سيرة بن اسحاق**) فصنعت تلك الكلمات في تلك النفوس العجب العجاب من صبر وثبات. **فالسلعة غالية**:

يا سلعة الرحمن لست رخيصة *** **بل أنت غالية على الكسلان**

يا سلعة الرحمن كيف تصبر *** **الخطاب عنك وهم ذوو إيمان**

يا سلعة الرحمن أين المشتري *** **فلقد عرضت بأرخص الأثمان**

طال العذاب وسمية تتحمل مع أسرتها أنواع التنكيل والإرهاق، كل ذلك من أجل الله، ومن أجل دين الله جل في علاه، وكلما زاد العذاب زاد الصبر والثبات، حتى لم يعد الكفار يطيقون رؤيتها، ونفذ صبرهم من صبرها، فأخبروا أبا جهل بما يلاقون من عنادها وشدتها وثباتها، فأقبل في مساء يوم ومعه فتية من بني مخزوم قد أشعلوا النار في دار آل ياسر، ووضعوا آل ياسر في قيود الحديد، وصاروا يتفننون في تعذيبهم، ويلهبون أجسادهم بالسياط، ويطعنون أجسادهم بالخناجر والرماح، ويحرقونهم بالنار، ويلقون عليهم الأحجار الثقال، ما ذنبهم؟ وما هي جريمتهم؟**وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [البروج:٧-٩]**.وهاهم يكررون نفس الأفعال في العراق وفي كل مكان، **إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلا ذِمَّةً [التوبة:٨]**، ملة الكفر لا تختلف سابقاً ولا لاحقاً، والعذاب يزداد وأبو جهل ينتظر من آل ياسر صيحة ردة عن دين الله، فيظفر بلا شيء، بل تقول سمية بكل قوة عندما ترى النبي صلى الله عليه وسلم يمر عليهم: (أشهد إنك لرسول الله، وأشهد أن وعدك الحق) أي: وعد الصبر الجنة، وعد صادق، وعهد سابق، **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا [النساء:١٢٢]**.أما اشترى الله منهم الأنفس والأموال على أن يكون الثمن الجنة؟! تقول ذلك وهي في شدة العذاب. يصيح أبو جهل : لتذكرن محمداً بسوء، وتذكرن آلهتنا

بخير، أو لتموتن؟ أليست هي نفس سياسة فرعون السابقة: **وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ [طه:٧١] .. لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ [الأعراف:١٢٤]**، فسياسة الكفر لا تتغير مهما تغير الزمان.فترد عليه سمية : بؤساً لك ولآلهتك!فيشتد الغضب بأبي جهل فيضربها في بطنها برجله، ثم يطعنها بحربة كانت في يده؛ لتكون أول شهيدة في الإسلام، فسجلت بذلك سبقاً جهادياً بين أقرانها وبين أخواتها المسلمات.قدمت حياتها لتعطي درساً على العزة والثبات، ما وهنت ولا استكانت ونداء ربها في مسامعها: **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ [آل عمران:١٣٩-١٤٢]**.لسان حال الصادقين والصادقات

:فإما حياة تسر الصديق * وإما ممات يغيظ العدا**

ماتت موتة الأبطال وأهل المبادئ، ماتت وهي تنتظر بشارة النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يمر عليهم ويرى العذاب: (**صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة**).**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ [يونس:٥٨]**.الخبر الثاني: خبر الفارس الملثم.بينما خالد بن الوليد يصف صفوف المقاتلين لقتال الروم إذا بفارس ملثم ذي ثياب سود، قد حزم وسطه بعمامه خضراء، ثم سحبها على صدره.سبق هذا الفارس الناس كأنه برق، فقال خالد: ليت شعري من هذا الفارس؟ وايم الله إنه لفارس شجاع! ثم تبعه خالد والناس.وكان هذا الفارس أسبق إلى صفوف المشركين؛ فحمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة، فزعزع كتائبهم، وحطم مواكبهم، ثم غاب في وسطهم، ثم خرج وسيفه ملطخ بالدماء وقد قتل رجالاً، وجندل أبطالاً، وعرض نفسه للهلاك.ثم اخترق مرة ثانية غير مُكترث ولا خائف ولا مبال، فقلق عليه المسلمون، وقال رافع بن عميرة : ليس هذا الفارس الملثم إلا خالد بن الوليدفإذا بخالد بن الوليد على يمينه قد أشرف عليه، فقال رافع : من هذا الفارس الذي تقدم أمامك، فلقد بذل نفسه ومهجته؟! فقال خالد: والله إني أشد إنكاراً له منكم، ولقد أعجبني ما ظهر منه من شجاعة، فقال رافع : أيها الأمير! إنه منغمس في عسكر الروم يطعن يميناً وشمالاً.فقال خالد: معاشر المسلمين! احملوا بأجمعكم وساعدوا المحامي عن الدين، فأطلقوا الأعنة، وقوموا الأسنة، والتصق بعضهم ببعض، وخالد أمامهم، ونظر إلى الفارس فوجده كأنه شعلة من نار، كلما لحقت به الروم، لوى عليهم، وكر وفر، وصال وجال.فتعجب المسلمون من هذا الفارس الملثم! ووصل الفارس المذكور إلى جيش المسملين، فتأملوه فرأوه قد تخضب بالدماء، فصاح خالد والمسلمون: لله درك من فارس، اكشف لنا عن لثامك لنعرف من أنت. فمال عنهم ولم يخاطبهم، وانغمس في الروم فتصايحت به الروم من كل جانب، وكذلك المسلمون، وقالوا: يا أيها الرجل الكريم، يا أيها الفارس الملثم، أميرك يخاطبك وأنت تعرض عنه؛ اكشف عن اسمك وحسبك لتزداد تعظيماً -يريدون ما عند الله، بينهم وبين الله أسرار لا يعلمها إلا

الله– فلم يرد عليهم جواباً، فلما ابتعد عن خالد سار إليه خالد بنفسه، وقال له: ويحك شغلت قلوب الناس، وشغلت قلبي بفعلك، فمن أنت؟! فلما ألح عليه خالد خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان التأنيث، وقال: إنني يا أمير المؤمنين لم أعرض عنك إلا حياء منك؛ لأنك أمير جليل، وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور!فقال لها خالد: من أنت بارك الله فيك؟ قالت: أنا خولة بنت الأزور .إنها تلميذة من مدرسة النبوة، إنها فارسة مقاتلة عنيدة تخرجت من مدرسة لا إله إلا الله، ما كانت لتكون كذلك إلا لأنها عابدة صوامة قوامة، ما كانت لتفعل تلك الأفعال وتسجل تلك اللحظات إلا لأنها عابدة صوامة قوامة، أما اليوم فما **أكثر النساء المسلمات المأسورات في السجون**:

أتسب المسلمـات بكل ثغر *** **وعيش المسلمين إذاً يطيب**
أما لله والإسـلام حــق *** **يدافع عنه شبـان وشيب**
فقل لذوي البصائر حيث كانوا *** **أجيبوا الله ويحكم أجيبوا**

اشتكت نساء فلسطين، ونساء الشيشان، ونساء العراق خاصةً في الفلوجة؟

لقد أسمعت لو ناديت حياً *** **ولكن لا حياة لمن تنادي**

في معركة من معارك الشام وقعت مجموعة من المسلمات في الأسر، من بينهن فارسنا الملثم خولة بنت الأزور ، فقامت تخطب في النساء فقالت: يا بنات حمير! وبقية تبع! أترضين لأنفسكن علوج الروم، ويكون أولادكن عبيداً لأهل الروم؟ أين شجاعتكن وبراعتكن التي تتحدث بها عنكن أحياء العرب، وإني أراكن بمعزل عن ذلك، وإني أرى القتل عليكن أهون من هذه الأغلال. فأجابتها إحدى تلميذات المدرسة النبوية عفراء بنت عصام الحميرية : صدقت والله يا بنت الأزور! ونحن والله في الشجاعة كما ذكرت، وفي البراعة كما وصفتِ، وصاحت: غير أن السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت، وإنما داهمنا العدو على حين غفلة، وما نحن إلا كالغنم بدون سلاح.فقالت خولة : يا بنات التبابعة! أترضين أن تحملن في بطونكن أبناء هؤلاء العلوج؟كم تشتكي نساء العراق! وهن يقللن بطوناً ملأى بأبناء أحفاد الصليب، ولا حياة لمن تنادي. فقالت عفراء بنت عصام : والله ما دعوت إلا إلى ما هو أحب إلينا مما ذكرت، ثم تناولت كل واحدة عموداً من أعمدة الخيام، وصحن صيحة واحدة، وألقت خولة على عاتقها عموداً، وسعت من وراءها عفراء ومسلمة بنت زارع وروعة بنت عملون وسلمة بنت النعمان وغيرهن، فقالت لهن خولة : لا ينفك بعضكن عن بعض، وكن كالحلقة الدائرة، لا تفترقن فيقع بكن التشتيت، حطمن رماح القوم، واكسرن سيوفهم، وهجمت خولة ، وهجمت معها النساء، وقاتلن قتالاً شديداً، حتى أدركهن مجموعة من المسلمين، جاءت في الوقت المناسب لتخليصهن، فكان الفرج من الله. قد تسألي رعاك الله: علام تربت تلكم النساء؟ على الموضة وآخر الصيحات! وعلى أكاديم استار! أم على ماذا؟

رباه عم الفسق في الأوطـان *** **فلقد تركنا سنة العدناني**

أضحت فتاة اليوم أكثر معرض * للحم حتى قل سعر الضان**

حيناً ببنطال الـرجال وتارة * بلباسها المخزي كالسعدان**

ما قلدت أما لها أو جدة بل قلدت أوروبة الشيطان قد تسألي أيتها المؤمنة: هل كن يقضين الأوقات أمام الشاشات والقنوات أم على ماذا؟أما آن وأنت تنتمين إلى نفس المدرسة –مدرسة لا إله إلا الله– أن تنفضي الغبار وتشمري عن ساعديك، فأنت مطالبة بالقيام بالدور الذي لابد منه، لابد أن تصنعي لنا الأبطال، وتربي لنا الأجيال، وتقاتلي إذا دعت الضرورة والحال، لن تستطيعي أن تكوني كذلك حتى تكوني عابدة صوامة قوامة. الخبر الرابع: شهيدة بعد ليلة عرسها: نعم. شهيدة في اليوم الثاني من عرسها، أدخلت على زوجها ثم استشهد في اليوم الثاني، فمن هما وما خبرهما؟ إنها أم حكيم بنت الحارث ، زوجة عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهم.خرجت معه إلى اليرموك، وكانت خلف الجيش ترد المتراجعين والفارين من أرض القتال، وقفت هي وغيرها من النساء يشجعن الرجال، ويسقين الجرحى، ويداوين المرضى، وأمسكت بعضهن بأعمدة الخيام يرجعن من فر من أرض المعركة، أو يوبخنه قائلات: إلى أين يا لكع، أتتركوننا للعلوج والكفار؟ فكان لكلماتهن أكبر الأثر في رفع همم الرجال.لما علمت أم حكيم بمقتل زوجها عكرمة وأبيها الحارث بن هشام ، تأثرت بذلك كثيراً، ولكنها هدأت وقرت عينها حين تذكرت أنهما شهيدان بإذن الله، وأنهما قتلا في سبيل الله، وأن الجنة في انتظارهما. ولما أكملت عدتها تقدم لخطبتها اثنان من كبار قواد المسلمين يزيد بن أبي سفيان ، وخالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنهم أجمعين، ولقد كانت عادة العرب أنهم يرون في حسن الوفاء لصاحبهم المتوفى أن يتزوجوا بزوجته.وافقت أم حكيم على الزواج من خالد بن سعيد وقدم مهرها، لكن الحرب كانت مستمرة بين المسلمين والروم، والمفروض أن يؤجل الزواج حتى تنتهي الحرب، لكن خالد بن سعيد الصحابي الجليل رأى الزواج في الحال دون انتظار فرفضت أم حكيم ، فالوقت غير مناسب، ولأنها رأت أعداداً من الروم قد اتجهت نحو المكان، فقالت: لو أخرت الدخول حتى يصد الله هذه الجموع!لكن خالداً أصر على موقفه وقال: إن نفسي تحدثني أني سأصاب في جموعهم وسأقتل، فوافقت أم حكيم مرغمة، وقالت له: الرأي ما ترى.أقيمت الأعراس، ونصبت الخيام للولائم في مرج الصفر عند قنطرة على النهر، سميت بقنطرة أم حكيم ثم بدأت المبارزة فخرج العريس، وقاتل قتال المستميت، فقتل منهم عدداً لا يستهان به، لكنهم تكاثروا عليه وقتلوه كما قتلوا ابنه من قبل، ترك عروسه التي في الدنيا، واستقبلته الحور العين.

كانت العروس أم حكيم في خيمتها تسمع وترى ما يجري في المعركة وتراقب الأحداث، فلما علمت بمقتل زوجها اندفعت هي الأخرى تقاتل وآثار زينتها لا تزال عليها، فشدت عليها ثيابها، واقتلعت عموداً من خيمة عرسها، وانتظرت قدوم الروم من نحوها وسلاحها في يديها، مر الرومي الأول فضربته بالعمود فأردته قتيلاً، ثم مر الثاني فأردته قتيلاً، ثم الثالث ثم الرابع ثم الخامس، حتى قتلت سبعة؛ وما أن ابتعد الروم قليلاً حتى خرجت تقاتل مع الرجال، فأصيبت بسهم كان سبب مصرعها، فخرت شهيدة

رضي الله عنها بزينة عرسها مضرجةً بدمها إلى جنة ربها.وانهزم الروم وقتل منهم خلق كثير، وأسفرت المعركة عن استشهاد العروسين في صبيحة عرسهما.رأت رضي الله عنها أن الوقت ليس وقت زواج، فطلبت التأجيل، وقالت: هذا أوان قتال وكفاح، لكن مقتل الزوج لم يجعلها تضعف أو تجبن حزناً، بل استبسلت وقاتلت مؤكدة أنها تنتمي إلى مدرسة لا إله إلا الله.

فلو أن النساء كمن ذكرنا *** **لفضلت النساء على الرجال**

فما التأنيث لاسم الشمس *** **عيب ولا التذكير فخر للهلال**

وما كان لها أن تكون كذلك إلا لأنها عابدة صوامة قوامة.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا *** **جمعتنا يا جرير المجامع**

الخبر الأخير: اسمعي أيتها الغالية! قصة المجاهدة المقاتلة، زوجة المجاهد وأم المجاهدين، مدرسة في التربية، مدرسة في البذل والعطاء والتضحية، إنها التي نذرت نفسها لله ولرسوله، إنها التي سطرت أعظم الصور، إنها نسيبة بن كعب المازنية أم عمارة رضي الله عنها وأرضاها، هي من بني النجار، فلها صلة قرابة بالنبي صلى الله عليه وسلم، فهم أخوال النبي صلى الله عليه وسلم.هي زوجة زيد بن عاصم ، وأم عبد الله بن زيد ، وحبيب بن زيد.كانت هي وأسرتها ممن بايعوا بيعة العقبة، وشهدت تلك البيعة رضي الله عنها وأرضاها، بايعوا في يوم البيعة بيعة الحرب.. بيعة العقبة الثانية، عاهدوا يومها على بذل الغالي والنفيس على أن يكون الثمن الجنة، صدقوا الله فصدقهم الله لقد سطرت رضي الله عنها تاريخاً ناصعاً تفخر به المرأة المسلمة، فما أحوج المرأة اليوم للقدوة، وإذا لم تكن نساء السلف قدوة لك فمن يكون؟ عادت بعد بيعة العقبة الثانية وهي تبث روح الفداء والتضحية والثبات في أبنائها، فلما كان يوم بدر خرج ابنها عبد الله بن زيد ، يقاتل تحت راية التوحيد، ولم يخرج ابنها الثاني حبيب ؛ لأنه يومها لم يبلغ الحلم.توفي زوجها زيد ، فتزوجها غزية بن عمرو ، فلما كان يوم أحد خرجت هي وزوجها وابنها عبد الله ، وعبد الله بن جحش ، وكبار الصحابة، ولما اشتدت المعركة، وانقلبت الموازين.لما خالف الرماة الأوامر وتركوا أماكنهم، والتف المشركون حول النبي صلى الله عليه وسلم: **هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا [الأحزاب:١١]**، وصار نبيهم في خطر! تآمر الأعداء على كلمة واحدة في ذلك اليوم: قتل النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن أبى لهم ذلك والرجال والنساء يحوطونه بأجسادهم وقلوبهم!فالتفت كوكبة من المؤمنين حول نبيهم تفديه بالأرواح، وهم قلة قليلة من بينهم أم عمارة وزوجها غزية وابنها عبد الله ، الأسرة كاملة تترست أمام النبي صلى الله عليه وسلم، لما رأت رضي الله عنها تغير الظروف رمت السقاء واستلت السيف فقاتلت به دون حبيبها صلى الله عليه وسلم، حتى قال صلى الله عليه وسلم عنها: (**ألتفت يميناً فإذا بأم عمارة تذود عني، ألتفت يساراً فإذا بأم عمارة تذود عني**).**رآها النبي صلى الله عليه وسلم بلا ترس، ولمح رجلاً متراجعاً معه ترسه، فقال له**: (**ألق ترسك إلى من يقاتل**) فألقى ترسه، فأخذته أم عمارة تترس به النبي صلى الله عليه وسلم، ما ترست نفسها، ولكنها دافعت عن حبيبها، فهجم عليها

أحد الكفار بسيفه، فتترست له، وهجمت عليه، وضربت عرقوب فرسه، فوقع على ظهره، فنادى النبي صلى الله عليه وسلم ابنها عبد الله : (**يا ابن أم عمارة ! أمك.. أمك**) **فتعاونا حتى قتلا الكافر، وجرح ابنها في يده اليسرى ونزف منه الدم فقالت له أمه: انهض بارك الله فيك.انهض نضارب القوم، وندافع عن هذا الدين، ونحمي حبيبنا صلى الله عليه وسلم، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم:** (**من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ؟**). (**المغازي للواقدي**) توقفي أيتها الغالية! واسألي نفسك هذا السؤال: كيف استطاعت أم عمارة أن تتحمل كل هذا؟ أليس هو الإيمان الذي حرك أولئك الرجال والنساء؟ أليس هو القرآن الذي صنع ذلك الجيل الفريد؟! نعم إنه الإيمان بالله، وبوعده ووعيده الذي حمله لنا القرآن: **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ [التوبة:١١١]**. لم تنته المعركة بعد، فلا زال التاريخ يسطر تلك الأمجاد وتلك البطولات التي سطرتها أم عمارة. وبينما والمعركة تدور، إذا بالرجل الذي ضرب ابن أم عمارة قد أقبل، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (**هذا ضارب ابنك يا أم عمارة**)، فاعترضته وضربت ساقه فبرك وسقط على وجهه، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم حتى بانت نواجذه، وقال: انتقمت يا أم عمارة).ثم أقبلت على الكافر حتى قتلته، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (**الحمد لله الذي أظفرك، وأقر عينيك من عدوك، وأراك ثأرك بعينك**). زادت حدة المعركة واجتمع الكفار على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، فهجموا عليه هجمة واحدة، وأقبل أحدهم يقال له ابن قميئة يقول: دلوني على محمد، لا نجوت إن نجا. فاعترضته المجاهدة المقاتلة، اعترضته أم عمارة ، ومعها مصعب بن عمير ، فاستشهد مصعب ، ووقفت أم عمارة في وجه الكافر، فضربها ضربة أصابتها في عنقها إصابة بالغة، فما وهنت وما ضعفت وما استكانت، بل ردت الضربة ضربات، ولكن عدو الله كان معه درعان.يقول صخرة بن سعد المازني حفيد أم عمارة ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**كان يرى نسيبة أم عمارة يومئذ تقاتل أشد القتال حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً، ثم يقول: وإني لأنظر إلى ابن قميئة وهو يضربها على عنقها وقد أعظم جراحها، فنظر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جرحها، فنادى ابنها عبد الله : أمك، أمك؛ اعصب جرحها بارك الله عليكم من أهل بيت**)، ما أعظمها من دعوة وشهادة وتزكية لذلك البيت!(فلما سمعت أم عمارة صوت النبي صلى الله عليه وسلم والدم ينفجر منها صاحت: ادع الله أن نرافقك في الجنة، فأتاها الجواب منه صلى الله عليه وسلم: **اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة، اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة، فهتفت رضي الله عنها: والله ما أبالي ما أصابني من الدنيا بعد اليوم**). هل سمعت الأمنية؟! هل سمعت المطلب؟! هل سمعت السؤال؟! إنها مرافقة الحبيب في الجنة، وما أدراك ما الجنة؟! ريحانة تهتز، ونور يتلألأ، ونهر مطرد، وقصر مشيد، وثمرة نضيجة، فأين المشمرات؟! أين الصادقات؟! أين العابدات؟! (**لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها**) (**البخاري ٢٨٩٢**).

إعمل لدار غدٍ رضوان خازنـها * الجار أحمد والرحمــن بانيـها**
دلالها المصطفى والرحمن بايعها * وجبرائيل ينادي في نـواحيـــها**
قصورها ذهب والمسك طينتــها * والزعفران حشيش نابـت فيهـا**
أنهارها لبن تجري ومن عســـل * والخمر يجري رحيقاً في مجاريها**
من يشتري الدار بالفردوس يعمرها * بركعة في ظلام الليـل يحييــها**
أموالنا لذوي الميراث نجمــعها * ودورنا لخراب الـدهر نبنيــها**

ولا زال للتاريخ حديث يخبرنا به عن أم عمارة وماذا صنعت، وماذا سطرت.فلما عاد القوم إلى المدينة وقد استشهد الصفوة الأخيار من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رجعت أم عمارة صابرة على جراحها، وفي اليوم التالي نادي منادي النبي صلى الله عليه وسلم للخروج مرة ثانية لمن شهد المعركة فقط، وأرادت أم عمارة أن تخرج، وهي التي أصيبت إصابات بالغة، شدت عليها ثيابها فما استطاعت من شدة الجراح والآلام وكثرة النزف، فمكثت وهي كارهة، وحولها نساء المسلمين يضمدن جراحها، حتى عاد النبي صلى الله عليه وسلم بعد أيام.فلما وصل أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها، فأخبروه أنها بخير وسلامة، ففرح النبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها، وكيف لا يفرح وهي التي فدته بروحها.لقد كانت رضي الله عنها مجاهدة ومربية للمجاهدين، فلقد شهد أبناؤها المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت تشعل في نفوسهم الحماس وروح الجهاد، فلم يتخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في معركة من معاركه.ونحن نريدك أن تشعلي الحماس في النفوس، وتبثي حب الجهاد والتضحية لهذا الدين الذي هو شرف لكِ وعز في الدنيا **والآخرة وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ [الزخرف:٤٤]**. لما مات النبي صلى الله عليه وسلم واصلت المسيرة مع خليفة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما ارتد المرتدون وادعى مسيلمة الكذاب النبوة، أرسل أبوبكر كتاباً إلى مسيلمة حمله حبيب بن زيد ابن أم عمارة ، ولكن مسيلمة لم يرع حرمة الرسل، فقبض عليه وأوثقه، وجعل يقول له: اتشهد أني رسول الله! وهو يقول: لا أسمع، وجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات، وما تراجع وما ارتد عن دينه.اسمعي بارك الله فيك: قطعوه وعذبوه وما انتكس، فما بال الرجال والنساء اليوم ينتكسون، ولم يصبهم ما أصاب القوم؟فلما علمت المجاهدة باستشهاد ابنها -الذي تعلم في مدرسة لا إله إلا الله أن الجهاد غاية المسلمين ومبتغاهم، وأن الشهادة أعظم غاية- صبرت أم عمارة واحتسبت؛ لأنها رضيت لها ولأهلها ولأبنائها حياة المجاهدين، ونذرت لله أن تشهد مقتل مسيلمة الكذاب ، وتشارك في مقتله.وتم لها ما أرادت؛ فقد خرج جيش المسلمين قاصداً مسيلمة ، وخرج مع الجيش ابنها عبد الله وخرجت معه، وكان عمرها يومئذ قد جاوز الستين عاماً، وتركها المسلمون تخرج رغم كبر سنها لتفي بنذرها.الله أكبر! لم يمنعها سنها من الخروج والمشاركة.وكما قيل:

إذا كانت النفوس كباراً * تعبت في مرادها الأجسام**

وحين ارتفع لواء الحق وأقبل المهاجرون والأنصار، استلت سيفها وهجمت على المنافقين والمرتدين مع مجموعة كان ابنها عبد الله معهم، ودارت المعركة بين الحق والباطل، وأخذت تقاتل لله درها حتى أصابها اثنا عشر جرحاً ولم تبال، قطع ذراعها ولم تبال حتى وصلت هي ومن معها إلى مسيلمة الكذاب ، وانقضوا عليه وهي في المقدمة رضي الله عنها وأرضاها ومعها ابنها عبد الله لتقتله بسيفها ثأراً لدينها ولابنها، وعادت المجاهدة مع الجيش المنتصر بذراع واحد.

***

أحوال العابدين

معاشر الأحبة! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.طبتم وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته إخواناً على سرر متقابلين، وأسأله سبحانه أن يحفظني وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين.عنوان هذا اللقاء المبارك: أحوال العابدين.وسيتكون اللقاء من هذه النقاط: أولها: سبب الاختيار للموضوع، ثم أولياء لرب العالمين، ثم سيد العابدين، ثم من أحوال العابدين، ثم أين نحن من هؤلاء، ثم خبر عابد صغير، وأخيراً اغتنم شبابك.وأحب قبل أن أنطلق أن أبين للأخوات أني لم أتطرق في الموضوع إلى أحوال العابدات، والسبب أني سأخص هذا بموضوع منفرد لحاجة النساء إلى مثل هذا.أسأل الله أن ينفع السامع والمتكلم بما نسمع وبما نقول.إن سبب اختيار هذه الأحوال والأخبار ما نراه من قسوة في القلوب وهجر للقرآن، فلا يعرف ختم القرآن إلا من رمضان إلى رمضان.قال الله: **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا [الفرقان:٣٠]**.ومن الأسباب أيضاً: ما نراه من تفريط بالنوافل، بل بالفرائض، فالصلاة أصبحت مجرد حركات، من قيام وقعود بلا أثر، وكذلك ما نراه من تخلف عن تكبيرة الإحرام ورضا بالصفوف الأخيرة.اعلم أنه من عزم ثابر،

ومن أراد إدراك المفاخر * لم يرض بالصف الآخر.**

ومن الأسباب أيضاً: ما نراه من تكاسل عن الجمعة والجماعات، وشح في البذل والصدقات، كأن لم يكن الله قد اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنات.إن حاجتنا للعبادة كحاجة الأرض للمطر، فلا تحيا القلوب إلا بذكر علام الغيوب، فنحن في أمس الحاجة إلى تقوية الصلة بالله؛ حتى نكون من أوليائه الذين قال عنهم: **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:٦٢]**، وهل تنتصر الأمة إلا بأوليائها والعباد والزهاد الصادقين، قال سبحانه: **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ [غافر:٥١]**.بالصادقين والمخلصين الذين يدعون ويتضرعون تنتصر الأمة، **عن علي رضي الله عنه قال: (ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح يناجي ربه ويتضرع: اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصبة لا تعبد بعد اليوم، اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسُهم حتى سقط رداؤه عن ظهره، فقال له أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه: هون عليك يا رسول الله! إن الله منجزك وعده، ثم غفا إغفاءة، ثم قال: أبشر يا أبا بكر هذا أخي جبريل آخذ بعنان فرسه، فأنزل الله: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ**

حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الأنفال:٩-١٣]).
(**مسلم ١٧٦٣**) بالعباد الأولياء وبرهبان الليل وفرسان النهار تنتصر الأمة، لذا فإن حاجتنا اليوم لتقوية الصلة بالعبادة أشد من حاجتهم، فأهل العصور الماضية كانوا يعيشون في محيط إسلامي تسوده الفضائل ويسوده التواصي بالحق، أما اليوم فغفلة وقسوة في القلوب، وانشغال بتوافه الأمور. نذكر أخبارهم تحفيزاً للنفوس، وتشجيعاً للسير على طريقهم، فهم أولياء رب العالمين، قال الله عنهم: **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:٦٣]**، فماذا لهم بإيمانهم وتقواهم؟ قال سبحانه: **لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [يونس:٦٤]**، صدقوا إيمانهم بتقواهم، وذلك بامتثال الأوامر واجتناب النواهي.فكل من كان مؤمناً تقياً كان لله تعالى ولياً؛ لذلك كانت لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، أما في الدنيا فالثناء الحسن، والمودة في القلوب، والرؤية الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به، وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرف سيِّئها عنه، أما في الآخرة فبشارة عند قبض أرواحهم، قال سبحانه: **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ [فصلت:٣٠-٣١]**، ثم تثبيت لهم في قبورهم قال سبحانه: **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ [إبراهيم:٢٧]**، ثم تمام البشرى بدخول جنات النعيم والنجاة من العذاب الأليم.هم أولئك الذين إذا رءوا ذكر الله عز وجل، هم أولئك الذين تنبعث من وجوههم أنوار الطاعة، هم أولئك الذين قال الله عنهم كما في الحديث القدسي: (**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**)، (**البخاري ٦٥٠٢**) هم أولئك الذي يثبت الناس برؤياهم وكلامهم **.حكى ابن القيم عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: يعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، وما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاب، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت بنا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه؛ فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة** (**الوابل الصيب باب ٣٤**).**قال الله: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ [السجدة:٢٤]**، بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين. وإليك طرفاً من أخبار الأولياء والعابدين:**قال**

البخاري : ما اغتبت مسلماً منذ احتلمت.وقال الشافعي : ما حلفت بالله صادقاً ولا كاذباً، (حلية الاولياء ٩\١٢٨)ولو أعلم أن الماء يفسد علي مروءتي ما شربته.وقيل لمحمد بن واسع : لم لا تتكئ؟ قال: إنما يتكئ الآمن، وأنا لا زلت خائفاً.وقُرِئَ على عبد الله بن وهب : وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ [غافر:٤٧]، فسقط مغشياً عليه. وحج مسروق فما نام إلا ساجداً.وعن جعفر بن سليمان قال: بكى ثابت البناني حتى كادت تثقب عيناه؛ فجاء رجل يعالجها فقال الطبيب: أعالجك على أن تطيعني، قال ثابت : على أي شيء أطيعك؟ قال: على ألا تبكي، قال: فما خيرهما إن لم تبكيا؟ أما قال الله: إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا [مريم:٥٨]، أما قال عن أوليائه: وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا [الإسراء:١٠٩].

سهر العيون لغير وجهك باطل * وبكاؤهن لغير فقدك ضائع**

عن سلام بن مطيع قال: جيء للحسن بكوز من ماء؛ ليفطر عليه وكان صائماً، فلما أدناه إلى فيه بكى، فقيل: ما أبكاك؟ قال: ذكرت أمنية أهل النار في قوله جل في علاه: **وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ [الأعراف:٥٠]**، ثم ذكرت الجواب: **قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ*الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ [الأعراف:٥١]**.دخلت امرأة على **أهل الأوزاعي** ، فنظرت فوجدت بللاً في موضع سجود الأوزاعي ، فقالت لزوجته: ثكلتك أمك، أراك غفلت عن الصبيان حتى بالوا في مسجد الشيخ، فقالت زوجة الأوزاعي : ويحك أمة الله، هذا أثر دموعه في مسجده، وليس من بول الصبيان.لله درهم، **أما قال الله عنهم: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ [المائدة:٥٤]**. لسان حالهم:

والله ما طلعت شمس ولا غربت * إلا وحبك مقرون بأنفاسي**
ولا جلست إلى قوم أحدثهم * إلا وأنت حديثي بين جلاسي**

كان يزدجرد ملك الفرس قد أرسل يستنجد بملك الصين، وذكر له المسلمين ومن أوصافهم فقال:لا ينامون بالليل، ولا يأكلون بالنهار، شعث رءوسهم، بالية ثيابهم.فأجابه ملك الصين: إنه يمكنني أن أبعث إليك جيشاً أوله في منابت الزيتون يعني: في الشام، وآخره في الصين.ولكن إن كان هؤلاء القوم كما تقول، فإنه لا يقوم لهم أهل الأرض، فأرى لك أن تصالحهم، وتعيش في ظلهم، وتأمن في عدلهم.

ملكنا هذه الدنيا قرونا * وأخضعها جدود خالدونا**
وسطرنا صحائف من ضياء * فما نسي الزمان ولا نسينا**
وكنا حين يأخذنا ولي * بطغيان ندوس له الجبينا**
وما فتئ الزمان يدور حتى * مضى بالمجد قوم آخرونا**
وأصبح لا يرى في الركب * قومي وقد عاشوا أئمته سنينا**
وآلمي وآلم كل حر * سؤال الدهر أين المسلمون**

ا**قال الحافظ ابن حجر** : المراد بولي الله المواظب على طاعته، المخلص في عبادته، ومن أعظم ما يتبين به الولي أن يكون مجاب الدعوة، راضياً عن الله في كل حال، قائماً بالفرائض، مجتهداً بالنوافل، تاركاً للنواهي، له هدف غير أهداف الناس الدنيوية، غير حريص على الدنيا وما فيها، إذا وصل إليه القليل صبر، وإذا وصل إليه الكثير شكر، يستوي عنده المدح والذم، والفقر والغنى، غير معتد بما منَّ الله عليه من خصال الولاية، كلما زاده الله رفعة ازداد تواضعاً وخشوعاً.من صفاته: حسن الأخلاق، كريم الصحبة، كثير الحلم، كثير الصبر والاحتمال، فمن اتصف بهذه الصفات فليس ببعيد أن تظهر على يديه الكرامات؛ لأن الله تعالى قال عنه كما في الحديث القدسي: (**ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**).(**البخاري ٦٥٠٢**) إليك رعاك الله موجزاً مختصراً عن سيد الأولياء والعابدين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، صلوات ربي وسلامه عليه، فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الأوابين العابدين المتبتلين، لم تتغلب نفسه على أهداف حياته العظمى قيد شعرة، ولم يخلف موعده مع الله في عبادة ولا جهاد، لله در أمهات المؤمنين حين يصفن علو همته صلى الله عليه وسلم للصحابة، تقول إحداهن: (**وأيكم يطيق ما كان يطيق**) **وتقول الأخرى**: (**ما لكم وصلاته صلى الله عليه وسلم**) همة عالية في كل مقامات الدين.فلقد كان صلى الله عليه وسلم سيد المجاهدين والعابدين والصابرين والصائمين، كان أعلى الناس توكلاً، وأوفر الناس نصيباً من الرضا والحمد والدعاء والشكر والتبتل، وأعلى الناس يقيناً. كان أشجع الناس، وأرحم الناس، وأشد الناس حياء. كان أحسن الناس خلقاً ومروءة وتواضعاً، وأكثر الناس مراقبة لربه، وأعلى الناس خشوعاً، وأشد الناس عبادة، وكان أطول الناس صلاة.**عن حذيفة** : (**أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل، فكان يقول في صلاته: الله أكبر –ثلاثاً– ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة، ثم استفتح فقرأ البقرة، ثم ركع فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم رفع رأسه فكان قيامه نحواً من ركوعه، ثم سجد فكان سجوده نحواً من قيامه، ثم رفع رأسه من السجود فكان يقعد فيما بين السجدتين نحواً من سجوده، في أربع ركعات، قرأ البقرة، والنساء، وآل عمران، والمائدة أو الأنعام**)، **شك الراوي في ذلك**(**ابي داود ٨٧٤**).يقول أبو هالة في وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكر ليست له راحة).قال ابازر رضي الله عنه: (**قام صلى الله عليه وسلم ليلة بآية يرددها حتى الفجر وهو يبكي: إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [المائدة:١١٨]**) ا(**النسائي ١٠١٠**) أقول: ردد وكرر هذه الآية، ثم انظر إلى الأثر في قلبك رعاك الله.يقول **عبد الله بن الشخير** : (**أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء**)(**النسائي ١٢١٤**). قال له ربه: **قُمْ فَأَنذِرْ [المدثر:٢]**، فانطلق يبلغ دعوة الله. وقال له ربه: **قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا [المزمل:٢]**، فقام حتى تفطرت قدماه. قال لعائشة ليلة: (**دعيني أتعبد لربي، تقول: فقام يصلي، وجعل يبكي حتى بل**

لحيته، ولا يزال يبكي حتى بل الثرى تحته، فجاءه بلال ليعلمه بدخول وقت الصلاة فوجده يبكي، فقال له: تبكي بأبي أنت وأمي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟!فقال صلوات ربي وسلامه عليه: كيف لا أبكي يا بلال !.. أفلا أكون عبداً شكوراً(البخاري ٤٨٧٣)؟! لقد تنزلت علي الليلة آيات، ويل لمن قرأها ولم يتدبرها، ثم تلا قوله جل في علاه: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ [آل عمران: ١٩٠-١٩٤]**).إنها آيات تصور العابدين في ليلهم ونهارهم وفي جميع أحوالهم تصور خوفهم ورجاءهم وتذكرهم ودعاءهم.

لما علمت بأن قلبي فارغ * مما سواك ملأته بهواك**
وملأت كلي منك حتى لم * أدع مني مكاناً خالياً لسواك**
فالقلب فيك هيامه وغرامه * والروح لا تنفك عن ذكراك**
والسمع لا يصغي إلى متكلم * إلا إذا ما حدثوا بعلاك**
والطرف حيث أجي له متلفتاً * في كل شيء يشتهي معناك**

اللهم إنا نسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقربنا إلى حبك يا رب العالمين.

كان سيد العابدين صلوات ربي وسلامه عليه حريصاً على صلاة الجماعة حتى في أشد الأحوال وأصعبها، فقد روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: **(غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً من جهينة فقاتلونا قتالاً شديداً، فلما صلينا الظهر، قال المشركون: لو ملنا عليهم ميلة واحدة لاقتطعناهم، فأخبر جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بذلك؛ فذكر ذلك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لقد قالوا: إنهم ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من أولادهم، فلما حضرت صلاة العصر، قال: قمنا صفين، والمشركون بيننا وبين القبلة، قال: فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبرنا، وركع وركعنا، ثم سجد وسجد معه الصف الأول، فلما قاموا سجد الصف الثاني، ثم تأخر الصف الأول، وتقدم الصف الثاني فقاموا مقام الأول فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبرنا، وركع وركعنا، ثم سجد وسجد معه الصف الأول، وقام الثاني، فلما سجد الصف الثاني جلسوا جميعاً، ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعاً)(مسلم ٨٤٠)**.الله أكبر! المقام مقام حرب وخوف وقتال شديد، ومع هذا ما تأخر محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وما تكاسلوا وما

تهاونوا في صلاة الجماعة، ولقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف في أيام مختلفة، وعلى أشكال متباينة، كل هذا الحرص؛ ليربي العباد على المحافظة على الصلوات في كل الظروف والأحوال.**وروى البخاري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبه قال:** (**دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: ألا تحدثيني عن مرض النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: بلى، ثقل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك، قال: ضعوا لي ماء في المخضب، قالت: ففعلنا فاغتسل فذهب لينوء – يعني: ليقوم– فسقط فأغمي عليه، ثم أفاق صلى الله عليه وسلم فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله! قال: ضعوا لي ماء في المخضب، قالت: فقعد فاغتسل، ثم ذهب ليقوم فسقط فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله! فقال: ضعوا لي ماء في المخضب، فقعد فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس**).**الله أكبر! كم كان صلوات ربي وسلامه عليه حريصاً على صلاة الجماعة، يشتد مرضه فيغتسل، ثم يغمى عليه فيفيق فيغتسل ثم ثانية وثالثة، كل ذلك لعله يكتسب خفة ونشاطاً يمكنه بفضل الله تعالى من حضور صلاة الجماعة،**(**البخاري ٦٨٧**) فكيف كانت الخفة؟ وكيف كان خروجه للناس؟اسمع رعاك الله! روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: (**فوجد النبي صلى الله عليه وسلم خفة، فخرج يهادى بين الرجلين، كأني أنظر إلى رجليه تخطان من الوجع**)(**البخاري ٦٦٥**). سبحان الله! لم يكن يتمكن من المشي إلا اعتماداً على رجلين، ولم يكن يقدر على تمكين رجليه على الأرض لشدة ضعفه، ومع هذا خرج لصلاة الجماعة في المسجد؛ ليبين للناس أن العابدين لا يتخلفون عن الصلوات في المساجد، خرج ليبين أن العابدين لا يكونون إلا في المساجد والمحاريب. إن أي استقامة لا تنطلق من المسجد والمحراب لا خير فيها، إن سجود المحراب واستغفار الأسحار ودموع المناجاة هي من أهم صفات العابدين، ولئن ظن أهل الدنيا أن جنتهم في الدينار والنساء والقصر المنيع، فإن جنة العابدين في محرابهم في صلواتهم لربهم، أما سمعت قول الله ليحيى عليه السلام: فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ [آل عمران:٣٩]، إن صلوات العباد في المحاريب تربية لهم وتيجان على رءوسهم أغلى من التيجان على رءوس الملوك.أعيد وأكرر: وهل تنتصر الأمة إلا بالعباد والزهاد؟ فهيا معاً نسمع أحوال العابدين الذين جعلوا محمداً صلى الله عليه وسلم أسوة وقدوة لهم، من أحوال العابدين: العباد الزهاد في الناس كالعملة النادرة، يصدق عليهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**تجدون الناس كإبل مائة لا يجد الرجل فيها راحلة**)، **رواه مسلم (٢٥٤٧)**. ومعنى الحديث: أن المرضي الأحوال من الناس، الكامل الأوصاف،

الحسن المنظر، القوي على الأحمال والأسفار، قليل جداً، كقلة الراحلة في الإبل، ولذا عمت المصيبة بفقدهم وعمت الرزية بموتهم.

لعمرك ما الرزية فقد مال * ولا شاة تموت ولا بعير**

ولكن الرزية فقد حـر * يمـوت بموته بشر كثير**

فالرجل من أولئك بألف، قال أبو بكر رضي الله عنه: (**صوت ابي طلحة في الجيش خير من ألف رجل**). (**الحاكم ٥٥٠٣**) ولما طلب عمرو بن العاص رضي الله عنه المدد من أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لفتح مصر كتب إليه عمر رضي الله عنه:أما بعد:فإني أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم مقام الألف، الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد .وهل تنتصر الأمة على أعدائها إلا بأمثال هؤلاء؟! (قال الأصمعي : لما صاف قتيبة بن مسلم الترك –وهذا هو أمرهم– سأل عن محمد بن واسع فقيل: هو معك في الميمنة، جانح على قوسه يبصبص بأصبعه نحو السماء قال: تلك الأصبع أحب إلي من مائة ألف سيف شهير وشاب طرير.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم * إذا جمعتنا يا جرير المجامع**

ومن أهم صفات العابدين: أنهم أهل صلاة وقيام وأهل محافظة على الفرائض، وتقرب إلى الله بالنوافل، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (**إن الله تبارك وتعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**) (**البخاري ٦٥٠٢**) فلما سمع القوم منادي المحب يناديهم؛ انطلقوا خفافاً إليه، وعلموا أن أفضل القربات هي الصلوات، قال صلى الله عليه وسلم: (**استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة**). (**ابن ماجة ٢٧٧**) كيف لا وهي عماد الدين، وعصام اليقين، ورأس القربات، وهي المعين للعبادة، التي تفتح القلب وتوثق الصلة بالله.ولقد بدأ الله صفات المؤمنين بالصلاة وختمها بالصلاة؛ لعظيم مكانها في بناء الإيمان، وهي أكمل صورة من صور العبادة، قال صلى الله عليه وسلم: (**الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر**)(**صحيح الترغيب٣٩٠**)حسنه الألباني رحمه الله .وقال سيد العابدين صلوات ربي وسلامه عليه: (**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**)، **رواه مسلم(٢٥١)** . وقال بأبي هو وأمي: (**من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين**)(**ابي داود ٥٥٨**)، حسنه الألباني رحمه الله. أما يكفيك قوله صلى الله عليه وسلم: (**إن أحدكم إذا قام يصلي إنما يناجي ربه، فلينظر كيف يناجيه**)، (**ابن خزيمة**

٤٧٤) صححه الألباني رحمه الله. علم العباد قدر الصلاة وأنها ميدان سباق، فانطلقوا يتسابقون ولسان حالهم:

من فاته منك وقت حظه الندم * ومن تكن همه تسمو به الهمم**

روى مسلم(٦٥٤) عن عبد الله بن مسعود قال: (**ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف**). لله درهم من مرضى، لا والله بل نحن المرضى، مرضى القلوب.وعن عطاء بن السائب قال: (دخلنا على أبي عبد الرحمن السلمي وهو يقضى -يعني: ينازع- في المسجد، فقلنا له: لو تحولت إلى دارك وفراشك فإنه أوفر لك، فقال لهم: حدثني فلان عن فلان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مصلاه ينتظر الصلاة، والملائكة تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه**(**البخاري ٤٤٥**)، فأنا أريد أن أموت في مسجدي يا ألله! **من السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: رجل قلبه معلق في المساجد** (**البخاري٦٦٠**) .قيل لنافع : ما كان يصنع ابن عمر في منزله؟ قال: لا تطيقونه: الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما.وعن محمد بن زيد : أن ابن عمر رضي الله عنهما كان له متراس فيه ماء فيصلي فيه ما قدر له، ثم يصير إلى فراشه فيغفي إغفاءة الطائر، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي، يفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خمس.وروى نافع : أن ابن عمر كان يحيي بين الظهر والعصر. فمن منا فعل ذلك؟!عن الربيع بن خثيم قال: أتيت أويساً القرني فوجدته قد صلى الصبح وقعد في مصلاه، فقلت: لا أشغله عن التسبيح، فلما كان وقت الصلاة -يعني: بعد الشروق- قام فصلى إلى الظهر، فلما صلى الظهر قام فصلى إلى العصر، فلما صلى العصر قعد يذكر الله إلى المغرب، فلما صلى المغرب صلى إلى العشاء، فلما صلى إلى العشاء قام فصلى إلى الصبح، فلما صلى الصبح جلس فأخذته عينه ثم انتبه، فسمعته يقول: اللهم إني أعوذ بك من عين نوامة، وبطن لا تشبع.رحم الله أويساً ما أعلى همته، يعاتب نفسه على إغفاءة خاطفة، ولهذا يعده الشاطبي ممن يأخذ بما هو شاق على الدوام، ومع هذا لا يعتبر مخالفاً للسنة، بل إنه من السابقين الأولين، ألم يكن سيد العابدين يقوم الليل حتى تتورم قدماه؟!عن أصبغ بن زيد قال: كان أويس إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع، فيركع حتى يصبح، وكان إذا أمسى قال: هذه ليلة السجود، فيسجد حتى يصبح، كان رحمه الله يقول: لأعبدن الله في الأرض كما تعبده الملائكة في السماء.أما سيد التابعين في العلم والعمل سعيد بن المسيب فكان كاسمه في الطاعات سعيداً، ومن المعاصي والجهالات بعيداً، عن أبي حرملة عن ابن المسيب قال: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين، وما نظرت في قفا رجل منذ خمسين سنة، وما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد.قال رحمه الله: من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة.والله لولا الأسانيد الصحاح والرجال الثقات لقلنا: إن هذه الأخبار ضرباً من الخيال، ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن لج ولج، ومن وقف على الباب يوشك أن يفتح له.عن شرحبيل : أن رجلين أتيا أبا مسلم الخولاني فلم يجداه في منزله، فأتيا المسجد فوجداه يركع ويسجد،

فانتظراه فأحصى أحدهما أنه ركع ثلاثمائة ركعة قبل أن ينصرف، فقالا له: يا أبا مسلم كنا قاعدين خلفك ننتظرك، فقال: لو عرفت مكانكما لانصرفت إليكما، وأقسم لكما بالله إن خير ما قدم المرء ليوم القيامة كثرة السجود.عمن أخبرك؟ عن الربيع ، أمْ عن عامر بن قيس ، أم أسمعك من خبر الحسن والفضيل وابن المبارك ، أم أتلو عليك خبر مرة الهمداني .قال الذهبي : يقال له مرة الخير لعبادته وخيره وعلمه.. قال الذهبي : بلغنا عنه أنه سجد لله حتى أكل التراب جسده.عن عطاء بن السائب قال: كان مرة يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، فلما ثقل وبدن صلى أربعمائة ركعة، وكنت أنظر إلى مباركه كأنها مبارك الإبل.ومثل هؤلاء كثير ممن نعرفهم وممن لا نعرفهم، لكن الله يعرفهم.أما مسروق العالم بربه الهائم بحبه، فقال عنه ابن إسحاق : حج مسروق فما بات إلا ساجداً.قال سعيد بن جبير : لقيني مسروق فقال: يا سعيد ! ما بقي شيء يرغب فيه إلا أن نعفِّر وجوهنا في التراب، وما آسى على شيء إلا على السجود لله تعالى. كانت امرأة مسروق تقول: والله ما كان مسروق يصبح ليلة من الليالي إلا وساقاه منتفختان من طول القيام، وكنت أجلس خلفه فأبكي رحمة له.وكان رحمه الله إذا طال عليه الليل وتعب صلى جالساً، ولا يترك الصلاة، وكان إذا فرغ من صلاته يزحف كما يزحف البعير من الضعف. إن الذي قاد هؤلاء وأوصلهم إلى ما هم عليه تلك الهمم العالية والنفوس الأبية.قال السعدي في أبيات جميلة يصور سيرهم وحالهم

:سعد الذين تجنبوا سبل الردى * وتيمموا لمنازل الرضوان**

فهم الذين أخلصوا في مسجد * متشرعين بشرعة الإيمان**

وهم الذين بنوا منازل سيرهم * بين الرجا والخوف للديان**

وهم الذي ملأ الإله قلوبهم * بوداده ومحبة الرحمن.**

أقول:

من أراد الوصول فعليه بالأصول، * ومن سار على الدرب وصل**

إليك خبر عابد صغير من أهل زماننا، أخبرني أحد الثقات عن ابن أخيه، واسمه مسفر وعمره خمس سنوات.يقول: بدأت قصة مسفر عندما قلت له: إن الذي يصلي يحبه الله، ومنذ تلك اللحظة وهو محافظ على الصلوات جميعها، بل في الصف الأول، بل خلف الإمام أكثر الأحيان وإذا سألته لماذا تصلي؟يجيب بكل بساطة وعفوية: حتى يحبني الله، يقول: في يوم من الأيام ارتفعت حرارة مسفر واحمرت عيناه من شدة المرض، فلما رأى أباه خارجاً سأله: إلى أين يا أبي؟ فقال: إلى المسجد، إلى صلاة العصر، فقام من حضن أمه وقال لأبيه: سوف أذهب معك إلى المسجد، فقال: ولكن أنت مريض، وحرارتك مرتفعة، فرد مسفر : أذهب إلى المسجد والله سيشفيني؛ لأن الله يحب الذين يصلون.يقول صاحبي: فذهب إلى المسجد وصلى، وخرج من المسجد معافى، كأنه لم يكن به شيء، ولم تنته القصة: ذهب مسفر لزيارة عمته، ولما أراد أبوه أن يرجعه إلى البيت، رفض الرجوع، قال: أريد البقاء مع عمتي، وهي أمي من الآن وأصبح يناديها بأمي.أتدرون ما السبب؟ السبب: أن زوج عمته مؤذن، ويأخذه إلى المسجد مبكراً، وهو يحب التبكير إلى

الصلاة كلما اتصلت عليه أمه، قال: اسمعي أماه، الله أكبر، الله أكبر.يردد على مسامعها الأذان، أقول: آن الأوان أن نربي أنفسنا وصغارنا على الصلاة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر**). (**الدارقطني ٨٩١**) قبل النهاية أوصي الشباب بوصية النبي صلى الله عليه وسلم: (اغتنم شبابك قبل هرمك)، الشباب: هو زمن العمل؛ لأنه فترة قوة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة.لذا قال صلى الله عليه وسلم: (اغتنم خمساً قبل خمس: اغتنم شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)، رواه الحاكم وصححه.(٧٢٩)فالشباب هو وقت القدرة على الطاعة، وهو ضيف سريع الارتحال، فإن لم يغتنمه العاقل تقطعت نفسه حسرات: ألا ليت الشباب يعود يوماً.قال صلى الله عليه وسلم: (**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه**..)(**الطبري الكبير ١٦٨٦٨**). والسؤال الذي أسألك إياه أخي الكريم: أليس الشباب قطعة من العمر؟فلماذا التأكيد والتشديد على مرحلة الشباب، ذكر صلى الله عليه وسلم من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: شاب نشأ في عبادة الله.قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما آتى الله عز وجل عبداً علماً إلا شاباً والخير كله في الشباب، ثم تلا قوله جل في علاه: قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ [الأنبياء:٦٠]، وقوله سبحانه: إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى [الكهف:١٣]، وقوله تعالى: وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا [مريم:١٢].قالت حفصة بنت سيرين : يا معشر الشباب! اعملوا فإنما العمل في الشباب، وهل كان صحابة محمد صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه إلا شباب؟!

شباب ذللوا سبل المعالي * وما عرفوا سوى الإسلام دينا**
تعهدهم فأنبتهم نباتاً كريماً * طـــاب في الدنيا غصون**
إذا شهدوا الوغى كـانوا * كماةً يدكون المعاقل والحصونا**
وإن جن المساء فلا تراهم * من الإشفاق إلا ســاجدينا**
شباب لم تحطمه الليـالي * ولم يسلم إلى الخصم العرينا**
ولم تشهدهم الأقداح يومـاً * وقد ملئوا نواديهم مـجونا**
وما عرفوا الأغاني مائعات * ولكن العلا صيغت لحونا**
وما عرفوا الخلاعة في بنات * ولا عرفوا التخنث في بنينا**
كذلك أخرج الإسلام قومي * شباباً مخلـصاً حراً أمينا.**

حكى المسعودي في شرح المقامات: أن المهدي العباسي لما دخل البصرة رأى إياس بن معاوية وهو صبي، وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة وإياس يتقدمهم، فقال المهدي : أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث؟ ثم إن المهدي التفت إليه وقال: كم سنك يا فتى؟ فقال: سني أطال الله بقاء

الأمير سن أسامة بن زيد لما ولاه النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً فيهم أبو بكر وعمر ، فقال المهدي : تقدم بارك الله فيك.فالشباب هم روح الأمة، وهم حملة الراية، ولن تقوم للأمة قائمة إلا على أكتاف الشباب الذين يريدون ما عند الله والدار الآخرة.لقد هيئوك لأمر لو فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل.قال صلى الله عليه وسلم: (**لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً؛ يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة**)(**ابن ماجة حسن ٨**). اعلم رعاك الله أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن من آثر الراحة فاتته الراحة، وأن بحسب ركوب الأهوال، واحتمال المشتاق تكون الفرحة واللذة. قيل للربيع بن خثيم : لو أرحت نفسك، قال: راحتها أريد. وقيل للإمام أحمد : متى يجد العبد طعم الراحة؟ فقال: عند أول قدم في الجنة.

أحزان قلبي لا تزول * حتى أبشر بالقبول**

وأرى كتابي باليمين * وتسر عيني بالرسول**

عوتب أحدهم لشدة اجتهاده فقال: **إن الدنيا كانت ولم أكن فيها، وستكون ولن أكون فيها، ولا أحب أن أغفل أيامي.فالصلاة خير من النوم، والتجلد خير من التبلد، والمنية خير من الدنية، فكن رجلاً رجله في الثراء وقامة همته في الثريا فإن إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء المحيا**.قال سبحانه: **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا [الإسراء:١٨-١٩]**.وقال صلى الله عليه وسلم: (**ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرَّتْ بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها**)(**المعجم الكبير ١٦٩٣٩**).فكم ضاعت ومرت بنا من ساعات؟عن قتادة أن عامر بن قيس لما حُضِرَ جعل يبكي، فقيل له: ما يبكيك، قال: ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر وعلى قيام ليالي الشتاء.قال **فضيل رحمه الله: الزم طريق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطريق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين**.قيل لمحمد بن واسع : إنك لترضى بالدون، قال: إنما رضي بالدون من رضي بالدنيا.هب الدنيا تساق إليك عفواً أليس مصير ذاك إلى انتقالفما دنياك إلا مثل ظل أظلك ثم آذن بالزوالاللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا. اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا من الراشدين. اللهم أصلح الشباب والشيب واحفظ النساء والأطفال يا رب العالمين.اللهم ردنا إليك رداً جميلاً يا حي يا قيوم. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك

واتبع رضاك يا رب العالمين.اللهم لا تؤاخذنا بالتقصير، واعف عنا الكثير، وتقبل منا اليسير إنك يا مولانا نعم المولى ونعم النصير، أستغفر الله العظيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أحوال الغارقات

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**. **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**. أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. معاشر الأحبة والأخوات! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكِ الله وبياكِ، وسدد على طريق الحق خطانا وخطاكِ، نحن وإياكِ في مكان مبارك في ليلة مباركة في اجتماع مبارك، في محاضرة بعنوان: (أحوال الغارقات). نعم أخية! إننا نوجه في هذه الليلة حديثاً من القلب إلى القلب إلى فتيات الإسلام، نوجه حديثاً إلى فتيات الإسلام اللاتي حدن عن الطريق، وتناسين أنهن حفيدات خديجة وعائشة وسمية علهن يراجعن الحسابات، ونوجه حديثاً للصادقات حتى يكون سبباً لهن على الثبات. أخية! من طلب شيئاً بحث عنه وسعى لتحصيله، وكلنا يبحث عن السعادة والأمان اللذين يملئان القلب راحة واطمئنان. تقول إحدى الباحثات عن السعادة: لقد بحثت عنها في كل شيء فما وجدتها، ألبس أفخر الملابس وأفخمها، طفت العالم مع أهلي، تنقلنا من شاطئ إلى شاطئ، فما زادني ذلك إلا هماً وضيقاً، ظننتها في موسيقى وألحان، فاشتريت أغلب الألبومات عربية وغربية، قضيت في سماعها ساعات أرقص على أنغامها فما ازدت إلا بعداً وضياعاً. ظننتها -أي السعادة- في مشاهدة مسلسلات وأفلام، فتنقلت بين الفضائيات على أطباق ومسلسلات أبحث عن الضحك والفرفشة، نعم ضحكت، لكنني في نفس الوقت كنت أنزف دماً وأتأ لم في أعماقي، فلا زال هناك شيء مفقود. مع الوقت زادت الجراح، وحاصرتني الهموم، واستشرت صويحباتي فقلن لي: إن السعادة في الارتباط بشاب وسيم يبادلك الحب والغرام، ويبثك عبارات العشق والهيام، ويتغزل بمحاسنك عبر الهاتف، فأعطوني الأرقام وسلكت هذا الطريق، وأخذت أتنقل من شاب إلى آخر بحثاً عن السعادة الحقيقية، فما وجدتها، بل بالعكس لقد تنازلت عن كثير، تنازلت عن عرضي، وكرامتي، وحيائي، وقبل هذا ديني الذي كان في واد وأنا في واد، لقد هربت من جحيم إلى جحيم أبشع وأفظع .تقول: أريدكم أن تعرفوا عني وعن كثير من الغارقات أمثالي، إننا ضحايا ولسنا بمجرمات، نحن تائهات وحائرات، أنا لا أقول ذلك دفاعاً عن نفسي وعن الغارقات، إنما أقول ذلك حتى

إذا رأيتموهن فارحموهن وأشفقوا عليهن، وادعوا لهن بالهداية فإنهن غارقات.أيتها الغالية! سأسوق إليك في هذه الليلة أخباراً ومآسي ومبشرات، نظمتها كما يلي: خمس مآسي وبين كل مأساة وأخرى وقفة:المأساة الأولى: خزي وعار، ثم وقفة لرجال الهيئة.المأساة الثانية: مسلمات لكنهن كافرات، ثم وقفة بعنوان: نجاة غارقة.المأساة الثالثة: يا ويلها هتكت عرض أهلها، ثم وقفة بعنوان: الثمن الجنة.المأساة الرابعة: ألعوبة في يد الشباب، بل قولي الذئاب، ثم وقفة بعنوان: رسالة إليكِ.المأساة الخامسة: بدون عنوان، فلقد احترت في اختيار عنوان لها، ثم وقفة بعنوان: متفائلون بإذن الله.ثم الخبر الأخير: الخير باق في هذه الأمة وطريق السعادة.فهيا ننطلق، مآسي وآهات، إليكِ بعضاً منها، ووالله الذي لا إله إلا هو إنها حقائق لا كذب ولا افتراءات. هربت من المدرسة لأنها على موعد مع أحد الغارقين، فلما ركبت سيارته وانطلق حصل لهما حادث، فجاء رجال المرور فطلبوا منه الانتظار حتى ينهوا إجراءات الحادث، فاتصل هذا الشاب بزميل له حتى يأتي ويأخذ الفتاة، ويوصلها إلى الشقة المعروفة عندهم، حتى ينتهي من إجراءات الحادث ثم يخلو هو وإياها قبل إرجاعها إلى المدرسة. جاء الشاب وليته لم يأت، ركبت معه فلما التفتت إليه فإذا هو أخوها! خزي وعار لا عجب، هي غارقة وهو من الغارقين، فكم تطاول هو على أعراض الناس الآخرين! وكما تدين تدان، والله إنها حقائق لا كذب ولا افتراءات. طلبت من الشباب الذين يعملون بهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكتبوا لي بعضاً من القصص والمواقف التي مرت بهم من أحوال الفتيات، بكى بعضهم حزناً وألماً على بنات المسلمين، وإلى أي درجة من الضياع وصلن إليه، بل أصبحن يتطاولن على الدين وأهله، وما درت أن هؤلاء يريدون حفظ عرضها وشرفها. كتب لي أحدهم قال: كنا نعمل في المكتب الذي يتبع كلية البنات، كنا نلاحظ ونراقب الجهة المقابلة للكلية ونتابع الطالبات اللاتي يحضرن من داخل الحي، لأن اللاتي يخرجن مع الشباب ينزلن هناك ثم يأتين مشياً إلى الكلية.مرة من المرات: وجدت زميلي يتحدث مع طالبة ويسألها: من أين أتيت؟ أخذت تحلف وتقسم بالله إنها جاءت من الكلية وليس من الحي، فقلت لزميلي: أمتأكد أنت إنها جاءت من الحي؟ قال: متأكد كما أنك أمامي، قال: حولها إلى المركز وأكمل الإجراءات والتعليمات، قال: لقد حلفت وأقسمت وسأتركها من أجل ذلك، والله يتولى أمرنا وأمرها، فمن يكن كاذباً فعليه كذبه، ونحن أصلاً لا نريد منها شيئاً إلا المحافظة على سمعتها وشرفها من الذئاب.ذهبت الطالبة إلى طالبات يجلسن أمام محلات تجارية مقابل الكلية، وأخذت تقول لهن بأنها ألجمتنا وأسكتتنا، وأننا اتهمناها ظلماً وبهتاناً، وأخذت تحرض الطالبات علينا وعلى عدم السكوت لنا وعلى عدم مهابتنا. لما وصلنا إلى الرصيف الآخر أنا وصاحبي إذا بصوت فرامل سيارة خلفنا، التفتنا فإذا بهذه الطالبة ملقاة على الأرض قد صدمتها السيارة وهي تحاول أن تقطع الطريق، لا أقول لكم: إنها ماتت فأنا لا أعلم، ولكنها أصيبت إصابات خطيرة و﴿**لا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ**﴾ **[إبراهيم:٤٢]**. تقول لي قريبة لي تعمل معلمة في إحدى الثانويات: خرجت من غرفة المدرسات يوماً، فإذا بطالبتين يتبادلن الحديث قريباً من الغرفة، وكان الوقت وقت صلاة الظهر. قالت الأولى للثانية: لماذا

لا تصلين معنا في مصلى المدرسة؟! قالت الثانية: أنا لا أصلي حتى في البيت، وأزيدك من الشعر بيتاً، أهلي كذلك لا يصلون!! لا إله إلا الله! بكل صراحة ووقاحة وقلة حياء تقول: أنا لا أصلي، أسألك بالله العظيم ما الفرق بينها وبين الكافرات؟ صدق الله في علاه حين قال: **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا [مريم:٥٩]** قال ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه: معنى (أضاعوها) يعني: ما تركوها بالكلية، ولكنهم أخروها عن أوقاتها.نعم رعاك الله! تهاون وتكاسل، لا تصلي الظهر حتى يأتي العصر، ولا تصلي العصر إلا المغرب، ولا تصلي المغرب إلا العشاء، ولا تصلي العشاء إلا الفجر، ولا تصلي الفجر إلا بعد طلوع الشمس.هكذا حال الغارقات، فمن ماتت أخية وهي على هذه الحال فقد توعدها الله بغي واد في جهنم، بعيد قعره شديد حره، لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره، فهل تقوين على هذا؟! أما سمعت تلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**)؟! (**ابن ماجة ١٠٧٩**) فكم هن الكافرات من الغارقات، ولو سئلن عن أسمائهن لقلن خديجة وعائشة وكذبن والله، وكذبن والله فإنهن غارقات.**روى الذهبي في كتابه: (الكبائر الكبيرة الرابعة ترك الصلاة صـ١٧ـ)** عن بعض السلف أنه دفن أختاً له ماتت، فسقط منه كيس من ماله في القبر فلم يشعر بذلك، ثم ذكره فرجع إلى القبر ينبشه بحثاً عن الكيس، فوجد القبر يشتعل ناراً، فردَّ التراب ورجع إلى أمه باكياً وحزيناً، قال: أمّاه! أخبريني عن أختي وما كانت تعمل؟ قالت: وما سؤالك عنها؟ قال: يا أمّاه! رأيت قبرها يشتعل عليها ناراً، فبكت أمّه وقالت: يا ولدي! أختك كانت تتهاون في الصلاة وتؤخرها عن وقتها.سمعتِ يا أمة الله! هذا حال من تؤخر الصلاة، هذا حال من تؤخر الصلاة عن وقتها، فكيف سيكون حال تلك التي تقول: أنا لا أصلي وأهلي أيضاً لا يصلون؟ قال الله عنهم: **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ [القلم:٤٢]** يعني: يوم القيامة **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ * فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ [القلم:٤٢-٤٥]**.والله إنك لن تتقربي إلى الله بقربة بعد توحيده أعظم من الصلوات، فصلي بارك الله فيك، صلي رعاك الله قبل ألا يصلى عليك، فتاركة الصلاة لا يصلى عليها ولا تغسل ولا تكفن ولا تحمل على الرقاب، بل تُجَرُّ على وجهها، يُحفَرُ لها حفرة في الصحراء تُكَبُّ فيها على وجهها، **لا يُدعى لها ولا يستغفر لها، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [النحل:٣٣]**، فهل ترضين بهذا؟ سأترك الجواب لك، فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ [الحج:٤٦]. تقول إحدى الغارقات: كنت أجمع الشعر الساقط وأحفظه وأتداوله مع الفتيات، كنا نظن أن تلك السعادة ولكن الله أراد لي هداية ونجاة من أمواج الشهوات، جلست في إحدى المحاضرات يوماً في الكلية بجانب فتاة صالحة مستقيمة، كانت قد كتبت على دفتر محاضراتها هذا الدعاء: (**اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك**)(**ابي**

داود ٥٠٤٧) قلت: نحن نكتب الشعر الساقط وهؤلاء الفتيات يكتبن مثل هذه الكلمات. فهزتني الكلمات، وتأثرت بها تأثراً شديداً، فماذا عملت؟ سألت نفسي وقلت: ماذا عملت أنا حتى أنجو بنفسي من عذاب الله؟ فأخذت أبكي وشعرت هي ببكائي، وسألتني عن السبب، فأخبرتها بأنه الدعاء المكتوب على دفتر محاضراتها، وقلت: لقد أثر في، قالت: الحمد لله أراد الله بك خيراً، فاعملي بارك الله فيك لكي تنجي من عذاب الله. كلمات بسيطة عظيمة في معناها، أيقظتها من غفلتها، وأنتِ يا من لا زلت تغرقين بين شاشات وقنوات، ومحادثات على الإنترنت ومعاكسات، تصرين على الذنب تلو الذنب، وتتهاونين في الصلوات، أما آن أن تتوبي وتقلعي عن الذنب وتئوبي؟ أما آن أن تحاسبي النفس وتقولي:

يا نفس توبي قبل أن لا تقدري أن تتوبي

واستغفري لذنوبك الـ ـرحمن غفار الذنوبي

إن المنايا كالريـ ـاح عليك دائمة الهبوبي

والله إنك لا تقوين على عذاب الله، فلا تحاربيه بالمعاصي، وتذكري موقفاً ستقفينه بين يديه عارية حسيرة كسيرة، الكل ينظر إليك، يالله! كيف سيكون حالك إذا دكت الأرض دكاً دكاً، وجاء ربك والملك صفاً صفاً؟ يا الله! كيف سيكون حالك إذا جيء يومئذ بجهنم، يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى؟أما حال الغارقات **فيقلن: يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ [الفجر:٢٤-٢٦].أما التائبات الناجيات فينادين: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي [الفجر:٢٧-٣٠].قال صلى الله عليه وسلم: (رأيت النار ورأيت أكثرها النساء). فاتق الله أمة الله، ورددي صباح مساء: (اللهم قني عذابك، يوم تبعث عبادك).(ابي داود ٥٠٤٧)** طالبة في الكلية، المتوقع أنها إذا تخرجت وحملت الشهادة ستصبح معلمة للأجيال ومربية للأطفال، فإذا هي تعصي ربها وتخالف دينها وتبيع شرفها وتخون أهلها وتخضع حياءها، فإن لم تكن أمينة على نفسها فماذا يرجى منها؟في يوم الأربعاء ومع نهاية الدوام في الكلية أخبرت صاحبتها التي تشاركها البحث أنها لن تأتي يوم السبت ولكنها ستحضر يوم الأحد، لقد خططت ودبرت، فستخرج مع أحد الشباب في يوم السبت، فاستعارت جوال صاحبتها للاتصال بمن ستخرج معه.خرجت وهي تظن أن أحداً لن يراها، نسيت أن رب الأرض والسماء يراها، في صباح السبت مع دخول الفتيات إلى الكلية أنزلها أهلها عند الباب وكلهم فخر وثقة، أنزلوها ظناً منهم أنها ستكون في الكلية لتتعلم وتتخرج وتنفع نفسها، وقبل ذلك تنفع أمتها، هذه الأمة الجريحة التي هي أحوج ما تكون لفتيانها وفتياتها. بدلاً من أن تتوجه إلى بوابة الكلية اتجهت إلى سيارة الشاب الذي كان ينتظرها. لفت ذلك انتباه حارس الكلية فميز السيارة ومن فيها، وأخبر أمن الكلية بذلك، فقالوا له: ترقب رجوع السيارة ظهراً وقت الانصراف.سبحان الله! وصلت الجرأة بالبنات أن يركبن مع الشباب دون تردد أو حياء، عند الظهر جاءت السيارة ووقفت إلى جانب الكلية تحت الأشجار، فاتجه الحارس الأمين إليها، ولما نزلت الفتاة من السيارة

جاءهم الحارس وأمر صاحب السيارة بالوقوف، فهرب الجبان مخلفاً ضحيته. فقال لها الحارس بعد أن أخذ رقم السيارة: من أين أتيت؟ قالت : أنا خرجت من الكلية، فقال الحارس: إذاً ارجعي إلى الكلية! فرفضت، فلما رفضت أخذ الحارس منها شنطتها التي كانت بيدها لإجبارها على الدخول إلى الكلية لكنها رفضت.فأخبر الحارس إدارة الكلية وسلمهم الشنطة، جاء الشاب بعدها يطالب بحقيبة الفتاة، فأخذه الحارس إلى المكتب ثم استدعى رجال الهيئة حماة الدين والأعراض، أسأل الله أن يحفظهم من كل سوء ومكروه.قبل قدومهم استأذن الجبان لإحضار جواله من السيارة، ذهب ولم يعد، لكن العين الساهرة الشرطة أتت به برقم سيارته، في مساء ذلك اليوم اتصلت على صاحبتها بعد صلاة المغرب التي أخبرتها أنها لن تحضر في يوم الأربعاء، اتصلت عليها لتقول لها: إني أريد مساعدتك في التستر عليّ، لأنني كنت من الصباح إلى الظهر مع أحد الشباب، فقالت الصاحبة: سأساعدك، فمن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة.تقول صاحبتها: اضطررت أن أكذب من أجلها، بل حلفت على المصحف كاذبة. عجيب أمرهن! تستر على الباطل وتعاون على الإثم والعدوان! وأمّا صاحبتها الثانية فشهدت كذباً وبهتاناً وزوراً بأنها رأتها يوم السبت في الكلية وهي لم ترها، لا إله إلا الله! هل يظنون أن الله غافل عمّا يعملون ؟أمّا هي فلقد ادعت أن حقيبتها سرقت وأحضرت صويحباتها ليكذبن معها، بل جاءت بأمها لتقول: إنها كانت في البيت ظهراً، وتقول في التحقيق: أقسم بالله العظيم وأمام المصحف الكريم بأني كنت متواجدة يوم السبت الموافق كذا وكذا داخل الكلية من الساعة السابعة والنصف وحتى الثانية عشرة ظهراً ولم أخرج من الكلية، والله على ما أقول شهيد.حسبي الله ونعم الوكيل! جعلت الله أهون الناظرين والسامعين إليها. قامت الهيئة بدورها، وقام رجال الشرطة بدورهم، وجاءوا بالشاب ولا يحق إلا الحق أمام الأدلة والبراهين، اعترف الشاب بخروجها معه، وتراجعت الصويحبات أمام الاعترافات، فخارت قواها، وانكشف كذبها وعارها، ووجه لها ولصويحباتها إنذارات فصل من الكلية. فهل من المعقول أن يكنّ هؤلاء مربيات للأجيال وصانعات للأبطال؟!المأساة الكبرى حين جاء أبوها إلى الكلية بعد استدعائه ليوقع على إنذار الفصل، جاء مطأطئ الرأس، شارد الذهن، دموعه على خده. تقول: رجعت مع والدي وأنا أتجرع غصص الموت والألم والسهام الجارحة، لم يتكلم معي طوال الطريق، لكن نظراته الصامتة تلاحقني وكأنها تقول: لقد أجرمت بحقك وحقنا، لقد شوهت ولطخت سمعتنا، إنا لله وإنا إليه راجعون!ومثلها من الغارقات كثير. وقفة إنا لله وإنا إليه راجعون، ومثلها من الغارقات كثير:

خرجت تمزق مع الصباح حجابها * قد قصـرت بين الأنـام ثيابها**

خرجت وكل الهائمين تجمـــهر * صرخت وجمع العابدين أجابهايا**

ويلها هتكت عرض أهلــها قد * أرخصت يوم الـخروج نقابـــها**

يا ويلها هذا العفاف تدوسه قـد * أوسقت رأس الوفـاء ترابــــها**

نعم أخية! إن ثمن الصبر عظيم، والصابرون والصابرات يوفون أجورهم بغير حساب، فما جزاء الصابرة على الطاعات والصابرة عن الفواحش والمنكرات والصابرة على ما تلاقيه من أذى في سبيل ربها؟! ما ثمن العفة والحياء والصبر على البلاء؟!اسمعي أخية وقولي: أين نحن من هؤلاء؟ أيتها الغالية! إن أجمل لباس تلبسينه هو لباس العفة والحياء، فإذا خلعته فوالله لباطن الأرض خير لك من ظاهرها، وإليك خبراً من أخبار العفيفات، وانظري إلى عظيم ثمن العفة والحياء.عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنه: (ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: **هذه المرأة السوداء، أتت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة)** **اسمعي ثمن الصبر على العفة والحياء، قال:** (**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك، فقالت: بل أصبر –لأن الثمن غالي– لكني أتكشف، فادع الله ألا أتكشف، فدعى لها**).(**البخاري ٥٦٥٢**) الله أكبر! هذا حال من رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، لن تتخلى عن حيائها في أحلك ساعات حياتها، وفي أشد أوقات بلائها، بل قالت بعزة المؤمنة: أصبر على الألم أصبر على البلاء، ولكني لا أصبر على خلع الحياء، فما جزاء صبرها؟ قال الله: **وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا [الإنسان:١٢–٢٢]**.هذا ثمن الصبر وجزاء الصابرات، فما بال نساؤنا اليوم؟ وما بال الفتيات زهدن بالجنة وما فيها؟

أختاه إن رمت الوصول لجنة * فيـــــها الخلود ونظرة الرحمن**
فعليك تطبيق الشريعة دائماً * فــي أي شأن أو بــأي زمـــان**
ماذا دهاك فتسمعين نعيقهم * ولديك صـوت الـحق في الفرقـان**
لوذي به عنه لا تتـحولي * لا لـيس يعـدله كتـــاب ثـــان**
لله أعطاك الحياة تكرماً فعـ * لام تــذهب في هوى الشيطـــان**
إن لم تسيري في الحياة مع * التقى ليكن ضياع الأمر في الحسبان**
أختاه تأملي بنصيحتي وبها * اعملي تجدين طعم حلاوة الإيمـــان**

قال الله: فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ [الزمر:١٧–١٨]. هذه صيحة أطلقها بأعلى الصوت إلى الآباء والأمهات، وإلى ولاة

الأمر وأصحاب المشورات: أنقذوا فتياتنا .. أنقذوا فتياتنا .. أنقذوا فتياتنا.أيها الأب.. أيتها الأم! كلكم مسئول، إن غفلة البيوت والتفكك الأسري ووجود شاشات وقنوات، وإنترنت وجوالات بلا حسيب ولا رقيب سبب من الأسباب، فتيات في الأسواق بلا حاجة ولا هدف، قلت الغيرة على الأعراض، نساؤنا يخرجن مع السائقين صباح مساء، لا رقيب ولا حسيب، تخرج أمام أبيها بلا حجاب وعباءة مزركشة فاضحة للمفاتن، ثم يلامُ الشباب. أقول للفتاة: أنت سبب من الأسباب، خلعتِ الأدب والحياء، وخرجت كاسية عارية، ماذا تريدين؟ أتريدين أن تجذبي أنظار الرجال، أما علمت أنك لست لكل الرجال، أنت لرجل واحد هو زوجك وإن لم تكوني زوجة فأنت في مرحلة الاستعداد للزواج.قال مستشرق لرجل مسلم: لماذا تلبس نساؤكم الحجاب؟! قال: لأن نساءنا لا يرغبن أن ينجبن من غير أزواجهن.فهمتي؟! اسمعي ماذا تقول الإحصائيات –نعم بارك الله فيك– اسمعي ماذا تقول الإحصائيات عن عدد الأطفال اللقطاء –يعني: أولاد الزنا والسفاح الذين عُثر عليهم في المزابل وفي الصناديق أمام المساجد–: في العام الماضي (١٤٢٣) عدد الأطفال اللقطاء في المنطقة الشرقية فقط وعلى مدى عام كامل ٣٢ طفلاً، أما في عامنا الحالي (١٤٢٤) وعلى مدى ستة أشهر فقط من بداية العام، عدد الأطفال اللقطاء في المنطقة الشرقية بلغ ٤٨ طفلاً، فقط في هذه المنطقة، ولم أتتبع الإحصائيات في كل مناطق المملكة، أليست هذه مآس وآهات؟

!لا تلمني فلا يلام الجريح حين * يشكو وحين تشكو القروح**

لا تلمني فلا يلام طريدٌ لا * يلام المظلوم حين يصيح**

لا تلمني ولُم خافق بين * جنبيك لم تعتليه صروح**

وأنا لن ألوم من مات حساً * إنما اللوم للذي فيه روح**

وأنا لن يضيق باللوم صدري * إن صدر المحب كونٌ فسيح**

نعم رسالة إلى صاحبة العباءة المزركشة، وصاحبة العباءة المعلقة على الأكتاف، اسمعي هذا الخبر من فتاة أرسلت برسالة إليكِ عنوانها: (إليكِ من قلب يحترق عليك). تقول في رسالتها:أختي الغالية! تذكرة بسيطة أقدمها إليك، قد لا تعلمينها أو قد تكوني غافلة عنها، أقرئيها واسمعيها ثم فكري جيداً فيما سمعت وقرأت، ثم اختاري الطريق، فالله يقول: **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا [الإنسان:٣]**، قد لا تكونين قد دخلت مغسلة الموتى من قبل، ولكنني والله دخلت مع أغلى إنسانة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، دخلت مع أمي الحبيبة، تلك الأم الرائعة قلباً وقالباً، هذا ليس رأيي فيها بل رأي كل من رآها وعرفها، أو سمع عنها رحمها الله. تقول: سوف أحكي لكِ موقفاً بسيطاً قبل الدخول في موضعنا عنها، لقد أصابها المرض الخبيث –يعني أمها– ولقد تعذبت كثيراً، ولكنها لم تشتك، نعلم بشدة مرضها من الأطباء الذين يستغربون من صبرها وتحملها وعدم شكواها، كان ذكر الله على لسانها لا يتوقف، وهذا سر قوتها وتحملها،

أما قال الله: **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ [البقرة:١٥٢]**. في العام الذي توفيت فيه وفي شهر شعبان ازداد المرض عليها، وكانت تتعذب من شدة الألم لكنها كانت تدعو وتقول: (اللهم إن كنت قد كتبت علي الموت فإني أسألك أن تبلغني رمضان، لأنك تعلم أنني لا أحب الدنيا إلا لرمضان، اللهم لا تقبضني إلا بعد رمضان) كانت دائماً تكرر هذا الدعاء، استجاب الله دعاءها وبلغها رمضان، ثم ماتت في نهاية يوم عرفة وبداية ليلة العيد، ماتت وهي متبسمة، ماتت بعد أن نطقت بالشهادة والملائكة تستقبلها بروح وريحان. تقول: أخية! قد أكون قد أطلت عليكِ في رسالتي، لكني أردت من خبر أمي أن تعلمي أن من حفظ الله في الدنيا حفظه الله عند الموت وبعد الموت.أخية! إن لم تكوني قد دخلت مغسلة الموتى من قبل فلا بد من دخولها لغسل إنسانة حبيبة على قلبك، أو ليغسلك أحباؤك. أخية! هل تعلمين أن المرأة بعد تغسيلها وتكفينها تغطى بعباءتها، حتى إذا أنزلوها في القبر أرجعوا العباءة، هذا ما عرفته بعد أن غسلنا أمي الحبيبة وودعناها. فيا من تلبسين العباءة المزركشة! ويا من تلبسين عباءة الكتف! ويا من تلبسين العباءة الملتصقة على الجسد التي تفتن الشباب وتظهر المفاتن! هل تقبلين أن تكون هذه العباءة من يرافقك إلى المقبرة؟؟!!لا تغفلي عن الموت أخية، واعمري العمر بالطاعات وتجنبي الفواحش والمنكرات، اعلمي أن الطاعة محبة وتوفيق من الله، وأن المعصية خذلان وإبعاد.كان لرجل جارية قامت من الليل تصلي فأيقظته فلم يقم، فكررت إيقاظه فلم يقم، فتوضأت وأسبغت الوضوء وأخذت تناجي ربها، فاستيقظ فبحث عنها، فإذا هي ساجدة تناجي ربها وتقول: بحبك لي إلا ما غفرت لي، فلما انتهت قال لها: كيف علمت أنه يحبك؟ فقالت: لولا محبته لي ما أنامك، وأقامني بين يديه.سمعتي وفهمتي؟! الطاعة محبة وتوفيق، والمعصية خذلان وإبعاد. أسالك بالله العظيم أما تردد هذا الحديث على مسامعك مرات ومرات، لكن هل فهمتي معناه؟ وهل عملتي على أن تنجي من الوعد والوعيد الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث؟ قال صلى الله عليه وسلم: (**صنفان من أهل النار لم أرهما، -ثم قال:- ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن كاسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها -اسمعي بارك الله فيك! لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها- وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**) (**رواه مسلم ٢١٢٨**)، **وفي رواية**: (**العنوهن فإنهن ملعونات**).(**الحاكم ٨٣٤٦**) أسمعتي؟ هل استشعرت عظيم الأمر والخطر؟ لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها! وعيد تهتز لهوله الأبدان، ثم في قوله: (العنوهن فإنهن ملعونات) والله إنها لدعوة تخشاها العقول قبل القلوب، هذا عن الوعيد، فكيف أنت بمن توعدن به، كاسيات عاريات، أما رأيتيهن في الأسواق والمجمعات؟ لبسن عباءات على آخر الصرخات والموديلات، علقن العباءات على الأكتاف، فبدت الصدور بارزة والجسوم مخصرة وغطاء وجه يشكو إلى الله استغناء صاحبته عنه، ما درت أن الحجاب والعباءة ليسا للزينة، إنما لستر الزينة وإخفائها. أسألك بالله! أهذه العباءات الفاضحة تليق بحفيدات عائشة وفاطمة؟إذا خوطبت قالت أنا بالنفس واثقة حريتي دون الهوى تبدوقلت أنا اثنان يا أختاه ما اجتمعا دين الهوى والفسق والصد والله ما أردى بأمتنا إلا ازدواج ما له حد

إنني والله احترت ماذا أقول وكيف أعنونها، فاختاري أنت بعد سماعها عنواناً ولك الخيار. اتصلت علي تعرض مشكلتها قالت: كنت في علاقة مع شاب، وكان من ثمراتها أني وقعت في الحرام مرات ومرات، لكنني بعد حج هذا العام تبت وندمت وأقلعت عن الذنب، فبماذا تنصحني؟ قلت: اصدقي في التوبة، واسألي الله السماح، فانفجرت باكية وهي تقول: والله إني صادقة، لقد أحرقت المعاصي قلبي، وأجرت دمعي حاراً على وجهي، فهدأتها وقلت: ابشري بالخير فرحمة الرحمن واسعة، وإنه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى. قالت: بقيت مشكلة أعاني منها، قلت: ما هي؟ قالت: لا زال يتصل بي من حين إلى حين، أو يرسل إلي رسائل في الجوال، مع العلم أنه هو أيضاً قد صلح حاله وتبدلت أوضاعه، فقلت: ما الهدف إذاً من الاتصال والإرسال؟ هذا باب من أبواب الشيطان ولابد أن يغلق، فإن الله قد قال: **وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ [البقرة:١٦٨]** إن كان صادقاً ويريد تصحيح ما كان فليطرق البيت من بابه، قالت: إنه يستمع لأشرطتك ويتابع أخبارك، قلت: أعطيني رقم هاتفه وسأتصل عليه.اتصلت عليه، وعرفته بنفسي، ففرح واستر، فقلت له: اتصلت عليّ فتاة يهمها أمرك وتريد لك الخير، لقد قالت: لقد كنت أنت وإياها على علاقة محرمة، ثم منَّ الله عليكما بالتوبة والهداية، فاحمد الله على ذلك، ثم قلت: لكن بقي أمر، قال: ما هو؟ قلت: أمر الرسائل والاتصال، إن كنت صادقاً تريد أن تصحح ما مضى فاطرق البيت من بابه، كما قال الله: **وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا [البقرة:١٨٩]** وإلا فاقطع ذلك وأغلق باب الشيطان، فوعدني خيراً.دارت الأيام ومضت الليالي، ثم اتصلت علي الفتاة مرة أخرى فسألتها عن أخبارها وحالها، فقالت: على أحسن حال، ثم سألتها عن فلان فقالت: لقد انقطعت الرسائل تماماً وانقطع الاتصال، لكن! ثم سكتت.. وطال سكوتها، فقلت: ما بكِ؟ قالت: هناك أمر لابد أن تعرفه فكيف أستحي منك وأنا لم أستح من الله، قلت: ما هو؟ قالت: لم أقل لك: إني متزوجة وعندي ثلاثة أطفال! فصعقت أنا وتلعثمت ولم أستطع الكلام، صاح في داخلي صائح ونادى مناد: يا ألله! ألهذه الدرجة وصل بنا الضياع والانحلال؟! حبست دموعي أسىً على واقع المسلمين، قالت باكية: لم لا تتكلم؟! أعلم أن جرمي عظيم ولكني تائبة، والله يحب التوابين، ووالله إني نادمة ومنطرحة بباب رب العالمين. تمالكت نفسي، وقلت: والأطفال أطفال من؟! فقالت: أقسم بالله العظيم إنهم أبناء أبيهم وأنا متأكدة من ذلك، فقلت: هل عرفت الآن لماذا كان الزنا من أبشع الجرائم وأقبحها؟ به تنتهك الأعراض وتختلط الأحساب والأنساب، لذلك قال الله: **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا [الإسراء:٣٢]**، بل رتب عليه أبشع العقوبات، الرجم حتى الموت، وبدأ بالزانية قبل الزاني فقال: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي [النور:٢]، فبدأ بها لأنها لو لم تمكن من نفسها لما حدثت هذه الجريمة. فبكت حتى قطعت قلبي من بكائها، تقول: أشعر كلما رأيت زوجي أني مجرمة، وأني حقيرة، ودائماً أردد على مسامعه: سامحني واعف عني، وهو لا يدري لماذا أقول له هذا، بل فكرت مرات ومرات أن أصارحه، فقلت: استري على نفسك، فمن سترت على نفسها ستر الله عليها، ولكن اصدقي مع الله في التوبة. فزاد بكاؤها، شعرت حينها أنها صادقة في توبتها، أحسبها كذلك

والله حسيبها، وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون. رغم المآسي، رغم الآهات، لكننا متفائلون بإذن الله، مستبشرون بملايين الفتيات العائدات، العائدات إلى بيوتهن، المتمسكات بشريعة ربهن، المعتزات بحجابهن، والداعيات إلى الله بمطلق العزة والإيمان. إن الأمة اليوم تنتظر منك أن تصنعي أبطالاً فاتحين، وعباداً زاهدين، وعلماء ربانيين، ولن يتحقق ذلك حتى تكوني على مستوى المسئولية، ففاقد الشيء لا يعطيه. سأسوق لك أخباراً ترفع همتك ولتعلمي أن أمة الإسلام أمة معطاءة برجالها ونسائها بل حتى بأطفالها. اسمعي بارك الله فيك، بعض الفتيات يغرقن بين أحلام وأوهام، وأخواتك الصادقات يحملن آهات وهموم شجون وأحزان، آهات ليست كآهات الغارقات في آهات حب وغرام، وهموم ليست كهموم الغافلات، هموم شهوات ومعاكسات، اتصلت من تقول لي: أريد بريدك الألكتروني، فعندنا رسالة نريد أن نوصلها لك، وصلت الرسالة، قرأتها فاحتقرت نفسي، شعرت بالخجل وأنا أقرأ كلمات تلك الرسالة، سجدت لله شكراً أن عندنا مثل هؤلاء الفتيات، لعلك تريدين أن تسمعي بعضاً من عبارات تلك الرسالة، التي أحمل لمن كتبنها كل الحب والتقدير والاحترام. إنها رسالة من فتاتين في مقتبل العمر، تربين على حب الله ورسوله والبذل للإسلام، تقولان في الرسالة:يا شيخ! باختصار وبدون مقدمات، مشكلتنا أننا بنات لكننا لسنا كالبنات، همنا يختلف عن هموم البنات، همنا رفع راية لا إله إلا الله تحت ظل السيوف، الموت بالنسبة لنا حياة، والحياة بالنسبة لنا جهاد، وأعظم أمانينا الشهادة!كيف يقر لنا قرار ويهدأ لنا بال ونحن نرى أطفال المسلمين يقتلون، وأمهاتهم تسبى، وآباءهم يسحبون ويعذبون ويؤسرون، إننا لا نستطيع أن نقف مكتوفات الأيدي ونتفرج كما يفعل الرجال الآن، إن كنتم عرفتم للنوم لذة فإننا لم نعرف تلك اللذة، ننام على أصوات المدافع والطائرات، إننا لا نعيش معكم رغم أننا معكم، ونحن حينما كتبنا لك لا نريد منك رسالة عزاء على مصاب الأمة، ولا نريد مدحاً وثناء لأن الكل منا يعرف نفسه، إنما كتبنا لأننا نريد السبيل إلى الجهاد، وأعظم أمانينا الموت والاستشهاد.لا تقل لنا: أنتن نساء، فنحن نعلم ولكننا نساء بأرواح الرجال، رجال لا يرضون الذلة والمهانة، لا تقل لنا: أنتن جهادكن الحج والعمرة، فنحن نطمع بالأعلى، نطمع بالموت في سبيل الله، فأرواحنا أغلى ما يمكن أن نقدمه في سبيل رضا رب العالمين، والذي أنفسنا بيده! إننا نتوق للجنان، ونعلم بفضل الشهيد عند الرحمن، ونطمع أن نكون منهم ومعهم.وختمتا الرسالة بتوقيعهما أم عبد الله وأم عبد الرحمن . هذه بعض من العبارات التي كتبنها، والتي جعلتني أراجع مع نفسي الحسابات، ولعلك أنت أيضاً تراجعين. إن أمة تمتلك مثل هؤلاء الفتيات أمة لا تقهر بإذن الله، فنحن خير أمة أخرجت للناس، مهما كانت الظروف والأحوال. أيتها الصادقة! لا ترهبي التيار، أنت قوية بالله مهما اشتد التيار: تبقى روح الحق شامخة وإن أرغى وأزبد حولها الإعصار الخبر الأخير عنوانه: الخير باق في أمتي.نعم أخية! رغم كثرة الغارقات لا زال في أمتنا خير وأمل، لا زال في أمتنا فتيات وأمهات صادقات، أذاعت إحدى القنوات مشهداً أعاد لنا مشاهد طالما سمعناها عن الصحابيات الصادقات، ومن سار على نهجهن على صراط رب الأرض والسماوات، إنه مشهد لطالما اشتقنا لسماع مثله ورؤياه، إنه

مشهد لأم فلسطينية، ظهرت بجانب ولدها ابن ٢٠ سنة وهو يقرأ وصيته الأخيرة قبل أن يقوم بإحدى العمليات الاستشهادية. اسمعي أماه، اسمعي بارك الله فيك، ما أعظمها من تضحية وعظمة! تقدم فلذة كبدها وتعده للشهادة في سبيل الله، ولا يستطيع فعل ذلك إلا أصحاب القلوب التي تعلقت بما عند الله، قدمته وودعته ونداء ربها في مسامعها **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الأنعام:١٦٢]**. يا ألله! كيف كانت هذه الأم وهي تضمه إلى صدرها الضمة الأخيرة، وهي تدرك أنه بعد قليل قد لا يتبقى منه عضو تتعرف به عليه؟!يا ألله! كيف كانت وهي تقبله على جبينه، وهي تعلم أنها القبلة الأخيرة؟ بل كيف كانت وهو يغادر المكان وهي تعلم أنها لن تلقاه بعد هذه اللحظة؟يا ألله! كيف كانت حين نظرت في عينيه نظرة أخيرة؟ وكيف كانت وهي تسمع دوي الانفجار يردد على مسمع من العالم كله؟ **نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد أبداً ما بقينا(البخاري٢٨٣٤)** انفجار يعلن للعالم والملأ أننا أمة لا تقهر؛ لأن معنا القوي الجبار.لله درك يا أم الشهيد، لم تستسلمي للذل وللعار، أقسم بالله العظيم إنك قد قلتي ووفيت، ووالله إنك نور وسنا برق في زمن الذل والعار، إن أمة تنتمين إليها لا يمكن أن تهزم بإذن الله، لقد أعدتي لنا الأمل ومسحتي عنا العار، وإنك والله ستفرحين بما قدمت يوم تقفين يوم القيامة مع الملأ بين يدي الواحد القهار، لقد أعدتي إلينا إيمان الصحابيات والتابعيات، فابشري والله بالخير، قال الله: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا [الأحزاب:٣٥] فإذا أردت النجاة فاتصفي بهذه الصفات. إن كنت صادقة في البحث عن السعادة فأنا أدلك على الطريق وكلنا يبحث عن السعادة، والله لن تجدي السعادة إلا في طاعة الله، إلا في الحياة مع الله وفي مرضاته، السعادة في التوبة والأوبة، السعادة ستجدينها في دموع الأسحار، وفي مصاحبة الصالحات الأبرار، ستجدينها في بكاء وأنين المذنبات، ستجدينها -أي: السعادة- في الخشوع والركوع والامتثال لله والخضوع، وفي البكاء من خشية الله والدموع، السعادة والله في الصيام والقيام، وفي امتثال شرع الملك العلام، السعادة في تلاوة القرآن وهجر المسلسلات والألحان، وربك باسط يده لك بالليل والنهار، يفرح بالتائبات ويفرح بمن أتاه وهو قريب ممن دعاه، حليم كريم يغفر الذنب ويستر العيب. أطرقي الباب وسيفتح لك، سيري على الطريق وستشعرين بالفرق العظيم، وسترين النتيجة بنفسك.اللهم احفظ فتياتنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم دل الحائرات، وأنقذ اللهم الغارقات، اللهم من حادت عن الطريق فردها إليك رداً جميلاً، اللهم وفقهن لتوبة نصوح واستقامة على الحق يا رب العالمين! اللهم اغفر ذنب المذنبات، واقبل توبة التائبات، وفرج هم المهمومات، واكشف كرب المكروبات. اللهم ثبت الصادقات، واجعلهن راضيات مرضيات، تقيات نقيات خفيات. اللهم حبب لهن الإيمان وزينه في قلوبهن، وكره لهن الكفر والفسوق والعصيان، واجعلهن -يا رب- من الراشدات. اللهم من أرادنا وفتياتنا بسوء فاشغله في نفسه،

واجعل تدبيره تدميراً عليه. اللهم زين فتياتنا بالإيمان والعفة والحياء والحجاب، اللهم حبب لهن الحجاب وكره لهن التكشف والسفور، ووفقهن لخيري الدنيا والآخرة يا عزيز يا غفور! اللهم اجعل اجتماعنا مرحوماً، وتفرقنا بعده تفرقاً معصوماً. أستغفر الله العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

أحوال الغارقين

حديثنا ليس عن الغارقين في البحار والأنهار، فأولئك إن كانوا صالحين كانوا شهداء بإذن العزيز الغفار، ولكن حديثنا رسالة إلى الغارقين في الشهوات والملذات، يرتوون منها وكأنهم مخلدون في هذه الدنيا، تناسوا أن الدنيا دار ممر وامتحان، وبعدها جزاء وحساب، ووقفة تشيب لها الولدان أمام خالق الكون وجبَّار الأرض والسماء. إنها رسالة إلى التائهين الذين ارتسمت على وجوههم مسحة البؤس والضياع بسبب إغراقهم في الذنوب والمعاصي التي أعمت قلوبهم وأنقصت عقولهم وأزالت عنهم النعم وأحلت بهم النقم. قال سعيد بن المسيب : **ما أكرم العباد أنفسهم بمثل طاعة الله عز وجل، ولا أهانوا أنفسهم بمثل معصية الله عز وجل(شعب الايمان٧٢٤٥)**. إنها رسالة إلى الذين ليس لهم هدف في الحياة إلا إشباع الغرائز والشهوات، وهم على ما هم فيه من ذل المعصية والهوان تراهم يجاهرون بأفعالهم وعصيانهم وتمردهم على أوامر الله، غاب عن حسهم قوله صلى الله عليه وسلم: (**كل أمتي معافى إلا المجاهرون**)، (**البخاري ٦٠٦٩**) **قال سبحانه: وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ[الأعراف:١٧٩]**. إنهم يغرقون وهم لا يشعرون! يسيرون في طريق أوله خزي وعار وآخره جهنم وبوار، قبل أن ننطلق لسماع أحوالهم وأخبارهم أوجه كلمه للذين ركبوا سفينة النجاة، فأقول:تعالوا نتعاون على إنقاذ هؤلاء فهم بحاجة إلى قلوب رحيمة، و(**الراحمون يرحمهم الرحمن**)(**الترمذي ١٩٢٤**) إنهم بحاجة إلى كلمة طيبة، (**الكلمة الطيبة صدقة**) (**البخاري٢٩٨٩**)إنهم بحاجة إلى ابتسامة صادقة، و(**تبسمك في وجه أخيك صدقة**) (**الترمذي ٣٩٥٦**) **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** [**آل عمران:١٥٩**]. ليلهم ونهارهم سواء يظنون أن السعادة في لذة وشهوات وفي سفر ومغامرات، **اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ [المجادلة:١٩]**. يستيقظ الواحد منهم قبل الفجر لموعد طائره وسفر وسياحة ولا يستطيع أن يستيقظ لصلاة الفجر، مع أن التخلف عن صلاة الفجر من علامات المنافقين، تراهم في الملاعب يجوبونها طولاً وعرضاً خلف الكرة ولا يقوون على أداء الصلاة، ولا تراهم في صفوف المصلين رغم أن المسجد لا يبعد عنهم سوى خطوات، قال جل في علاه عن محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه: **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ [الفتح:٢٩]** وقال صلى الله عليه وسلم: (**اكلفوا من العمل ما تطيقون، واعلموا أن خير أعمالكم**

الصلاة) (**ابن حبان ١٠٣٧**)(**ابي داود ١٣٦٨**) إنك لن تتقرب إلى الله بقربة أعظم من المحافظة على الصلاة. إذا حزبك أمر يدك الجبال **فتذكر** (**أرحنا بها يا بلال**)(**ابي داود ٤٩٨٥**) واعلم أنه ما سُميت الصلاة صلاة إلا لأنها تصل بفاعلها والمحافظ عليها إلى الجنة، وتصل بتاركها والمتهاون فيها إلى النار، فأي طريق تريد؟**قال ابن تيميه قدس الله روحه: حدثني بعض المشايخ أن بعض ملوك فارس قال لشيخ رآه قد جمع الناس على رقص وغناء: يا شيخ! إن كان هذا هو طريق الجنة فأين طريق النار؟** (**الاستقامة الجزء ١\٣١٧**) من أحوال الغارقين: أوقاتهم لهو ولعب، غناء وطرب، لا يعرفون معروفاً ولا يُنكرون منكراً، يعرفون أسماء المغنين والمغنيات، والساقطين والساقطات، بل ويعرفون ميولهم ورغباتهم وأخبارهم، بل ربما يعرفون أسماء زوجاتهم وأبنائهم، ولا يعرفون سيرة محمد صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه وسيرة أمهات المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين. يقرءون الصحف والمجلات وينفقون في سبيلها عشرات بل قل مئات، ولا يقرءون القرآن ولا حتى لحظات، تراهم عند الإشارات قد رفعوا أصوات مكبرات السيارات على موسيقى وألحان، وهي مزامير الشيطان، تهتز أجسادهم طرباً ونشوة لذلك، ولا يهتز لهم قلب عند سماع القرآن، قال الله للشيطان: **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا [الإسراء:٦٤]**، قال صلى الله عليه وسلم: (**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**)(**البخاري ٥٥٩٠**). **قال ابن القيم رحمه الله وهو يرد على أهل الغناء:** (**اغاثة اللهفان ص٢٣١**)

ألا قل لهم قول عبد نصوح وحق النصيحة أن تُستمع
متى علم الناس في ديننا بـــــأنَّ الغنا سنة تُتبع
وأنَّ يأكل المرء أكل الـحمار ويرقص في الجمع

حتى يقع جراحات أمتنا في كل مكان في فلسطين وأفغانستان والشيشان وهؤلاء يمسون ويصبحون على الألحان.

ها هو الأقصى يلوك جراحه والمسلمون جموعهم آحاد
دمع اليتامى فيه شاهد ذلة وسواد أعينهن فيها حداد
يا ويحنا ماذا أصاب شبابنا أوما لنا سعد ولا مقداد

لمجاهدون يبيتون على أصوات المدافع والدبابات، وهؤلاء يبيتون على أصوات المغنين والمغنيات، إنهم يغرقون وهم لا يشعرون! من أحوال الغارقين: تراهم في الأسواق والمجمعات، يعتنون بالمظاهر والشخصيات، والسرائر خاوية، فنون وأشكال من القصات والموضات والهيئات، شبان وفتيات وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ [المنافقون:٤]. همهم هتك أعراض المسلمين ومطاردة الساذجات، تناسوا أنَّ لهم أمهات وأخوات وقريبات، إنهم يغرقون وهم لا يشعرون!جاء شاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (**يا رسول الله! إئذن لي بالزنا، فثار المجلس وفار، فقال الرحمة المهداة للشاب بصوت**

حنون وقلب رحيم: ادنه، فدنا الشاب، فقال له صلى الله عليه وسلم: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله فداك أبي وأمي، قال صلى الله عليه وسلم: وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، قال صلى الله عليه وسلم: أتحبه لأختك؟ قال: فداك أبي وأمي لا والله، فلا زال يذكره، ويقول له: أتحبه لعمتك؟ وخالتك؟ وابنتك؟ والشاب يقول: لا والله جعلني الله فداك، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده الشريفة عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصّن فرجه، فقام الشاب من ذلك المجلس وليس شيء أبغض إليه من الزنا).(**المعجم الكبير ٧٦٧٩**) وأنت يا من تغرق ومن أجل ذلك تخطط وتدبر وتسافر، أترضاه لأهلك؟ سأترك الجواب لك، اعلم أنه ما عُصي الله بذنب أعظم من نطفه يضعها الرجل في فرج لا يحل له، لذلك قال الله: **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا [الإسراء:٣٢]**.

إليك خبر من أخبار المتقين قال الحسن البصري : كان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاب يلازم المسجد للعبادة، فعشقته امرأة، فأتته في خلوة فكلمته -لاحظ هو لم يذهب إليها- فحدثته نفسه بذلك، فشهق شهقة فغشي عليه، فجاءه عم له فحمله إلى بيته، فلما أفاق قال: يا عم! انطلق إلى عمر فأقرئه مني السلام، وقل له: ما جزاء من خاف مقام ربه؟ فانطلق عمه فأخبر عمر فأتاه عمر فلما رآه شهق شهقة فمات، فوقف عليه **عمر فقال: وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [الرحمن:٤٦-٤٧]**. أحسبه والله حسيبه **من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله (رجل دعته امرأة ذات حسب وجمال، فقال: إني أخاف الله)(البخاري ٦٦٠)**.

فيا دائم الخطايا والعصيان! يا شديد البطر والطغيان!

ربح المتقون ولك الخسران وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَان

من أحوال الغارقين صارت الذنوب والمعاصي والآثام عادة لهم ومنهاجاً، فهم في **ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ [النور:٤٠]**، يعيشون بلا أمن ولا أمان، ولا راحة ولا استقرار، بل بلا حياة فأي حياة بلا إيمان؟! قال جل في علاه: **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ [الأنعام:٨٢]**، قلوبهم تئن من الذنوب وتشتكي، أطفأت الذنوب نور الإيمان في قلوبهم، وقطعت الآهات والحسرات كبودهم، وأرّقت الهموم مضاجعهم، يغرقون في لجج المعاصي والآثام، من مصيبة إلى مصيبة، ومن همّ إلى همّ، ومن غمّ إلى غمّ، ولا هم يتوبون ولا هم يذكرون، وصدق الله حين قال: **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا [طه:١٢٤-١٢٥]** هو مع ضلاله وعصيانه وتمرده يحاجج **قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى [طه:١٢٥-١٢٧]**.إنهم يغرقون ومع هذا لا يفكرون بالتوبة والندم، اللهم إلا خطرات تمر

على قلوبهم تناديهم إلى ركوب السفينة والانضمام إلى قوافل التائبين، يسمعون المواعظ ولا يتعظون، يدفنون الموتى ولا يعتبرون، يرون الحق ولا يتبعون، يُدعون ولا يستجيبون، نقول لهم ما قال الله: **يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ [الأحقاف:٣١-٣٢]**. ذكرنا بعض أحوالهم، فتعال نسمع بعض أخبارهم: من أخبارهم المتواترة أنه إذا تاب صاحب لهم وركب سفينة النجاة بدءوا بالحرب الإعلامية عليه، يلاحقونه بنبالهم وسهامهم، ويعددون أخطاءه وزلاته، فقائل منهم يقول: لن يصبر وسيعود إلى حالته السابقة، وآخر يقول: أيام وأسابيع وسيرجع إلى سابق عهده، وآخر يقدم له النصيحة فيقول: مالك وهذا الطريق فأنت على خير؟! سبحان الله! لا يصلي ولا يصوم ولا يقيم حدود الله ويغرق في بحار المعاصي ويقول له: أنت على خير، أي خير هذا؟! قال الله جل في علاه: **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ * وَلَنْ يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ * فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ * أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ * فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ [الزخرف:٣٦-٤٤]**.هكذا حال الغارقين، لا يريدون أن يغرقوا بمفردهم، ولو حاولت إنقاذهم أغرقوك معهم، وكما قيل: ودت الزانية لو زنت جميع النساء حتى يصبحن سواء، عجباً لهم! بدل أن يفرحوا لهداية صاحبهم واستقامته يخططون كيف يردونه إلى شواطئ العصيان! جاءتنا الأخبار أنَّ أحد الشباب سلك طريق الاستقامة وركب سفينة النجاة، وبدأ يحافظ على الصلاة ويحفظ القرآن، بدأ يتذكر أصحاباً له لا زالوا يغرقون في لجج المعاصي والآثام، ودَّ لو أنهم ركبوا معه في سفينة التوبة والنجاة، وانضموا إلى قوافل العائدين، زارهم وليته لم يفعل! وهذه نصيحة لكل تائب وجديد في طريق الاستقامة، لا تذهب لأصحاب الماضي وحيداً، خذ معك من يعينك على دعوتهم؛ لأنَّ الكثرة تغلب الشجاعة. زارهم يريد لهم الهداية؛ فبدأ الهجوم عليه من كل الجهات، أتذكر يوم كذا وكذا، وعلت الأصوات، وانطلقت الضحكات، وقام من عندهم بعد أن جددوا جراحاً ماضية، وحركوا في القلب والنفس أشياء، وبدأ الصراع من جديد، جاءوه بعد أيام يعرضون عليه السفر إلى مكان قريب بقصد شراء سيارة، قالوا له: نريد من يذكرنا بالله ويؤمنا في الصلاة ويعلمنا الجمع والقصر، فزينت له نفسه السفر وانطلق معهم، وليته لم يفعل! هناك حيث يُعصى الله استأجروا شقة مفروشة وتركوه فيها، وذهبوا وهم يخططون كيف يعيدونه إلى شواطئ الضياع مرة ثانية، أمضوا ليلتهم في سهرة ليلية بين خمر وغناء، وهو هناك ينتظرهم، اتفقوا مع بغي زانية فاجرة على أن يدفعوا لها الثمن أضعافاً مضاعفة إن هي استطاعت أن توقع صاحبهم في الفاحشة. الله أكبر! يدفعون أموالهم

ليصدوا عن سبيل الله، أدخلوها عليه، ومعها خمر وشريط غناء، حتى تكون الليلة حمراء، والخمر مذهب للعقل، والغناء بريد الزنا، خلت به وخلا بها (**وما خلا رجل بامرأة إلاَّ كان الشيطان ثالثهما**)(**الترمذي ٢١٦٥**) ولا زالت به حتى سقته كأساً من خمر، ثم ثانية ثم ثالثة ثم وقع المحظور، وانهدم في لحظات بنيان لطالما تعب حتى بناه، نام في فراشه عارياً مخموراً والعياذ بالله!فلما أصبح الصباح جاء شياطين الإنس يطرقون الباب وضحكاتهم تملأ المكان، فتحت الفاجرة لهم الباب، فقالوا لها: هاتِ ما عندك، ما الخبر؟ ما البشارة؟ قالت: أبشروا أبشروا فقد فعل كل شيء، شرب الخمر وزنا ثم نام وهو عريان في فراشه الآن! تباً لهم ولأمثالهم أيفرحون ويستبشرون أن عُصي الله؟! يفرحون أنَّ صاحبهم زنا وشرب الخمر، بعد أن كان يصلي ويقرأ القرآن؟!دخلوا عليه ضاحكين شامتين وهو مغطىً في فراشه، أيقظوه، فلان فلان فلم يجبهم، فكرروا النداء فلان فلان فلم يجبهم، حركوه وقلَّبوه في فراشه فلم يستيقظ. اسمع الفاجعة، صاحبنا شرب الخمر وزنا ونام، ومات من ليلته في فراشه على أسوأ ختام، إنا لله وإنا إليه راجعون! يالله! أما كان صاحبهم يصلي ويصوم ويقرأ القرآن؟! أليس قد جاء معهم يريد لهم الهداية فأرادوا له الغواية؟! لقد دفعوا أموالهم وأوقاتهم ليصدوه عن سبيل الله، فهل سينقذونه من عذاب الله، أي أصحاب هؤلاء؟! وصدق الله حين قال: **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولًا [الفرقان:٢٧-٢٩]**

.فلا تصحب أخا الفسق وإياك وإياه   فكم فاسق أردى مطيعاً حين آخاه

هكذا حال الغارقين، تريد إنقاذهم فإذا هم يخططون لإغراقك معهم؛ لأنهم يغرقون، قال جل في علاه: **فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ * أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ [المؤمنون:٥٤-٥٦]**، وقال سبحانه: **أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧]**، وقال صلى الله عليه وسلم: (**إنَّ من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه**)(**رواه ابن ماجة ٢٣٧ وحسنه الألباني رحمه الله.**) ماذا صنعت بهم الذنوب؟! قال سبحانه: **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ [الأنعام:١١]**، وقال: **هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران:١٣٨]** وقال عز من قائل: **أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ [غافر:٢١-٢٢]**. اسمع ماذا صنعت الذنوب والمعاصي والآثام، وكم دمرت من أمم وأفراد وأقوام، وهل

في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي؟! **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [آل عمران:١٦٥]**، ما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء؟ طرده الله ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه، وجعل صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبُدِّل بالقرب بعداً، وبالرحمة لعنةً، وبالجمال قبحاً، وبالجنة ناراً تلظى، وبالإيمان كفراً، فهان على الله غاية الهوان، وسقط من عينه غاية السقوط، وحلَّ عليه غضب الربّ تعالى فأغواه ومقته أكبر المقت، فأرداه الله فصار قائداً لكل فاسق وفاجر، رضي لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة، فعياذاً بك اللهم من مخالفة أمرك وارتكاب نهيك، قال الله للشيطان: قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ [الأعراف:١٨]. ولقد حذرنا الله من مكره وكيده فقال: **يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ [الأعراف:٢٧]**. ما الذي أوصله إلى تلك الحال؟ إنها الذنوب والتكبر على أوامر الله، ما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رءوس الجبال؟ وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض، **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ [الحاقة:٧]**؟ وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى تقطعت قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخرهم؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر ثم نُقلت أرواحهم إلى جهنم؟ فالأجساد للغرق والأرواح للحرق، إنها الذنوب قال سبحانه: **كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ * وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً * إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ [الحاقة:٤-١٢]**.ما الذي أرداهم وأوصلهم إلى تلك الحال؟ إنها الذنوب، وما الذي رفع قرى قوم لوط حتى سُمع نبيح كلابهم ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها فأهلكهم جميعاً، ثم أتبعهم بحجارة من السماء فأمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعها على أمة غيرهم وللظالمين أمثالها؟ تدبر في قوله فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ [هود:٨٢-٨٣] ما سبب هلاكهم وتدميرهم؟ إنها الفطر المنتكسة التي تشتهي الرجال دون النساء، إنها الذنوب وما أدراك ما الذنوب؟!وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل، فلما صار فوق رءوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى؟ اسمع قول الجبار لما كذبوا رسوله: **فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [الشعراء:١٨٩-١٩١]**. وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله **إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ**

اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ [القصص:٧٦]؟ وما الذي أهلك قوم صاحب ياسين حتى خمدوا على آخرهم، وقد حذرهم وقال لهم: **يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ [يس:٢٠]**؟ إنها الذنوب باختلاف أنواعها وتغاير أصنافها، قال سبحانه: **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا [الإسراء:١٦-١٧]**. قال الإمام أحمد : **حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا صفوان بن عمر قال: حدثني عبد الرحمن بن جبير عن أبيه قال: لما فُتحت قبرص فُرق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، قال: فرأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء! ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟! فقال: ويحك يا جبير! ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا أضاعوا أمره! بينما هم أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما صاروا إليه (مفتاح الافكار ١\٣٥٩)!** قال الحكيم الخبير: **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ * وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ [هود:١٠٠-١٠٨]**.

حارت الأفكار في قدرة من قد هدانا سبلاً عزَّ وجــلّ
كتب الموت على الخلق فكم فلّ من جمع وأفنى من دول
أين نمرود وكنعان ومن ملك الأموال وولى وعــزل
أين من سادوا وشــادوا وبنوا هلك الكل ولم تغنِ القلل
أين أرباب الحجى أهل النهى أين أهل العلم والقوم الأُول؟
سيعيد الله كلاً منــهم وسيـــجزي فـاعلاً ما قد فعل

من أخبار الناجين الذين ركبوا سفينة النجاة، في ثلث الليل الأخير في صلاة القيام ليلة التاسع والعشرين آخر ليلة في رمضان، ونحن نصلي القيام قرأنا بـ(ص) والدخان، ومرت بنا آيات وعظات، تأمل في قول رب البريات: **هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ [ص:٤٩]**، ومع تلاوة هذه الآية، بدأت أصوات بكاء شاب صغير في العشرين من عمره ترتفع، بدأت الآيات تهز كيانه، وتحرك قلبه ووجدانه، قطَّع قلوب المصلين ببكائه، وفي الركعة الثانية بدأت آيات سورة الدخان تمر على المسامع لتحرك القلوب، اسمع كيف هانت أمة كاملة على الله لما عصت أوامره، وخالفت رسله، قال سبحانه: **وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * وَأَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ**

بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ * وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ * فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ * وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ *كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ *كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ [الدخان:١٧-٢٩].هانوا على الله يوم خالفوا أوامره، لم يستطع صاحبنا التوقف عن البكاء من شدة وقع الآيات عليه، ما أعظم القرآن وما أجمل آياته إذا لامست أوتار القلوب!اسمع بارك الله فيك واسمعي رعاك الله في سياق آيات سورة الدخان ذكَّرنا الله بموعد عظيم، موعد لا تنساه، سيجمع الله فيه الأولين والآخرين، سيأتي الغارقون في لجج المعاصي والآثام **وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ [الأنعام:٣١]**، وسيأتي أهل الصلاح تنير الحسنات طريقهم ودروبهم، قال سبحانه: **إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ * يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [الدخان:٤٠-٤٢]**. فماذا أعد الله لهؤلاء من العذاب؟ وماذا أعد الله لأولئك من النعيم؟ **إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ *كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ *كَغَلْيِ الْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ [الدخان:٤٣-٥٠]** هذا ما أعد الله للغارقين في لجج المعاصي والآثام. فماذا أعد الله لأولئك الذين ركبوا سفينة النجاة، قال الله في سياق الآيات: **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ *كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ [الدخان:٥١-٥٩]**.صنعت الآيات في صاحبنا عجب العجاب، حتى أشفق المصلون على الشاب من شدة بكائه، ولما انتهت الصلاة التفوا حوله يهدئونه، ويذكرونه برحمة الله وفضل الله، جلست أتحدث أنا وإياه وهو مستمر في بكائه ويقول: والله إني خجل من الله، سنوات طوال وأنا أعصيه وهو يراني، لم أستح من نظره إلي واطلاعه عليّ! سنوات طوال ما صمت فيها ولا صليت، هذا أول رمضان في حياتي أصلي وأصوم وأقوم، كنت أغرق في وحل المعصية والرذيلة، لم يبق ذنب صغير ولا كبير إلا فعلناه وكررناه، سُكر وفواحش ومخدرات، أنام على الأغاني، أصحو على الألحان، أي حياة هذه!! ثم وأنا على هذه الحال وقبل رمضان بليلتين، مرَّ علي الأصحاب وقد جهزت لهم مسكراً ومخدراً، وجئت معي بالعود حيث إني أعزف وأغني لهم، كنا أربعة، أما اثنان منهم فقالا: لقد مللنا من هذا كله، آن الأوان أن نعرف معنى الحياة، لقد ضاع من عمرنا ما فيه الكفاية، ولقد صلينا الليلة العشاء في المسجد، ونريد أن تكون هذه بداية لحياة استقامة ونهاية لحياة الضياع، ولقد كانت بداية ونهاية. يقول صاحبنا: فنزلت أنا وصاحبي بعدتنا من خمر ومسكر، ومضوا هم في طريقهم أمام أعيننا، فإذا بأحد

الشباب المستهترين يتلاعب بسيارته يمنة ويسرة وقد انطلق بسرعة جنونية، فانحرفت سيارته واصطدمت بسيارة الشباب في حادث فظيع ونحن نرى ونسمع، جئنا إلى السيارة مسرعين فإذا الشباب قد تقطعت أجسادهم، وسالت دماؤهم، وتكسرت عظامهم، وفاضت أرواحهم إلى باريها **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ [ق:١٩]**.. **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [الجمعة:٨]** .. **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ [آل عمران:١٨٥]**. سبحان الله! منذ لحظات كانوا معنا، قالوا لنا: مللنا حياة الضياع، هنيئاً لهم! صدقوا ومضوا في لحظات، هنيئاً لهم فلقد خرجوا لتوهم من المسجد بعد أن صلوا العشاء مع الجماعة، ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول: **(من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة) (مسلم ٦٥٧)** أمسوا ولكنهم لم يدركوا الصباح. يقول صاحبنا: قلت لصاحبي الذي كان معي وأنا أبكي: كيف لو كنا معهم؟! بأي وجه وعلى أي حال كنا سنلقى الله؟! سنلقاه ونحن سكارى نحمل الخمر والمخدرات معنا!! ما أحلم الله علينا! كم ليلة بتناها على فواحش ومنكرات وهو يرانا. أخذ يروي خبره وخبر أصحابه ودموعه على خده، وأنا أقول في نفسي: هنيئاً لك هذه الدموع، هنيئاً لك هذا الندم، هكذا حال من يريد أن يركب في سفينة النجاة. أخذ يقول: وآخجلي من ربي، كيف طريق النجاة؟! وهل يقبلني بعد أن فعلت وفعلت وفعلت؟! هدَّأت من روعه وبشرته بشارات، بشرته بأنَّ الله غفار لمن تاب وآمن، بشرته بأنَّ التوبة تجب ما قبلها، بشرته بأنَّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، بشرته أنَّ الله يبدل السيئات حسنات، بشرته أنه ليس أحد أفرح بتوبته من الله، بشرته أنه سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين. كان قد جاء من العمرة منذ ليلتين، شهد ليلة السابع والعشرين في الحرم، ولأول مرة يرى بيت الله، قلت له بعد أن هدأ قليلاً: اذهب الآن حافظ على الصلاة، واحمد الله أن مدَّ في عمرك وأمهلك، قال: الحمد لله الذي أمهلنا ولم يأخذنا على حين غرة، قلت: اترك صحبة السهر والضياع، والزم أصحاب الخير، اركب معهم سفينة النجاة، وأنا أنتظرك بعد أيام، أنتظرك بعد العيد لنتحدث أنا وإياك. اتصل علي بعد العيد بأيام، قال: سأصلي معك الفجر غداً إن شاء الله، جاء على الموعد، نظرت في وجهه فإذا هو بدأ يظهر عليه نور الإيمان ووقار الصالحين، قلت: صدق الله حين قال: **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأنعام:١٢٢]**. لما تكلَّم ظهر من كلامه الراحة والاطمئنان، أول ما تكلم قال: ما أجمل صلاة الفجر وما أجمل القرآن! قلت في نفسي: سبحان الله! بالأمس معازف وألحان واليوم صلاة وقرآن، قال: جئت باثنين من أصحاب الماضي وهم على استعداد لركوب سفينة النجاة، فلقد ملوا حياة الضياع، قلت له: كيف ومتى بدأ الضياع؟! قال: بدأ وأنا في الأول المتوسط، بدأ بسيجارة ثم حبوب للمذاكرة، ثم سهر

وتخلف عن الصلوات، ثم حشيش وخمر وفواحش ومنكرات، ثم سفر وضياع سبع سنوات على هذه الحال، **وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ [الصافات:٥٧]** ما أحلم الله علينا! كم ليلة بتناها على فواحش ومنكرات! أخذ يقول: وآخجلي من ربي جل في علاه. قلت: احمد الله واستقم على طريق الاستقامة. أنت يا من لا زلت تغرق أما آن الأوان لتتوب وتندم، وتقلع عن الذنب وتعزم، هل سنراك تسابق المصلين إلى الصف الأول أم ستبقى على تخلفك تتقاذفك الأمواج حتى يتخطفك الموت على حال لا ترضي ولا تسر؟! أما آن الأوان أن تنطرح على بابه وتفر إليه، وتقول:

وقفت ببابك يا خالقي أقلّ الذنوب على عاتقي

أجرُّ الخطايا وأشقى بها لهيباً من الحزن في خافقي

يسوق العباد إليك الهدى وذنبي إلى بابكم سائقي

أتيت مالي سوى بابكم طريحاً أناجيك يا خالقي

إلهي أتيت بصدق الحنين يناجيك بالتوب قلب حزين

إلهي أتيتك في أضلعي إلى ساحة العفو شوق دفين

إلهي أتيت إليك تائباً فألحق طريحك بالتائبين

أعنه على نفسه والهوى فإن لم تعنه فمن ذا يُعين

أبوح إليك بما قد مضى وأطرح قلبي بين يديك

بقايا الخطايا ودرب الهوى وما كان تخفى دروبي عليك

تريد النجاة؟! سؤال أسألك إياه ولا أظنك ستقول: لا، تريد النجاة؟ إذاً اركب سفينة النجاة، تعرَّف على الله، تريد أن يكون الله معك فاحرص على تقواه، إذا أردت أن تُحفظ في نفسك وأهلك ومالك فاحفظ الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرَّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة**). **(الترمذي ٢٥١٦) أما سمعت عن خبر الثلاثة الذين أخبرنا بخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين آواهم المبيت إلى غار، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت فتحة الغار فأصبحوا في ظلام دامس، لا يعلم بمكانهم أحد إلا الله، إنه الموت والهلاك المحقق إن لم يلطف بهم الله، فقالوا: لا ينجيكم اليوم إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. فدعا الأول ببره بوالديه وأنه كان لا يقدم عليهم مالاً ولا ولداً، ودعا الآخر بترك الفاحشة والزنا وكان قادراً على ذلك، ودعا الثالث أنه أعطى الأجير أجره، وقالوا في دعائهم وتضرعهم: اللهم إن كنت تعلم أنّا فعلنا ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه، فلما علم الله صدقهم وإخلاصهم انفرجت الصخرة وخرجوا يمشون، فهم تعرفوا على الله في الرخاء فعرفهم في الشدة، وتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم**،(**البخاري٢١٥٢**) فأي عمل سأتوسل به أنا وأنت إلى الله إذا آوانا المبيت إلى غار أو تهنا في الصحراء أو في القفار.

يا رب عفوك لا تأخذ بزلتنا وارحم أيا رب ذنباً قد جنيـــناه
كم نطلب الله في ضرّ يحل بنا لما تولت بلايانا نســــــيناه
ندعوه في البحر أن ينجّي سفينتا لما وصلنا إلى الشاطئ عصيناه
ونركب الجو في أمن وفي دعة وما سقطنا لأنَّ الــحافظ الله

قال ابن القيم رحمه الله: إذا استغنى الناس بالناس فاستغن أنت بالله، إذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، إذا أنِسُوا بأحبابهم فاجعل أُنسك بالله، إذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقرَّبوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرف أنت إلى الله، تعرف أنت إلى الله وتودد إليه وانطرح بين يديه؛ تنل بذلك غاية العز والرفعة،(الفوائد١\١١٨) كما قال الله: **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا [فاطر: ١٠]، وقال: وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ [المنافقون:٨]**. أخيراً: اسمع بارك الله فيك هناك الحديث: (**إن للتوبة باباً عرض ما بين مصراعيه ما بين المشرق والمغرب**)،(**الكبير ٧٣٨٣**) وفي رواية: (**عرضه مسيرة سبعين عاماً، لا يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها**) (**الكبير ٧٣٤٨**) فالباب مفتوح فالباب مفتوح فهلا ولجت! واعلم رعاك الله أنَّ الله نادى فقال: (**يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم**)(**مسلم ٢٥٧٧**) ولقد سمعت النداء فهلا استغفرت!! اعلم يا رعاك الله أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل**) (**مسلم ٢٧٥٩**) والله يحب الاعتذار، فهلا أقبلت واعتذرت! ردد وقل: اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون،

قل: أنا العبد الذي أضحى حزيناً على زلاته قلقاً كئيباً
أنا العبد الغريق بلج بحرٍ أصيح لربما ألقى مــجيباً
فيا أسفي على عمر تقضَّى ولم أكسب به إلا الـذنوباً
انا المضطر أرجو منك عفواً ومن يرجو رضاك فلن يخيبا

قبل أن نختم وننتهي أود أن أقرأ لكم هذه الرسالة التي وصلتنا من أحد الحاضرين، يقول فيها: إلى الشيخ خالد أنا من أبناء المسلمين، لكني لا أصلي ولا أصوم، أنا كافر، لا أعرف معنى الإسلام، وها أنا اليوم أعلن توبتي أمام الله عز وجل ثم أمامك وأمام الحضور، فجزاكم الله كل خير، أريد أن تُقرأ رسالتي أمام الحضور، ها أنا أردد وأقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ها أنا أردد: اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، ادعوا الله لي بالثبات، ادعوا لي بالثبات. اللهم أحي قلوباً أماتها البعد عن بابك، ولا تعذبنا بأليم حجابك، يا أكرم من سمح بالنوال! وأوسع من جاد بالإفضال، اللهم أيقظنا من غفلتنا بلطفك وإحسانك، وتجاوز عن جرائمنا بعفوك وإحسانك. اللهم اسلك بنا مسالك الصادقين الأبرار، وألحقنا بعبادك المصطفين الأخيار، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللهم

اقبل توبة التائبين.. اللهم اقبل توبة التائبين.. اللهم اقبل توبة التائبين، واغفر ذنوب المذنبين، ودلَّ الحيارى واهد الضالين، واغفر للحاضرين والغائبين، واغفر للأحياء وللميتين. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل بلدنا هذا آمناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين. اللهم احفظنا بالإسلام قائمين وقاعدين وراقدين، ونسألك اللهم توبة نصوحاً قبل الموت، وشهادة عند الموت، ورحمة بعد الموت يا ربَّ العالمين! اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك. اللهم عاملنا بما أنت أهله ولا تعاملنا بما نحن أهله، إنك أنت أهل التقوى والمغفرة. اللهم صل على محمد في الأولين، وصل على محمد في الآخرين، وصل على محمد في الملأ الأعلى إلى يوم الدين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

***

أحوال الناس في استغلال الأوقات

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**.**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.إن الهدف والغاية السامية التي خلقنا الله من أجلها معروفة، قال تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ [الذاريات:٥٦-٥٧]**، فالغاية هي: تحقيق العبودية لله تبارك وتعالى بالذل والخضوع والانكسار، (يا ابن آدم! خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا تتعب) ، فإذا عرف العبد والأمة الغاية والهدف من الحياة أصبح للحياة معنىً، وأما الحياة بلا هدف ولا غاية فلا معنى لها.إن الناس يوم القيامة يقوّمون بإيمانهم وأعمالهم الصالحة، فالعمر فرصة للازدياد من الحسنات، ورفع الرصيد من الأعمال الصالحة، ولما كانت هذه الأمة أقصر الأمم أعماراً ضاعف الله لها الأجر والثواب، وشرع لها أعمالاً سهلة ميسرة يترتب عليها أجر كبير، فالحسنة بعشر أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء، فعن أبي هريرة قال: قال صلى الله عليه وسلم: (**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**)، (**الترمذي ٣٥٥٠صححه الإمام الألباني رحمه الله**.) فعلى افتراض أن العمر ستون سنة فإننا ننام فيها ثمانِ ساعات كل يوم، فهذه عشرون سنة في النوم، وخمس عشرة سنة في الطفولة قبل التكليف، وسنتان أو ثلاث في الأكل والشرب وقضاء الحوائج، فبقي من العمر ثلاث وعشرون سنة، فإذا لم تستغل الاستغلال الصحيح فكيف سيكون الرصيد؟!إن الإنسان حريص على دخله الدنيوي ومصالحه الدنيوية، وكل موظف وموظفة حريص على زيادة دخله الشهري، ولا عيب في هذا، ولكن العيب كل العيب أن يمر العمر دون حرص على زيادة رصيد الحسنات ورصيد الأعمال الصالحة، فعن أبي بكرة : (أن رجلاً قال: يا رسول الله! أي الناس خير؟ قال: من طال عمره، وحسن عمله، قال: فأي الناس شر؟ قال: من طال عمره، وساء عمله)، (الترمذي ٢٣٣٠صححه الإمام الألباني رحمه الله.)وقال الحسن البصري : إن أقواماً غرتهم الحياة الدنيا فخرجوا منها بلا رصيد من الحسنات، يقولون: إننا نحسن الظن بالله، قال: وكذبوا، لو أحسنوا الظن

لأحسنوا العمل، قال الله عنهم: **هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا [الكهف:١٠٣-١٠٤]**، وقال سبحانه: **وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ [الزخرف:٣٦-٣٧]**.أخية! تأملي هذا الدعاء الجميل من سيد البشر صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، كما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو ويقول: (**اللهم! إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت يقوم فتنة فتوفني غير مفتون، اللهم! إني أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك، وقال صلى الله عليه وسلم: إنها حق فادرسوها) أي: احفظوها وتعلموها.(رواه الإمام أحمد ٢٢١٦٢، وصححه الألباني)** .أخية تأملي هذا الدعاء ففيه طلب التوفيق إلى فعل الطاعات وترك المنكرات، وفيه سؤال الله تبارك وتعالى أن يتوفاه إذا كان العمر سبباً للخسارة والفتنة وزيادة السيئات.إن للحياة معنىً عظيماً، فنحن لم نخلق عبثاً، ولم نُترك هملاً، فلا بد من تحقيق العبودية لله، وأن نجمع أكبر قدر ممكن من الحسنات، حتى لا نندم عند الممات، وحتى لا نطلب الرجوع بعد الموت فلا يستجاب لنا، قال سبحانه: **حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ [المؤمنون:٩٩]**، وقال سبحانه عن تلك اللحظات: **يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي [الفجر:٢٣-٢٤]. كان يزيد الرقاشي يحاسب نفسه ويقول: يا يزيد ! من ذا يصلي عنك بعد الموت؟! يا يزيد ! من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ يا يزيد ! من ذا الذي يُرضي عنك ربك بعد الموت؟ ثم يبكي ويقول: أيها الناس! ألا تبكون على أنفسكم وتنوحون؟! من كان الموت يطلبه، والقبر بيته، والتراب فراشه، والدود أنيسه، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر،(المجالس وجواهر العلم ١\١٦١)** فكيف يكون حاله؟!أيتها الغالية! إن الواحدة لتحزن أشد الحزن إذا ضاع عليها مبلغ زهيد من المال، أو عقد من الذهب، ولا تحزن على ضياع وقتها وعمرها فيما لا ينفع! **كان أبو الدرداء** رضي الله عنه يقول: ما من أحد إلا وفي عقله نقص عن حلمه وعلمه، وذلك أنه إذا أتته الدنيا بزيادة مال ظل فرحاً مسروراً، والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك، ما نفع مال يزيد وعمر ينقص(القناعة والعفاف ابن ابي الدنيا).وكان السري يقول: إذا اغتممتَ بما ينقص من مالك فابك على ما ينقص من عمرك.**وقال أبو بكر بن عياش** : إن أحدهم لو سقط منه درهم لظل يومه يقول: إنا لله، ذهب درهمي، ولا يقول: ذهب يومي،(حلية الاولياء ٨\٣٠٣) ما عملتُ فيه؟!اعلمي –أخية– أنك منذ ولادتك يبدأ العد التنازلي في ساعات عمرك، فابدئي أنت في العد التصاعدي في جمع الحسنات الكثيرات؛ لتنفعكِ بعد الممات.قال **عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: إن الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل أنت فيهما.** (مكارم الاخلاق ١\٢٩) **وقال الحسن البصري : الأيام والليالي**

تبليان كل جديد، وتقربان كل بعيد، وتأتيان بكل موعود ووعيد.(حلية الاولياء)**قال الزهري : كان عمر بن عبد العزيز إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧] ثم يبكي ويقول:**

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم

فلا أنت في الأيقاظ يقظان حازم ولا أنت في النوام ناجٍ فسالم

تسر بما يفنى وتفرح بالمنى كما سُرّ باللذات في النوم حالم

وتسعى إلى ما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

في هذه الوقفة نتعرف على أحوال الناس مع أوقاتهم، فالناس على أحوال ثلاثة في استغلال الأوقات، وقد بينهم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ [فاطر:٣٢]**.

الصنف الأول: الظالم لنفسه وهم يظنون أن الحياة غناء ورقص ولعب ولهو وأكل وشرب ونوم، وما علم المساكين أن الله سوف يسألهم عن كل دقيقة من دقائق حياتهم، فقد استغلوا الأوقات بالازدياد من اللذات والشهوات ومضاعفة السيئات، ونسوا أو تناسوا رقابة الواحد الأحد رب الأرض والسماوات.

وإذا خلوت بريبة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيــان

فاستحيي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يران

لقد نسي هؤلاء المساكين مراقبة الله ولقاءه، فتجد كثيراً من بناتنا تسمع الموسيقى والغناء، وترقص على المعازف والألحان، ونسيت أنها حفيدة **خديجة التي أقرأها الله السلام، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا تعب فيه ولا نصب**،(**مسلم ٢٤٣٢**) ونسيت المسكينة أنها حفيدة عائشة الصديقة بنت الصديق الصائمة القائمة المتصدقة، راوية الحديث، وعالمة الأمة.ونسيت المسكينة أنها حفيدة المجاهدة نسيبة الأنصارية أم عمارة التي قال لها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد لما رآها تذود وتدافع عنه: (**تمني وسليني يا أم عمارة ! فقالت: أسألك مرافقتك في الجنة يا رسول الله!**) (**المغازي للواقدي١\٢٧٣**)، فاسمعي أخية! تلك الأمنيات والرغبات، فماذا تسأل المسلمات اليوم؟! أين المضيعات للعمر والساعات عن مثل هؤلاء؟! أين المضيعات للحقوق والواجبات؟!قد هيوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل الصنف الثاني: المقتصد إنها أخية التي لم يستغل الأوقات في معصية الله، وإنما استغلوها في المباحات، فهم يؤدون الفرائض ولا يفعلون المحرمات، ولكنهم تنام كثيراً، ويكثر من الزيارات والفسحات، فأين استثمار الوقت في العلم والتعلم وقراءة القرآن؟ يقول الإمام الغزالي رحمه الله: من نام في كل أربع وعشرين ساعة ثمان ساعات فقد نام -مَنْ عمرُه ستون سنة- عشرين سنة، ثم تبقى أربعون سنة ما بين لهو ولغو ومعاصٍ ومخالفات وشغل بالدرهم والدينار، فماذا تبقَّى من العمر؟!أليست القضية أيتها المؤمنة قضية ميزان ترجح فيه كفة الحسنات أو السيئات؟! أليس في يوم الحسرات يتمنى العبد

والأمة أن لو يزداد في الرصيد من الحسنات؟ ولكن هيهات هيهات!أليست مكانة عند الله على قدر إيمانها وأعمالها؟! ألم يكن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقوم الليل كله حتى تفطرت قدماه، ثم إذا عوتب قال: (**أفلا أكون عبداً شكوراً**)؟ (**البخاري١١٣٠**) الصنف الثالث: السابق بالخيرات هن فتيات الإسلام، وهن نجوم التوحيد، وهن المتبعات لسنة نبيهن محمد صلى الله عليه وسلم، وهن أمل الأمة للخروج من الذل الذي تعيش فيه، إنهن فتيات عرفوا معنى الحياة، وعلموا أنهم سيقفو بين يدي علام الغيوب، وعرفوا أن الستين أو والسبعين سنة هي مزرعة للآخرة، وعرفوا أن نساء السلف استثمروا أوقاتهم في مرضاة ربهم، فقد كانوا صائمات قائمات مجاهدات في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فأردوا أن يكونوا مثلهم.والأمة اليوم أحوج ما تكون لمثل هؤلاء الذين تربوا على تقوى من الله ورضوان. لقد أقسم الله تبارك وتعالى بالوقت لعظمه، فقال **سبحانه: وَالْعَصْرِ [العصر:١]، وقال تعالى: وَالضُّحَى [الضحى:١]، وقال تبارك وتعالى: وَاللَّيْلِ [الليل:١]**، ولا يقسم الله إلا بعظيم، وله سبحانه أن يقسم بما يشاء وليس لمخلوق أن يقسم إلا بالله تبارك وتعالى.اعلمي أيتها المؤمنة أنك ستسألين عن الوقت، وستحاسبين عما عملت فيه، فإن كنتِ صالحةً ستفوزين، وإن كنتِ مضيعة فستندمين وتخسرين، قال سبحانه وهو يسأل العباد عن ذلك: **قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ [المؤمنون:١١٢]**، فأما المضيعات اللاهيات المفرطات فيقلن: **قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ [المؤمنون:١١٣]**، فيأتي التوبيخ الشديد من رب العالمين: **قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ [المؤمنون:١١٤-١١٥]**، وقال صلى الله عليه وسلم: (**لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، وعدّ منهن: عن عمره فيما أبلاه، وعن شبابه فيما أفناه**).(**الترمذي ٢٤١٦**) أخية! لقد سأل عن العمر إجمالاً وعن الشباب خاصة، فلماذا السؤال عن الشباب؟ أليس الشباب قطعة من العمر؟ فلماذا التركيز على مرحلة الشباب؟الجواب: لأن الشباب أحلى سنين العمر وأقوها، فإن لم تصرفه لله فكيف سيكون الجواب؟ وما هي حجتك التي بها ستحتجين بها؟! قال سبحانه: **فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ * وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ [الأعراف:٦-٩]** فهل تأملت شدة الوعد والوعيد؟ ومع هذا اسمعي عجب العجاب. عجباً لأناس يقضون الساعات الطوال أمام الشاشات: ما بين فلم ومسلسل، وما بين أغنية وألحان، وزيادة على ما هم فيه من الضياع فإنهم متكاسلون عن فعل الطاعات وإقام الصلوات.فكم من الحسنات قد كسبوا في هذه الساعات؟ وماذا استفادوا مما شاهدوه وسمعوه؟ أليست الحقيقة أخية أنهم لم يحفظوا السمع والبصر والفؤاد عن الحرام؟أما قال الله: **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا [الإسراء:٣٦]**؟ أما قال الجبار سبحانه: **الْيَوْمَ**

نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [يس:٦٥]؟أليس الرجال ينظرون إلى النساء المتبرجات، والنساء ينظرن إلى الرجال؟ والله يقول: **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ [النور:٣٠]، وقال مخاطباً المؤمنات: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ [النور:٣١]**؟ فأين قول المؤمنين والمؤمنات: سمعنا وأطعنا؟

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وأليس هؤلاء قد زادوا من رصيد السيئات يوم أن ضيعوا الأعمار في هذه الساعات والملهيات والمحرمات؟ فأين العقول السليمة؟ **فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ [الحج:٤٦]**. عجباً لفئة أخرى من النساء اللاتي يجتمعن عند فلانة وفلانة ومدار حديثهن: القيل والقال، والغيبة والنميمة، والزور والبهتان، أما قال صلى الله عليه وسلم: (**ما مِنْ قومٍ يقومونَ مِن مجلسٍ لا يذكرونَ اللهَ فيهِ إلا قاموا عن مثلِ جيفةِ حمارٍ، وكان لهم حسرَةً**") (**ابي داود ٤٨٥٥**) وشبه صلى الله عليه وسلم أصحاب هذه المجالس كمن قام عن جيفة حمار، فكم من الجيف يجتمع عليها في كل ليل ونهار. وقال صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة : (**ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله فيه إلا كان عليهم ترة –يعني: نقص وحسرة–، وما من رجل مشى طريقاً فلم يذكر الله عز وجل إلا كان عليه ترة، وما من رجل أوى إلى فراشة فلم يذكر الله إلا كان عليه ترة**)، (**رواه أحمد ٩٥٨٠**).أيتها المؤمنة! قولي لي بالله العظيم: كم مجلس جلسناه نذكر فيه نعم الله علينا؟ والله يقول لنا: **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ [الضحى:١١]**.وكم من طريق مشيناه ونحن نتفكر فيه بآيات الله؟ والله سبحانه يقول: **قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ [يونس:١٠١]**؟وكم ليلة بتناها ونحن نحاسب أنفسنا؟ والله يقول: **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ [آل عمران:١٩١]**. قال بعض السلف: لقد عاشرنا أقواماً كانوا أشح بوقتهم منكم على دراهمكم.فلست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد عجباً لفتية وفتيات يتسكعون في الأسواق والمنتديات، ويقضون ساعات وساعات بين نظرات ومساومات، الكل لا يعرف ماذا يريد، ويظنون أن الحياة مظاهر ومغريات، قال صلى الله عليه وسلم: (**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ**)، (**البخاري٦٤١٢**) وقال صلى الله عليه وسلم: (**اغتنم خمساً قبل خمس: اغتنم شبابك قبل هرمك، وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك**)(**الحاكم ٧٨٤٦**)، فالعمر فرصة لا تعوض، فإن كل يوم تشرق فيه الشمس ينادي ويقول:يا ابن آدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد، فاغتنمني، فإني إذا ذهبت لا أرجع أبداً. والأحوال العجيبة كثيرة، فأين نعمة العقل التي يعرف بها الإنسان ما يضره وما ينفعه؟! أخية! عجباً لشابات يضيعن الساعات في مكالمات هاتفية محرمة نهايتها إلى الرذيلة

والخسارة والهوان! وإذا فقدت الفتاة حياءها وشرفها فبطن الأرض خير لها من ظهرها، فكم نسمع عن قصص وحكايات، ومآس متكررات، وكم نقرأ استغاثات ومناشدات من هؤلاء الضائعين والضائعات، وكم نرى مثل هؤلاء الحائرين والحائرات في الأسواق والتجمعات، **نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ [الحشر:١٩]**، وكم نقرأ في الصحف والمجلات عن مهاترات ومناقشات بين شبان وشابات يتكلمون عن الكرة وأخبارها، وعن المغنين والمغنيات، ويتكلمون عن آخر الموضات والصيحات، فقل لي بربك: كيف تحيا وتنهض أمة هذا حال فتيانها وفتياتها؟! أخية! هل سمعت عن تلك الفئة التي تجلس الساعات والساعات تتصفح الجرائد والمجلات، وتتابع أخبار النجوم كما يقولون ويدعون كذباً، وهم الله ليسوا بنجوم، وإنما النجوم تلك التي يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وأما أولئك فهم عاهرون وعاهرات، وغافلون وغافلات، وفاجرون وفاجرات، فكيف يكونون قدوة للأولاد والبنات؟! بل كيف ترضين أن تكوني لأخبارهم من المتابعات؟! فإلى الله نشكو حال شبابنا وفتياتنا، بل حتى حال كثير من عجائزنا وشيبنا، قال عز وجل: **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ [الرعد:١١]. وقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: هيا بنا نزور أم أيمن كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها في حياته، فلما جاءها بكت، فقالا لها: يا أم أيمن ! أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسوله؟ قالت: بلى أعلم أن ما عند الله خير لرسوله، ولكني أبكي لانقطاع الوحي من السماء)(مسلم ٢٤٥٤)**. ونحن نقول يا أم أيمن :

قد بكيت وإننا نلـــــهو ونمجن دون معـرفة الأدب
لم تبصري وضــــــع الحـديث ولا الكذب
لم تشهدي بعض المــــــعازف والـطرب
لم تشهدي شـرب الــــخمور ولا الزنـا ولا اللعب
لم تلحـــظي ما قـد أتـانا مـــــن عضـب
لم تشهدي فرق الضلالة والهوى لولا مماتك لرأيت من العـجب
لم تشهدي فعل العدو وصحبهم ها نحن نجثو من يهود على الركب
واحر قلبي من تمزُّق أمتي أضحت أمورك أمتي مثل اللعــب
الله ما عرف البكاء سراتنا ومع التباكي لا وشائج أو نســب

إن الوقت أخية هو الحياة وهو رأس المال، فإياك ثم إياك أن منه دقيقة واحدة في غير طاعة.أخية! لو رأيت إنساناً يحرق كل يوم مبلغاً زهيداً من المال فستقول عنه: إنه مجنون وسفيه، ولا بد أن يحجر عليه، لكن والله الذي لا إله إلا هو! إن الذي تضيع جزءاً من عمرها فيما لا ينفع هو أعظم سفهاً ممن يحرق المال؛ لأن المال يمكن أن يعوض، ولكن العمر إذا ذهب لا يعوض أبداً، وصدق الشاعر حين قال: دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثواني أخية! إن المؤمن الصادق تعلم أنها في صراع دائم مع الوقت، وأن

الساعة التي تمر عليها ولا تغتنم بفعل الطاعات، فإنها مغبونة عليها، **قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي(قيمة الزمن عند العلماء)**.وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات، **فنقل عن عمرو بن قيس أن رجلاً قال له: كلمني، فقال له: أمسك الشمس(قيمة الزمن عند العلماء١١\٦)**.ومعنى كلامه: أن عقارب الساعة تسير إلى الأمام دائماً وأبداً، وأنها لا تقف ولا ترجع أبداً إلى الوراء، فينبغي للمسلم أن تعرف شرف زمانها وقيمة وقتها، فلا تضيع منه لحظة في غير قربة إلى الله، وتحرص على تقديم الأفضل فالأفضل من القول والعمل.**قال ثابت البناني : ذهبت ألقن أبي ساعة الاحتضار، فقال: يا بني! دعني فإني في وِردي السادس (حلية الاولياء٢\٣٢٢)**.فانظر كيف كانوا في آخر اللحظات يحرصون على استغلال الأوقات بالطاعات.ودخل ناس على أحد السلف عند موته وهو يصلي فقال: دعوني فالآن تطوى صحيفتي. قال سبحانه مبيناً حقيقة الحياة ومبيناً أيضاً طريق النجاة: **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ [الحديد:٢٠]**، فالخالق أخية يبين أن الحياة لا تعدو عن كونها خمسة أشياء:لعب، ولهو، وزينة، وتفاخر، وتكاثر، من انشغلت بهذه الأشياء عن طاعة ربها كان له في يوم القيامة عذاب شديد، ومن سددت وقاربت كان لها يوم القيامة مغفرة من الله ورضوان.أقول: الذي بين الحقيقة لهذه الحياة هو أيضاً بين طريق النجاة، فقال سبحانه في الآية التي تليها: **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الحديد:٢١]**، اللهم لا تحرمنا فضلك، فلما كانت الحياة سباقاً وجهاداً وتعباً ونصباً، فهم الأولون هذا المعنى، وساروا إلى الهدف. **قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق، ووافق ذلك مني مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أبقيت لأهلك؟ فقلت: مثله، وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ماله، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر ! ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت–يعني عمر –: لا أسبقه إلى شيء أبداً**).(**ابي داود ١٦٨٧**)إنه الصديق وما أدراك ما الصديق ، لما حانت الوفاة أوصى عمر وصية، فقال: (**يا عمر ! إن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وإن لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل)(مصتف ابن ابي شيبة ٣٤٤٣٣**).ما أعظمها من وصية لو فهمناها يا أخية. **قال عمر بن ثابت : لما مات علي بن الحسين رحمه الله غسلوه فجعلوا ينظرون إلى آثار سواد في ظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقالوا: كان يحمل أكياس الدقيق ليلاً على ظهره، يعطيه فقراء المدينة (حلية الاولياء ٣\١٣٦**)، وفي رواية: إنه كان يسير بالليل ويقول: إن صدقة السر

تطفئ غضب الرب عز وجل.(حلية الاولياء٣\١٣٥)إنه عمل وصدق وإخلاص.**ولما حانت ساعة وفاة معاذ رضي الله عنه قال:** (**اللهم إنك تعلم أني كنت أخافك وأنا الآن أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا لطول البقاء، ولا لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لقيام الليل وصيام الهواجر ومجالسة العلماء**). (**حلية الاولياء ١\٢٣٩**) أخية! هم يبكون على فعل الطاعات وعلى قيام الليل، وصيام الهواجر، ونحن على ماذا نبكي؟! النفس تبكي على الدنيا وقد علمت أن السلامة فيها ترك ما فيها

لا دار المرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خـــاب بانيها

ما ليل أهل السباق فليل عجيب، قال الله عنهم: **كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ [الذاريات:١٧]**وقال عنهم: **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا [السجدة:١٦]**. قال الفضيل بن عياض رحمه الله: إن لم تستطع قيام الليل وقيام النهار، فاعلم أنك محروم، ثم قال: أدركت أقواماً يستحيون من الله في سواد الليل من طول الهجعة، إنما هو على الجنب، فإذا تحرك قال: ليس هذا لك، قومي أيتها النفس خذي حظك من الآخرة.هكذا كان ليلهم، فكيف هو ليلنا يا أَمَةَ الله؟ أترك الجواب لكِ. **قال محمد بن المنكدر : بت أغمز قدم أمي، وبات عمي يصلي ليلته، فما تسرني ليلته بليلتي(حلية الاولياء ٣\١٥٠). وقال الحسن البصري مؤكداً على هذا الكلام: ما يعدل بر الوالدين شيء من التطوع لا حج ولا جهاد.وكان حبيب بن طلق يقبل رأس أمه، ولا يمشي فوق ظهر بيت وهي تحته؛ إجلالاً وتعظيماً لها**.(**موسوعة الاخلاق والزهد والرقائق ٢\٣٥**) إن التسابق في الخير ليس من نصيب الرجال فقط، فقد ضربت النساء فيه أروع الأمثلة، فهذه عائشة أنفقت ثمانين ألف دينار في يوم واحد في سبيل الله، ولم تبق ديناراً واحداً لإفطارها وكانت صائمة. وذهبت أخت بشر الحافي إلى الإمام أحمد فقالت: يا إمام إني ربما ينطفئ السراج وأنا أغزل على ضوء القمر فهل عليّ عند البيع أن أميز هذا من هذا؟ فقال: إن كان بينهما فرق فميزي للمشتري.فسبحان الله! تخاف أن تغش وتأكل الحرام، فأين النساء اللاتي لا يبالين في أين يأكلن أمن حلال أم من حرام.وهذه زوجة الحطاب كانت تقول لزوجها كل يوم عندما يريد الخروج: اتق الله فينا وفي الكسب الحلال، فإننا نصبر على الجوع ولكننا لا نقوى على النار.وأما سباق الأمهات ففيه العجب العجاب، فاسمعي يا أم المستقبل! قال أبو بكر القرشي : حدثنا الحارث بن محمد التميمي قال: حدثنا علي بن محمد القرشي عن جويرية بن أسماء أن إخوة ثلاثة من بني قطيعة شهدوا يوم تستر فاستشهدوا، فخرجت أمهم يوماً إلى السوق لبعض شأنها، فتلقاها رجل قد حضر أمر تستر فعرفته فسألته عن بنيها ، فقال: لقد استشهدوا، فقالت مستفسرة: أمقبلين أم مدبرين؟ فقال لها: مقبلين، فقالت: الحمد لله نالوا الفوز، وحاطوا الذمار، اللهم تقبلهم مني واجعلهم شفعاء لي عندك يوم القيامة.هل رأيت

وسمعت يا أم المستقبل كيف يدفعن بأبنائهن إلى أرض الجهاد والقتال، ونحن لا ندفعهم إلى المساجد والصلوات، فهذا هو الفرق بيننا وبينهم.واسمعي أخية! عن هذه المتسابقة الصغيرة، فقد ذهبت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنها وهي ابنة خمس سنين في حاجة عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان ثوبها يجر وراءها شبراً أو يزيد، فأراد عمر رضي الله عنه أن يمازحها، فرفع ثوبها حتى بدت قدماها، فقالت له: أما إنك لو لم تكن أمير المؤمنين لضربت وجهك.تتكلم بهذا وهي بنت الخامسة فالله أكبر، ولله درها، رحمك الله يا أم كلثوم ! أين أنت من بنات ونساء المسلمين اليوم؟! وكيف لو رأيت كاشفات الوجوه؟! وكيف لو رأيت من يظهرن السيقان؟! وكيف لو رأيت المتعطرات والمتبرجات؟! كيف لو رأيت الخرّاجات والولاجات؟! وكيف لو سمعت عن أخبار البنين والبنات؟! وكيف لو سمعت عن الاختلاط واللقاءات؟! وكيف لو سمعت عن أحاديث الطرق والمباريات حتى ممن تعدّ من الصالحات؟! قال أبو عياش : كانت امرأة بالبصرة متعبدة يقال لها منيبة ، وكان لها ابنة أشد عبادة منها، فكان الحسن ربما سمع وتعجب من عبادتها على صغر سنها، فبينا الحسن ذات يوم جالس إذ أتاه آت فقال: أما علمت أن الجارية قد نزل بها الموت، فوثب الحسن فدخل عليها، فلما نظرت الجارية إليه بكت، فقال لها: ما يبكيك يا صغيرتي؟ قالت له: يا أبا سعيد ! التراب يحثى على شبابي ولم أشبع من طاعة ربي، يا أبا سعيد ! انظر إلى والدتي وهي تقول لوالدي: احفر لابنتي قبراً واسعاً، وكفنها بكفن حسن، والله يا أبا سعيد ! لو كنت أجهز إلى مكة لطال بكائي، فكيف وأنا أجهز إلى ظلمة القبور ووحشتها، وبيت الظلمة والدود.

فارقت موضع مرقدي يوماً ففارقني السكون القبر أول ليلة بالله قل لي ما يكون

حتى نعلم أخية قيمة الوقت فلا بد أن نعرف بعضاً من خصائص الوقت، فمن خصائص الوقت أنه سريع الانقضاء، فما إن يبدأ اليوم حتى نجد أنفسنا في نهايته، فاسألي نفسك يا ابنة العشرين والثلاثين، واسأل نفسك يا ابن الأربعين والستين: كيف مرت هذه السنون، وكيف انطوت هذه الليالي والأيام.فقد سئل نبي الله نوح عليه السلام –وقد عاش أكثر من ألف سنة– كيف مر بك العمر؟ فقال: كأني دخلت من باب وخرجت من الباب الآخر.ومن خصائص الوقت: أنه أغلى من الذهب والفضة؛ وذلك لأن الذهب والفضة يعوضان، ولكن العمر لا يعوض أبداً.ومن خصائص الوقت أيضاً: أنه إذا ذهب فإنه لا يعود أبداً، فهل تستطيعين إرجاع ساعة من العمر الذي مضى، أو دقيقة، أو ثانية؟ الجواب: لا أحد يستطيع ذلك.وانظري أخية إلى عقارب الساعة، هل تسير إلى الخلف أم إلى الأمام؟ وهل تستطيعين أن توقفي الشمس عن الشروق، أو توقفيها عن الغروب؟ **فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والجاهل من اتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.** (**الترمذي ضعيف ٢٤٥٩**) **لقي الفضيل بن عياض رجلاً فقال له الفضيل: أيها الرجل كم عمرك؟قال الرجل: ستون سنة.قال الفضيل: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى الله يوشك أن تلقاه.قال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون.قال الفضيل: هل تعلم معنى تلك الكلمة.قال الرجل: نعم أعلم أني لله عبد وأني إليه راجع.قال الفضيل: يا هذا من علم أنه لله**

عبد، وأنه إليه راجع فليعلم أنه بين يديه موقوف، ومن علم أنه بين يديه موقوف فليعلم أنه بين يديه مسئول، ومن علم أنه بين يديه مسئول فليعد للسؤال جوابًا.قال الرجل: فما الحيلة يرحمك الله؟قال الفضيل: أن تتقي الله فيما بقي يغفر الله لك ما قد مضى وما قد بقي (.موسوعة الاخلاق الزهد والرقائق ١\١٥) ما أجمل كلام الله إذا تدبرته القلوب.نختم بهذه الآيات الكريمات التي ذكر الله فيها الحكمة من تعاقب الليل والنهار، ثم ذكر سبحانه صفات عباد الرحمن من الذكور والإناث، قال تعالى: **تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا * وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا [الفرقان: ٦١-٧٧]**.اللهم أحينا مسلمين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.اللهم اجعل خير عمرنا آخره، وخير عملنا خواتيمه، وخير أيامنا يوم نلقاك.اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات.اللهم احفظ نساءنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.اللهم خص منهن الحاضرات، واجعلهن تقيات نقيات، اللهم اشرح صدورهن، ويسر أمورهن، واغفر ذنبهن، واستر عيبهن، وأصلح شأنهن يا أرحم الراحمين!اللهم من أرادنا وديننا ونساءنا بسوء فاجعل تدبيره في تدميره، وكيده في نحره، وأشغله في نفسه يا قوي يا عزيز!اللهم أصلح ولاة أمورنا وولاة أمور المسلمين، واجمع شمل المسلمين، ووحد صفهم، وأعلِ شأنهم، وأصلح ذات بينهم، واهدهم سبل السلام، وانصرنا يا قوي يا عزيز! على القوم الكافرين.أستغفر الله العظيم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

استجيبوا لربكم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**.**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.معاشر المسلمين! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله وبياكم، وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته، وأن يجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين، وأسأله سبحانه أن يحفظني وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن. عنوان هذا اللقاء المبارك في هذه الليلة المباركة: استجيبوا لربكم. وقد جاءت هذه الكلمات من رب الأرض والسماوات في سياق سورة الشورى، بل في آخر صفحة من صفحاتها، وهذه السورة مكية، ففيها وعد ووعيد، وفيها إنذار من رب العالمين، وفيها أوامر ونواهي، وقد توعد الله الذين خالفوا ولم يستجيبوا بعذاب أليم، ووعد الله أولئك الذين استجابوا لله والرسول بمغفرة ورضوان من رب العالمين.وحتى يكون لهذه الآية وقع في نفوسنا، وأثر على قلوبنا فتعالوا نسترجع الآيات التي قبلها، ثم ننظر لماذا قال الله جل وعلا: **اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ [الشورى:٤٧]**؟!قال سبحانه: **وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ *وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ [الشورى:٤٤-٤٦]**.ثم قال جل في علاه بعد هذه الموعظة القرآنية: **اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ * فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ [الشورى:٤٧-٤٨]**، فيقرر الرب تبارك وتعالى مخبراً عن نفسه في هذه الآية الكريمة: أن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا راد لفضله، ولا معقب لحكمه، وأن من هداه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.ثم أخبر عن الظالمين من كفرة وعصاة ومجرمين أنهم لما رأوا النار وعاينوها حقيقة تمنوا الرجعة إلى الدنيا فقالوا: **هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ**

[الشورى:٤٤] وهذا كما قال الله: **وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ * وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ * قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** **[الأنعام:٢٧-٣٣]**. إن أعظم المواعظ هي مواعظ القرآن، وأبلغ المواعظ هي مواعظ الرحمن جل في علاه الذي قال: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ [يونس:٥٧-٥٨]**.وتأمل في قولهم لما عاينوا العذاب: هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ، فإنهم يتمنون ولكن قد انتهى وقت الأمنيات، ثم قال الله: وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا أي: على النار والأهوال، خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ أي: لحقهم الذل والعار في ذلك اليوم؛ بسبب عصيانهم وتمردهم، وعدم استجابتهم لأوامر رب العالمين، يَنْظُرُونَ أي: إلى النار، مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ **قال مجاهد : يعني: طرف ذليل حقير منكسر يسارقون النظر خوفاً من الوقوع بها، وهذا الذي يحذرون منه واقع بهم لا محالة.** (**مختصر تفسير بن كثير**)**ثم قال سبحانه: وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ [الشورى:٤٥]**، يظهر في ذلك اليوم مقدار الربح والخسارة، والخسارة الحقيقية في ذلك اليوم العظيم أن تخسر نفسك وأهلك، وأن تخسر أحبابك وأقاربك في ذلك اليوم العظيم، يوم يفرّق بينهم إما إلى جنات وإما إلى دركات العذاب المقيم حيث يخسرون لذاتهم وشهواتهم ويخسروا أنفسهم؛ لأنهم لم يستجيبوا لرب العالمين، **أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ** أي: دائم أبديٌ سرمديٌ، لا خروج لهم منه ولا محيص، وليس هناك من ينصرهم في ذلك الموقف، أو يكون لهم شفيعاً أو نصيراً، كما قال الله: **وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ [الشورى:٤٦]** فأين أصحابهم وشياطينهم لينصروهم أو يعينوهم أو يخففوا عنهم؟ فليس لهم نجاة ولا خلاص من ذلك اليوم العظيم.وبعد أن ذكر الله تلك الأهوال والأمور العظام حذر منها وأمر بالاستعداد قبل فوات الأوان، فقال: اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ أي: لا دافع ولا مانع له، فهو يأتي كلمح البصر، كما قال جل في علاه: **وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ [القمر:٥٠]**.فالأشقياء يومئذ يقولون: **أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلَّا لا وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ [القيامة:١٠-١٣]، مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [النحل:١١٨]**. فاستجيبوا لربكم بتوحيده وعدم الإشراك به، استجيبوا

لربكم بفعل أوامره وترك نواهيه، واستجيبوا لربكم بحب أوليائه ومعاداة أعدائه، واستجيبوا لربكم بحب رسوله وطاعة أوامره وترك نواهيه، واستجيبوا لربكم بالمحافظة على الصلوات، والمداومة على الطاعات، واستجيبوا لربكم بترك النواهي واجتناب المحرمات، فإن لم تستجيبوا: **مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ** أي: ليس لكم حصون تتحصنون بها، ولا مكان يستركم، فالله محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته: **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا [مريم:٩٣-٩٥]**.فالمقصود: استيجبوا لربكم قبل أن يأتي ذلك اليوم العظيم، وعليك يا محمد! -صلوات ربي وسلامه عليه- أن تحذر الناس وتبلغهم هذا الأمر العظيم، وتذكر لهم يوم القيامة وما فيه من الشدائد والأهوال، فإن أعرضوا فإنما عليك البلاغ، وهذا هو المطلوب من الرسل ومن أتباع الرسل ومن الدعاة المخلصين، قال الله عن رسوله: **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ [الغاشية:٢١-٢٤]، ثم قال له: لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ [البقرة:٢٧٢]**.ثم بين الله حال الإنسان عند النعم والرخاء والفرح، وحاله عند النقم والبلاء والشدة، فهناك أناس لا يعرفون الله إلا في الشدة، وأما في الرخاء فهم في لهو ولعب وضياع، كما قال الله: **وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا * قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا [الإسراء:٨٣-٨٤].قال الله تعالى:** (**اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ [الأنفال:٢٤]، قال ابن القيم رحمه الله: ففي الاستجابة لله وللرسول حياة** (**الفوائد ١\١٢٧**)، وعلى قدر الاستجابة تكون هذه الحياة، فبعض الناس قد يأخذ بشيء ويترك شيئاً، فحياته على مقدار الشيء الذي يأخذه، وفيه من الموت بمقدار ما ترك من أوامر الله والتجرؤ على نواهيه، قال تعالى: **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ [الأنعام:١٢٢]** أي: بنور الله تبارك وتعالى، وبوحي السماء الذي أنزله على أمين الوحي في الأرض، قال الله: **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ [الشورى:٥٢-٥٣]**.فالمطلوب مني ومنك بعد سماع المواعظ القرآنية: الاستجابة لله وللرسول، كما قال الله: (**اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ [الأنفال:٢٤]**.والمطلوب كما قال الله تعالى: **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ * مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ [الروم:٤٣-٤٥]**.والمطلوب كما قال الله: **يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ [الأحقاف:٣١-٣٢]**.فها نحن ندعى

إلى الاستجابة لأوامر الله قبل أن يحل ذلك اليوم العظيم، ولما دعي أولئك القوم وأمروا بالاستجابة أجابوا **وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [البقرة:٢٨٥].عن أنس قال: كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة وكان شرابهم إلا الفضيخ: البسر والتمر، فإذا منادٍ ينادي فقال أبو طلحة لأنس: اخرج وانظر ما شأن هذا الذي ينادي، فإذا منادٍ ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، قال أبو طلحة : اخرج فأهرقها، قال: فأهرقتها حتى جرت بها سكك المدينة(مسلم ١٩٨٠)**، فلما قرأت عليهم الآيات: **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ [المائدة:٩٠-٩١]**، فكانت إجابتهم أن قالوا وقد ذعنوا لله رب العالمين: انتهينا ربنا! انتهينا ربنا، **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا [النور:٥١]**.وليس للعبد ولا للأمة خيار غير الاستجابة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم.جاء (**عند مسلم ١٢٥**)(**أنه لما تنزل قوله تبارك وتعالى في أواخر سورة البقرة: لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة:٢٨٤] جاء الصحابة، وجثوا على ركبهم عند النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله! أمرنا بما نستطيع ففعلنا: أمرنا بالصلاة فصلينا، وأمرنا بالصيام فصمنا، وأمرنا بالجهاد والقتال في سبيل الله فجاهدنا، وأمرنا بالنفقة والبذل والعطاء فأعطينا، ولقد تنزلت آية لا طاقة لنا بها، من منا يستطيع ألا يحدث نفسه، أو يستطيع أن يكتم ما في داخله عن حديث نفسه؟ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين لما دعوا إلى الاستجابة لله وللرسول فقالوا: سمعنا وعصينا؟! ولكن قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)، فلما ذلت لها أنفسهم، وقرت بها قلوبهم، تنزل قوله تبارك وتعالى: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [البقرة:٢٨٥].فلما أيقنوا وتيقنوا واستجابوا لأمر ربهم تبارك وتعالى، وذلت بها الأنفس والقلوب، نسخ الله تلك الآية بقوله تبارك وتعالى: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [البقرة:٢٨٦]**، فليس للمؤمن والمؤمنة خيار إلا الاستجابة لأوامر الله وأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم، **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء:٦٥]**. عبد الله! إن لله عبودية في الرخاء، ولله عبودية في الشدة، وينجح الكثير في تحقيق عبودية

الرخاء، بينما يفشل الكثير في تحقيق عبودية الشدة، وهل الحياة إلا امتحان واختبار ليميز الخبيث من الطيب، وهل يظهر الطيب ويظهر الرجال والنساء الصادقون والصادقات إلا في مواقف الشدة والامتحان والاختبار والابتلاء؛ لذلك سنة الله ماضية في امتحان الأولين والآخرين؛ ليعلم الصادق من الكاذب.في مرة من المرات -حتى تعلم أن الأوامر كانت شديدة على أولئك الرجال والنساء فلم يتخلف منهم رجل واحد عن الاستجابة لأوامر الله وأوامر الرسول- ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل من أولئك الرجال الصادقين المستجيبين لأوامر الله وأوامر الرسول قائلاً له: **(اذهب إلى مكة وائتني برأس خالد الهذلي)، وهذا رجل من هذيل يجمع الناس من حوله حتى يقتل النبي صلى الله عليه وسلم، واجتمع من حوله نفر كثير، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بخبره أرسل إليه رجلاً من الرجال الصادقين المستجيبين لأوامر الله وأوامر الرسول، فقال: (يا عبد الله بن أنيس اذهب إلى مكة وائتني برأس خالد الهذلي) فلم يعص هذا الجندي ولم يخالف وإنما قال: سمعاً وطاعة، لكن عندي سؤال، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وما هو؟ قال: يا رسول الله! لا أعرف الرجل، فما رأيته قط، ولا سمعت به قط، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مبيناً له حال ذلك الرجل قال: (علامة الرجل أنك إذا رأيته تهابه) فلم يتردد المستجيب المؤمن الصادق مع صعوبة المهمة والتكليف، إنما قال: سمعاً وطاعة.فانظر كيف أن النبي لم يرسل كتيبة ولا أرسل جيشاً كاملاً، وإنما أرسل رجلاً واحداً؛ لأن الرجل منهم في ذلك الحين كان يعدل ألفاً، لأن الرجل من أولئك الرجال الصادقين كان يعدل ألفاً من الرجال.وخرج عبد الله بن أنيس وحيداً حتى وصل إلى منى حيث أقام خالد الهذلي معسكره، وهناك جاء -والحرب خدعة- وقال له: أنا جئت حتى أنضم إليك وإلى أولئك الذين يريدون أن يقتلوا محمداً صلوات ربي وسلامه عليه، فقربه منهم وأدناه، وبعدها بحين إذا به يسير هو وإياه بعيداً عن الخيام وعن أعين الناس؛ فانتهز الفرصة عبد الله بن أنيس واخترط سيفه فاجتز رقبة الرجل، ورجع يخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن المهمة قد تمت على أكمل وجه.والوحي كان قد سبقه إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبين أن الجندي قد قام بالمهمة على أكمل وجه، فما إن رآه النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال: (أفلح الوجه! خذ عصاتي توكأ عليها أعرفك بها يوم القيامة) وقليل هم المتوكئون! فلما مات عبد الله بن أنيس أمر بتلك العصا أن تدخل معه في كفنه، آية وعلامة على أنه أطاع الله وأطاع الرسول صلى الله عليه وسلم. (المغازي للواقدي ٢\٥٣١)** ومهما كانت الظروف والأحوال فلا بد من الاستجابة لأوامر الله ونواهيه ليس في الرخاء فقط، ولكن في الشدة تظهر معادن الرجال وحقيقة النساء، فالعبودية لا بد أن تحقق لله في الرخاء، ولا بد أن تحقق لله في الشدة. تأملوا معي في بيعة العقبة وكيف تمت تلك البيعة، فقد تمت بنودها وشروطها على أن يكون الثمن الجنة إن استجابوا لله وللرسول، وحققوا بنود **تلك البيعة (احمد ١٤٦١٤).وقد تكلم العباس حين التقى**

مع وفد الأوس والخزرج فقال: يا معشر الأوس والخزرج! إن محمداً في منعة في قومه ولكنه أبى إلا أن يلحق بكم، فإن أردتم وظننتم أنكم ستوفون له ببيعته فأنتم وما أردتم، وإلا فدعوه فإنه في منعة من قومه، (**ابن هشام ١\٤٤١**) فقال أولئك الرجال الصادقون المستجيبون: انتهيت يا عم النبي صلى الله عليه وسلم؟! قال: انتهيت، فقالوا: يا رسول الله،! خذ لنفسك ولربك ما شئت وما أردت، فقرأ عليهم القرآن، ثم قرأ عليهم بنود تلك البيعة.فهذه البيعة نحن في أمس الحاجة اليوم إلى أن نجدد بنودها، ونحن في أمس الحاجة إلى أن نستجيب لبنود تلك البيعة، فوالله إن واقعنا اليوم في أمس الحاجة إلى تجديد تلك البيعة بكل ما فيها على أن نعلم أن الثمن الجنة.بايعوا على النصرة في العسر واليسر، وبايعوا على النفقة في المنشط والمكره، وبايعوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبايعوا على أن يقولوا كلمة الحق لا يخافون في الله لومة لائم، وبايعوا على أن يمنعوا النبي صلى الله عليه وسلم مما يُمنع منهم إزرهم –أي: نساءهم–. فقال أبو الهيثم بن التيهان للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن تلا عليهم بنود البيعة: يا رسول الله! بيننا وبين القوم –يعني: اليهود في المدينة– عهود ومواثيق إن نحن قطعناها من أجل الله ورسوله ثم أظهرك الله أترجع إلى قومك وتتركنا؟ فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: (**بل الدم الدم! والهدم الهدم! أنا منكم وأنتم مني**) (**ابْنُ هِشَامٍ ١\٤٤٢**) قالوا: يا رسول الله! إن نحن وفينا بهذه البيعة، بكل ما فيها فماذا لنا؟ قال: لكم الجنة، قالوا: مد يدك نبايعك، فقام أصغر القوم أسعد بن زرارة يبين للقوم مدى خطورة هذه البيعة التي قد أقدموا عليها، فقال: يا قوم! أتدرون على ماذا تبايعون؟ أنتم تبايعون على عداوة القاصي والداني، وسترميكم العرب من قوس واحدة، وأنتم تبايعون على ضياع الأموال، وهدر الدماء، وانتهاك الأعراض، وعلى ترميل النساء، وتيتيم الأطفال، فهذه هي حقيقة البيعة التي تبايعون عليها، فإن كنتم صادقين فعز الدنيا وعز الآخرة، وإلا فذل الدنيا وخزي الآخرة.قالوا: انتهيت من كلامك يا أسعد ! قال: نعم انتهيت، قالوا: يا رسول الله! مد يمينك نبايعك، فبايعوه على أن يكون لله وللرسول ما وعدوا ويكون لهم الثمن الجنة.ثم انظر وانظري مدى صدق هؤلاء القوم واستجابتهم لأوامر الله وأوامر الرسول، فبعد أن بايعوا وعانقوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله! إنا أهل حرب ورثناها كابراً عن كابر، وإن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لم نؤمر بعد، لكن هذا دليل على صدق استجابتهم وبيعتهم التي صدقها الله تبارك وتعالى حين قال: **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا [الفتح:١٠]**.ثم المواقف تبين مدى صدق هؤلاء الرجال قال تعالى: **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ [الفتح:١٨]** ونظر الله إلى تلك القلوب الصادقة وإلى تلك القلوب المستجيبة رجالاً ونساءً فقال: **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ [البينة:٨]**، فرضي الله عنهم لما استجابوا لأوامره ونواهيه في الشدة والرخاء، وفي السراء والضراء.وكم نحن

بحاجة إلى صادقين مستجيبين! وكم نحن بحاجة إلى صادقات مستجيبات لأوامر الله وأوامر الرسول في زمن تكالب علينا أعداؤنا من كل مكان فنريد أن نحيي تلك البيعة، ونريد أن نحيي ذاك الثمن العظيم، ونريد أن تشتاق الأنفس إلى ما عند الله في جنات النعيم، ثم مرت الأيام والشهور ولحق النبي صلى الله عليه وسلم بأولئك الذين بايعوا إلى المدينة. ثم بدأت المناوشات بين معسكر الكفر وبين معسكر الإيمان، وبدأ الكر والفر يمنة ويسرة، فخرجت قافلة من قريش تريد الشام، فاعترضها النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه ذهاباً، لكنها استطاعت أن تتجاوز ذلك الطريق، لكن تربص لها النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه في طريق العودة، فعلمت قريش بالخبر، فخرجت بجندها وصناديدها وكبرائها وفرسانها بألف رجل مدججين بالسلاح، في حين خرج محمد صلى الله عليه وسلم مع نفر من أصحابه لا يتجاوزون الثلاثمائة من الرجال بلا عدة وبلا عتاد أرادوا العير فإذا بهم يلاقون النفير.فالآن يظهر مدى الاستعداد، وتظهر مدى الاستجابة لله وللرسول، فقد بايعوا في الرخاء على أن يوفوا ويكون الثمن الجنة، والآن أصبح الموقف جللاً، والخطب عظيماً، وتغيرت الأحوال، وتبدلت الظروف، وتآمر المتآمرون، واجتمع الأعداء لاستئصال جذور الإسلام ومحاربة أهله، فماذا هم صانعون في مثل هذا الموقف العظيم؟!قال الله: **كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ * وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ [الأنفال:٥-٨]**.فلما استجابوا واستعانوا بربهم قال: **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ [الأنفال:٩]**، فشاور النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فالأمر شورى بينهم، فليس هو -بأبي وأمي- مستبداً برأيه، ولا طاغوتاً من الطواغيت.قال تعالى: **أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ [الشورى:٣٨]**، فقال: أشيروا علي أيها الناس؟! أشيروا علي أيها الناس؟! فأبدى المهاجرون رأيهم كـ أبي بكر وعمر .. إلى آخر أولئك الرجال.والمهاجرون لم يخرجوا إلا وعندهم الاستعداد للاستجابة في كل زمان، وفي كل مكان، فبدأ النبي صلى الله عليه وسلم يكرر: أشيروا علي أيها الناس؟! لأن ثقل المعركة سيقع على كاهل الأنصار، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يعرف رأي أولئك الرجال الذين بايعوه عند العقبة في تلك الليلة المباركة على النصرة داخل المدينة.فالآن هو خارج المدينة أمام جيش عرمرم، وهو في ظروف لم تكن على البال ولا في الحسبان، فشاورهم النبي صلى الله عليه وسلم، فتكلم المهاجرون وأحسنوا الكلام، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم رأي الأنصار، ثم قال: أشيروا علي أيها الناس؟! **فتكلم سيد الأوس والخزرج سعد بن معاذ الذي اهتز لموته عرش الرحمن، قال: يا رسول الله! كأنك تعنينا؟ - اسمع بارك الله فيك كيف تكون الاستجابة لأوامر الله، وأوامر الرسول في الرخاء وفي الشدة، مهما تبدلت الأحوال ومهما تغيرت الظروف- يا رسول الله! لقد آمنا بك، واتبعناك وصدقناك، فخذ حبل**

من شئت، واقطع حبل من شئت، عاد من شئت وسالم من شئت، خذ من أموالنا ما شئت، واترك ما شئت، ووالله للذي أخذته أحب إلينا مما تركت، والله لو أمرتنا أن نرمي بأنفسنا من أعالي الجبال لرميناها، ما تخلف منا رجل واحد، والله لو خضت البحر لخضناه أمامك ما تخلف منا رجل واحد!ومن تلك الكلمات العظيمة التي قالها المستجيبون لله وللرسول قالوا: (**والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ [المائدة:٢٤]، ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون**)**، فهكذا تكون الاستجابة لله وللرسول في الرخاء والشدة مهما تغيرت الظروف والأحوال.** (**يا رسول الله! إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فتهلل وجهه صلى الله عليه وسلم وقال: إن الله وعدني إحدى الطائفتين**)**،(مرويات الامام الزهري١\٢١١)** (**دلائل النبوة ٣\١١٣**) قال تعالى: **إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ [الأنفال:٤٢]**.ففي المواقف يظهر الرجال، وفي المواقف تظهر النساء الصادقات المستجيبات لأوامر الله وأوامر الرسول، وفي مثل هذه الظروف التي نحياها اليوم نريد أن نرى مواقف الصادقين والصادقات، والمستجيبين والمستجيبات، ففي الرخاء الكل يدعي.. وأما في الشدة:

فكل يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك

فاشتدت الظروف والأحوال على أصحاب محمد صلوات ربي وسلامه عليه ورضي الله عنهم أجمعين، ومع هذا ما تخلف منهم رجل واحد، والأيام تبرهن على صدقهم، وعلى مدى استجابتهم، والأيام والليالي تبين على أنهم استجابوا لأوامر الله وأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم.فانتصروا في بدر، وذاقوا حلاوة الانتصار، فأراد الله أن يربيهم فأذاقهم طعم الهزيمة يوم أحد حتى يعرفوا أسباب تلك الهزيمة، فيتجنبوا تلك الأسباب التي لا بد أن يتذوقوها حتى يعرفوا مرارة الهزيمة وحلاوة الانتصار، فالذي حدث في أحد أنه انقلبت الموازين بعد أن خالفوا أوامر الله وأوامر الرسول، فلعدم استجابة واحدة لأوامر الله وأوامر الرسول انقلب الحال حتى كاد يقتل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم العظيم.وتخيلوا عدم استجابة واحدة قلبت الموازين رأساً على عقب! فكم هي أعداد عدم الاستجابات اليوم؟! أما تداعى القوم علينا كما تتداعى الأكلة على القصعة من كل مكان ومن كل حدب وصوب؟فقد أصبحنا اليوم عالماً مستضعفاً مستذلاً من جميع الأطراف ومن كل النواحي، ولو كان عندنا استجابة كما كانت عند أولئك الرجال والنساء لما تجرأ علينا أولئك القوم.لكن لا بد أن ننصف ونقول: لا زال هناك مستجيبون ومستجيبات، فلا بد أن ننصف ونقول: إنه لا زال هناك مستجيبون ومستجيبات لأوامر الله وأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم.وتخيل معي في يوم أحد ذلك اليوم العظيم قتل أكثر من سبعين من كبار الصحابة، بل قتل أسد الله حمزة رضي

الله عنه وأرضاه، وقتل سعد بن الربيع وأنس بن النضر، وقتل أولئك الرجال الأفذاذ، ورجعوا محملين بالهموم، نبيهم شج رأسه، وكسرت رباعيته، رجعوا وبهم غم لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، لكن الله قال: **وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ [آل عمران:١٦٦-١٦٧]**.فالشاهد: أنهم رجعوا من المعركة في يوم السبت في النصف من شوال في السنة الثالثة من الهجرة بكل ما تحملوه من الهموم والغموم، وبما تحملوه من المصائب والآلام، فتخيلوا جروحاً تنزف، وأشلاءً تقطعت، وهذا فقد حبيباً! وهذا فقد قريباً! ثم الله يطالبهم في اليوم الثاني بالاستعداد للخروج مرة ثانية، فقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم أن أبا سفيان تراجع في كلامه وقال: على ما فعلنا بهم لكننا لم نخرج ولم نحقق ما خرجنا من أجله، فراودته نفسه بالرجوع لمهاجمة المدينة مرة ثانية. فأذن مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم بالاستعداد للخروج مرة ثانية، فالمعركة في يوم السبت وفي نهار الأحد أمروا بالاستعداد والخروج مرة ثانية، فكيف تكون استجابتهم مع ما تحملوه من هموم وغموم وجروح وآلام؟!وكانت الاستجابة كاملة في اليوم الثاني، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**لا يخرج معنا إلا من خرج في اليوم الأول**)، (المغازي للواقدي ١\٣٣٦) فتحامل الرجال على أنفسهم وخرجوا استجابة لأوامر الله وأوامر الرسول، فسطر الله تلك الاستجابة في آيات عظيمة تقرأ حتى يرث الله الأرض ومن عليها: **الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران:١٧٢-١٧٥]**.فانظر إلى صدق الاستجابة لأوامر الله وأوامر الرسول، فمن استجاب فإنما يستجيب لنفسه، ومن نكص على عقبيه فإنما ينكص على نفسه، **وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا [الكهف:١٧]**.ومن استجاب لأوامر الله وأوامر الرسول فهو المستفيد الأول من هذه الاستجابة، يستفيد منها في الدنيا، ويستفيد منها في الآخرة، فأما في دنياه فقال تعالى: **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً [النحل:٩٧]**.وأما في الآخرة فقال تعالى: **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ [يونس:٢٦]** قالوا: الحسنى: **الجنة**، والزيادة: **هي النظر إلى وجه الرحمن الرحيم**، (**الجامع لاحكام القران ٨\٣٣٠**) وأما من أعرضوا، وأما من غيروا، وأما من بدلوا فلا يلومون إلا أنفسهم، ولن يضروا الله لا من قريب ولا من بعيد، يقول الله في الحديث القدسي: (**يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على**

أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي! إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني)(مسلم ٢٥٧٧) مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا [الإسراء:١٥].فالمطلوب: استجيبوا لله وللرسول، والمطلوب: **يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ [الأحقاف:٣١]**.فاستجيبوا أحبتي! لأوامر الله وأوامر الرسول، وعلى قدر الاستجابة الحقيقية تكون الحياة الحقيقية، وعلى قدر الإقبال على الله يكون مقدار إقبال الله على هذا العبد، **(من أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً) (مسلم ٢٦٨٧)** حتى يصل المستجيبون إلى درجة عالية، **(ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)**.(**البخاري ٦٥٠٢)** فيصبح الله له كل شيء، يصبح له السمع الذي يسمع به، والبصر الذي يبصر به كما جاء في الحديث. فأسال الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلني وإياكم من المستجيبين لأوامر الله وأوامر الرسول، وأسأله سبحانه أن يجعلني وإياكم من الصادقين المستغفرين الرجاعين المنيبين إلى رب السماوات والأرضين.وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلني وإياكم هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا! من الراشدين، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، وول علينا خيارنا، واكفنا شرارنا، وانصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك، وانصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، وقوِّ عزائمهم، واربط على قلوبهم، وثبت أقدامهم، وفك أسرانا وأسراهم يا رب الأنام! واكبت عدوك وعدونا من يهود ونصارى وحاقدين ومنافقين، إنهم لا يعجزونك ولا يخفون عليك، يا عليم يا خبير يا قوي يا عزيز! ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.أستغفر الله العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

أصحاب الجنة والنار

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وخيرته من خلقه أجمعين، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من استن بسنته، واهتدى بهديه إلى يوم الدين.أيها الناس! يا من تطهرتم وتوضأتم وأتيتم إلى بيت الله ترجون رحمته، وتخشون عذابه، أقول لكم: السلام عليكم ورحمة الله، وطبتم وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وأسأله سبحانه أن يجمعني وإياكم في دار كرامته إخواناً على سرر متقابلين:

يا من يرى ما في الضمير ويسمعُ أنت المعد لكل ما يتوقعُ

يا من يرجَّى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمفزعُ!

يا من خزائن رزقه في قول كُنْ! والخير كله عندك أجمعُ

مالي سوى فقري إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقري أدفعُ

مالي سوى قرعي لبابك حيلة فلئن رُددتُ فأي باب أقرعُ

ومن الذي أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يُمنعُ

حاشا لفضلك أن تقنط عاصياً فالفضل أجزل والمواهب أوسعُ

لقد أُرسل إلينا خير الرسل، فشرع لنا أحسن الشرائع، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس، ووعد من أطاعه بالنور التام يوم القيامة، وتوعد من عصاه بالعذاب والجحيم.أيها الناس! نجد في كتاب الله بل في كل صفحة من صفحات الكتاب الكريم نجد مشهداً وصورة من صور ذلك اليوم العظيم، إنه اليوم الذي لا يوم بعده، إنه اليوم العظيم كما سماه رب العزة والجلال، وأمرنا سبحانه بالإيمان به، فإن الإيمان بما في ذلك اليوم من العذاب والنعيم هو الدافع إلى سلوك الطريق المستقيم، والضابط لسلوك الناس، فمن علم أنه لله عبد، وأنه بين يديه موقوف، وعلم أنه في ذلك الموقف مسئول، فماذا أعد للسؤال؟ وكيف يبدأ ذلك اليوم وكيف ينتهي؟ وما هو مصير الناس في ذلك اليوم، يقول تعالى: **يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ [المعارج:٤٣-٤٤]**، وقال: **وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ [الروم:٦-٧]** وقال تعالى: **ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ [هود:١٠٤-١٠٥]**.وفي ذلك اليوم ينقسم العباد إلى قسمين لا ثالث لهما **فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ [الشورى:٧]**، **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ [آل عمران:١٠٦]**.فإلى أين يكون المصير؟ وكم ذكر لنا رب العزة والجلال تلك المشاهد الرهيبة، وتلك المواقف العظيمة اسمع يا رعاك الله! وافتح قلبك قبل أن تفتح أذنيك لقول الله عز وجل: **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ**

فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ * وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ * قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ * يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ * وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ [ق:١٩-٣٥]، فهذا تهديد ووعيد، وأمل لمن أطاع وأناب، **أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ [ق:٣٧]**. فالمصير إما إلى جنة وإما إلى نار، فالدنيا مهما عظمت فهي حقيرة، ومهما طالت فهي قصيرة.

يا عجباً للناس لو فكروا وحاسبوا أنفسهم أبصروا

وعبروا الدنيا إلى غيرها واتخذوا الدنيا لهم معبروا

لا فخر إلا فخر أهل التقى غداً إذا ضمهم المحشروا

ليعلمن الناس أن التقى والبر كانا خير ما يدخروا

فالعمر فرصة، ولك أن تختار المصير، **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا [الإنسان:٣]**، فإما أن تختار مصير الشاكرين فإلى جنات النعيم، وإما مصير الكافرين فإلى جهنم والعذاب المقيم.وقد صور لنا الله تبارك وتعالى صوراً من النار وصوراً من الجنة؛ حتى لا تغفل هذه القلوب عن الحقيقة التي لابد منها، فما ذكر الله النار إلا وأتبعها بصور من الجنة، وما ذكر الجنة إلا وأتبعها بصور من النار، فاسمع ماذا يقول الواحد القهار يوم ينادي عباده الصالحين إلى مرضاته وجنته، ويوم يقاد المجرمين إلى عذاب الله خالدين يقول: **يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ * إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ [الزخرف:٦٨-٨٠]**. إن النار دار الخزي والبوار، ودار العذاب والنكال، فكم حذر المولى منها وأنذر فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى * لا يَصْلاهَا إِلَّا الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى [الليل:١٥-١٦].وأبوابها سبعة كما قال ربها: **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ [الحجر:٤٣-٤٤]**، قال تعالى عن خزنتها: **عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ [المدثر:٢٦-٢٨]**، وقال: **وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ**

لِلْكَافِرِينَ [البقرة:٢٤].فقعرها بعيد، وحرها شديد، مقامعها من حديد، وطعام أهلها من النار، ولباسهم من النار، وفرشهم من النار، ومساكنهم من النار، وشرابهم من النار، فقد أطبقت عليهم النار من فوقهم ومن تحت أرجلهم.ويستغيثون فلا يستجاب لهم، ويصيحون فلا يسمع صياحهم: **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ [المؤمنون:١٠٧]**، فيأتيهم الرد بعد آلاف من السنين: **قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ [المؤمنون:١٠٨]**، ويكون هذا آخر عهدهم بصوت الرحمن تبارك وتعالى.**وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ [فاطر:٣٧]**.وتغطي على أهل جهنم غيوم وسحب سود فيقال لهم: يا أهل النار! ماذا تتمنون؟ فيتذكرون الماء والمطر والشراب، فيقولون: ربنا أمطر علينا ماء وشراباً، فتمطر عليهم سلاسلاً تزيد في سلاسلهم، وأغلالاً تزيد في أغلالهم، ولهيباً يزيد في احتراقهم، فبئس من كانت هذه الدار داره، **وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ [الأعراف:٥٠]**.**وطعامهم من ضريع لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ [الغاشية:٧]** .. **إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا [المزمل:١٢-١٣]**، فيغصون بطعامهم فلا هم يستطيعون إدخاله، ولا هم يستطيعون إخراجه، وطعامهم من شجرة الزقوم وما أدراك ما الزقوم! قال تعالى: **إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ [الدخان:٤٣-٥٠]**.يقول صلى الله عليه وسلم مبيناً بشاعة شجرة الزقوم: (**لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الأرض لغيرت على أهل الأرض معايشهم**)(**بن ماجة ٤٣٢٥حكم الالباني ضعيف**) ، فكيف بمن تكون طعامه؟!وفي النار تضخم الصور وتضخم الأشكال، حتى **أن مجلس الكافر في جهنم مسيرة ثلاثة أيام، وغلظ جلد الكافر أربعين ذراعاً**،(**الكبير ٤ ٦٦**) وكلما نضجت هذه الجلود بُدِّلوا غيرها؛ ليذوقوا العذاب الشديد، فيرسل عليهم البكاء فيبكون ويستجيرون حتى تنقطع الدموع، فيبكون دماً حتى تخط في وجوههم مثل الأخاديد، ولو سيرت بها السفن لجرت، إنه العذاب الأليم الشديد.فكم أنذر رب العزة وحذر: **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ [مريم:٣٩-٤٠]** .**فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ [الحج:٢٠-٢١]**، إنه الويل والثبور، إنه الحساب الذي لا حساب بعده، والوعيد الذي لا وعيد بعده.إخواني! أما تحذرون من نار جهنم وما فيها من العذاب والنكال؟!

واعجباً لمن يقرع سمعه ذكر الســـعير

وهو بالله من عذابها غير مستـــجير

أفيك جَلَد على الصديد والجحيم والزمهرير

أم بك جلد على نار وقودها الناس والحجارة

أم قد رضيت لنفسك هذه الخســـــارة

الحقيقة: أن العذاب لا يوصف، بل هو أعظم مما تتصور. في المقابل حتى يرغب الله عباده وتشتاق قلوبهم إلى جنات الله، وإلى النعيم الدائم المقيم، صور الله الجنة وما فيها من النعيم، وما فيها من لطيف الأخبار والإنعام والإحسان الذي ينزله رب العزة والجلال على عباده في دار كرامته.فلها ثمانية أبواب، وليأتين عليها يوم وهي كضيض من الزحام، وما بين المصراعين من مصاريع **الجنة كما بين مكة وهجر(مسلم ١٩٤)**، وأول من يُفتح له حبيبنا صلى الله عليه وسلم عندما **يقرع فيقال له: لك أمرنا أن نفتح، (مسلم ١٩٧)** فتدخل هذه الأمة لكرامتها على الله تبارك وتعالى.يقول علي رضي الله عنه وأرضاه: [فأول ما يدخل أهل الجنة الجنة إذا بشجرة قد نبع من أصلها عينان كأنهم أمروا أن يشربوا من العين الأولى فيذهب الله ما في بطونهم من أذى وبأس وقذى، ثم يشربون من العين الثانية فتظهر على وجوههم نظرة النعيم، ثم يستقبلهم الولدان المخلدون فيقولون لهم: أبشروا بما يسركم،(صفة الجنة ابن نعيم ٢٩٥) ويكون هذا عندما يساق الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا [الزمر:٧٣].فيذهب الولدان المخلدون إلى أزواجهم من الحور العين يبشرونهن ويقولون لهن: أتى فلان ويناودنه باسمه الذي كان ينادى به في الدنيا، فتطير الحسناء فرحاً وطرباً؛ لقدوم الحبيب، فتنتظره على عتبة الباب، حتى إذا أقبل ولي الله على قصره إذا هو قائم أساسه على لؤلؤ ينظر إلى أعلاه، فلولا أن الله كتب ألا يذهب بصره لذهب، ألوان صفر، وحمر، وخضر، فيقول: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ [الأعراف:٤٣]، فيطأطئ الرأس فإذا بأزواجه من الحور العين، **وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ [الغاشية:١٤-١٦]، فيجلس على أريكته ما شاء الله أن يمكث فإذا بنور يسطع في الجنة فيظن أهل الجنة أن الله قد تجلى لهم، فإذا الحورية تناديه وتقول: ولي الله! أما لنا فيك نصيب؟ فيقول لها: من أنت يا أمة الله؟ فتقول: أنا من الذين قال الله فيهم: وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ [ق:٣٥]، فينتقل إليها فإذا فيها من الحسن والجمال ما ليس في الأولى فيمكث عندها ما شاء الله له أن يمكث فإذا بنور قد سطع فيظن أن الله قد تجلى لهم، فإذا بحورية تناديه فيقول لها: من أنت يا أمة الله؟ فتقول: أنا من الذين قال الله فيهم: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ (الاوسط ٨٨٧٧)** فينادونه أزواجه إنك لا تُمل ولا تُمل ووالله! ما في الجنة شيء أحسن منك، وما في الجنة شيء أحب إلينا منك. اسمع يا رعاك الله! كيف يصور ابن القيم حسنهن وجمالهن فيقول:

يا خاطب الحور الحسان وطالباً لوصالهن بجنة الحيوانِ

لو كنت تدري من خطبت ومن طلبت بذلت ما تحوي من الأثمانِ

اسرع وحث السير جهدك إنما مسراك هذا ساعة لزمانِ

فاسمع صفات عرائس الجنات ثم اختر لنفسك يا أخا العرفانِ
حمر الخدود ثغورهن لآلئٌ سود العيون فواتر الأجفان
والبرق يبدو حين يبسم ثغرها فيضيء سقف القصر بالجدرانِ
ريانة الأعطاف من ماء الشباب فغصنها بالماء ذو جريانِ
والقدّ منها كالقضيب اللدن في حسن القوام كأوسط القضبانِ
والجيد ذو طول وحسن في بياض واعتدال ليس ذا نكرانِ
والريح مسك والجسوم نواعم واللون كالياقوت والمرجان
وكلامها يسبي العقول بنغمة زادت على الأوتار والعيدانِ
أترى يليق بعاقل بيع الذي يبقى وهذا وصفه بالفان
روضة المحبين (١\٢٥٤)

يقول سفيان : بينما أهل الجنة في الجنة إذ سطع نور فقيل: ما هذا؟ قيل: حورية ضحكت في وجه زوجها،(المجالسة وجواهر العلم ٩٧٠) لنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، لو بصقت في بحر لجي لأصبح عذباً فراتاً، ولو أطلت من السماء لغطى نور وجهها نور الشمس والقمر. بينما أهل الجنة في مجالسهم ونعيمهم في طرب وسرور وحبور، **إذ نادى المنادي عن نعيم أعظم من هذا النعيم، ولذة أعظم من هذه اللذة، إنها رؤية العزيز الحميد، إنها التمتع بالنظر إلى وجه العزيز الكريم، فينادي المنادي: يا أهل الجنة! إن ربكم تعالى يستزيركم فحيا على زيارته، فيقومون إلى الزيارة مسرعين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم، فيستوون على ظهورها مبادرين، حتى إذا جاءوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك، ونصبت لهم منابر من نور، ومنابر من ذهب، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، وجلس أدناهم على كتان المسك –وحاشاهم أن يكون بينهم دنيء– حتى إذا استووا في مجالسهم نادى المنادي: يا أهل الجنة! إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ألم يبيض وجوهنا؟ ويثقل موازيننا؟ ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة؟ (الترمذي ٣١٠٥)** فبينما هم كذلك إذ سطع نور أجرست له الجنة، فإذا الجبار جل جلاله يتجلى لهم ويضحك لهم ويقول: سلام يا أهل الجنة! فلا ترد تلك التحية إلا بقولهم: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام! **فيتجلى لهم ويضحك لهم فيكون أول ما يسمعون منه: أين عبادي الذين كانوا يخشوني بالغيب ولم يروني؟ هذا يوم المزيد فسلوني، فيقولون: ربنا! إنا رضينا فارض عنا، فيقول: لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد فسلوني، فيجتمعون على كلمة واحدة أن ربنا أرنا وجهك ننظر إليك، فيكشف الجبار الحجب فيغشاهم من النور لولا أنه كتب عليهم ألا يحترقوا لاحترقوا، فلا يبقى أحد في ذلك المجلس إلا ويحاضره ربه محاضرة، ويناظره مناظرة فيقول: فلان أتذكر يوم كذا وكذا ويذكره ببعض غدراته في الدنيا؛ فيقول:**

ربي! ألم تغفر لي؟ فيقول: لو لم أغفر لك لما بلغت منزلتك هذه، (**الترمذي حكم الالباني ضعيف ٢٥٤٩**) فيا لذة الأنظار بتلك المناظرة! ويا لذة الأسماع بتلك المحاضرة! يقول تعالى: **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ [عبس:٢٢-٣٩]**

فحيا على جنات عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلّم

كم تُذكر الجنة والنار؟ وكم يحذر الجبار ويرغب؟ فلا عين تدمع، ولا قلب يخشع، ولا أذن تسمع، فما هو الثمن أحبتي؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية إلا إن سلعة الله الجنة**)(**الترمذي ٢٤٥٠**)

.يا سلعة الرحمن لست رخيصة بل أنت غالية على الكسلانِ

فأين الثمن أحبتي؟ فاقرأ في سير القوم وما قدموا، وكم بذلوا وضحوا من أجلها؛ لأنها الأمنية التي عاشوا من أجلها، فيمر عليهم نبي الهدى والرحمة وهم يضطهدون ويعذبون فيقول لهم: (**صبراً آل ياسر! إن موعدكم الجنة**)(**ابن هشام١/٣١٩**)، **وقال:** (**إن لكم أن تحيوا فيها فلا تموتوا أبداً، وأن تصحوا فلا تمرضوا أبداً، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً**).(**مسلم٢٨٣٧**) وأنت الآن في زمن الإمكان والثمن: **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة:١١١]، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ [الصف:١٠-١١]**.**إن أحدهم يطعن برمح في ظهره حتى يخرج من صدره، فيتناثر الدم على وجهه، فيمسح وجهه ويقول: فزت ورب الكعبة!** (**مسلم ٦٧٧**) والآخر يقول: **واهٍ لريح الجنة، إني لأشم ريح الجنة دون أُحد.إنها الجنة وما أدراك ما الجنة،**(**دلائل النبوة ١٠٩٨**) إنه الإيمان والتقوى والإحسان الذي قاد أولئك الرجال إلى نعيم الله والرضوان.وهذا حارثة يصبح فيقول له النبي: (**كيف أصبحت يا حارثة؟! فيقول: أصبحت مؤمناً حقاً، فيقول له صلى الله عليه وسلم: وما حقيقة قولك وإيمانك؟ فيقول: عزفت نفسي عن الدنيا: فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، ولكأني أرى عرش الرحمن بارزاً أمامي، وكأني أرى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أرى أهل النار يتعاوون فيها**)، **فيقتل يوم بدر فتأتي أمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتقول: يا رسول الله! أين حارثة ؟ هل هو في النار فأجتهد وأبكي، أم في الجنة فأفرح له، فقال:** (**يا أم حارثة ! إنها جنان وإن حارثة أصاب الفردوس الأعلى**)(**شعب الايمان ١٠١٠٦**).

فيا بائعاً هذا ببخسٍ معجل كأنك لا تدري بـلى سوف تعــلم

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وحتى قلوب النساء كانت معلقة بالجنة، فنسيبة الأنصارية الداعية المجاهدة يقول عنها النبي صلى الله عليه وسلم: (**يوم أحد –يوم دارت الدوائر– ألتفت يمنة، فإذا بأم عمارة تذود عني، وألتفت يسرة فإذا بأم عمارة تذود عني أقول لها: من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ؟ سليني يا أم عمارة تقول: نسألك رفقتك في الجنة يا رسول الله!**)(**مغازي الواقدي ١\٢٧٠–٢٧٣**) .إنها الجنة يا أحبتي! إنها الجنة التي تقطعت أكباد الصالحين من أجلها، فهذا **سعد بن الربيع يسمع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الموقف وهو يقول**: (**من يرد عنا الرجال وهو رفيقي في الجنة**)؟ فما إن يسمع اسم الجنة حتى يطير قلبه، وتتحرك أحاسيسه إنها الجنة التي بايعنا من أجلها، إنها الجنة التي وعدنا يوم العقبة يوم أن تواعد الرجال مع النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن نحن قدمنا الغالي والنفيس وأظهرك الله ماذا لنا يا رسول الله؟! قال: لكم الجنة، قالوا: مد يمينك نبايعك.لما سمع سعد بن الربيع اسم الجنة رمى كل ما يثقله وانطلق في صفوف الكافرين يهزهم هزاً، فكان أسداً مقبلاً غير مدبر، فلما رأى القوم بسالته وشدته اجتمعوا عليه حتى أردوه قتيلاً، فكان أول ما انتهى **القتال أن سأل النبي صلى الله عليه وسلم: ماذا صنع سعد بن الربيع ؟ من يبحث لنا ويأتي لنا بخبر سعد بن الربيع ، يقول أبو موسى الأشعري : فتحسسته وبحثت عنه بين القتلى فوجدته في آخر رمق من الحياة، فقلت له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤك السلام ويقول: كيف تجدك؟ فتهلل وجهه لما سمع اسم النبي صلى الله عليه وسلم وعلم أن القائد حي يرزق فقال: أقرؤه مني السلام، وقل له: جزاك الله عنا خير ما جُزي نبي عن أمته، وقل له: إني لأجد ريح الجنة، ثم اسمع الوصية فهو لم يوص بمال ولا بعيال وإنما قال**: (**أقرئ قومي الأنصار السلام، وقل لهم: لا عذر لكم أمام الله أن يخلص إلى رسول الله وفيكم عين تطرف**)(**ابن هشام ٤\٤٤**). إنه الثبات في المحيا وعند الممات، فلما رجع أبو موسى وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالخبر تحركت مشاعر القائد صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة وقال: (اللهم! القَ سعد بن الربيع وأنت عنه راضٍ، ثم قال: رحمك الله يا سعد نصحت للإسلام حياً وميتاً)(المغازي للواقدي١\٢٩٣)، إنه الثمن، فالذين اجتهدوا بالطاعات وتقربوا إلى الله بالقربات فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. أما الذين سوفوا وغرتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور فكيف سيكون الحال إذا انقسم الناس إلى قسمين إما إلى جنة وإما إلى نار؟ إن الأمر جد، والخطب جلل، والأمر أعظم مما يتصور الإنسان، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ [الرعد:٨]، ليجازي المسيء بإساءته والمحسن بإحسانه، قال تعالى: **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ [الجاثية:٢١]**.والناس في هذه الدنيا صنفان لا ثالث لهما: منكم من يريد الدنيا، ومنكم

من يريد الآخرة: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ [الإسراء:١٨]، والنتيجة هي في قوله: **ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا [الإسراء:١٨-٢١]**.فالحقيقة التي لابد منها أن بعد هذه الحياة موتاً وقبراً وبرزخاً، وبعد البرزخ بعثاً وحشراً وحساباً وميزاناً وصراطاً وجنةً وناراً، **وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ * إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ * إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ [الأنبياء:٩٧-١٠٤]**.أحبتي! عندما قصرنا في النظر إلى كتاب الله، وقصرنا في تدبر آياته، وفي اتباع المنهج الصحيح، وعندما غرتنا الحياة الدنيا وشغلتنا أموالنا وأهلونا أصبحت الحياة لا قيمة لها ولا معنى، فقيمة الحياة تكون بالهدف الذي يعيش الإنسان من أجله، وقيمة الحياة هي في الغاية التي يعيش الإنسان من أجلها:.فلتكن الحياة لله وفي الله، وإذا أَنِسَ الناس بالدنيا فافرح أنت بالآخرة، وإذا فرح الناس بالدرهم والدينار فافرح أنت بالله: **وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [الشورى:٣٦]** ، **أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ [الرعد:١٩]**، فأصحاب النهى والعقول هم الذين تدبروا وتفكروا واستعانوا على طاعة الله في عباد الله الصالحين، فهم من طاعة إلى طاعة، ومن قربة إلى قربة، والحياة ممر وطريق والعمر فرصة فاستغلوا الأوقات، واستغلوا الدقائق والثواني قبل أن يأتي وقت الندم والحسرة، فإنك لا تدري أين سيكون اسمك غداً، ولا تدري أنك إذا أصبحت هل تدرك المساء، وأنك إذا أمسيت هل تدرك الصباح.أللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابهاللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا من الراشدين!اللهم لا تؤاخذنا بالتقصير، واعفو عنا الكثير، وتقبل منا اليسير، إنك يا مولانا! نعم المولى ونعم النصير اغفر لنا ولوالدينا، ووالد والدينا، ولكل من له حق علينا اللهم اجمع شمل المسلمين، ووحد صفهم، وأعلي شأنهم

***

اعملي وأبشري

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، وقيوم السماوات والأرضين، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأثني عليه الخير كله.هو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء، يعطي ويمنع، يخفض ويرفع، يعز ويذل، يحيي ويميت، لا راد لفضله، ولا معقب لحكمه، وهو أسرع الحاسبين، وأحكم الحاكمين.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضد له، ولا ند له، ولا مثيل له: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [الشورى:١١].وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وخيرته من خلقه أجمعين.اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من استن بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.أما بعد:أختي المؤمنة! حياك الله وبياك، وسدد على طريق الحق خطاك، وأسأله سبحانه أن يجمعنا وإياكن في دار كرامته **إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ [الحجر:٤٧]**.تكلمنا فيما مضى عن الوقت وأهميته، وأن الوقت هو العمر، وأن العمر هو أخو المال، وأنه أغلى من الذهب ومن الفضة، وإذا مضى فإنه لا يرجع أبداً، والفَطِنة الذكية هي التي تعرف قيمة الوقت، وتستغل أوقاتها في مرضاة ربها، وذلك بمجاهدة النفس على فعل الطاعات، وبمجاهدة النفس على ترك المحرمات، قال الله تبارك وتعالى: **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [العنكبوت:٦٩]**، فإن خير ما تصرف فيه الأوقات هي الأعمال الصالحات على اختلاف أنواعها من ذكر، وصلاة، وقيام، وقراءة قرآن، ومن أمر بمعروف ونهي عن منكر، وصلة أرحام، والمجال لذكر الأعمال الصالحة يضيق؛ لكثرة هذه الأعمال، فالمجال مفتوح لمن أراد أن يتقدم أو يتأخر.فحث الله تبارك وتعالى عباده على المسارعة والمسابقة فيما ينالون به مرضاته وجنته، فقال عز من قائل: **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ [آل عمران:١٣٣]، وقال في موضع آخر: سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ [الحديد:٢١]**، وامتدح أنبياءه وعباده الصالحين فقال عنهم: **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ [الأنبياء:٩٠]**، فمن صفات المؤمن والمؤمنة أنهم يسارعون ولا يتأخرون، فالحياة مضمار سباق وتنافس كما قال سبحانه: **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ [البقرة:١٤٨]**، ولقد حثنا نبي الهدى والرحمة على اغتنام **العمر ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:** (**بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر**)(**الترمذي حكم الالباني ضعيف ٢٣٠٦**).فالحياة مجال واسع لفعل الطاعات وترك المنكرات، ولا شك أن من يعمل عملاً ينتظر ثمار هذا العمل، فالأجير ينتظر أجرته، والله أعظم معطي وأعظم مسئول، قال الله: **أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ [آل عمران:١٩٥]**،

وقال: **وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الأنبياء:٤٧]**، فالله لا يضيع أجر العاملين والعاملات. لم يذكر الله تبارك وتعالى الإيمان في كتابه إلا وذكر العمل الصالح قريناً له؛ لأن الإيمان بلا عمل كشجرة بلا ثمر، ولأن الأعمال الصالحات هي الترجمة الحقيقية لهذا الإيمان، فلا إيمان إلا بالعمل، قال سبحانه: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ [البقرة:٢٧٧]** في مواضع كثيرة، وقال سبحانه: **وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ [العصر:١-٣]**.فالعمل الصالح هو الترجمة الحقيقية لهذا الإيمان، **ويعتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان: هو ما وقر في القلب، وعملت به الجوارح والأركان، وأنه يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان**، فالإيمان ساعة وساعة، فساعة في قوة وازدياد، وساعة في نزول ونقصان، والمفترض أن نحافظ على الإيمان، ونعمل على تقويته ولا نغفل عن تعاهد قلوبنا من حين إلى حين؛ لأن مدار صلاح الأعمال على صلاح القلوب.إن ثمار العمل الصالح كثيرة، وسنذكر بعضاً منها، ومن أعظم هذه الثمار: أن العمل الصالح سبب لحب الله للعبد، قال جل وعلا: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ [المائدة:٥٤]**، من صفاتهم: **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [المائدة:٥٤]**.فمن أعظم ثمرات العمل الصالح أنه سبب لحب الله لهذا العبد، **فقد (روى البخاري ٦٥٠٢)عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)**، وكفى بحب الله شرفاً!والله! إن القلب ليطير فرحاً إذا قيل له: إن فلاناً أو فلانة من الناس يحبك أو يذكرك بالخير، فكيف إذا أحبك الله، وهو الملك الواحد الأحد الذي ما تقرب إليه عبد إلا تقرب إليه، وأقبل عليه برحمته وعفوه وكرمه، فكان مع العبد في سرائه وفي ضرائه، ومن كان الله معه فقد فاز وأفلح

.يا من يحار الفهم في قدرته وتطلب النفس حمى طاعته

تخفى عن الناس سما طلعته وكلما في الكون من صنعته

الله أكبر إن الغني يحب الفقراء، والقوي يحب الضعفاء، والعزيز يحب الأذلاء، فما أعظمها من منزلة ومكانة! ولا ينالها إلا من جاهد وصبر.ومن ثمار العمل الصالح: حب الله والملائكة، قال جل من قائل: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا [مريم:٩٦]**، قال أهل التفسير: يعني: **حباً وقبولاً بقدرة الله(.مختصر ابن كثير) وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل وقال له: إني أحب فلاناً فأحببه، فينادي**

جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض) (**أخرجه البخاري ٧٤٨٥**) و(**مسلم** (**٢٦٣٧**)**وأحمد، ٧٦١٤ واللفظ لأحمد**)، ذكراً كان أم أنثى فكم من الفضل العظيم عند التقرب من الرحمن الرحيم!

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً

والله! مهما تبذل الأمة ويبذل العبد لكسب محبة الناس فلا يستطيعون ذلك، ومن ابتغى رضا الله في سخط الناس، رضي الله عنه وأرضى الناس عنه، ومن ابتغى رضا الناس في سَخْط الله سَخِطَ الله عليه وأسخط الناس عليه، فبحب الله تحصل على خير الدنيا وخير الآخرة. ومنْ ثمار العمل الصالح: أنه سبب للسعادة التي ضل عنها كثير من الناس، فبحثوا عنها في غير أماكنها، فكم من باحث وباحثة عنها في المال، وأخرى في العمل والوظيفة، وأخرى في الجاه والسلطان، لكن اسمعي ماذا يقول الله تبارك وتعالى: **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً [النحل:٩٧]** أي: حياة فيها سعادتك وانشراح صدرك، يقول الشاعر:

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد

فهنيئاً لأولئك النساء اللاتي شغلن الأوقات بالعمل الصالح.إن الحياة مصائب وآلام، ونعيم وفرح، ولا تدوم على حال واحد، لكن الأمة المؤمنة المصابرة المجاهدة على فعل أوامر ربها، والتاركة لما نهاها الله لا تتأثر بمصائب الدنيا إذا وقعت، ولا تفرح بالدنيا إذا أقبلت؛ لأنها ترى إلى أبعد من هذا، ترى أن مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [الشورى:٣٦]، واسمعي ماذا قال الله عن أهل الصلاة قال سبحانه: **إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا [المعارج:١٩-٢١]**، ثم استثنى الله أهل الصلاة فقال: **إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ [المعارج:٢٢-٢٣]، ثم تتابعت الآيات وقال سبحانه: وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ [المعارج:٣٤]**، فأهل الصلوات إناثاً كانوا أم ذكوراً لا يفرحون بالدنيا إذا أقبلت، ولا يحزنون عليها إذا أدبرت؛ لأنهم على يقين أن الحياة دقائق وثوانٍ. من ثمرات العمل الصالح: أنه سبب لتفريج الهموم، وكشف الغموم والكربات، وأنه سبب لقضاء الحاجات، وإجابة الدعوات.قال سبحانه: **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ [الأنبياء:٨٣-٨٤]**.وقال سبحانه عن ذي النون: **وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ [الأنبياء:٨٧-٨٨]**.وقال سبحانه عن زكريا: **وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى**

وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ [الأنبياء:٨٩-٩٠]، ثم اسمعي ماذا قال الله عنهم: **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ [الأنبياء:٩٠]**؛ لأنهم كانوا من المسارعين في الخيرات، ولأنهم من الذين تقربوا إلى الله بالأعمال الصالحات، فلذلك استجاب الله دعاءهم، وفرج همومهم، وقضى حوائجهم: **وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ [الأنبياء:٨٨]**، والله يستجيب لكل من سار ولكل من سارت على نفس الطريق، **فقد جاء في الحديث عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم)، والشاهد من الحديث: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.أخية! تخيلي الموقف: كهف وظلمة، لا ماء ولا طعام ولا هواء، وقد انقطعت بهم السبل، وأغلقت عليهم الأبواب ولم يبق إلا باب واحد وهو باب السماء، الباب الذي لا يغلق أبداً، فتشاوروا فيما بينهم، وقالوا: (إنه لا ينجيكم إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فدعا الأول ببره لوالديه)، واسمعي فضل بر الوالدين (فقال: اللهم! إنه كان لي أبوان شيخان كبيران لا أقدم عليهما مالاً ولا ولداً، وكنت إذا غبق -يعني: أحضرت- الحليب واللبن لا أسقي قبلهما أحداً، ولا أقدم عليهما أحداً، وأخرني طلب الحطب يوماً فجئت فإذا بالشيخين نائمين، فوقفت على رأسيهما وصغاري من حولي يتضاغون من الجوع حتى طلع الفجر فسقيتهما، ثم دعا وقال: اللهم! إن كنت تعلم أني فعلت هذا ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه)، انظري يا رعاك الله! إلى الإخلاص، وإلى دعاء الله، والتوسل إليه بالعمل الصالح، فالتوسل إلى الله بالأعمال الصالحة من التوسل المشروع، (فقال: اللهم! إن كنت تعلم أني فعلت هذا ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة شيئاً قليلاً لا يستطيعون معه الخروج، ثم قال الثاني: وأما أنا فكانت لي ابنة عم أحب ما تكون المرأة إلى الرجل، فراودتها عن نفسها) يعني: طلبها بالحرام (فامتنعت حتى ألمت بها ضائقة، وجاءت تطلب حاجتها، فقلت لها: لا أعطيك حتى تمكنيني من نفسك، فرضخت مرغمة محتاجة، فأعطيتها مائة وعشرين ديناراً من الذهب، فلما جلست منها كما يجلس الرجل من المرأة قالت لي كلمة) اسمعي ما قالت (قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه)، الله أكبر إنها كلمة عظيمة لو وصلت إلى القلوب (قالت له: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، يقول: فقمت عنها -وهي أحب ما تكون المرأة إلى الرجل- ثم دعا الله وتضرع فقال: اللهم! إن كنت تعلم أني فعلت هذا ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه)، فترك الفاحشة عندما ذكر بالله وخوف بالله، وعندما قيل له: اتق الله! فكم يقال لنا في هذا الزمان: اتقوا الله ولا تفعلوا كذا؟! ولا تقولوا كذا؟! وقليل هم الذين يستجيبون لأمر تقوى الله تبارك وتعالى، بل البعض قد**

يغضب إذا قيل له: اتق الله، أما قال الله لنبيه: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ [الأحزاب:١]، وخاطب الله عباده فقال: وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ [البقرة:٢٨١]، (**قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه يقول: فقمت عنها وهي أحب ما تكون المرأة إلى الرجل، ثم قال: اللهم! إن كنت تعلم أني فعلت هذا ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة شيئاً قليلاً لا نستطيع معه الخروج، ثم دعا الثالث وقال: وأما أنا فكان لي أجراء يعملون عندي بأجر، حتى إذا انتهوا من عملهم أعطيت كل واحد منهم أجرته إلا واحداً ترك أجرته ومضى، فاستكثرت هذه الأجرة ونميتها حتى أصبحت خيراً كثيراً، فجاءني بعد حين يطلب أجرته، قلت له: ترى ما في هذا الوادي من دواب –من إبل، ومن بقر، ومن عبيد– هي كلها لك، قال: أتسخر مني؟ قلت: لا، هي كلها لك، فساقها ولم يترك منها شيئاً، ثم دعا وقال: اللهم! إن كنت تعلم أني فعلت هذا ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون**)، (**البخاري٢٢٧٢**) وكان هذا جزاء العمل الصالح، وليس أي عمل صالح وإنما العمل الصالح الذي اقترن بالصدق والإخلاص مثل: بر الوالدين، وما أدراك ما بر الوالدين، فكم يشتكي الآباء والأمهات من عقوق الأبناء والبنات؟ وكم يشتكون من التطاول ورفع الأصوات عليهم، ويشتكون من قلة أدب الأولاد والبنات، فأين بر الوالدين في هذا الزمان؟ بل من هو الذي سيدعو الله ببره لوالديه؛ حتى يفرج الله همه، ويجيب دعوته؟!وأما الفاحشة وتركها فحدث ولا حرج، فشباب المسلمين الآن يقطعون المسافات، والأراضي الشاسعات؛ حتى يعاقروا الفاجرات والمومسات، فإنا لله وإنا إليه راجعون.و أما الأُجراء فكم يشتكي الخدم والخادمات من تضييع الحقوق، ومن تضييع الواجبات.فالأول: دعا ببره بوالديه، والثاني: بتركه للفاحشة، والثالث: بإعطاء الأجير أجره، قد تظنين أنها أعمال بسيطة، لكن الأعمال البسيطة إذا اقترنت بالصدق والإخلاص كانت كبيرة عند الله الذي قال: **أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ [آل عمران:١٩٥]**، فالعمل الصالح سبب لتفريج الهموم وكشف الغموم.

يا صاحب الهم إن الهم منفرج أبشر بخيرٍ فإن الفارج الله
إذا بليت فثق بالله وارض به إن الذي يكشف البلوى هو الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ما لامرئ حيلة فيما قضى الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه لا تيأسن فإن الصـــانع الله

ومن داوم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه الله من حيث لا يحتسب. (**ابي داود ١٥١٨**) من ثمار العمل الصالح أخية! أنه سبب في حفظ الأهل والمال والعيال، قال سبحانه في سورة الكهف، وهي السورة العظيمة التي يقرؤها كثير من الناس يوم الجمعة، ولكن القليل هم الذين يفهمون لماذا أُمرنا بقراءة هذه السورة العظيمة؟ فهي من أعظم سور القرآن؛ لذلك أمرنا بقراءتها من الجمعة إلى الجمعة، إنها سورة تصحح مفاهيم الناس، ومعتقداتهم، ونظرتهم إلى الحياة الدنيا وزينتها،

قال الله في أوائل السورة: **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا [الكهف:٧-٨]**، ثم قال في آية: **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا [الكهف:٤٦]**، تذكرنا بوضع الحساب، وبالوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى، وتذكرنا هذه السورة العظيمة أنه مهما طالت الحياة فلابد من النهاية، ولابد من أن تجزى كل نفس بما كسبت، فيجازى المسلم على إحسانه، والمسيء على إساءته.قال سبحانه بين سطور السورة: **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا [الكهف:٨٢]**، والشاهد من الآية قوله: وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا [الكهف:٨٢]، فبصلاح الأب حفظ الأبناء، وقد علمنا نبينا صلى الله عليه وسلم هذا المفهوم العظيم يوم أن **قال لابن عباس وهو غلام: (احفظ الله يحفظك) (الترمذي ٢٥١٦)** أي: احفظ الله بفعل أوامره والمحافظة عليها، واحفظ الله بترك نواهيه، واحفظ الله بالمحافظة على العمل الصالح، والنتيجة: حفظ الله لك في دينك ودنياك وأهلك ومالك، فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.ولا شك أنك تحبين الأبناء والبنات أماً كنت أم بنية، فأما الأم فتعرف هذا الشعور، وأما البنية فستعرفه إن شاء الله يوم أن يرزقها الله بالزوج الصالح، ويرزقها الله بالأبناء عندها ستعلم قيمة الأولاد، ولا يمكن أن نعرف قيمة الشيء حتى نجربه.وقد كنت في أحد المستشفيات فأحضر أب ابنه الصغير لإصابة في قدمه، فكانت الممرضة تريد تنظيف وتطهير الجرح، وكان الغلام كلما وضعت يدها على الجرح اشتكى، والأب يقول لها: اتقي الله في الغلام، وأنا لم أرها قد فعلت شيئاً، ثم تعاود الكرة، ويبكي الصغير والأب يتقطع ألماً أمامي، فقلت له: يا أخي! هي لا تستطيع أن تطهر الجرح حتى تلمسه، وحتى تضغط عليه قليلاً، قال: والله إنه كلما قال: آه وجدت أثرها في قلبي، قلت: سبحان الله! كم الأبناء والبنات غالون، فإذا كنت تريدين لهم الحب، وتريدين لهم الأمن والأمان فاحفظي الله، وعلميهم حب الله وحب رسوله؛ لأن الله خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. ومن ثمار العمل الصالح: أنه يكون رفيقاً لصاحبه في القبر، بل لنعيم القبر، **جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يتبع الميت ثلاثة: أهله، وماله، وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله، ويبقى عمله).(البخاري ٦٥١٤) وفي حديث أبي هريرة أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أن الميت إذا وضع في قبره إن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، والصيام عن يمينه، والزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات -من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس- عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن شماله فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من عند رجليه فيقول فعل الخيرات: ما قبلي مدخل)(ابن حبان٣١١٣)** أو كما جاء في الحديث، **(ثم يتمثل له**

عمله الصالح في قبره فيأتيه رجل طيب الريح، جميل الوجه، فيقول له العبد: من أنت فوجهك والله! الذي لا يأتي إلا بالخير؟! فيقول له: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، أنا عملك الصالح)، فيكون العمل الصالح أنيساً لصاحبه في قبره، (فيفتح للعبد نافذة من الجنة فيأتيه من روحها وريحانها، ويوسع له في قبره مد البصر، ويكسى حلة من الجنة، ويطرح له فراشاً من الجنة، فينادي بأعلى صوت: رب! أقم الساعة، رب! أقم الساعة) حتى أرجع إلى أهلي ومالي. وأما العبد المضيع والأمة المضيعة: (فيأتيه رجل قبيح الوجه، نتن الرائحة، فيقول العبد أو الأمة: من أنت؟ فوجهك والله! الذي لا يأتي بالخير، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، وأنا عملك السيئ، فيفتح له نافذة من النار فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه، ويفرش له فراش من النار، ويكسى حلة من النار، فيصيح بأعلى صوته، أو تصيح بأعلى صوتها: رب! لا تقم الساعة، رب! لا تقم الساعة)(مصنف ابن ابي شيبة).

يا من بدنياه اشتغل وغره طول الأمل الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

من ثمار العمل الصالح أخية! أنه سبب للفلاح والنجاح، وهو أعظم سبب لدخول الجنة بعد توحيد الله جل وعلا، قال سبحانه: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا [الكهف:١٠٧-١٠٨]، وقال سبحانه: **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [الزخرف:٧٢].**

يا سلعة الرحمن لست رخيصة بل أنت غالية على الكسلان
يا سلعة الرحمن كيف تصبر الخطاب عنك وهم ذوو إيمان
يا سلعة الرحمن سوقك كاسد ولقد عرضت بأبخس الأثمان
يا سلعة الرحمن لولا أنها حجبت بكل مكاره الإنســان
لما كان عنها قط من متخلف وتعطلت دار الـجزاء الثان
ولكنها حفت بكل كريهة ليصــد عنها المبطل المتوان
وتنالها الهمم التي تسمو إلى رب العلى بمشيئة الرحمن

فالدنيا مزرعة للآخرة: وَمَا تُقَدِّمُوا **لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا [المزمل:٢٠]**، والعمر فرصة، ونكرر هذا دائماً، فلابد من اغتنام الأعمار، فقد قال الله في الحديث القدسي: (**يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيها لكم يوم القيامة، فمن وجد فيها خيراً فليحمد الله، ومن وجد دون ذلك فلا يلومن إلا نفسه).(مسلم ٢٥٧٧)**

إن لله عباداً فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا
اتخذوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

إن مجالات الأعمال الصالحة لا تعد ولا تحصى، قال سبحانه: **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا [الأحزاب:٣٥]**، فهذه صفات المؤمنين والمؤمنات الذين يريدون ما عند الله: **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ [فاطر:٢٩]**، فالتجارة مع الله تجارة رابحة، والتجارة الرابحة تكون في أن الله يضاعف لعباده الأجر بالعشرات، فالحسنة بعشر أمثالها، ويزيد الله ويضاعف لمن يشاء.أخية: إنا سنعرف قيمة العمل الصالح وقيمة العمر في ساعات الاحتضار، وهي لا شك ساعة يؤمن فيها الكافر، ويقر فيها الفاجر.قال الله: حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ **قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ [المؤمنون:٩٩-١٠٠]**.ومر الحسن البصري مع رجل معه على جنازة فقال الحسن لصاحبه: أترى هذا الرجل إذا رجع للحياة يعمل صالحاً؟ قال: نعم، قال: فكن أنت ذلك الرجل، وكوني أنت كذلك فأنت الآن في زمن الإمكان، وأنت الآن في أيام مباركة، والعمر فرصة، والفرص قد لا تتكرر، فكوني ممن يعرفن لله حقه، وكوني من اللائي يعرفن للوقت قيمته، ويعرفن للمناسبات قيمتها وأنها قد لا تتكرر.وأختم الكلام بكلمات **قالها النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى خطبه حيث قال**: (**أيها الناس! إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، إن المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري كيف صنع الله فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليتزود العبد لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشباب قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده! ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار**)(**شعب الايمان ١٠٠٩٧**).فاستعيني بالله على فعل الطاعات، واستعيني بالله على ترك المنكرات.وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يوفقكن لفعل ما فيه مرضاته سبحانه، وأن يوفقكن لترك ما فيه سخطه سبحانه.اللهم! اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات.اللهم! اغفر لوالدينا، ووالد والدينا، ولكل من له حق علينا.اللهم! احفظنا في ديننا ودنيانا، وأهلنا وأموالنا. اللهم! استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [الأعراف:٢٣]**. أستغفر الله العظيم، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

اقتربت الساعة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**.**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**. أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.عباد الله! الشيء الذي لا بد ألا ننساه هو أننا في هذه الدنيا ضيوف، وأننا نعيش في هذه الحياة من أجل الاستعداد للحياة الباقية، فلا بد أن نعرف ونعي أن العمر مهما طال فهو قصير، وأن هذه الحياة مهما عظمت فهي حقيرة عند الله، فهي تساوي عند الله جناح بعوضة.فلا بد أن نعرف -عباد الله- أن بعد هذه الحياة موتاً، كما قال الله جل في علاه: **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [آل عمران:١٨٥]**. عباد الله! لا بد أن نعرف أن بعد الموت قبراً، كما قال الله جل في علاه: **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ [التكاثر:١-٢]**.ولا بد أن نعرف ونعي أن بعد القبر بعثاً، وهو إحياء الموتى يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم، كما قال سبحانه: **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [التغابن:٧]**.فإذا علمنا هذا كله فالمطلوب من الجميع هو ما ذكره الله جل في علاه بقوله: **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ [التغابن:٨-٩]**، فاستعدوا عباد الله! واحرصوا على الخواتيم؛ **لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** (**يبعث كل عبد على ما مات عليه**)(**مسلم ٢٨٧٨**).فعن أبي رزين العقيلي قال: (**قلت: يا رسول الله! كيف يعيد الله الخلق؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: أما مررت بوادي قومك جدباً، ثم مررت به يهتز خضراً؟ قلت: نعم. قال: فتلك آية الله في خلقه**)، **حديث صحيح**؛(**جامع الاصول ٧٩٤٣**) **وهو موافق لنص التنزيل، قال سبحانه: وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ [الحج:٥-٧]**. عباد الله! لقد أرى الله

عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة وحدها ذكر الله عزّ وجل خمسة أمثلة على ذلك:المثال الأول: ما حكاه الله عز وجل عن قوم موسى عليه الصلاة والسلام حين قالوا: **لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ [* ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [البقرة:٥٥-٥٦]**، فأحياهم الله بعد أن أخذتهم الصاعقة.المثال الثاني: في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل زمن موسى عليه الصلاة والسلام، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها؛ ليخبرهم بمن قتله، ففعلوا فأحياه الله، وأخبرهم بمن قتله، قال الله جل في علاه: **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [البقرة:٧٢-٧٣]**.المثال الثالث: **في قصة القوم الذين قال الله عز وجل عنهم: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ [البقرة:٢٤٣]**، قال وكيع في تفسيره: **حدثنا سفيان عن ميسرة بن حبيب النهدي عن المنهال بن عمرو الأسدي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ترجمان القرآن في قوله تبارك وتعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ قال: كانوا أربعة آلاف خرجوا فراراً من الطاعون، قالوا: نأتي أرضاً ليس بها موت، حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ، فلما كان بعد دهر مر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم، فأمره الله تعالى أن يقول: أيتها العظام البالية! إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً وعصباً وجلداً، فكان ذلك يحدث وهو يشاهد، ثم أمره فنادى: أيتها الأرواح! إن الله يأمرك أن ترجع كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره، فقاموا أحياءً ينظرون قد أحياهم الله بعد رقدتهم الطويلة، فأحياهم وهم يقولون: لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا ظالمين.فكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة، لهذا قال سبحانه: إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ أي: لذو فضل على الناس فيما يريهم من الآيات الباهرة، والحجج القاطعة، والدلالات الدامغة، وقوله: وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ أي: لا يقومون بشكر ما أنعم الله به عليهم في دينهم ودنياهم، وفي هذه القصة عبرة ودليل على أنه لن يغني حذر من قدر، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه، فإن هؤلاء القوم خرجوا فراراً من الوباء طلباً لطول الحياة، فعوملوا بنقيض قصدهم، وجاءهم الموت سريعاً في آنٍ واحد(تفسير ابن كثير ١\٦٦١)**.المثال الرابع لإحياء الموتى: قصة الذي مر على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله، فأماته الله مائة عام ثم بعثه، قال جل في علاه: **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ**

أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة:٢٥٩]، واختلف المفسرون في هذا الذي مر، فقال علي : هو عزير، وهذا هو المشهور، وقيل: هو الخضر، وقيل: هو رجل من أهل الشام اسمه: حزقيل بن بوار ، وقال مجاهد : هو رجل من بني إسرائيل. وأما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس مر عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها.(الجامع لاحكام القران ٣\٢٨٨) وأما المثال الخامس: في قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حين سأل الله أن يريه كيف يحيي الموتى، قال عز وجل: **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [البقرة:٢٦٠]**.فهذه خمس صور في كتاب الله في سورة البقرة أخبرنا فيها المولى عز وجل كيف يحيي الموتى. إذا علمنا أن هناك بعثاً فاعلم -رعاك الله- أن هناك حشراً، وهو جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم، والقضاء بينهم، وسمي الله ذلك اليوم بيوم الجمع، قال جل شأنه: **يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ [التغابن:٩]**، وقال سبحانه: **ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ [هود:١٠٣]**، وقال جل وعلا: **قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ [الواقعة:٤٩-٥٠]**، فلا إله إلا الله ما أشد يوماً مثل هذا! فتأمل في قدرة الله التي تحيط بالعباد، فالله لا يعجزه شيء، وحيث هلك العباد فإن الله قادر على الإتيان بهم، فإن هلكوا في أجواء الفضاء، أو غاروا في أعماق الأرض، أو أكلتهم الطيور الجارحة، أو افترستهم الحيوانات المفترسة، أو ابتلعتهم الحيتان في البحار، أو غيبوا في قبورهم في الأرض، فإن الله قادر على بعثهم، قال سبحانه: أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة:١٤٨].وكما أن قدرة الله محيطة بعباده فيأتي بهم حيثما كانوا فكذلك علمه محيط بهم، فلا يتخلف منهم أحد ولا يضل منهم أحد، ولا يشذ منهم أحد، لقد أحصاهم خالقهم تبارك وتعالى وعدهم عداً، قال جل في علاه: **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا [مريم:٩٣-٩٥]**، وقال سبحانه: **وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا [الكهف:٤٧]**.وأما القصد من الجمع فهو العرض والحساب، قال جل وعلا: **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى [النجم:٣١]**، وقال جل في علاه: يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ [الزلزلة:٦]، وقال جل في علاه: **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ [الحاقة:١٨]**.

فلو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكننا إذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شـيء

عباد الله! إنه العرض والحساب، قال عز وجل: **لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ [إبراهيم:٥١]**. عباد الله! أخبرنا ربنا جل وعلا عن مشهد الحساب والجزاء في يوم الحساب فقال:

وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ [الزمر:٦٩]، فحسبك عبد الله! أن تعلم أن القاضي والمحاسب في ذلك اليوم هو الحكم العدل قيوم السماوات والأرض؛ ليتبين لك عظم هذا المشهد وجلالته ومهابته، ولعل هذا الإشراق المذكور في الآية إنما يكون عند مجيء الملك الجليل للقضاء بين العباد، قال سبحانه: **هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ [البقرة:٢١٠]**، وقال سبحانه: **كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ * يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي [الفجر:٢١-٢٩]**، ومجيء الله الله أعلم بكيفيته، وعلينا أن نؤمن به، ونعلم أنه حق ولا نؤوله ولا نحرفه ولا نكذب به.والآية تنص أيضاً على مجيء الملائكة، فهو موقف جليل تحضره ملائكة الرحمن ومعها كتب الأعمال التي أحصت على الخلق أعمالهم، وتصرفاتهم وأقوالهم؛ ليكون ذلك حجة على العباد، وهو كتاب لا يغادر صغير ولا كبيرة إلا أحصاها، قال سبحانه: **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف:٤٩]**.ويجاء في موقف القضاء والحساب بالرسل، ويسئلون عن الأمانة التي حملهم الله إياها وهي إبلاغ الوحي إلى من أرسلوا إليهم، فيشهدون على أقوامهم وما عملوه معهم، ويقوم الأشهاد في ذلك اليوم العظيم فيشهدون على الخلائق بما كان منهم، والأشهاد هم الملائكة الذين كانوا يسجلون على المرء أعماله، ويشهد أيضاً الأنبياء والعلماء، كما تشهد على العباد الأرض والسماء والأيام والليالي، كما في قول الجبار جل في علاه: **إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا [الزلزلة:١-٥]**.والله! إنه لحساب شديد ذلك الذي سيحاسب فيه الإنسان بالذرة، عباد الله! يؤتى بالعباد وقد عقد الحق تبارك وتعالى محكمته العظيمة لمحاكمتهم ويقامون صفوفاً للعرض عليه، ويؤتى بالمجرمين منهم وهم الذين كذبوا الرسل، وتمردوا على ربهم، واستعلوا في الأرض بغير الحق، يؤتى بهم مقرنين في الأصفاد، مسربلين بالقطران، كما قال سبحانه: **وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ [إبراهيم:٤٩-٥٠]**.ولشدة الهول تجثو الأمم على الركب عندما يدعى الناس للحساب لعظم ما يشاهدون وما هم فيه واقعون، قال سبحانه: **وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [الجاثية:٢٨-٢٩]**. يوم القيامة مشهد جليل عظيم نسأل الله أن ينجينا فيه بفضله ومنه وكرمه، فما معنى الحساب عباد الله؟! معنى الحساب: أن يُوقف الحق تبارك وتعالى عباده بين يديه، ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في الدنيا من

إيمان وكفر، واستقامة وانحراف، وطاعة وعصيان، وما يستحقونه على ما قدموه من إثابة وعقوبة، ثم يُعطون الكتب إما بالأيمان إن كانوا صالحين، وإما بالشمال إن كانوا طالحين، ويشمل الحساب ما يقوله الجبار لعباده وما يقولونه له، وما يقيمه عليهم من حجج وبراهين، وشهادة الشهود، ووزن الأعمال.وأما نوع الحساب عباد الله! فعسير ويسير، ومنه حساب التكريم والتوبيخ، ومنه الفضل والصفح والعفو، والذي يتولى ذلك كله هو أكرم الأكرمين وأسرع الحاسبين، وقيوم السماوات والأراضين.وشعار محكمة ذلك اليوم: لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ [غافر:١٧]، **(يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)(مسلم ٢٥٧٧)**، فهو العدل سبحانه ولو عذب عباده جميعاً لم يكن ظالماً لهم؛ لأنهم عبيده وملكه، والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء

.أيا من ليس لي منه مجير بعفوك من عذابك أستجير

أنا العبد المقر بكل ذنب وأنت الواحد المولى الغفور

إن عذبتني فبسوء فعلي وإن تغفر فأنت به جـــدير

أفر إليك منك وأين إلا إليك يفر منــك المستــجير

ولكن الحق تبارك وتعالى يحاسبهم محاسبة عادلة تليق بمحكمته وعدله وعظمته وجلاله، وقد بين لنا سبحانه في كثير من النصوص جملة من القواعد التي تقوم عليها المحاكمة، فمنها: العدل التام الذي لا يشوبه الظلم، قال عز وجل: **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا [الأنبياء:٤٧]**.ومن قواعد تلك المحكمة: أن الله لا يؤاخذ أحداً بجريرة أحد، قال سبحانه: **وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وقال: كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ [المدثر:٣٨]**.ومن تلك القواعد أيضاً: إطلاع العباد على ما قدموه من أعمال، قال عز وجل: **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** [آل **عمران:٣٠]**.ومن قواعد المحاكمة في ذلك اليوم: إقامة الشهود على الكفرة والمنافقين والفجرة، قال عز وجل: **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [يس:٦٥]**، **وقال سبحانه: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ [النور:٢٤-٢٥]**.عباد الله! نفعنا الله بالقرآن العظيم وبما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هوالغفور الرحيم. الحمد لله على

إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.أما بعد: عباد الله! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله عباد الله! ومن تقوى الله الاستعداد

للوقوف بين يدي الله جل في علاه، فعماذا سيكون السؤال في ذلك اليوم الذي سيجمع الله فيه الأولين والآخرين؟ فاسمع السؤال وأعد الجواب بارك الله فيك: **عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (لا تزول –أي: إلى الجنة أو إلى النار– قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم)،(رواه الترمذي وقال الألباني : وإسناده حسن ٢٤١٦).وقال سبحانه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ * لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [الحشر:١٨–٢١]**.فلا تظن أن الأمر سهل عبد الله! بل في ذلك اليوم يشتد غضب الجبار جل جلاله على من خلقه فعبد غيره، وعلى من رزقه فشكر غيره، وعلى من أسبغ عليه النعم ثم عصاه.**عن عبيد الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر وهو يحكي عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر في قول الله تبارك وتعالى: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [الزمر:٦٧]، قال صلى الله عليه وسلم: (يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضه بيديه فيقول: أنا الله، ويقبض أصابعه ويبسطها ويقول: أنا الملك)، قال ابن عمر : (والله! كأني أنظر إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، والنبي صلى الله عليه وسلم واقف عليه، وأنا أقول: أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم؟)(مسلم ٢٧٨٨)** فتأمل حال العصاة والمجرمين في ذلك اليوم يوم يشتد غضب الجبار جل في علاه، قال سبحانه: **وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ [فصلت:١٩–٢٤]**، فهم يطلبون رضاء ربهم فلا يستجاب لهم. فتأمل عبد الله! موقفك غداً بين يدي العزيز القهار، والله! إنها ساعة لا يخفى على المقيمين رهبتها، ولا على المتقين شدتها، فاللهم يسر ختامنا! ويمن كتابنا، وثقل موازيننا، وزحزحنا عن النار، وأدخلنا الجنة يا عزيز يا غفار!

تذكر وقوفك يوم العرض عرياناً مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانــا

النار تزفر من غيض ومن حنق على العصاة ورب العرش غضبانا

اقرأ كتابك يا عبدي على مهل فهل ترى فيه حرفاً غير مـــا كانا
فلما قرأت ولم تنكر قراءته وأقررت إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي وامضوا بعبدي إلى النيران عطشانا
المشركون غداً في النار يلتهبوا والمؤمنون بدار الـــخلد سكانا

قال سبحانه: **وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا [الإسراء:١٣-١٤]، فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا [يونس:١٠٨]، وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا [الإسراء:١٥]**.**قال الزجاج : ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق(الجامع لاحكام القران ١٠\٢٢٩)**.**وقال ابن أدهم :كل آدمي في عنقه قلادة يكتب فيها نسخة عمله، فإذا مات طويت، وإذا بعث نشرت، وقيل له : اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا [الإسراء:١٤]**.قال ابن عباس رضي الله عنه: معنى طائره: أي: عمله.وقوله تعالى: **وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا** قال الحسن : يقرأ الإنسان الكتاب أمياً كان أو غير أمي، يعرف القراءة أو لا يعرفها، ينطق ويقرأ في ذلك اليوم.فتخيل نفسك إذا تطايرت الكتب، ونصبت الموازين، وقد نوديت باسمك على رءوس الخلائق: أين فلان ابن فلان؟ فاستعد للوقوف بين يدي الله، وهلم إلى العرض على الله، وقد وكلت الملائكة بأخذك فقربتك إلى الله لا يمنعها اشتباه الأسماء باسم أبيك، فإذا عرفت أنك المراد بالدعاء، وإذا قرع النداء قلبك علمت أنك المطلوب فارتعدت فرائصك، واضطربت جوارحك، وتغير لونك، وطار قلبك، وتخطي بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه، والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، وأنت في أيدي الملائكة قد صار قلبك ممتلئاً رعباً؛ لعلمك أين يراد بك.**عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة)(رواه البخاري ٦١٧٤)**.فتخيل عبد الله! نفسك واقفاً بين يدي ربك في يدك صحيفة مخبرة بعملك لا تغادر بلية كتمتها ولا مخبئة أسررتها، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل، وقلب منكسر حسير، والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن خلفك، فكم من بلية قد كنت نسيتها ذكركها؟ وكم من سيئة كنت قد أخطيتها قد أظهرها وأبداها؟ وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص لك فرده عليك في ذلك الموقف وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيماً؟ فيا حسرة قلبك! ويا أسفك على ما فرطت في طاعة ربك!**عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت: يا رسول الله! أليس قد قال: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا [الانشقاق:٧-٨]، فقال صلى الله عليه وسلم: يا عائشة ! إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب)،**

(**البخاري٦١٧٢**) متفق عليه.ثم يبدأ الحساب، وتكشف الحقائق، وتظهر الفضائح، فتذكر عبد الله أنك بين يدي الله موقوف، وأنك ستكلمه ليس بينك وبينه ترجمان، وستقف وستسأل عن القليل والكثير، وعن الصغير والكبير، فتسأل عن العمر، وعن الشباب، وعن المال، وعن كل نظرة، وكل كلمة قلتها، قال عز وجل: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ [آل عمران:٣٠]، فستسأل عن كل صلاة تخلفت عنها، وهل حفظت الصوم والزكاة أم لا؟ وهل أمرت بالمعروف ونهيت المنكر ودافعت عن أعراض المسلمين أم لا؟ وستسأل عن حقوق وواجبات وأوامر ومنهيات، فمن العباد من يحاسب حساباً يسيراً، وينقلب إلى أهله مسروراً، ومنهم من يحاسب حساباً عسيراً، ويدعو **ثبوراً.عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال صلى الله عليه وسلم:** (**إن الله يدني المؤمن منه يوم القيامة فيضع عليه كنفه –أي: يضع عليه ستره– فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: أي نعم رب! أعرف، حتى يقرره بذنوبه، حتى إذا رأى العبد أنه قد هلك قال أرحم الراحمين: فإني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته بيمينه، فهذا هو الحساب اليسير**)(**البخاري ٢٣٠٩**).وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق: **هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ [هود:١٨]**! عباد الله! حاسبوا أنفسكم واستعدوا للعرض أمام الله جل في علاه، فإلى متى الغفلة –عباد الله– ومنادي الله يناديكم: **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ [الأنبياء:١]**؟! واعلم رعاك الله أنه عند ساعة الموت لا عثرة تقال، ولا توبة تنال، كان خليد العصري يقول: كلنا أيقن بالموت وما نرى له مستعداً، وكلنا أيقن بالنار وما نرى لها خائفاً، وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملاً!فإلى متى الغفلة عبد الله؟! وأين ندمك على ذنوبك؟ وأين حزنك على عيوبك؟ إلى متى تؤذي بالذنب نفسك؟ وتضيع يومك كما ضيعت أمسك؟ فلا مع الصادقين لك قدم، ولا مع التائبين لك ندم، فهلا بسطت يداً سائلة؟ وهلا أجريت دموعاً سائلة؟ فانتبه قبل أن تنادي: رباه! ارجعون فيقال: (وحيل بينهم وبين ما يشتهون).فانتبه قبل أن توقف أمام الله للعرض، فتقول: **يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ [الزمر:٥٦]**.مر الحسن البصري على أقوام يضحكون فقال: هل مررتم على الصراط؟ قالوا: لا، قال: أتدرون إلى الجنة يؤخذ بكم أم إلى النار؟ قالوا: لا، قال: فعلامَ الضحك؟! لا على الصراط مررتم، ولا إلى الجنة تؤخذون، ولا من النار تنجون فكيف تضحكون؟!فاتقوا الله عباد الله! واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، وأدوا الحقوق، وتحللوا من بعضكم قبل ألا يكون درهم ولا دينار، فأخلصوا أعمالكم لله، وحافظوا على الصلوات، وانتهوا عن الفواحش والمنكرات، وتوبوا إلى الله توبة نصوحاً.اللهم إنا نسألك توبة نصوحاً قبل الموت، وشهادة عند الموت، ورحمة بعد الموت يا رب العالمين!اللهم استر في ذلك اليوم عوراتنا، وأمن فيه روعاتنا، وثقل فيه موازيننا، وزحزحنا فيه عن النار، وأدخلنا فيه الجنة يا رب

العالمين!اللهم أصلح شباب المسلمين، اللهم ردهم إليك رداً جميلاً يا رب العالمين!اللهم ارحم الشيب، وبارك في أعمارهم يا رب العالمين!اللهم احفظ نساءنا وأطفالنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين!اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء دينك، وانصر من نصرهم واخذل من خذلهم، اللهم صن أعراضهم واحقن دماءهم، وتقبل شهداءهم، وفك أسرانا وأسراهم.اللهم اكبت عدوك وعدونا من يهود ونصارى وحاقدين، وافضح المنافقين والمعتدين يا عليم يا خبير يا قوي يا عزيز!اللهم إنا ندرأ بك في نحورهم، ونعوذ بك اللهم من شرورهم.اللهم لا ترفع لهم في بلاد المسلمين راية، ولا تحقق لهم في بلاد المسلمين غاية، اللهم أخرجهم من بلاد المسلمين أذلة صاغرين يا قوي يا عزيز!عباد الله! **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.**

***

الاستغفار سيد الأذكار

الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.أما بعد:فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله وبياكم، وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته، وأن يجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين.ومعنى: حياكم الله وبياكم: هو أن آدم لما أنزل إلى الأرض، جاءه ملك، فقال له: حياك الله يا آدم وبياك يعني: حياك الله وأصلح حالك، فبياكم معناها: أصلح حالكم، ونحن في حاجة إلى صلاح الحال؛ لأننا ذوو أخطاء، فمن منا لم يخطئ قط؟ ومن له الحسنى فقط؟ **(كل بني آدم خطاء (الدارمي ٢٧٦٩)** ولا عصمة لأحد، فنحن ننسى لأننا ضعفاء.وفي مرة من المرات تعبت حتى عافت نفسي الطعام والشراب، ولم أستطع أن أنام فقلت: ماذا حل بي؟ فهرولت إلى الطبيب، فقال: لا بأس عليك، قلت: ما المشكلة؟ قال: ارتفاع درجتين فقط في درجة الحرارة! قلت: درجتان صنعتا بي ما صنعتا! كم نحن ضعفاء! ولضعفنا لا نؤدي العبادة على الوجه الكامل، فمن منا إذا دخل صلاته لم يحدث نفسه؟ ولم يخطر على باله خاطر؟ ما منا أحد.ومن منا إذا صلى وصام وقام لم يخالف ذلك العمل نقصاً أو خطأً؟ ومن منا إذا حج أو اعتمر لم يرفث ولم يفسق ولم يجادل؟ ما منا أحد.فكان من رحمة الله بنا أن شرع لنا الاستغفار، في أدبار العبادات، وفي سائر الأوقات؛ لأن الاستغفار يجبر النقص، والخطأ؛ ولأن الاستغفار يقوم مقام النسيان؛ ولأن الاستغفار يقوي الضعف؛ ولأن الاستغفار يكمل العبادة الناقصة، فأول لفظ نلفظه بعد الصلاة: أستغفر الله (ثلاثاً) فمن منا لم يحدث نفسه ولم تأخذه الخواطر يمنة ويسرة وهو في الصلاة؟ لذلك نستغفر الله بعد أداء العبادة، **فمن هديه صلى الله عليه وسلم: (إذا فرغ من صلاته قال: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله يقولها ثلاثاً)، (مسلم ٥٩١)**ومن هديه: **(أنه كان يعد له في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة: اللهم اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم)(الترمذي ٣٤٣٤)**، في كل مجلس يجلسه يردد هذا الاستغفار أكثر من مائة مرة.ومن هديه أنه قال: **(من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، غفر له ما كان في مجلسه ذلك) (الترمذي ٣٤٣٣)** فلا تنس هذا الدعاء، فمن منا إذا جلس مجلساً لم يلغ فيه؟وقد قيل: إن رجلاً كان مشهوراً بالكذب، نزل بيت إنسان يعرفه، فضيفه صاحب البيت وهو يعرف أنه كذاب، فقال: الليلة سأعمل لك عشاء، لكن توجد مشكلة، قال: ما هي المشكلة؟ قال: لقد جمعت أهل الحي كلهم، قال: وما هي المشكلة في ذلك؟ قال: المشكلة أنك تكذب كذباً لا يُصدق، قال: وماذا أعمل، لقد تعودت

على هذا، يقول الشاعر:عود لسانك قول الصدق تحظ به إن اللسان لما عودت معتاد فالمضيف ما أحب أن يضيق عليه فقال له: خذ راحتك، لكني إذا رأيتك تماديت في الكذب فسأعطيك علامة، قال: وما هي العلامة؟ قال: السعال، فإذا سعلت فاعلم أنك قد تماديت في الكذب.وعند اجتماع الضيوف بدأ الرجل يعطيهم من الكذب يميناً ويساراً، فقال لهم: يا جماعة الخير! أنا بنيت مسجداً طوله ألف متر، فسعل صاحب البيت أي: أعطاه العلامة، فقال: وعرضه متر واحد، فقالوا له: لماذا ضيقته؟ قال: ما ضيقته أنا، ولكنهم ضيقوا علي! فهذا يجب عليه أن يتوب وأن يقول إذا قام من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. فمن رحمة الله بنا أن شرع لنا هذه الكلمات اليسيرة ليكفر عنا بها السيئات، ويرفع لنا بها الدرجات.فمن منا لم تلزمه الهموم و الغموم؟ ومن الذي يرتاح دائماً؟ ما منا أحد، فالحياة لا تكون على وتيرة واحدة، فإذا ضحكت اليوم فستبكي غداً.إن أضحكتك الأيام يوماً لابد أن تبكيك أياماً اليوم تفرح وغداً تحزن، اليوم تستقبل مولوداً، وغداً تودع ميتاً، اليوم إذا كنت في سعة من العيش، غداً ستكون في ضيق من العيش، ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ [آل عمران:١٤٠]**، فالأيام تتقلب بي وبك.فمن منا من لم يحمل هم الرزق وهم العيال؟ هل سأبني لهم داراً؟ وهل سأفعل لهم كذا وكذا؟ وهذه هموم نحملها بشكل طبيعي بالليل وبالنهار، لكن اسمع بارك الله فيك! عن ابن عباس رضي الله **عنهما قال: قال صلى الله عليه وسلم**: (**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب**)(**ابي داود ١٥١٨**) بشرط: أن يلزم الاستغفار، وهل تريد سعة الرزق؟ هل تريد تفريج الهموم؟ هل تريد كشف الغموم وقضاء الحاجات؟ أكثر من قول: أستغفر الله العظيم، جرب واجعل ذكرك في ذلك اليوم من أوله إلى آخره الاستغفار في كل غدوة وروحة. إن المسكين: هو من لا يستطيع أن يكسب أمثل هذه الدرجات الحسنات جزاء أعمال يسيرة، (**من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة، كتبت له ألف حسنة، وحطت عنه ألف خطيئة**) (**البخاري ٦٤٠٥**)وهذا العمل يسير، والأجر المترتب عليه كبير، فأسهل العبادات وأيسرها ذكر الله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [الأحزاب:٤١-٤٢]**، بالليل والنهار، الهج بحمده، ويكفيك شرفاً يا من تذكر الله قول الله: **اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ [البقرة:١٥٢]**، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**)،(**مسند احمد ٨٦٣٥**) من أنت حتى تذكر في ذلك المجلس؟هناك من يقول: هل دعاء المجلس يكفر الغيبة؟ لا؛ لأن الغيبة كبيرة من الكبائر، والكبائر لا يكفرها إلا التوبة، فإذا اغتبت أحداً، فكفارتها التوبة، ومن شروط التوبة: أن ترد المظالم إلى أهلها، وقد يتقبل الاعتذار، ويقول: عفا الله عنك، وبعضهم لا يتقبل، فدرءاً للمفسدة اقصد المجلس الذي ذكرته فيه بغيبة أو بشر واذكره فيه بخير، وادعو له واستغفر له، واسأل الله أن يعفو عنا وعنه.وحديث: (**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن**

كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجة وصحح إسناده أحمد شاكر .إذاً: فأمر الاستغفار عظيم، فما خرج الاستغفار من لسان صادق وقلب خاشع إلا غفر لصاحبه الذنب مهما كان، فعن زيد رضي الله عنه مولى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً غفر له وإن كان فر من الزحف)**، **(الترمذي ٣٥٧٧)** والفرار من الزحف من الموبقات السبع لكنه إذا صدق بلسانه وخشع بقلبه، وقال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له ما كان منه، ولو فر من الزحف، ومهما كان الذنب، وهذا مصداق قول الله **في الحديث القدسي**: **(يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك، يا ابن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة)**.**(الترمذي ٣٥٤٠ –)**ف لماذا يغلق الباب أمام المذنبين والمقصرين؟ **فلما قال ذلك العابد للذي قتل تسعة وتسعين نفساً: ليس لك توبة، كانت النتيجة أنه قتله،(البخاري ٣٤٧٠)** فمن يغلق باب الرحمة؟! كل الأبواب تغلق إلا باب الرحمة، بل إن آخر باب يغلق باب التوبة والاستغفار، فإذا طلعت الشمس من مغربها فذلك حين **لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا [الأنعام:١٥٨]**، فهذه آخر العلامات وبعدها يغلق الباب، ولكن قبلها مهما بلغت الذنوب فالباب مفتوح.والكثير من الناس يرسلون لنا ويقول أحدهم: أنا فعلت، وأنا فعلت، وأنا فعلت، وأنا فعلت، فهل يغفر الله لي؟ نعم يغفر لك مهما كان الذنب، بشرط: أن تصدق في توبتك، وتصدق في رجوعك إلى الله، حتى لو زنيت أو سرقت أو أكلت مال ربا، وفعلت كل شيء، مهما فعلت، لكن بشرط أن تعود وتستغفر وتلين وترجع إلى الله.فالذنب لا يضر الله لا من قريب ولا من بعيد: **(يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي! إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني)**.**(مسلم ٢٥٧٧)** ومن أسماء الله الحسنى: الغفور والغفار جل ثناؤه، وهما من أسماء المبالغة، ومعناهما: الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، فلا يسترها فقط، بل ويتجاوز عنها، والغفران والمغفرة من الله تعالى تكون: بأن يصون الله العبد من أن يمسه العذاب إذا غفر له، فلا عذاب عليه.قال الغزالي : الغفار هو: الذي أظهر الجميل وستر القبيح، ومن منا ليس عنده قبيح من الأفعال؟ فالله يعلم بهذا ويعلم بذاك، فمن مغفرته أنه يظهر الجميل ويستر القبيح.قال الخطابي : الغفار هو: الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أخرى، كلما تكررت التوبة من الذنب تكررت المغفرة.قال ابن منظور : أصل الغفر: التغطية والستر، فقولهم: غفر الله له أي: ستر له ذنوبه.**وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يدني الله العبد منه حتى يضع عليه كنفه –أي: ستره–، فيقرره بذنوبه، فيقول: تذكر يوم كذا، تذكر يوم كذا، حتى إذا ظن العبد أنه هلك، قال أرحم**

الراحمين: فإني قد سترتها لك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم(البخاري ٤٦٨٥)، فيخرج العبد بين الملأ وقد أعطي كتابه بيمينه وهو رافع رأسه **يَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ [الحاقة:١٩-٢٠]** فما أحلم الله! وما أرحم الله جل في علاه! **قال أهل العلم: ومن أسماء الله الحسنى: غافر الذنب**،(**معارج القبول بشرح سلم الوصول ١\١١٦**) وعن أبي هريرة مرفوعاً: (إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة (البخاري **٢٧٣٦** –) وليس المعنى: أنها فقط هي أسماء الله الحسنى ولا يوجد غيرها، **بدليل حديث**: (**اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيِّ حكمك، عدل فيِّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**)(**ابن حبان ٩٧٢**) إذاً: فلله أكثر من تسعة وتسعين اسماً.وليس معنى أحصاها: أي عدها، فمن السهل على أحدنا أن يسردها سرداً، لكن أين أثرها؟ أين أثر السميع؟ أين أثر البصير؟ أين أثر القادر؟ أين أثر المحيي؟ أين أثر المميت؟ أين أثر الضار النافع؟ فالمطلوب عند إحصائها: أننا نعرف ونستشعر أثرها، بصير يعني: أنه في كل مكان يراني، السميع أي أنه: يسمع سري وعلانيتي، الخبير أي أنه: لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الحكيم أي أنه: لا يضع الأمور إلا في نصابها، العزيز أي أنه: لا يغلب جانبه ولا يقهر، والعزة مستمدة منه ومن كتابه ومن دينه، فلابد أن نستشعر معاني الأسماء والصفات، وإلا ماذا يعني أن نقول: سميع ثم نتكلم بغيبة ونميمة.فقد جاء في خبر المجادلة التي جاءت تشتكي إلى رسول الله قول عائشة : والله! الذي لا إله إلا هو ما بيني وبينها إلا ستار، ووالله! ما سمعت شيئاً من كلامها، وفي لحظات يأتي وحي رب الأرض والسماوات من فوق السماء السابعة، وما بين سماء وسماء مسيرة خمسمائة سنة ويقول: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ [المجادلة:١]، رفع الله عنها الظلم والعدوان، **تقول عائشة** : (**تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، والله! ما بيني وبينها إلا ستار**(**ابن ماجة ٢٠٦٣**)، ثم تأمل في قوله تعالى: **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [ق:١٨]**. فإن قيل: فما الفرق بين الغفران والعفو؟ فالجواب قال الكفوي : إن الغفران يقتضي إسقاط العقاب، ولا يقتضي الثواب، ولا يستحق ذلك إلا المؤمن الذي يتوب ويرجع إلى الله، قال الله: **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى [طه:٨٢]** يعني: ثم استقام على طريق الاستقامة، وقال الله: **إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ [الفرقان:٧٠]** ولا يستعمل الغفار إلا في حق الباري تعالى، فلا يقال: فلان غفار، ولا يقال: غفرت لفلان، لكن العفو يقال في حق البشر أيضاً، قال بعضهم: العفو يقتضي إسقاط اللوم والندم، ولا يقتضيه الثواب، فقد يعفو عنك لكنه لا يثيبك على هذا، لكن إذا غفر لك أثابك وبدل سيئاتك حسنات، وبدل ذلك إلى مغفرة ورضوان. وقد تكرر لفظ الغفران في القرآن مرات ومرات مما يدل على سعة رحمة الله، **يقول الرسول صلى الله عليه وسلم**: (**إن لله مائة رحمة، أنزل**

منها في الأرض رحمة واحدة يتراحم بها العباد، حتى ترفع الدابة حافرها عن وليدها حتى لا تطأ عليه، فإذا كان يوم القيامة بسط الرحمن رحمته فغفر الذنوب وستر العيوب) (**مسلم ٢٧٥٢**) أو كما قال رسول الله، ومن واسع رحمة الله في ذلك اليوم أن الشيطان الرجيم يظن أن رحمة الله ستناله، فلماذا نغلق الباب أمام الناس؟ لماذا نضيق على الناس ونقول لهم: لابد من كذا وكذا؟! فباب الرحمة واسع، فإذا تحققت التوبة غفر الذنب مهما كان، **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ [الشورى:٢٥]** بشرط: أن تتحقق في قلوبنا التوبة والندم، والعزم على عدم الرجوع إلى الذنب، فإذا تحققت هذه الشروط -بإذن الله- يغفر الله الذنب مهما كان.لقد **قتل رجل مائة نفس ومع ذلك استقبلته ملائكة الرحمة، مع العلم أنه ما صنع خيراً قط، إلا أنه خرج بقلب تائب، وصدق في توبته، فصدق الله معه، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، تقول ملائكة الرحمة: يكفي أنه خرج بقلب تائب، وتقول ملائكة العذاب: إنه ما صنع خيراً قط، فاختصموا فيه، فأرسل الله ملكاً على صورة بشر يحكم بينهم فقال: قيسوا المسافة بين هذه القرية وتلك، فكان إلى القرية التي خرج إليها أقرب بشبر واحد.وجاء في رواية: أن الله أمر تلك القرية أن تقاربي، من أجل هذا الذي خرج تائباً.** (**البخاري ٣٤٧٠**)هذا واحد فكيف لو تاب الناس ورجعوا إلى ربهم جل في علاه؟إذاً: فالغفران دليل الرحمة، وقد تكرر قوله: غَفُورٌ رَحِيمٌ عشرات المرات في القرآن مما يدل على ذلك، والمغفرة والتجاوز عن الذنوب دليل عزة لا دليل ضعف، ولذلك لما خاطب الله عيسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم: **أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [المائدة:١١٦-١١٨]** ولم يقل: إنك أنت الغفور الرحيم؛ لأن الموقف موقف عزة، وموقف تفضل وكرم، فلو عذب الله البشرية من أولها إلى آخرها لما كان ظالماً لها، (**إنكم لن تدخلوا الجنة بأعمالكم، قالوا: ولا أنت؟ قال: ولا أنا**) **والذي يقول هذا هو خير من صلى وصام وقام، وخشي الله في السر والعلانية، يقول: وحتى أنا لن أدخل الجنة بعملي، وقد كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه،** (**إلا أن يتغمدني الله وإياكم بفضل منه ورحمة**)، (**البخاري ٥٦٧٣**) لذلك يقول الله يوم القيامة: **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا [يونس:٥٨]** ليس بأعمالهم، وإنما يفرحون بفضل الله ورحمته، قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ [يونس:٥٨]، **ويقول النبي صلى الله عليه وسلم:** (**للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عن لقاء ربه جل في علاه**) (**مسلم ١١٥١**) **إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * قَالَ اللَّهُ**

هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ [المائدة:١١٨-١١٩]. وقد أمرنا الله بالاستغفار في كل حال، قال تعالى: **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [البقرة:١٩٩]**، وقال متعجباً من حال الناس: **أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [المائدة:٧٤]**، وقال: **وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [المزمل:٢٠]**، وما دعا الله الأنبياء وأقوامهم إلا إلى الاستغفار فهذا محمد صلى الله عليه وسلم يؤمر بإعلان التوحيد وبالاستغفار من الشرك، قال تعالى: **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ * إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ... [هود:١-٥]** إلى آخر الآيات.فأمرنا الله بالتوحيد ثم بالاستغفار بعده، فمن منا لم يخطئ قط؟ كلنا صاحب ذنب وخطأ.ماذا تريد من هذه الحياة؟ أنت تسعى من الصباح حتى المساء ألا تريد داراً؟ ألا تريد مالاً؟ ألا تريد عيالاً؟ ألا تريد زوجة؟ ألا تريد قضاء حاجات من حوائج الدنيا؟ ستنالها بإذن الله إذا صدقت في الاستغفار، قال الله على لسان نوح: **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا [نوح:١٠-١٢]**.جاء رجل إلى الحسن البصري فقال: انقطع المطر فماذا نصنع؟ قال: أكثر من الاستغفار، وجاء رجل يشكو الفقر فقال له: أكثر من الاستغفار، وجاءه رجل يريد الذرية، فقال له: أكثر من الاستغفار، فقال الجالس له: عجباً لك يا أبا سعيد ! جاءك هذا يطلب كذا فقلت: أكثر من الاستغفار، وجاءك هذا يطلب كذا، فقلت: أكثر من الاستغفار، وجاءك ذاك يطلب كذا، فقلت: أكثر من الاستغفار، قال: هذا هو العلاج، أما قال الله: **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا [نوح:١٠-١٢]**.عجيب أمرنا! فلله ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، ثم لا نرجوه في حاجاتنا، ولماذا هذا؟ لأننا ما صدقنا في التعامل معه، **ولذلك حين أُخبر أبى حازم الزاهد بما حدث من ارتفاع في الأسعار قال: كيف أخاف الفقر أو أخشاه وسيدي له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى (تزكية النفوس ١\٣٣)**؟ أنت تتوكل على الغني، على القوي، على العزيز، **مَا عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ [النحل:٩٦]**، وقال سبحانه: **وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ [هود:٦١]**. والاستغفار من صفات الأنبياء والصالحين، قال الله: **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ**

الْمَصِيرُ [البقرة:٢٨٥]، وقال عنهم: **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا [آل عمران:١٩٣]**، وقال عن نوح: **رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ [هود:٤٧]، وقال عن السحرة: إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا [طه:٧٣]**، وقال عن داود: **فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ [ص:٢٤]**، وقال عن سليمان: **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي [ص:٣٥]**، ليس عيباً أن نخطئ، لكن العيب أن نتمادى في الخطأ، وتكرار الذنب تلو الذنب، بلا توبة ولا ندم ولا استغفار.

أنا الذي أغلق الأبواب مجتهداً على المعاصي وعين الله تنظـرني
يا زلة كتبت في غفلة ذهبت يا حسرة بقيت في القلب تحــرقني
دعني أنوح على نفسي وأندبها وأقطع الدهر بالتذكير والحــزني
دع عنك عذلي يا من كنت تعذلني لو كنت تعلم ما بي كنت تعذرني
دعني أمسح دموعاً لا انقطاع لها فهلا عسى عبرة منها تخلصــني

فأحب الناس إلى الله الذين يطأطئون الرءوس ويقولون: أستغفر الله، قال الله لأحد أنبيائه: (**بشر المذنبين أنهم إن تابوا قبلت منهم، وحذر الصالحين أني إذا أخذتهم بعدلي عذبتهم**) وهذا حتى لا يغتر الصالح بعمله، ولا يقنط العاصي من رحمة الله جل في علاه، لكن لا بد أن تعلم أن قبول الله للاستغفار يرتبط بالتوبة والعمل الصالح، كما قال الله: **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى [طه:٨٢] وقال: إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا [مريم:٦٠] وفي الحديث القدسي**: (**أذنب عبدي ذنباً، فاستغفرني، علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، غفرت لعبدي، ثم أخطأ، ثم استغفر، فقال الله: أذنب عبدي ثم استغفرني، علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي**)(**البخاري ٧٥٠٧ –**)، **وفي الحديث**: (**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يستغفرون الله فيغفر لهم**).(**مسلم ٢٧٤٩**)فالله اسمه التواب، ولابد أن هناك ناساً يذنبون ويتوبون حتى يتوب الله عليهم، والله اسمه الغفار، ولابد أن هناك أناساً يخطئون فيستغفرون الله فيغفر لهم، قال **الفضيل** : **استغفار بلا إقلاع، وبلا توبة وبلا ندم هذا استغفار الكذابين،(الاذكار للنووي١\٤٠٤)** ولاحظ من يقول بعد الصلاة ثلاثاً: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، ثم انظر في حاله إذا خرج من مسجده، شاشات وقنوات، ودخان، ومقاه وآهات، أين ذهبت أستغفر الله وأتوب إليه؟! لذلك قالت **رابعة العدوية: استغفارنا يحتاج إلى استغفار(موعظة المؤمنين)** *.**وقد سئل سهل بن سعد عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب قال: أول الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة ثم التوبة، فأول الاستغفار الاستجابة،(، قوت القلوب في معاملة المحبوب ١\٣١٩)** قال الله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ [الأنفال:٢٤]** ثم الإنابة: **وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ**

[الزمر:٥٤] ثم توبوا.إذاً: فاستجابة ثم إنابة ثم توبة، قال: فالاستجابة عمل الجوارح، فلا ينظر ولا يسمع ولا يرى ولا يذهب ولا يأتي إلا في طاعة، ثم الإنابة: وهي عمل القلب، فيخضع ويستكين لله رب العالمين، ثم التوبة والإقبال على الله بالقلب والجوارح. إن الاستغفار هو الأمن والأمان للذي يستحق بتركه العذاب، قال الله: **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الأنفال:٣٣]**، قال الصحابة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم: ذهب الأمان الأول وبقي الأمان الثاني، **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ؛ لأنك كنت أمانهم فذهبت وبقي لهم الأمان الثاني: وهو الاستغفار: (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون).قال ابن الجوزي : إن إبليس قال: أهلكت بني آدم بالذنوب، فلما رأيت فيهم ذلك نفثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون(مفتاح دار السعادة ١\١١٢)**؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا [الكهف:١٠٣-١٠٤]**.فكثير من الناس يعيش في ضياع وهو يظن أنه على خير، وقد قال لي أحدهم: إن فلاناً مرءوسه في العمل يقول: فلان أخلاقه عالية لكن فيه عيباً واحداً، قلت: وما هو؟ قال: لا يصلي مع الناس في المسجد، ثم لقيته بعدها بأيام وأنا خارج من المسجد وهو خارج من الصالة الرياضية، فهو يحرص على جسمه كما قال الله عن المنافقين: **إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ [المنافقون:٤]** يهتمون بالمظاهر، أما السرائر فخاوية لا يعلمها إلا الله، والمشكلة مصيبة المضيعين أنهم يظنون أنفسهم على خير، قال: لقيته فقلت له: كيف حالك؟ قال: بخير، فقلت: رئيسك يذكرك بخير؟ فضحك وابتسم لأنه يرضي الخلق ولا يرضي الخالق، نسأل الله العفو والعافية، قلت: يقول رئيسك: إنك على خير وأخلاق وكذا، وهو يضحك، ثم قلت: لكنه يقول: إن فيك عيباً واحداً قال: وما هو؟ لأنه حريص على ألّا يراه رئيسه على خطأ معين، قلت: يقول: إنك لا تصلي مع الناس في جماعة، قال: والله! صحيح، فنحن مقصرون، قلت له: قلت: مقصرون؟! لا يا عبد الله! فعندما لا تراني في تكبيرة الإحرام كل يوم فأنا مقصر، وعندما لا أدرك ركعتي السنة قبل الفجر فأنا مقصر، وعندما تفوتني قراءة وردي في وقت قراءته فأنا مقصر، لكنك مضيع، وتعيش في ضياع وأنت لا تشعر: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ [الزخرف:٣٦-٣٧]، فمن لا يشهد جمعة ولا جماعة هل يقول: أنا على خير، أنا مقصر؟! بل هو رجل مفرط بكل ما تعني الكلمة، ذكرناه فقال: أنا أحسن من فلان! فبعد أن كان التنافس في درجات الجنان أصبح التنافس في الإقلال من المعاصي، وانقلب الميزان! نسأل الله العفو والعافية! وأحد الجالسين الآن معنا تاب واستقام وصلح حاله فآذاه أصحاب الماضي، يقول: كنت لا أصلي ولا أقوم، وهذا أول رمضان أقومه، فأتى إلي أصحاب الماضي يقولون: ما لك ولهذا الطريق؟ أنت على خير، قلت: وأي خير هذا؟ فهم على ضلال، ويريدون أن يضل صاحبهم معهم، وفي المثل: ودت الزانية لو أن كل النساء زواني،

وهكذا حال كثير من الناس يزين بعضهم لبعض الضياع، يقولون: أنت على خير، لماذا التشدد؟ ولماذا التعصب؟ ولماذا التطرف والإيمان في القلب؟ فلا يحتاج أن تفعل كذا وكذا، قلت: فهم مساكين، يريدون شيئاً والطريق في الاتجاه الآخر. فإن قيل: فما هي أحسن أوقات الاستغفار؟فأنا وأنت ابتلانا الله، فمنذ أن خرجنا إلى هذه الحياة ونحن في ابتلاء.أنت الذي ولدتك أمك باكياً والناس حولك يضحكون سروراً فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسروراً فالعبرة النهايات، فاعمل أنت في فترة الابتلاء التي قال الله عنها: **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ [آل عمران:١٤-١٥]** من هم العباد؟ **قال: الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [آل عمران:١٦]**، ما هي صفاتهم؟ **الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ [آل عمران:١٧]**.فهل نحن منهم حتى ننجوا؟! إذا أردت أن تنجو فاتصف بصفاتهم، قال الله عنهم: **كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الذاريات:١٧-١٨]**.سبحان الله! على ماذا يستغفرون وهم لم يذنبوا؟ لقد صفوا الأقدام أمام الله، يبكون ويتضرعون، ولما انتهوا خافوا ألا يقبل منهم، **ولذلك لما سألت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم: عن قوله تبارك وتعالى: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ [المؤمنون:٥٧-٦٠] قالت: يا رسول الله! أهم الذين يسرقون ويزنون؟ قال:** (لا، **بل هم الذين يصومون ويقومون، ويعملون العمل ويخافون ألا يتقبل منهم)**،(**شعب الايمان ٧٤٧) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الذاريات:١٧-١٨]**.(**مسند احمد ٩٥٨٩)** ولك أن تنظر إلى حال أهل الأرض في تلك الساعة! يقول تعالى: **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ [الأنبياء:١]**. فكلنا نحتاج إلى الاستغفار حتى الأموات، **تقول عائشة** : **(لما كانت ليلتي انقلب النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي فوضع رداءه، وخلع نعليه.. فاضطجع، تقول: لما ظن أني رقدت أخذ رداءه رويداً، وانتقل رويداً وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويداً، تقول: فاختمرت وتبعته) أي: تبعته عائشة رضي الله عنها لأنها كانت تحبه حباً جماً، وكانت تغار عليه غيرة لا يعلمها إلا الله، ولكنها لا تلام، فالذي بين يديها هو سيد البشر، فهي لا تلام في حبه؛ لأنه سيد البشر، تقول:** (**اختمرت وتبعته، حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام، ثم لما انتهى انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، وهرول فهرولت، تقول: فتبعني إلى غرفتي فقال لها: لتخبرنني أو ليخبرنني اللطيف الخبير، فاعترفت، قال: فأنت السواد إذاً، تقول: فلهزني في صدري لهزة أوجعتني، وقال لها:**

أظننتي أن يحيف الله عليك ورسوله؟ -أي: تظنين بأني سأخرج من عندك حتى أذهب إلى إحدى نسائي؟! إن جبريل أتاني فناداني، ولم يكن ليدخل عليك وقد وضعت ثيابك، فظننت أنك رقدت، فكرهت أن أوقظك، وقال لي: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم؟ قلت: كيف أقول لهم؟ قال: قل: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون)(مسلم) فالأموات أيضاً يحتاجون إلى الاستغفار ويحتاجون إلى من يدعو لهم ويستغفر لهم، وثق تمام الثقة أنك إذا دعوت لهم فإن الله سيقيض لك من يدعو لك إذا وسدت في التراب، وفارقك الأهل والأحباب. وهذه بشارات للمستغفرين والتائبين يقول تعالى: **أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ [آل عمران:١٣٦]**، والذي يبشرهم: هو الله، ففي الاستغفار نجاة، وفي الاستغفار تفريج للهموم، وكشف للغموم.ولك أن تجرب بارك الله فيك وتملأ اليوم والليلة والنهار بـ(أستغفر الله العظيم)، وسترى الآثار، ماذا يقول أهل الجنة في الجنة، **إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ * فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ [الطور:٢٦-٢٩]**.أسأل الله أن يجعلني وإياكم من المستغفرين في الأسحار، ومن المستغفرين في كل حال بالليل وبالنهار.اللهم! اغفر ذنبنا، واستر عيبنا، وتجاوز عنا.اللهم اغفر لنا، واجعلنا خيراً مما يقولون، وأحسن مما يظنون، واغفر لنا ما لا يعلمون، أصلح علانيتنا، وإسرارنا يا حي! يا قيوم!اللهم! لا تؤاخذنا بالتقصير، واعف عنا الكثير، وتقبل منا اليسير، إنك -يا مولانا- نعم المولى ونعم النصير.اللهم! آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين.اللهم! انصر العراق وأهل العراق، وانصر فلسطين والشيشان وكشمير، واجبرنا في شهدائنا خيراً يا رب العالمين.اللهم! اجمع شملنا، ووحد صفنا، واكبت عدوك وعدونا إنك على ذلك قدير.

***

الإسراء والمعراج وبدع رجب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**.**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.عباد الله! **يقول أهل السير: إن الإسراء والمعراج كانا مكافأة ربانية على ما لاقاه النبي صلى الله عليه وسلم من أفراح وأحزان، فلقد كان بعد حصار دام ثلاث سنوات في شعب أبي طالب ، وما لاقى أثناءه من جوع وحرمان، ولقد كان بعد فقد الناصر الحميم وهو عمه أبو طالب ، وفقد زوجته خديجة أم المؤمنين، ولقد كانت بعد خيبة الأمل في ثقيف وما ناله من سفهائها وصبيانها وعبيدها.فبعد هذه الآلام كافأ الحبيب حبيبه، فرفعه إليه، وقربه وأدناه، وخلع عليه من حلل الرضا ما أنساه كل ما لاقاه، وكل ما سيلاقيه(سبل السلام من صحيح سيرة الانام ١\١٧٨)** ، فيعتبر الإسراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رحلة الطائف وما عاناه أثناءها تعويضاً عظيماً، وجائزة قيمة على صبره.فتعال! رعاك الله نتأمل الموقفين، ونقارن بين الحالين: بين رحلة الطائف وبين رحلة الإسراء، فنلاحظ ما يلي:أنه ذهب إلى الطائف ماشياً بينما ذهب إلى بيت المقدس راكباً على البراق، وكان في صحبته إلى الطائف مولاه زيد بن حارثة ، وصحبه جبريل عليه السلام في رحلة الإسراء، وفي الطائف استقبله بنو عبد يا ليل بالسخرية والاستهزاء، وأغروا به العبيد والسفهاء، وفي رحلة الإسراء استقبله الأنبياء والمرسلون، وحيوه أعظم تحية. وفي الطائف لم يجد من يأويه ليبلغ رسالة ربه، وفي الإسراء قدمه جبريل ليكون إماماً للأنبياء، وفي الطائف ضاقت به الأرض فلم يجد مكاناً يأوي إليه، وفي رحلة الإسراء استضافته السماء ليكون مقدماً بين أهلها، وليقف سكانها على علو شأنه عند ربه عز وجل، وفي الطائف لم يقر بنبوته أحد، وعاد منها كما دخلها، وفي رحلة الإسراء آمن به الأنبياء، وصدق رسالته أهل السماء، فجاءت رحلة الإسراء والمعراج تثبيتاً للنبي صلى الله عليه وسلم لما قد لاقاه ولما سوف يلاقيه في طريق الدعوة إلى الله. عباد الله! لقد جاء ذكر الإسراء والمعراج في القرآن الكريم، وفي الأحاديث الصحيحة

وفي كتب السيرة.**قال القرطبي : ثبت الإسراء في جميع مصنفات الحديث، وروي عن الصحابة في كل أقطار الإسلام، فهو من المتواتر بهذا الوجه(ا لجامع لاحكام القران ١٠\٢٥٠).وذكر القاسمي أنه رواه عشرون صحابياً**.(**محاسن التأويل**)عباد الله! متى كان الإسراء ؟ إن هذا أمر مهم لا بد من بيانه؛ للقضاء على البدع والخرافات التي انتشرت في رجب وفي غير رجب من الشهور.لقد اختلف العلماء في وقت الإسراء، فلا يعرف في الإسراء تاريخ محدد، ولكن أكثر أهل العلم على أنه بعد رحلة الطائف، ورحلة الطائف كانت في السنة العاشرة.وأيضاً: ليس هناك مصلحة في معرفة اليوم والشهر إلا عند المبتدعة الذين يفعلون في تلك الليلة من البدع ما لم ينزل الله به سلطاناً، ولو كان هناك مصلحة في معرفة الوقت والتاريخ لعرفه الصحابة؛ فهم أولى بذلك.وذكرت حادثة الإسراء لا لأنها وقعت في شهر رجب، وإنما ذكرتها لعظيم الفائدة، وحتى ننكر على المبتدعة ما يفعلونه في رجب وفي غير رجب. أحبتي! ما معنى الإسراء؟ وما معنى المعراج؟ الإسراء: هو سير الليل، يقال: سريت مسرىً وأسريت إسراءً، قال تعالى: **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا [الإسراء:١]**.وأما المعراج: فهو السلم الذي يصعد عليه، **قال ابن إسحاق : أخبرني من لا أتهمه عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول**: (**لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتي بالمعراج، ولم أر شيئاً قط أحسن منه، وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه**) **أي: أن الميت في ساعة الاحتضار يمد عينيه إلى السماء يشاهد المعراج؛ حيث سيعرج بروحه إلى السماء، (وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه إذا احتضر، فأصعدني فيه صاحبي -يعني: جبريل عليه السلام- حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء)**.**فالأمر ليس كما يظنه كثير من الناس أنه صلى الله عليه وسلم ركب البراق إلى بيت المقدس، ثم ركبه إلى السماء، بل لما وصل إلى بيت المقدس ربط البراق بباب المسجد ثم دخل، ثم صعد على المعراج إلى السماء، ولما عاد ركب البراق إلى مكة ثانية، ف سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا .(ابن هشام ٢٥٠\٢ قصة الاسراء**) عباد الله! متى صلى النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء هل ذلك حين ذهابه أو حين رجوعه ؟الظاهر من الأخبار: أنه صلى بهم بعد رجوعه من المعراج، فلما رجع من الحضرة الإلهية العظيمة هبط معه الأنبياء تكريماً له وتعظيماً، فهو قد التقاهم في السماء، وكان جبريل يعرفه بهم، فكان يقول: هذا فلان فيسلم عليه، **فهذا إدريس! وهذا يوسف! وهذا هارون! وهذا موسى! وهذا عيسى! فلو كان اجتمع بهم قبل صعوده لما احتاج إلى التعرف إليهم مرة ثانية حين عرج به إلى السماء**،(**البخاري٣٨٨٧**) ومما يدل على أنه صلى بهم حين عودته: أنه قال في الحديث: (فلما حانت الصلاة أممتهم) (التمرمذي **٤٥٠ حكم الالباني منكر**)ولم يحن وقت صلاة حين ذاك إلا صلاة الفجر، فصلى الأنبياء خلف سيد الأنبياء والمرسلين، فعرف الأنبياء أن هذا هو إمام الأنبياء وأعظمهم، وإلا كيف يؤمهم في محلهم ودار إقامتهم؟! ثم ركب البراق وعاد إلى مكة.

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكــدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك: يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً

قال تعالى: **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى [الإسراء:١]** **قال القاسمي: والأقصى بمعنى: الأبعد، سمي بذلك لبعده عن مكة، وفي قوله: الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ [الإسراء:١] أي: جوانبه، وذلك ببركات الدنيا والدين؛ لأن تلك الأرض المقدسة مقر الأنبياء، ومهبط وحيهم، ومنمى الزروع والثمار، واكتنفته البركة الإلهية من كل نواحيه، فبركته مضاعفة؛ لكونه في أرض مباركة، ولكونه من أعظم مساجد الله،(محاسن التاويل الاسرء)** وقد قيل في خصائص الأقصى: أنه متعبد الأنبياء السابقين، ومسرى خاتم النبيين، ومعراجه إلى السماوات العلى، والمشهد الأسمى.وهو بيت نوه الله به في الآيات المفصلة، وتليت فيه الكتب الأربعة، ومن أجل ذلك البيت أمسك الله الشمس ليوشع بن نون لكي لا تغرب ليتيسر فتحه على من وعدوا به.وهو قبلة الصلاة في الملتين، وفي صدر الإسلام بعد الهجرتين، وهو أولى القبلتين وثاني المسجدين، ولا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه.ومن فضائله: **ما رواه أحمد(٦٦٤٤) والحاكم والنسائي(الكبري ٦٨٣) وصححه الحاكم عن ابن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه ثلاثاً، فأعطاه اثنتين، وإني أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة، سأله حكماً يصادف حكمه، فأعطاه إياه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد -يعني: بيت المقدس- إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه) قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ونحن نرجوا أن يكون الله قد أعطاه هذا)، قال العلامة أحمد شاكر : إسناده صحيح، وصححه العلامة الألباني** رحمه الله.عباد الله! مما سبق يتبين لنا فضل المسجد الأقصى ومكانته في قلوب المسلمين، **ولما استرجعه صلاح الدين من أيدي الصليبيين بدأ الإمام خطبة الجمعة فيه بقول الله تبارك وتعالى: فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الأنعام:٤٥]،(البدية والنهاية ١٢\٣٩٧)** فنسأل الله كما قطع دابر الذي احتلوه في المرة الأولى أن يقطع دابرهم في المرة الثانية، وأن يستعملنا في ذلك، وأن يمتعنا الله بالصلاة فيه، وما ذلك على الله بعزيز. عباد الله! لقد كانت رحلة الإسراء والمعراج عزاءً وتثبيتاً للنبي صلى الله عليه وسلم لما لاقاه ولما سوف يلاقيه في سبيل الدعوة إلى الله، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الإسراء وقد امتلأ قلبه ثقة ويقيناً، كيف لا والله يقول: **لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى [النجم:١٨]**، كما أنه كان امتحاناً وابتلاءً لمن أسلم وآمن، فلما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخبر فما بين مصدق ومكذب، ولشدة الخبر ارتد بعض من آمن ولم يرسخ الإيمان في قلوبهم، ولم تخالط بشاشته القلوب.**جاء عند البخاري (٤٧١٦) والترمذي(٣١٣٤) عن ابن عباس في قوله تبارك وتعالى: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي**

الْقُرْآنِ [الإسراء:٦٠]، أي: امتحاناً وابتلاءً قال: **هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به إلى بيت المقدس، وأما الشجرة الملعونة فهي شجرة الزقوم طعام الأثيم،** أعاذنا الله وإياكم منها.وكانت الفتنة في تلك الحادثة ارتداد قوم كانوا قد أسلموا حين أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد أسري به، ثم عرج به إلى السماء، **وجاء المستهزئون إلى أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه فأخبروه بالخبر: إن صاحبك -يعنون محمداً- يدعي ليلة البارحة أنه أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء، ثم عاد من ليلته، فقال الصديق رضي الله عنه وأرضاه، أو قد قال؟ قالوا: نعم، قال: صدق، إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك، إني أصدقه في خبر السماء يأتيه صباح مساء(دلائل النبوة ٦٥٢)**. فثبت من ثبت عن بينة، وارتد من ارتد عن بينة.والخلاصة: أن حادثة الإسراء كانت تطميناً ومواساة للنبي صلى الله عليه وسلم، وفتنة للكافرين، وامتحاناً لضعاف الإيمان الذين زلزل الحادث إيمانهم، فكفروا ولم يعودوا إلى دائرة الإسلام حتى قتلوا، فنسأل الله العفو والعافية.فالفتن امتحان وابتلاء قال تعالى: **الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ [العنكبوت:١-٣]**. عباد الله! كيف كان الإسراء؟ قال بعض العلماء: **إن الإسراء كان رؤيا منامية، واستدلوا بقوله تبارك وتعالى: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ [الإسراء:٦٠]**.وقال بعضهم: إن الإسراء كان بالروح والجسد، وأما المعراج فبالروح فقط.والذي عليه معظم السلف والخلف من أئمة الأمة وعلمائها أن الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد معاً، يقظة لا مناماً، يقول ابن حجر : وإلى هذا -يعني: الإسراء والمعراج بالروح والجسد- ذهب جمهور الأمة من العلماء المحدثين، والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، **ومثله قال ابن القيم في زاد المعاد، قال العلماء: وهذا هو الذي تطمئن إليه النفس -يعني: أن الإسراء بالروح والجسد، يقظة لا مناماً- ويرتاح إليه القلب،(٣\٤٠)** إذ لو كان الإسراء والمعراج بالروح فقط، وكان المقصود رؤيا منامية لم يستبعد المشركون ذلك، ولم ينكروه على النبي صلى الله عليه وسلم، ولما كان في ذلك آية ولا معجزة، ف **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا** . عباد الله! وأما الأحاديث الواردة في ذكر الإسراء والمعراج فكثيرة يطول ذكرها، **وأتمها حديث أنس عند (مسلم١٦٢) وملخص تلك الروايات أنه صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل بالبراق -وهو دابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، وليس له أجنحة كما يظن كثير من الجهال- فركبه حتى أتى بيت المقدس، فصلى به ركعتين، ثم عرج به إلى السماء، فالتقى بالأنبياء، التقى بآدم وعيسى ويحيى وإدريس، ورأى إبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة.ثم ذهب به إلى سدرة المنتهى، وإذا بورقها كآذان الفيلة، وثمارها كالقلال، فلما غشي السدرة ما غشَّى، هناك أوحى إليه ربه ما أوحى، فأمره بخمسين صلاة، -اسمع بارك الله فيك عظم**

قدر الصلاة حيث أنها شرعت في السماء- فلا يزال يأتي موسى فيرده إلى ربه: إسأل ربك التخفيف؟ حتى خفف الله على الأمة من خمسين إلى خمس صلوات، وهن بأجر خمسين فأين نحن من صلواتنا؟!ثم نزل صلى الله عليه وسلم بصحبة جبريل إلى بيت المقدس، فنزل الأنبياء يشيعونه، فصلى بهم صلاة الصبح بالمسجد الأقصى، ثم ركب البراق الذي تركه مربوطاً بحلقة الباب، وعاد إلى مكة في صبيحة تلك الليلة، وقد ذهب عنه كل كرب وغم وحزن، وعاد أكثر ثقة وطمأنينة، فقد رأى بأم عينيه ما كان تلقاه وحياً، وليس من رأى كمن سمع.وجلس النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد الحرام وهو لا يدري كيف سيقابل قريشاً بهذا النبأ العظيم، فما زال جالساً حتى مر به أبو جهل ، فسأله مستهزئاً: هل استفدت الليلة شيئاً يا محمد؟فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم: نعم، أسري بي الليلة إلى بيت المقدس.قال أبو جهل : ثم أصبحت بين ظهرانينا! أسري بك في هذه الليلة ثم عدت من ليلتك؟!قال النبي صلى الله عليه وسلم واثقاً: أن نعم، قال أبو جهل : أأخبر قومك بهذا؟!فقال النبي صلى الله عليه وسلم واثقاً: نعم.فقال أبو جهل : يا معشر بني كعب بن لؤي! هلموا فأقبلوا علي، فحدثهم النبي صلى الله عليه وسلم فما بين مصدق ومكذب، وواضع يده على رأسه استعظاماً للخبر، وتعجباً منه، ثبت من ثبت عن بينة، وارتد من ارتد عن بينة.وجاء عند (البخاري٣٨٨٦ -) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كرباً ما كربت مثله قط، قال: فرفعه الله لي أنظر إليه، لا يسألوني عن شيء إلا أخبرتهم به، وأخبرهم عن عير لهم، ومتى وصولها، وصدق في ذلك، ومع هذا ما زادهم إلا عناداً وتكذيباً).عباد الله! لقد كان الإسراء محنة قاسية للمؤمنين، واختباراً لصلابة إيمانهم، وثباتهم على عقيدتهم، لم يكن للعرب عهد بمثل هذه الخوارق، ولا ألفت نفوسهم سماع مثل هذه المعجزات التي تخالف ما تعودته نفوسهم من المحسوسات والماديات، إنهم يذهبون شهراً، ويعودون شهراً في رحلة الشام، فكيف يذهب محمد ويرجع في ليلة واحدة؟ بل في جزء من الليلة، فأخذ الشك يتسرب حتى إلى نفوس المؤمنين، وإن خبر السماء لأهون على نفوسهم من ذلك؛ لأن الذي يأتي بخبر السماء ملك من أهل السماء، وأهل السماء يقدرون على ما لا يقدر عليه أهل الأرض، ولهذا قالوا: والله إن العير شهراً من مكة إلى الشام مدبرة وشهراً مقبلة، أفيذهب محمد ويرجع في ليلة واحدة؟ لذلك قال أهل العلم: لم يكن الإسراء والمعراج مجرد خارقة من الخوارق أجراها الله لنبيه لتكون دليلاً على صدق ما ادعاه من النبوة، فإن صدقه صلى الله عليه وسلم قد ذاع قبل هذا، ولا يحتاج إلى دليل أو إلى غيره.لقد اشتمل الإسراء على دروس وعبر أهمها:أولاً: إثبات القدرة الإلهية، وأنه لا يستعصي على قدرته شيء، لهذا قال: **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا أي: تنزه عن كل نقص وعيب، إنها قدرة لا يقف أمامها حدود، ولا تعطل سيرها سدود، قال تعالى: إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ**

نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [النحل:٤٠].ثانياً: هذه الرسالة عامة لجميع الأمم، فلقد وصل بيت المقدس وصلى فيه، ثم أم فيه الأنبياء وهو مهبط رسالاتهم ووحيهم، ولم يكن الاجتماع فيه لمجرد الاجتماع به، وإنما كان للإقرار بنبوته، وتفوقه عليهم في المكانة، وعلو قدره ومكانته عند ربه، وصلاته بهم اعترافاً منهم بحقه، ودعوة لأممهم لطاعته والاقتداء به، وإن تحول القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام دليل على أن أهل القبلتين لا بد لهم من اتباع قبلته.ثالثاً: الإسراء دليل على أن الأرض كلها دولة إسلامية، وأن الدولة الإسلامية ليس لها حدود تنتهي عنده، فنبي الإسلام ولد في مكة، وأسري به إلى بيت المقدس، وهاجر إلى المدينة، وهاجر أصحابه إلى الحبشة، فالأرض لله يورثها من يشاء من عباده، قال الله: **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ [الأنبياء:١٠٥-١٠٦]**.وفي ذهابه إلى بيت المقدس وهو واقع في نطاق الإمبراطورية الرومانية إشارة إلى زوال تلك الإمبراطورية، وضمها إلى رقعة الدولة الإسلامية، ولقد تحقق ذلك مصداق قوله تبارك وتعالى: **لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [التوبة:٣٣]**.فمرت أعوام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وفتح بيت المقدس، وذلك في عهد عمر رضي الله عنه اللهم ردنا إليك رداً جميلاً يا رب العالمين!أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم. الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه.اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وإخوانه.عباد الله! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله عباد الله: **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ [البقرة:٢٨١]**.عباد الله! رجب شهر من الأشهر الحرم الأربعة، وهي ثلاثة متصلة: **ذو القعدة وذو الحجة ومحرم، وواحد فرد هو شهر رجب**، واختلف في سبب تسمية هذه الأشهر حرماً على أقوال:فقيل: **لعظم حرمتها وحرمت الذنوب فيها، وقيل: سميت حرماً لتحريم القتال فيها، وكان ذلك معروفاً في الجاهلية، وقيل: إن سبب التحريم لأجل التمكن من الحج والعمرة، فيأمن الحجاج على أنفسهم ذهاباً وعودة.ومما** يجب أن يعلم: أن رجب شهر كسائر الشهور يستحب فيه من الأعمال الصالحة ما يستحب في غيره من الشهور بلا تميز عن سائر الشهور، ولقد انتشرت بدع كثيرة لا بد من التنبيه عليها:أولها: صلاة الرغائب، وهي صلاة يصليها المبتدعة في أول خميس من شهر رجب بين المغرب والعشاء يصلون اثنتي عشرة ركعة، وهي ما أنزل الله بها من سلطان، قال الحافظ العراقي وغيره: حديثه موضوع لا أصل له.ثانيها: صلاة ليلة المعراج، وإحياؤها والاحتفال بها، قلنا: ليلة الإسراء والمعراج ليلة غير معروفة، فلم يعرفها الصحابة فكيف يعرفها من بعدهم؟! فيحيونها في ليلة السابع والعشرين مبتدعين ومغيرين في دين الله، وليلة المعراج لم يعرف لها وقت معين.ثالثها: تخصيص بعض الأيام بالصيام أو العمرة كالعمرة الرجبية، أو غيرها، وهذا أمر لم ينزل الله به سلطاناً، ولا دليل على ذلك.ومما انتشر بين الناس في

جوالاتهم وفي رسائلهم: التهنئة بدخول شهر رجب، **بقولهم: اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان،(شعب الايمان ٣٥٣٤) قال أهل العلم: هذا حديث ضعيف، (الالباني الجامع الصغير ٩٨٧٥)** بل أنكره بعض أهل العلم.فعليكم عباد الله بسنة نبيكم وسنة الخلفاء المهديين من بعده، عضوا عليه بالنواجذ، ولقد قال صلى الله عليه وسلم: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)(البخاري ٣٥٣٤)** فاحذروا من البدع رعاكم الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وما وقع هؤلاء في بدعهم إلا لجهلهم بما أنزل الله تبارك وتعالى، والجهل يدفع بالعلم ويصده، فتعلموا بارك الله فيكم أمور دينكم، **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ [النحل:٤٣]**.اللهم أعز الإسلام والمسلمين، ودمر الشرك والمشركين، وانصر عبادك الموحدين.اللهم أقم علم الجهاد، واقمع على أهل الشرك والزيغ والعناد.اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمتك، اللهم حرر أقصانا من أيدي اليهود، ورد العراق لنا رداً جميلاً يا رب العالمين!اللهم أخرج الكفرة الصليبيين من بلاد المسلمين أذلة صاغرين، اللهم لا ترفع لهم في بلاد المسلمين راية، ولا تحقق لهم في بلاد المسلمين غاية، واجعلهم لمن خلفهم عبرة وآية.اللهم عليك بهم وبمن والاهم، يا رب العالمين! اللهم اشدد وطأتك على أمريكا وأعوانها، اللهم اشدد وطأتك على اليهود الغاصبين، والشيوعيين والمنافقين يا قيوم السماوات والأرضين!اللهم فك أسرانا في كوبا وفي كل مكان، وهيئ لهم من أمرهم رشداً، واجعل لهم من أمرهم مرفقاً، وثبتهم على طاعتك يا رب العالمين!اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين! وعلمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً يا رب العالمين!اللهم أحينا مسلمين، وتوفنا مسلمين، لا خزايا ولا مفتونين.اللهم لا تؤاخذنا بالتقصير، واعف عنا الكثير، وتقبل منا اليسير، إنك يا مولانا! نعم المولى ونعم المصير.عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم.

***

البداية والنهاية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**، **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**، **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.معاشر الأحبة! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله وبياكم وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته إخواناً على سرر متقابلين، أسأله سبحانه أن يفرج هم المهمومين ويكشف كرب المكروبين ويقضي الدين عن المدينين وأن يدل الحيارى ويهدي الضالين ويغفر للأحياء وللميتين.أهلاً بكم أحبتي في ليلة مباركة عنوانها: البداية والنهاية.ولكل شيء بداية ونهاية!تعالوا نبدأ هذه البداية بنبأ عظيم رواه الله لنا في كتابه جل وعلا، إنه نبأ عظيم غفل عنه الأكثرون، فلنسمع ونتدبر قوله جل في علاه بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: **قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ * مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ [ص:٦٧-٨٨]**.ومنذ تلك اللحظة بدأت حكاية البداية والنهاية، بدأت المعركة بين الحق والباطل، معركة باطل يتزعمها إبليس وجنوده، هدفهم إضلال البشرية وتزيين الباطل لهم وصدهم عن صراط الله المستقيم واستخدموا لذلك كل الوسائل المشروعة وغير

المشروعة.قال تعالى على لسان إبليس: **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ [الأعراف:١٦-١٧]**.فزينت الشياطين للبشر الضلالة والغواية، وعود وأماني، **وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا [النساء:١٢٠]**، فزينوا للناس الدنيا والركون إلى شهواتها ولذاتها وأنسوهم الموت وسكراته والقبر وظلماته، أنسوهم يوم الحشر وكرباته والحساب وشدته.فأرسل الله الرسل وأنزل الكتب وشرع الشرائع، قال سبحانه: **رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا [النساء:١٦٥]**، وقال سبحانه: **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [المائدة:١٩]**. فأرسل الله إلينا خير رسله، وأنزل علينا أحسن كتبه، وشرع لنا أكمل الشرائع. من اتبع وأطاع وسلك طريق الهداية فليبشر بروح وريحان، ومن ضل وعصى وسلك طريق الغواية فلا يلومن إلا نفسه. من رحمة الله بنا: أن جعل طريق الهداية والاستقامة طريقاً مستقيماً واضحاً بيناً، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (**خط لنا النبي صلى الله عليه وسلم خطاً مستقيماً وخط على جوانبه خطوطاً ثم قال: هذه سبل وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه، وهذا -يعني الخط المستقيم- صراط الله مستقيماً،(مسند احمد ٤١٤٢) ثم قرأ قوله تبارك وتعالى: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [الأنعام:١٥٣]**،). فهيا بنا نبدأ الحكاية وستتكون من العناصر التالية:أول المواعظ.ثم بداية حياة ونهاية.ثم بداية موت وقبر ونهاية.ثم بداية حشر ونهاية.ثم بداية حساب ونهاية. ثم آخر الكلام. **قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الشام متفقداً أحوالها، فزار صاحبه أبا الدرداء في منزله ليلاً، فدفع الباب فإذا هو بغير غلق، ثم دخل في بيت مظلم لا ضوء فيه، فلما سمع أبو الدرداء رضي الله عنه حسه قام إليه ورحب به، ثم جلس الرجلان يتبادلان الأحاديث والظلام يحجب كلاً منهما عن عيني صاحبه، فجس عمر وساد أبي الدرداء فإذا هو برذعة، وجس فراشه فإذا هو حصا، وجس دثاره -يعني لحافه- فإذا هو كساء رقيق لا يغني شيئاً من برد الشام، فقال له عمر : رحمك الله يا أبا الدرداء! ألم أوسع عليك؟! ألم أبعث لك؟! فقال أبو الدرداء : (أتذكر يا عمر حديثاً حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عمر : وما هو؟ قال: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا: ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب)، فماذا فعلنا بعده يا عمر ! فبكى عمر وبكى أبو الدرداء ، وما زالا يتجاوبان البكاء والنحيب حتى طلع عليهما الفجر.(كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ٣٧٤٣٨)**
فلا إله إلا الله والله أكبر!.. كيف إذا جاء عمر وأبو الدرداء ونظرا في أحوالنا؟! كم غيرنا؟! وكم بدلنا؟! وكم انفتحت الدنيا؟! ومضت الأيام قدماً وتوفي أبو الدرداء رضي الله عنه كما هو سبيل كل حي، فرأى

عوف بن مالك الأشجعي فيما يراه النائم مرجاً أخضر فسيح الأرجاء وارف الأفياء فيه قبة عظيمة من أدم حولها غنم رابضة لم تر العين مثلها قط، فقال: لمن هذه؟ فقيل: هذه لعبد الرحمن بن عوف، فبينما هو يتأمل في حسن المرج وبهائه إذ طلع عليه عبد الرحمن بن عوف من القبة، وقال: يا ابن مالك ! هذا ما أعطانا الله عز وجل على القرآن هذا ما أعطانا الله عز وجل على القرآن، ولو أشرفت على هذه الثنية لرأيت ما لم تر عيناك وسمعت ما لم تسمع أذناك ووجدت ما لم يخطر على قلبك، أعده الله عز وجل لمن؟ أعده الله لأبي الدرداء لأنه كان يدفع عنه الدنيا بالراحتين والصدر.وصدق الله العظيم حين قال: **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [القصص:٨٣]**، وصدق الله العظيم حين قال: **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلامًا سَلامًا [الواقعة:١٠-٢٦]**.ما غيروا وما بدلوا. هيا نسمع بداية الحياة ونهايتها، تعال نسمع من أخبار الدنيا.قبل أن أبدأ في ذكر أخبار الدنيا أريدك أن تعرف أنه ما ذمت الدنيا من أجل الدنيا، إنما ذمت الدنيا لسوء فعل أهلها وغفلتهم عن الآخرة، وإلا فهي طريقنا إلى الآخرة، وفيها نتزود من العمل الصالح، **ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (خيركم من طال عمره وحسن عمله، وشركم من طال عمره وساء عمله)(الترمذي ٢٣٢٩)**.أما أخبارها فجديدها يبلى، وملكها يفنى، وعزيزها يذل، وكثيرها يقل، وحيها يموت، وخيرها يفوت. لو لم يكن فيها عيب إلا أن أهلها يموتون لكفاها، اسمع حقيقتها كما قال تعالى: **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ [الحديد:٢٠]**، هذه حقيقتها: سريعة الفناء، قريبة الانقضاء، تعد بالبقاء ثم تخلف عند الوفاء.

أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع

طريق النجاة فيها: **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الحديد:٢١]**. خلقها الله للامتحان والابتلاء كما قال سبحانه: **وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا [الكهف:٨]**.الناس فيها على صنفين: **مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ [آل عمران:١٥٢]**، وهم أيضاً على حالين **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا [الإنسان:٣]**.اسمع رعاك الله! ماذا أعد الله لهؤلاء وماذا أعد الله لهؤلاء؟ **فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ**

وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى [النازعات:٣٧-٤١].وقال سبحانه: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ [الإسراء:١٨].. النتيجة: ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا *كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا [الإسراء:١٨-٢١]. قال صلى الله عليه وسلم: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر).(مسلم ٢٩٥٦) وقال: (ما لي وللدنيا، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها)(مسند احمد ٢٧٤٤).وقال: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل).(البخاري ٦٤١٦) وقال: (ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم). (البخاري ٦٤٢٥) (مر صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه على شاة ميتة، قال: أترون هذه الشاة هينة على أهلها؟ قالوا: من هوانها ألقوها قال: والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافر منها شربة ماء).(الحاكم ٧٨٤٧)وقال: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون)(مسلم ٢٧٤٢). تأمل بعد هذا الكلام من سيد المرسلين! تأمل في حياته ومماته! تأمل من البداية حتى النهاية لبس المرقع وهو قائد أمة جبت الكنوز وكسرت أغلالها لما رآها الله تمشي نحوه لا تبتغي إلا رضاه سعى لها **تقول عائشة : (يمر الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال لا توقد نار في بيوت آل محمد صلى الله عليه وسلم، قلت: يا خالة! فما طعامكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء)(مسلم ٢٩٧٢).وقالت أيضاً: (ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتاليين)(البخاري ٦٦٨٧).تخبز فاطمة خبزاً فتأتيته بكسرة خبز فيأكلها ثم يقول -بأبي هو وأمي -: (والله يا فاطمة ما دخل بطن أبيك طعام منذ أيام)(شعب الايمان ٩٩٤٥). يبكي عمر لما رأى حاله وقد أثر الحصير في جنبه وملوك فارس والروم تلبس الحرير وتنام على الوثير، فقال: (يا عمر :أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟!)(البخاري ٤٩١٣).** يبغي من الله المكان الأرفع اما لبس الحرير ولا وضع التاج على الرأس مرصع يقول الحسن البصري رحمه الله: دخلت بيوت النبوة بعد موته صلى الله عليه وسلم بحين فإذا جدرانها من طين، سقفها من جريد، وفرشها من حصير، وطولها وعرضها أمتار.يقول سعيد بن المسيب : لما هدمت بيوت النبوة لتوسيع المسجد ما رأيت باكياً كما رأيت في ذلك اليوم، يقول: ليتهم أبقوها.. ليتهم أبقوها، حتى ينشأ ناشئ الفتيان فينا ويروا كيف كانت حياة نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو الذي حيزت له الدنيا بما فيها.

ومما زادني شرفاً وتيهاً * وكدت بأخمصي أطأ الثريا**

دخولي تحت قولك يا عبادي* وأن صيرت أحمد لي نبياً**

ثم سار أصحابه من بعده على نهجه ودربه ما شربوا المسكرات والمخدرات، ولا اتخذوا الجواري والقينات، وما أكلوا الأموال الربويات، ولا ألهاهم عن ذكر الله شاشات وقنوات، ولا ضيعوا الأوقات في مطاردة الفتيات في المجمعات.اسمع من كلامهم وقل بارك الله فيك: أين نحن من هؤلاء؟! **يقول أبو بكر لخالد رضي الله عنهم:** (**فر من الشرف يتبعك الشرف، واحرص على الموت توهب لك الحياة، لا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم**).(**المجالسة وجواهر العلم٦٧١**) أتعبت من بعدك يا خليفة رسول الله.**كتب عمر إلى ابنه عبد الله رضي الله عنهما في غيبة غابها:** (**أما بعد: فإنه من اتقى الله وقاه، ومن اتكل عليه كفاه، ومن شكر له زاده، ومن أقرضه جزاه، فأهل التقوى أهل الله، فاجعل التقوى عمارة قلبك وجلاء بصرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا خير لمن لا خشية له**)(**كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ٤٤١٨٩**) .كان يقول: (كل يوم يقال مات فلان ومات فلان، ولا بد من يوم يقال فيه مات عمر).ولقد مات عمر.. لكن على أي حال؟!. أما من كلام **عثمان فقد كان يقول:** (**لو أني بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير**).(**حلية الاولياء ١\٦٠**)**كان يقول:** (**لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم**)(**حلية الاولياء ٧\٣٠٠**).لا عجب، فقد كان يقوم الليل كله بالقرآن!ولعلي رضي الله عنه كلام فاسمع وتفكر! قال رضي الله عنه: (ألا إن لله عباداً مخلصين كمن رأى أهل الجنة في الجنة فاكهين، ورأى أهل النار في النار معذبين، شرورهم مأمونة، قلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة،حوائجهم خفيفة، صبروا أياماً قليلة لعقبى راحة طويلة، أما بالليل فصفوا أقدامهم في صلاتهم، تجري دموعهم على خدودهم يجأرون إلى ربهم: ربنا.. ربنا، يطلبون فكاك رقابهم وصلاح قلوبهم، أما بالنهار فعلماء حلماء بررة أتقياء كأنهم القداح – يعني السهام، وشبههم بالسهام لأن أجسامهم ضامرة من الصيام والقيام – يقول: ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى، ووالله ما بالقوم من مرض؛ ولكن خالط القوم أمر عظيم.وما أحلى وأجمل وصف الله لهم: **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا [الفرقان:٦٣]**، فلما وصف نهارهم كان من المناسب أن يصف ليلهم فقال: **وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا [الفرقان:٦٤-٦٦]**. بكى أحد الصالحين عند موته فقيل له: ما يبكيك؟! فقال: أبكي أن يصوم الصائمون ولست فيهم، ويذكر الذاكرون ولست فيهم، ويصلي المصلون ولست فيهم.. انظر على ماذا يبكون!

والروح منك وديعة أودعتها ستردها بالرغم منك وتسلب

وغرور دنياك التي تسعى لها دار حقيقتها متاع يذهب

والليل فاعلم والنهار كلاهما أنفاسنا فيها تعد وتحسب

وجميع ما حصلته وجمـعته حقاً يقيناً بعد موتك يذهب
تباً لدار لا يدوم نعيمها ومشـــيدها عما قليل يخرب

فالدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له.من اشتاق للجنة هجر الشهوات واللذات في الدنيا.الدنيا كالحلم تمر مر السحاب ساعة من زمن ثم تنقضي، ألا إنها رحلة بدأت وسوف تنتهي.

هب الدنيا تساق إليك عفواً أليس مصير ذلك إلى انتقال
وما دنياك إلا مثل ظــــلأ ظلك ثم آذن بالزوال

أحبتي! ليس المطلوب ترك الدنيا بتاتاً، فإن هذا ليس في الإمكان، ولكن المطلوب الاعتدال في طلبها على وجه مباح لا يصد عن ذكر الله وطاعته، قال سبحانه: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [المنافقون:٩]**.وقال: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ [لقمان:٣٣]**. لو لم يكن في الدنيا عيب إلا أن أهلها يموتون لكفاها! هيا نسمع خبر الموت.. الموت هو الحقيقة التي لا يستطيع الإنسان مؤمناً كان أو ملحداً أن يفر منها، ذكره يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي؛ إنه أمر فظيع وأليم، يفضح الأسرار، ويهتك الأستار، ويبدي العورات، ويظهر الحسرات، لو نجا منه أحد لنجا منه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال الله له: **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر:٣٠]**.. **فإنا لله وإنا إليه راجعون، وقال له سبحانه: وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ [الأنبياء:٣٤]، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ [آل عمران:١٨٥]**.جاء (**عند أحمد٢٢٩٤٢)بإسناد جيد: (أن نبي الله داود عليه السلام رأى يوماً رجلاً في داره فقال: من أنت؟ فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنعني الحجاب، فقال له داود عليه السلام: فأنت والله إذاً ملك الموت)** لا يمنعه مانع ولا يحجزه حاجز. أما أحوال الناس عند الموت فقد جاء في الحديث المتفق عليه عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: (**مر على النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة فقال: مستريح ومستراح منه، قلنا: يا رسول الله! ما المستريح؟ وما المستراح منه؟ فقال: العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والفاجر يستريح منه البلاد والعباد والشجر والدواب)(البخاري ٦٥١٢)**. قال لقمان لابنه: يا بني! أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفاجئك.فكيف بك إذا نزل بك مرض الموت وحلت ساعة الاحتضار ووقف أبوك المشفق بجوارك، وأمك الحنون وأولادك الصغار والكبار من حولك، قد أحاطوا بك إحاطة السوار

بالمعصم ينظرون إليك بعين الرحمة والعطف والشفقة.قد سالت دموعهم وحزنت قلوبهم، يرجون لك الشفاء ويتمنون لك البقاء، ولكن هيهات هيهات.. حيل بينهم وبين ما يشتهون، فلا يملك أحد من الخلق أن يزيد في عمرك أو يرد إليك عافيتك، إن الذي أعطاك الحياة بلا اختيار منك هو الذي يسلبها منك، فلله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بمقدار، إنا لله وإنا إليه راجعون.فكأن

أهلك قد دعوك فلم تسمع وأنت محشرج الصـدر،

وكأنهم قد قلبوك على ظهر السرير وأنت لا تدري،

وكأنهم قد زودوك بما يتزود الهلك من العـطر.

يا ليت شعري كيف أنت إذا غسلت بالكافور والسدر، أو ليت شعري كيف أنت على نبش الضريح وظلمة القبر، قال سبحانه: **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [الجمعة:٨].قال رجل لداود الطائي : أوصني، قال: عسكر الموت ينتظرونك(حلية الاولياء٧\٣٥٦)**. كان مالك بن دينار يقول: والله لو استطعت ألا أنام ما نمت، فقيل: لماذا يا أبا يحيى ؟! قال: أخشى أن يأتيني ملك الموت وأنا نائم، ولا أريد أن يأتيني إلا وأنا على عمل صالح. فلله درهم، لكن قل لي بالله العظيم كيف ستكون الخواتيم؟!**سمع عامر بن عبد الله المؤذن يؤذن لصلاة المغرب وهو يجود بنفسه في مرض شديد فقال: خذوا بيدي، فقيل له: إنك عليل وقد عذرك الله، فقال: والله إني لأستحي أن أسمع منادي الله ولا أجيب (نضرة النعيم ٢٨٦٣\٧)**– الله أكبر! كم هم اليوم الذين يسمعون ولا يجيبون – فدخل في صلاة المغرب فركع مع الإمام ركعة ثم مات. قل لي بالله العظيم كيف يبعث يوم القيامة؟ **يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ [الأحقاف:٣١-٣٢]**.فكيف أنت إذا بالماء والسدر غسلوك، وكيف أنت إذا بالكفن الأبيض أدخلوك، وكيف أنت إذا في القبر المظلم أنزلوك! يقول أحد مغسلي الموتى: جيء بميت فلما ابتدأنا بتغسيله انقلب لونه كأنه فحمة سوداء، وكان قبل ذلك أبيض البشرة، فخرجت من مكان التغسيل وأنا خائف فوجدت رجلاً واقفاً فقلت: هذا الميت لكم؟ قال: نعم، قلت: أنت أبوه، قال: نعم، قلت: فما شأن ميتكم؟! قال الأب: إنه لم يك من المصلين، فقلت له: خذ ميتك فغسله أنت، أما حكم الله ورسوله في مثل هذا فهو ألا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يحمل على الأكتاف، بل يجر على وجهه وتحفر له حفرة في الصحراء يكب فيها

على وجهه. **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [النحل:١١٨]**.. فهل ترضى أن تكون مثل هذا؟! هذا من أخبار أولئك الذين سلكوا طريق الغواية.أما أخبار أولئك الذين سلكوا طريق الهداية: فيقول أحد مشايخنا: دفنا شاباً بعد صلاة الظهر وكان شاباً محافظاً على الصلاة في المسجد، ولما غسلناه وكفناه استنار وجهه وأشرق، فلما أتينا القبر وكنت ممن نزل في قبره لإنزاله قلت: باسم الله وعلى ملة رسول الله. فإذا به أُخِذ مني واستقبل القبلة قبل أن أنزله، قلت لصاحبي: شعرت بما شعرت أنا؟ قال: سبحان الله! أُنزل من يدي قبل أن أنزله أنا في القبر، فلما كشفت عن وجهه وجدته يضحك، فداخلني الخوف بأن يكون حياً وأنا الذي غسلته وكفنته. فسبحان من وفق لحسن الختام أقواماً، وخذل أقواماً! وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف:٤٩]. **قال ثابت البناني : كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقنعاً باكياً،(موعظة المؤمنين ٣٢٣\١)** واليوم تشهد الجنائز فترى العجب العجاب.قال الأعمش : كنا نشهد الجنازة ولا ندري من المعزى فيها لكثرة الباكين، وإنما كان بكاؤهم على أنفسهم لا على الميت، واليوم نشهد الجنائز وكثير من الناس يضحكون ويتحدثون ونداء ربهم يقرع مسامعهم **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ [الأنبياء:١]**.اعلم رعاك الله أن من حمل الجنازة اليوم سيحمل غداً، وأن من رجع من المقبرة إلى بيته اليوم سيرجع إليها غداً اللهم لا تدعنا في غمرة، ولا تأخذنا في غرة، ولا تجعلنا من الغافلين. لا تظن أن الأمر بالموت قد انتهى بل هناك بداية ونهاية أخرى.

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي

ولكنا إذا متنا بعثنا ونسأل بعدها عن كـــل شيء

نعم سيبعثر ما في القبور، وسيحصل ما في الصدور. فهيا ننتقل من خبر إلى خبر، تعال ننتقل إلى موقف عظيم، ألا هو موقف الحشر. والحشر: هو جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم. الحشر: هو جمع الناس أولهم وآخرهم ليوم لا ريب فيه، سماه الله يوم الجمع، **يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ [التغابن:٩]، وقال سبحانه: ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ [هود:١٠٣]، وقال جل في علاه: قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ [الواقعة:٤٩-٥٠]. تأمل حالهم: يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ [المعارج:٤٣-٤٤]**.فلا إله إلا الله على يوم مثل هذا قدرة الله أحاطت بهم فلا يعجزه شيء، حيثما هلك العباد فإن الله قادر على الإتيان بهم، إن هلكوا في أجواء الفضاء، أو غاروا في أعماق الأرض، إن أكلتهم الطيور الجارحة، أو الحيوانات المفترسة، أو أسماك

البحار، أو غيبوا في قبورهم في الأرض.تأمل في قوله: **أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة:١٤٨]**.وكما أن قدرة الله محيطة بعباده يأتي بهم حيثما كانوا، فكذلك علمه محيط بهم فلا ينسى منهم أحداً، ولا يضل منهم أحد، ولا يشذ منهم أحد، لقد أحصاهم ولن يغادر منهم أحداً، **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا [مريم:٩٤-٩٥]**.الناس فيه سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، أسكرتهم الشدائد والأهوال. **قال قتادة : يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [المطففين:٦] قال: سمعت الحسن يقول: ما ظنك بأقوام قاموا لله عز وجل على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة، تدنى الشمس من رءوسهم مقدار ميل فيغرقون في عرقهم. فقل لي بالله العظيم: كيف سيكون الحال**(مفتاح الافكار للتاهب لدار القرار **١٧٢\٢**) ؟!عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: (**إن الكافر يلجم يوم القيامة بعرقه من طول ذلك اليوم**).**وقال علي رضي الله عنه: إن الكافر يقول من طول القيام: رب! أرحني ولو إلى النار(الكبير ٨٧٧٩)**.وأنت وأنا لا محالة من بينهم، فتوهم نفسك وتخيل وقد علاك العرق وأطبق عليك الغم وضاقت نفسك في صدرك من شدة الفزع والرعب، والناس معك منتظرون لفصل القضاء إلى دار السعادة أو إلى دار الشقاء، حتى إذا بلغ منك المجهود ومن الخلائق منتهاه، وطال وقوفهم لا يكلمون ولا ينظرون في أمورهم كلم بعضهم بعضاً في طلب من يقدم على مولاه أن يشفع لهم في الراحة من مقامهم وموقفهم لينصرفوا إلى الجنة أو إلى النار، ففزعوا إلى آدم ونوح ومن بعده إبراهيم وموسى وعيسى وكلهم يقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله فكلهم يذكر شدة غضب ربه عز وجل وينادي بالشغل بنفسه فيقول: نفسي.. نفسي، فيشتغل بنفسه عن الشفاعة لهم إلى ربهم لاهتمامه بنفسه وخلاصها، وصدق الله حين قال: **يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا [النحل:١١١]**، قال سبحانه: **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا * يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا * يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا [طه:١٠٥-١١٢]**. فلا إله إلا الله على أهوال يشيب لها الولدان، وتذهل المرضعات عن الأطفال، وتضع الأمهات الأحمال، كيف سيكون حالي وحالك: **إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ**

وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى [الفجر:٢١-٢٣].لا إله إلا الله (**يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، لو تركت على أهل المحشر لأتت على برهم وفاجرهم**)، (**مسلم ٢٨٤٢**)**إِذَا رَأَتْهُم مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا [الفرقان:١٢]**، فإذا نظرت إلى الخلائق فارت وثارت وشهقت وزفرت نحوهم وتوثبت عليهم غضباً لغضب ربهم **إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ [الملك:٧-١٠]**.فتتساقط الخلائق حينئذ على ركبهم جثاة حولها، قد أسبلوا الدموع، ونادى الظالمون بالويل والثبور **لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا [الفرقان:١٤]**، ثم تزفر ثانية فيزداد الرعب والخوف في القلوب، ثم تزفر الثالثة فتتساقط الخلائق على وجوههم ويشخصون بأبصارهم وهم ينظرون من طرف خفي خوفاً أن تبلغهم أو يأخذهم حريقها أجارنا الله منها.

أيا من ليس لي منه مجير بعفوك من عذابك أستجير

أنا العبد المقر بكل ذنب وأنت الواحد الفرد القدير

فإن عذبتني فبسوء فعلي وإن تعف فأنت به جدير

فتصور وتخيل أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم كل واحد منهم منفرد بنفسه يقول: نفسي.. نفسي! فلا تسمع إلا قول: نفسي.. نفسي. فيا هول ذلك وأنت تنادي معهم بالشغل بنفسك والاهتمام بخلاصها من عذاب ربك وعقابه. إنه يوم قد بدأ وسوف ينتهي؛ لكن قل لي بالله العظيم: كيف ستكون النهايات؟ وإلى أين المصير؟ ما ظنك بيوم ينادي فيه المصطفى آدم والشكور نوح والخليل إبراهيم والكليم موسى والروح والكلمة عيسى مع كرامتهم على الله وعظم قدر منازلهم عند ربهم.كل ينادي: نفسي.. نفسي، هذا حال أتقى البشر، فكيف سيكون حالي وحالك؟! وكيف يكون خوفي وخوفك؟! حتى إذا أيس الخلائق من شفاعتهم **أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه الشفاعة إلى ربهم فأجابهم لها وقال: أنا لها أنا لها**(**مسند الطيالسي ٢٨٣٤**).وعند (**الترمذي ٣١٤٨**) **عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم وما سواه إلا تحت لوائي)**.وروى (**الترمذي٣١٣٧**) **عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تبارك وتعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا [الإسراء:٧٩] هي الشفاعة**، فينطلق صلى الله عليه وسلم إلى العرش فيخر

ساجداً فيفتح الله عليه من محامده والثناء عليه ما هو أهله فيقال: يا محمد! ارفع رأسك، وسل تعط واشفع تشفع، فيقول: يا رب! أمتي.. أمتي، فيجيبه ربه عز وجل إلى تعجيل عرضهم والنظر في أمورهم). **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ [الحاقة:١٨]**.. **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ [مريم:٣٩-٤٠]**.**أَزِفَتِ الآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ * أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ * فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا [النجم:٥٧-٦٢]**. ألا إنها شدة قد بدأت وانتهت، وبدأت بعدها عقبة كئود، إنها الحساب وشدته، وهو أعظم موقف وأشد عقبة، فعلى ضوئها ونهايتها ستحدد البداية التي لا نهاية لها، حين أن يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويقال: يا أهل النار خلود فلا موت. فهيا نتابع الأحداث والأخبار.. تعال نتابع بداية حساب ونهايته! لكن كيف ستكون البداية، وكيف ستكون النهاية؟! حسبك أن تعلم أن القاضي والمحاسب في ذلك اليوم هو الحكم العدل قيوم السماوات والأرضين، ليتبين لك عظم هذا المشهد وجلالته ومهابته **هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ [البقرة:٢١٠]**.نعم سيجيء الرحمن مجيئاً الله أعلم بكيفيته، نؤمن به ونعلم أنه حق ولا نؤوله ولا نحرفه ولا نكذب به، وستجيء الملائكة في هذا الموقف الجليل ومعها كتب الأعمال التي أحصت على الخلق أعمالهم وتصرفاتهم وأقوالهم ليكون حجة على العباد **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا [الكهف:٤٩]**.. **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** [آل عمران:**٣٠**]. ومعنى الحساب: أن يوقف الحق تبارك وتعالى عباده بين يديه يعرفهم بأعمالهم التي عملوها وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في حياتهم من إيمان أو كفر أو استقامة أو انحراف أو طاعة أو عصيان.فمن سلك طريق الهداية يعط كتابه بيمينه ويحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً، ومن سلك طريق الغواية يعط كتابه بشماله ويحاسب حساباً عسيراً ويدعو ثبوراً. ستقام محكمة قاضيها الملك الديان، شعارها: **الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ [غافر:١٧]**، شعارها: (إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً).(مسلم ٢٥٧٧) ستقوم المحاكمة على قواعد وأصول بينها الله جل في علاه، منها العدل التام الذي لا يشوبه ظلم، قال جل في علاه: **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ**

خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الأنبياء:٤٧].ومنها: لا يؤخذ أحد بجريرة غيره، قال سبحانه: **وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى [الأنعام:١٦٤]**.ومنها: إطلاع العباد على ما قدموه من أعمال يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا [آل عمران:٣٠].ومنها: إقامة الشهود، قال سبحانه: **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ [النور:٢٤-٢٥]**. عن ماذا سيكون السؤال؟ سيكون السؤال عن خمس فاستعد للجواب: **عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تزول -أي إلى الجنة أو إلى النار- لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه،وماذا عمل فيما علم)(الترمذي ٢٤١٦)**.الحساب فيه بالذرة، ووالله إنه لحساب شديد ذلك الذي سنحاسب فيه بالذرة **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه [الزلزلة:٧-٨]**.فتأمل عبد الله! موقفك غداً بين يدي العزيز القهار تنظر أيمن منك فلا ترى إلا ما قدمت، تنظر أشأم منك فلا ترى إلا ما قدمت، تنظر أمامك فلا ترى إلا النار. إنها والله ساعة لا يخفى على الموقنين رهبتها ولا على المتقين شدتها:

تذكر وقوفك يوم العرض عريانا مستوحشاً قلق الأحشاء حـــيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن غضب على العصاة ورب العرش غضبانا
المشركون غداً في النار يلتهب والموحدون بدار الخلـــــد سكانا

فتخيل نفسك عبد الله! إذا تطايرت الكتب، ونصبت الموازين، **وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا [الكهف:٤٨]**. تخيل نفسك عبد الله! إذا نوديت باسمك على رءوس الخلائق: أين فلان بن فلان؟ استعد للعرض والوقوف بين يدي الله! وقد وكلت الملائكة بأخذك فساقتك إلى الله لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك واسم أبيك، إذا عرفت أنك المراد بالدعاء. تخيل إذا قرع النداء قلبك فعلمت أنك أنت المطلوب، فارتعدت فرائصك واضطربت جوارحك وتغير لونك وطار قلبك، تخطى بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه، والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم وأنت في أيدي الملائكة قد طار قلبك واشتد رعبك لعلمك أين يراد بك. فلا إله إلا الله إذا وقفت بين يدي ربك ليس بينك وبينه ترجمان، في يدك صحيفة مخبرة بعملك، لا تغادر بلية كتمتها ولا مخبأة أسررتها وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل وقلب منكسر، والأهوال محيطة بك من بين يديك ومن خلفك، فكم من بلية قد كنت نسيتها ذكركها، وكم من سيئة قد كنت أخفيتها أبداها وأظهرها، وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص فرده عليك في ذلك الموقف، وأحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيماً. فيا

حسرة قلبك، ويا أسفك على ما فرطت في طاعة ربك!**عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال صلى الله عليه وسلم: (يدني الله العبد منه يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه – يعني ستره – فيقرره بذنوبه، حتى إذا ظن العبد أنه هلك، فإذا كان ممن تاب وسلك طريق الهداية قال الله له بعد أن قرره بذنوبه: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم)(البخاري ٢٤٤١)**، فيعطى كتابه بيمينه، فينطلق بين الملأ فرحاً مسروراً ضاحكاً مستبشراً يقول بأعلى صوته: هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ *كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ [الحاقة:١٩-٢٤].. وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ [عبس:٣٨-٣٩].لكن قل لي بالله العظيم: كيف لو كان ممن سلك طريق الغواية وجاءته النهاية بلا توبة ولا أوبة، يقرره الله بذنوبه ثم يقول الجبار: يا ملائكتي! خذوه ومن عذابي أذيقوه، فلقد اشتد غضبي على من قل حياؤه معي فيؤتى كتابه بشماله، فيخرج إلى الملأ وهو يقول: وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ [الحاقة:٢٥-٢٩].. وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ [عبس:٤٠-٤٢].فأي مصير تريد؟! أي مصير تريد؟! اسلك طريق الهداية وتجنب طريق الغواية، استعن بالصبر والصلاة، اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم، لا تحزن لقلة السالكين، ولا تغتر بكثرة الهالكين، أسهر ليلك بالقرآن والقيام، واقطع نهارك بالظمأ والصيام، صم في دنياك عن الشهوات والمعاصي والمنكرات، وأفطر يوم تلقى الله وتنادى إلى جنة عرضها الأرض والسماوات.**قال إبراهيم بن أدهم لأخ له في الله: (إنه بلغني أن الله تعالى أوحى إلى يحيى بن زكريا عليهما السلام يا يحيى! إني قضيت على نفسي أنه لا يحبني عبد من عبادي أعلم ذلك منه إلا كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي يتكلم به، وقلبه الذي يفهم به، فإذا كان عبدي كذلك بغضت إليه الاشتغال بغيري، وأدمت فكرته، وأسهرت ليله، وأظمأت نهاره، يا يحيى! أنا جليس قلبه وغاية أمنيته وأمله، أهب له كل يوم وساعة فيتقرب مني وأتقرب منه، أسمع كلامه وأجيب تضرعه ودعاءه، فوعزتي وجلالي! لأبعثنه مبعثاً يغبطه به النبيون والمرسلون، ثم آمر منادياً ينادي: هذا فلان بن فلان، ولي الله وصفيه وخيرته من خلقه، دعاه إلى زيارته ليشفي صدره من النظر إلى وجهه الكريم، فإذا جاءني رفعت الحجاب فيما بيني وبينه، فنظر إلي كيف شاء وأقول له: أبشر فوعزتي وجلالي لأشفين صدرك من النظر إلي، ولأجددن كرامتك في كل يوم وليلة وساعة)(حلية الاولياء ١٠\٨١)**. سبحانك يا علي يا عظيم، يا باري يا

رحيم،يا عزيز يا جبار، يا حي يا حليم، سبحان من سبحت له السماوات بأكنافها، سبحان من سبحت له الجبال بأصواتها، سبحان من سبحت له البحار بأمواجها، سبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها، سبحان من سبحت له النجوم بأبراجها، سبحان من سبحت له الأشجار بأصولها، سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال.سبحانك لا إله إلا أنت وحدك.اللهم صل على محمد في الأولين، اللهم صل على محمد في الآخرين، اللهم صل على محمد في الملأ الأعلى إلى يوم الدين. اللهم اعصمنا من فتن الدنيا ووفقنا لما تحب من العمل وترضى، وأصلح لنا شأننا كله وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.اللهم اجمع شملنا، ووحد صفنا وأصلح ولاة أمورنا، وانصرنا يا قوي يا عزيز على القوم الكافرين. اللهم أصلح الشباب والشيب واحفظ النساء والبنين.اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا من الراشدين.اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أستغفر الله العظيم.سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

***

البكاؤون

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي لهوأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**{ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاْ تَمُوتُنَّ إلاّ وَأنتُمْ مُسلِمُونَ }{ يَآ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيباً }{ يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً ، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً }**أما بعد :فإنَّ أصدق الحديث كلام الله ..وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم ..وشرَّ الأمور محدثاتها ..وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ...عباد الله ..قال الله جل في علاه واصفاً عباده المؤمنين إذا سمعوا آياته وبيناته : **{ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً }** .**وقال عنهم : { وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً }** .وقال صلى الله عليه وسلم : (**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم**) (**الترمذي ١٦٣٣**).**وعن أبي الجلد جيلان بن فروة قال قرأت في مسألة داود عليه السلام أنه قال :إلهي ما جزاء من بكى من خشيتك حتى تسيل دموعه على وجنتيه ؟.قال : جزاؤه أن أحرّم وجهه على لفح النار ، وأن أؤمنه يوم الفزع الأكبر.فالبكاء عباد الله قيمة شرعيه تعبديه..والبكاء من خشية الله مفتاح لرحمته .(حلية الاولياء ٤\٤٥**).والبكاء من خشية الله مفتاح لرحمته ..ألم يرث البكاء أناس صدق ألم يقل الإله إليَّ عبدي فقادهم البكا خير المعاب فكل الخير عندي في حين أسوق إليك هذا الموضوع وما فيه من الأخبار ..لا أقول أننا لا نبكي ..لا وألف لا ..بل نبكي..ولكن السؤال على ماذا نبكي ؟؟!!..نبكي على مصائبنا وآلامنا ..هذا يبكي على أبٍ أو أم ..وذاك يبكي على أخٍ أو أخت ..وآخر يبكي على صاحب أو حبيب أو قريب ..وذاك يبكي لخسارة مادية أو مشكلة اجتماعية ..بل الأدهى والأطم هناك من يبكي على أحداث في مسلسلات وشاشات وقنوات ..وآخر يبكي على خسارة في المباريات ..فيا خسارة هؤلاء ..شتان والله بين دموعهم ودموعنا ..بكت أم أيمن ..**بكت أم أيمن رضي الله عنها لما جاءها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يزورانها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالا لها :يا أم ما يبكيك ؟..يا أم أيمن ما يبكيك أما تعلمين**

أن ما عند الله خير لرسوله !!..قالت : بلى أعلم أنَّ ما عند الله خير لرسوله ، ولكن أبكي انقطاع الوحي من السماء ..بكت همًّا وحزنا وخوفاً على الأمة بعد نبيها ..فماذا عساى أن أقول عنهم وعن أخبارهم. .فمنهم من بلَّ الأرض بدموعه ..ومنهم من إذا ذُكرت النار خرَّ على وجهه مغشياً عليه ..بل منهم من إذا سمع الأذان ارتعدت فرائصه ..ومنهم من إذا توضأ للصلاة احمَّر وجهه ، وسالت دموعه ..اسمع وافتح القلب قبل أن تفتح **الآذان زارت امرأة زوجة الأوزاعي ، فدخلت إلى مصلاه في البيت فإذا هو مبلول ، فجاءت تقول لزوجته : ثكلتك أمك .. غفلت عن الصبيان فبالوا في مصلى الأوزاعي..فقالت زوجة الأوزاعي : ويحك هذه دموع الأوزاعي في مصلاه (.تاريخ دمشق ١٣٢\٥٦)**.بكى الباكون للرحمن ليلا بقاع الأرض من شوقٍ إليهم وباتوا دمعهم ما يساموننا تحنّ متى عليها يسجدونا ما أغلى تلك الدموع ..وما أغلى ثمنها ..إنَّ القلوب لتحيى بسماع أخبار الصالحين وآثارهم ..وتحصل السعادة باقتفاء آثارهم ..عباد الله..إياكم أن تقولوا أنَّ للبكاء علاقة بضعف الشخصية ..أو أن البكاء لا يليق بأهل الشجاعة والبأس..نعم ..لا يليق البكاء عند الوقوف في وجه الأعداء ..ولا يليق البكاء عند سماع صهيل الخيل ، ومقارعة السيوف ، وتطاير الأشلاء ..فهذا فعل الجبناء..فالبكاء الذي نعنيه وما نحن بصدده ..هو البكاء :خشية ..ورهبة ..وخضوعاً ..وذلاً ..وعبودية لله ربِّ العالمين ..إنه بكاء الذلوا لمسكنة لذي الجلال والعزة والجبروت ..إنه البكاء خوفاً من الحي الذي لا يموت ..فهذا عبد الله بن الشّخّير رضي الله عنه يقول **عن سيد الخلق أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء .يبكي وهو سيد الشجعان وأشجع الفرسان..ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يأمروا أبا بكر للصلاة في الناس في مرضه صلى الله عليه وسلم ، قالت عائشة رضي الله عنها :إنَّ أبا بكر رجل أسيف – أي رقيق القلب ، سريع البكاء – إن يقم مقامك يبكي فلا يقدر على القراءة ..وفي رواية إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء. (البخاري ٧١٣)** لكن انظر إلى حزمه وقوته وصلابته أيام الردة يوم أن تصدى للمرتدين ..وما أكثرهم اليوم ..فتصدى لهم الصديق رضي الله عنه ، ونصر الله به الدين رغم كثرة المخالفين..أما الفاروق عمر فمعروف أنه شديد ، القوة شديد البأس ومع هذا كان حاضر الدمعة ، رقيق القلب ..**روى(البخاري٧١٦) عن عبد الله بن شداد قال : سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصفوف وهو يقرأ { إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ }** ..قل لي واصدقني المقال..أما تبكيك آيات القرآن !!!..أما تبكيك آيات القرآن وهي تخبرك ..عن الجنة وأوصافها ..وعن النار وأخبارها ..قال الله عن كتابه ، وعن أثر آياته

على عباده الصالحين :**{ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }**.يقول ابن مسعود كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي : (**اقرأ علي القرآن**)..**قلت : أقرأ عليك وعليك أُنزل !!.قال صلى الله عليه وسلم** : (**إني أحب أن أسمعه من غيري**)..**قال ابن مسعود فافتتحت سورة النساء حتى إذا بلغت قوله تبارك وتعالى : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً } – والخطاب له صلى الله عليه وسلم { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً } ..قال : فلما بلغت ذلك قال لي صلى الله عليه وسلم** : (**حسبك يا ابن مسعود**)..قال : فنظرت إليه فإذا عيناه تذرفان تذرفان خوفاً وخشية من الجبار ..تذرفان شفقة ورأفة بأمته ..وسأكمل لكم ، وأقرأعليكم الآية التي تليها حتى تعلم عظيم ذلك الموقف ، وذلك المشهد العظيم قال **الله { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً ، يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللّهَ حَدِيثاً }**..ياالله .. أما بكيت شوقاً لله !! ..أما بكيت شوقاً لله ، وسكنى جنته في جواره ..أما بكيت خوفاً من دخول النار ، والحرمان من رؤية القهّار اسمع ماذا قال الله عن أهل النار **{ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ،كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ،ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ،ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ }**والله .. والله .. والله...ما في الجنة نعيم ألذ وأحلى وأعظم من ...رؤية الرحمن الرحيم ...ووالله .. والله.. والله ...ما في النار عذاب أشد وأعظم من ...الحرمان من رؤية وجهه الكريم ..قال ابن عثيمين رحمه الله : والله لو أنَّ القلوب سليمة لتقطّعت ألماً ولتفطّرت حزناً وهي تقرأ قول الله مخاطباً عباده:**{ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ }** ..وأي بشارة أعظم من لقاء الحبيب ...فكل حبيب يشتاق إلى لقاء حبيبه ...**قال صالح المري بلغني عن كعب الأحبار أنه كان يقول :من بكى من خشية من ذنب ، غُفر له ..ومن بكى اشتياقاً إلى الله ، أباحه النظر إليه تبارك وتعالى يراه متى شاء..وحدث عيسى المعلم عن ذادان أبي عمر قال :بلغنا أنه من بكى خوفاً من النار ، أعاذه الله منها ..ومن بكى شوقاً إلى الجنة ، أسكنه الله إياها(التخويف من النار ١\٦٢)** اللهم لا تحرمنا فضلك ..عن ابن عمر قال : **سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب وهو يقول** : (**لا تنسوا العظيمتين**).. (**لا تنسوا العظيمتين**)..**قلنا : وما العظيمتان ،؟!.قال** : (**الجنة والنار**) .**قال فذكر سول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر ثم بكى حتى جرى أوائل دموعه جانبي لحيته ثم قال** : (**والذي نفس محمد بيده لو**

علمتم ما أعلم من علم الآخرة لمشيتم إلى الصعيد ، ولحسيتم على رؤوسكم التراب (اتحاف الخيرة ٧٠٩٨) وفي حديث آخر : (**والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ، ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله**) (**الترمذي ٢٣١٢**)..فلما سمع أبو ذر هذا قال : وددت أني كنت شجرة تعضد والله لو أن القلوب سليمة لتقطّعت ألماً من الحرمان ..ولكنها سكرى بحب حياتها الدنيا وسوف تفيق بعد زمان ..**قال ابن القيم رحمه الله : فمن لم يتقطّع قلبه في الدنيا على ما فرط حسرة وخوفاً لتقطّع في الآخرة إذا حقت الحقائق، وظهرت الأمور..فلا بدّ من تقطّع القلب .. (مدارج السالكين ١\١٨٦)**

إما في الدنيا ..وإما في الآخرة ..ولك الخيار..الفرق بيننا وبينهم أنَّ الكلمات القليلة البسطية تذكرهم وتبكيهم ..ونحن نسمع الزواجر والروادع مرات مرات ولا يتغير الحال ..**أراد عمر بن عبد العزيز أن يضرب غلاماً له على خطأ أخطأه ..فقال له الغلام : يا عمر ..اتق الله ..فقال له الغلام : يا عمر ..اتق الله يا عمر ..واذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة ..قال : فبكى عمر ، ولم يتوقف بكاءه إلا عندما سمع المنادي يناديه ،(المجالسة وجواهر العلم ١١\٩١) وهو في ساعات احتضاره ، وهو يقرأ عليه { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }**..أسألك مرة أخرى ..وأكرر عليك السؤال ..أما تبكيك الذنوب ؟!.أما يبكيك تجرأك على علام الغيوب ؟!.اسمعوا يا أصحاب الذنوب .. وكلنا **ذاك ..عن عقبة بن عامر قال : قلت يا رسول الله ما النجاة ؟قال** :(**أمسك عليك لسانك ..وليسعك بيتك ..وابك على خطيئتك**)(**الكبير ٧٤١**)

إبكي ..قبل أن تشهد عليك الجوارح والأركان ..إبكي ..قبل أن تقف في ذلك الموقف العظيم ، ثم يقررك الملك العلام..يقررك بذنوبك فيقول لك : أتذكر ذنب كذا ؟! أتذكر ذنب كذا ؟! وأنت لا تجد مفراً من السؤال ..إبكي..قبل أن يسألك ربك :ألم تكن تظن أني أراك وأنت تعصاني أما استحييت مني وأنت تختبأ عن أعين الناس وتنساني إبكي ..فإن العبد إذا بكى بين يدي سيده رحمه ..إبكي ..فإن العبد إذا بكى بين يدي سيده رحمه ..إبكي ..فإن الطفل إذا بكى رحمته أمه ، وربنا أرحم بنا من إمهاتنا ..بل حتى من أنفسنا..وعظ مالك بن دينار يوماً فتكلم ، فبكى حوشب وكان في العبَّاد عارفاً ، وعن الدنيا عازفاً ، فضرب مالك بيده على منكبه – أي على منكب حوشب – وقال : ابك يا أبا بشر .. ابك يا أبا بشر – وكانت هذه كنيته –إبكي ..فقد بلغني أنَّ العبد لا يزال يبكي حتى يرحمه سيده فيعتقه من النار ..إبكي ..فقد بلغني أنَّ العبد لا يزال يبكي حتى يرحمه سيده فيعتقه من النار واعلم بارك الله فيك ..أنَّ كثرة

الدموع وقلتها على قدر احتراق القلب ..وإنَّ القليل من التذكرة ليشعل النار في القلوب الحية ..وحياة القلوب ترك الذنوب ..**يقول مكحول الشامي : أرقُ الناس قلوباً أقلهم ذنوباً** ..(**حلية الاولياء ١٨\٥**)٠.إنَّ أصحاب القلوب الرقيقة هم الذين..تشتعل في قلوبهم الأنوار بمجرد تلاوة آية ..وتتدفق من عيونهم الدموع الغزيرة بمجرد التذكير بعظمة الجبار ..وترتعش أجسامهم وتضطرب بمجردالتذكير بأهوال الآخرة ..تأمل معي هذا المشهد ..عند البخاري من حديث أبي سعيد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (**يقول الله تعالى يوم القيامة : يا آدم ..فيقول : لبيك ربنا وسعديك ..فينادى بصوت : إن الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار ..قال : يا ربي وما بعث النار ؟!.قال من كل ألف أراه قال – يقول الرواي – أراه قال تسعمئة وتسعة وتسعون إلى النار.. قال صلى الله عليه وسلم فحينها يشيب الولدان وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**)..إبكي..اليوم على خطئتك قبل أن لا ينفع البكاء ..واعلم أنَّ البكاء من مفاتيح التوبة ألا ترى أن القلوب ترق حينها فتندم ..اسمع قول المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو **يقول** : (**عينان لا تمسهما النار:عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله**)(**الترمذي ١٦٣٩**) .إذا أردت أن تعرف قيمة الدموع وأثرها فاسأل التائبين ..اسأل التائبين عندما يتوجهون إلى ربهم بقلب كسير وعيون خاشعة ذليلة فتنهمر الدموع لتكون دليلاً على الندم والتوبة ..هنيئاً لهم **ف { إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ }**

من واجب الناس أن يتوبوا والدهر في صرفه أعجيب
وكلما ترتجي قريب لكن ولكن ترك الذنوب أوجب
ولكن غفلة الناس عنه أعجب الموت دون ذلك أقرب

عن حمزة الأعمى قال : ذهبت أمي إلى الحسن فقالت : يا أبا سعيد ابني هذا قد أحببت أن يلزمك ويرافقك ، فلعل الله أن ينفعه بك ، قال : فكنت أختلف إليه ..فقال لي يوماً يا بنيَّ :أَدم الحزن على خير الآخرة ، لعله أن يوصلك إليه ..وإبكي..في ساعات الخلوة لعل مولاك يطلع عليك فيرحم عبرتك فتكون من الفائزين ..يقول وكنت أدخل عليه منزله وهو يبكي ، وآتيه مع الناس وهو يبكي ، وربما جئت وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه..فقلت له يوماً : يا أبا سعيد إنك لتكثر من البكاء ..فبكى ثم قال :يا بني فما يصنع المؤمن إذا لم يبكي ! ..يا بني فما يصنع المؤمن إذا لم يبكي ! ..يا بني إنَّ البكاء داعٍ إلى الرحمة ، فإن استطعت ألا تكون عمرك إلا باكياً فافعل لعله

يراك على حالة فيرحمك بها ، فإذا رحمك فإنك نجوت من النار وفزت بالجنة(تهذيب الكمال ١١٥\١٦) أليست الأم ترحم وليدها إذا بكى !! ..أليست الأم ترحم وليدها إذا بكى !!..أتظن أن الأم تقذف بوليدها في النار؟! ..سأترك الجواب لك ...عن أنس بن مالك قال : قال صلى الله عليه وسلم : (**يا أيها الناس ابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، فإن أهل النار يبكون حتى تصير في وجوههم الجدوال ، فتنفذ الدموع فتقرح العيون حتى لو أنَّ السفن أجريت فيها لجرت**)..(**ابن ماجة ٤١٩٦**) آه ثم آه ثم آه من القلوب القاسية ..عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلاً شكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال : (**إن أحببت أن يلين قلبك فامسح رأس اليتيم وأطعم المسكين**) (**مسند احمد ٧٥٦٦**)عباد الله ..إلى متى وقلوبنا قاسية ..وأنفسنا لاهية ؟؟!!..أما آن أن نستجيب لنداء ربنا وهو يخاطبنا **قائلاً :{ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ}** يقول ابن مسعود والله ما بين إسلامنا ونزول هذه الآيات إلا سنوات حتى لامنا ربنا ..وكان أصحاب القلوب الحية إذا سمعوا هذه الآية بكوا ، وقالوا :بلى يا ربي قد آن قد آن ..عباد الله الناس في غفلة والموت يوقظهم يشيعون أهاليهم بجمعم وينظرون ويرجعون إلى أحلام غفلتهم وما يفيقون حتى ينفد العمر إلى ما فيه قد قُبروا كأنهم ما رأوا شيئاً ولا نظروا وهذه حال أكثر الناس ..وهذا حال اكثر الناس.. فنعوذ بالله من سلب فوائد الآلات ، فإنها أقبح الحالات ..**قال ابن القيم رحمه الله : ما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب ، والبعد عن الله**. (**الفوائد ٩٧\١١**)وما خلقت النار إلا لإذابة القلوب القاسية ..وإنَّ أبعد القلوب من الله القلب القاسي ..وإنه إذا قسى القلب قحطت العين ..قال يزيد الرقاشي : إذا أنت لم تبكي على ذنبك ، فمن يبكي لك عليه بعدك إذا أنت لم تبكي على ذنبك ، فمن يبكي لك عليه بعدك ؟!..نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم .. أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمالحمد لله على إحسانه والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له تعظيماً لشأنه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانهاللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه ..أما بعد ..عباد الله ..أوصيكم ونفسي بتقوى الله ..اتقوا الله عباد الله **{ وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ }**..تقول الأخبار والسير بكى أحد التابعين عشرين سنة شوقاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم. بكى أحد التابعين عشرين سنة شوقاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى رآه في المنام. وأنت ، وأنا، حقاً وصدقاً هل بكينا

لمصيبة فقده وموته !!..إنها المصيبة التي أسالت عيوناً ، وأذهلت عقولاً ..هل تمنيت ، وبكيت أملاً في رؤيته ؟!هل حدثت نفسك أن ترد حوضه، وتشرب من يده ؟!!..لسان حال المحبين الصادقين

:تسلى الناس في الدنيا وإنّا لعمر الله بعدك ما سلينا

إن كان عزَّ في الدنيا اللقاء ففي مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا

وإليك هذا المشهد الذي يحرك قلوب المحبين الصادقين لنبيهم..اسمع رعاك الله فإنَّ في هذا المشهد روعة لا تقاوم ..لما انتهى المسلمون من غزوة حنين ظافرين غانمين ، وزع النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم على المسلمين ، واهتمَّ خاصة بالمؤلفة قلوبهم ليكون ذلك تثبيتاً لهم على إسلامهم ، ووكل أصحاب الإيمان إلى إيمانهم وإسلامهم ..فتساءل الأنصار في مرارة : لماذا لم يعطهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حظهم من الفيء والغنائم ، وأخذوا يتهامسون بذلك ..فسمع سعد بن عبادة همسهم وكلامهم ، فذهب من فوره إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله إنَّ هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبته .. قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يك فهذا الحي من الأنصار منها شيء ..فسأله النبي صلى الله عليه وسلم : (وأين أنت من ذلك يا سعد ؟) ..فأجاب سعد بصراحة قائلاً : ما أنا إلا واحد من قومي ..فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (إذاً فاجمع لي قومك) ..فجمع سعد قومه من الأنصار ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم ألا يدخل عليهم أحد وهو معهم ..فجاءهم بأبي هو وأمي ، فنظر في وجوههم ، فتبسم في وجوههم ابتسامة متألقة ..ابتسامة عرفان وتقدير لصنيعهم ..ثم قال : (**يا معشر الأنصار ماقالة بلغتني عنكم ؟ وجدةٌ وجدتموها عليّ في أنفسكم ؟ ..ألم آتكم ضلالاً ..فهداكم الله بي وعالة ..فأغناكم الله بي !.وأعداءً ..فألَّف الله بين قلوبكم بي !.)قالوا : بلى الله ورسوله أمنٌّ وأفضل فقال صلى الله عليه وسلم : (ألا تجيبوني يا معشر الأنصار ؟)قالوا : بمَ نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المنُّ والفضل ..فقال صلى الله عليه وسلم : (أما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتم وصُدِّقتم :أتيتنا مُكذَّباً فصدَّقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وعائلاً فآسيناك ، وطريداً فآويناك ..يا معشر الأنصار ..أوجدتم في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم لإسلامكم ؟ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعون أنتم برسول الله في رحالكم ؟! ..ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعون أنتم برسول الله في رحالكم ؟! ..فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ..ولو سلك الناس شعباً لسلكت شعب الأنصار!اللهم ارحم**

الأنصار ..اللهم ارحم الأنصار ..وأبناء الأنصار ..وأبناء أبناء الأنصار) (البخاري ٤٣٣٠)..فبكى الأنصار حتى أخضلوا لحاهم ، واختلطت دموعهم بدموع حبيبهم ..فصاحوا جميعاً وسعد معهم : رضينا برسول الله قسماً وحظاً ..يالله ..ما أجمله من منظر ..وما أروعه حين يعبر الصادقون بدموعهم عن حبهم وشوقهم لحبيبهم.

.فداً لك من يقصر عن فداك فما شهمٌ إذاً إلا فداك

أروح وقد ختمت على فؤادي بحبك أن يحل به سواك

إذا اشتبكت دموعٌ في خدود تبيَّن من بكى ممن تباكى

{ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}

فأسألك بالله هل اشتقت لرؤياه أسألك بالله هل اشتقت لرؤيته ولقياه ؟!.أما بكيت حزناً على فرقاه إن كنت محباً صادقاً فهذه سنته ، وهذا هديه بين يديك ..فخذ منه بقوة ولا تكن من المتهاونين ..ولا تظننّ أنَّ كل الدموع صادقة ..بل هناك دموع كاذبة ، فلقد جاء أخوة يوسف أباهم عشاء يبكون بعد أن فعلوا ما فعلوا بيوسف واتهموا الذئب وهو بريء من ذلك الدم ..عبد الله ..أنا أعلم أنك اليوم وأيام مضت لم تصلِ الفجر في جماعة المسلمين..بل ..ولا زلت تصر على أن تكون في عداد النائمين ..لكن هل كلما استيقظت ..وقد فاتتك صلاة الفجر في الجماعة ، ولم تفز بذمة ربِّ العالمين. .هل بكيت ؟!.هل ندمت ؟!.هل عزمت على التغيير؟!.إنَّ الفرق بيننا وبين من كانوا قبلنا أنَّ دموعهم حارة ، ودموعنا باردة ..إنَّ الدموع الحارة هي التي ..يبقى أثرها بالليل والنهار. .وتغير مجرى الحياة ..ويبكي أصحابها لفوات الطاعات ..أما الدموع الباردة ..فأثرها يذهب بعد نزولها بلحظات ..وسبحان من زكَّى أصحاب الدموع الحارة وبيَّن صدقهم ..**قال العوفي عن ابن عباس أنَّ النبي صلى لله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه ، وأن يستعدوا للجهاد ، فجاءته عصابة – جماعة منهم – فجائته عصابة من أصحابه ، وكانوا أهل حاجة ..فقالوا يا رسول الله : احملنا معك ..فقال صلى الله عليه وسلم : (والله لا أجد ما أحملكم عليه) ..فتولوا وهم يبكون ..تولوا وهم يبكون ..وعزَّ عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ، ولا يجدون نفقةً ولا محملاً ..فلما رأى الله حرصهم على محبته ، ومحبة رسوله أنزل عذرهم في كتابه ، وبيَّن صدقهم ، فقال سبحانه : { لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ، وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ**

مَا يُنفِقُونَ ، إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ } (ابن كثير **١٩٩\٤**)..هم بكوا على عدم القدرة على الجهاد ، وطلب الاستشهاد ..وأنا وأنت على ماذا نبكي ؟!..أما تبكيك مآسي المسلمين في الفلبين ، وتايلاند ، والهند ، وأندونسيا ، والصين قتلٌ وتشريدٌ وهتك محارمٍ أطفالنا ناموا على أحلامهم يبكون.. كلا بل بكت أعماقهم أوما يحدثك الذي يجري لهم فينا وكأس الحادثات دهاق وعلى لهيب القاذفات أفاقوا ولقد تجود بدمعها الأعماق أوما يثيرك جرحنا الدفاق أما قال ربنا : **{وإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً }**؟؟!!..أما قال نبينا صلى الله عليه وسلم **أننا** (**كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**)(**مسلم ٢٥٨٦**).أما يبكيك صوت الأرامل ، والأيامى ؟؟!!..وصوت الشيوخ ، واليتامى ما سمعت صياح و نداء فاطمة العراقية التي هتك عرضها عباد الصليب ؟؟!!..فمن يجيب ندائها ؟؟!!،..ويسمع صياحها؟؟!!.من يجيب على نداء فاطمة الفلسطينية ، وفاطمة الشيشانية ، وفاطمة الأفغانية ؟؟!!..من يجيب على نساء المسلمين ؟؟!!..بعد أن كنا نغنم نساءهم في الجهاد قد استردَّ السبايا كل منهزم وما رأيت سياط الذل دامية وما نموت على حدِّ الظبا لكننا رغم ليل اليأس في ثقة سبايا أضحت نساؤنا لهم سبايا لم يبقَ في أسرهم إلا سبايا ناإلا رأيت عليها لحم أسرانا ألوفاً حتى خجلت منا منايا نابأن فجر العلى لا بدَّ يغشانا والله لو استشعرت ما يجري حولك فلن تحتاج إلى كبير عناء حتى تبكي ..فإن القلوب قد تراكمت عليها أحزان الزمان ، وآلم القلوب قهر المتسلطين ، وشماتة الأعداء والمنافقين ..وحين تشعر أنك لا تفعل شيئاً ، أو أنك لا تقدر على أن تفعل شيئاً تجد أنك بحاجة إلى البكاء..فلا شيء يخفف من حرقة القلب مثل الدموع ..دموع الذكر ، والشكر..دموع الخشية ، والرهبة ..دموع الولاء ، والبراء ..دموع الانتماء لهذا الدين العظيم ..وأخيراً .. يا ولا ة الأمور كما سعيتم مشكورين لإصلاح أمور دنيانا ، فاسعوا إلى صلاح ديننا وأخرانا .. اسعوا إلى صلاح ديننا وأخرانا حتى تكتمل فرحتنا ، ويعمَ السرور ، وإننا والله متفائلون ..فبنصر الدين عز الدنيا ، ونعيم الآخرة ..وبنصر الدين يكون النصر والتمكين ..قال مالك الملك :**{ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ }** ..ووالله لن تفرح قلوبنا إلا إذا حُرر أقصانا ، وفك أسرانا ، وخرج الكلاب من عراقنا ، ومن سائر بلاد المسلمين أذلة صاغرين ..والله لن تفرح قلوبنا إلا إذا حُرر أقصانا ، وفك أسرانا ، وخرج الكلاب من عراقنا ، ومن سائر بلاد المسلمين أذلة صاغرين ..اللهم انصر دينك وكتابك ، وسنة نبيك وعبادك الموحدين ..اللهم انصر من نصر الدين ، واخذل من خذل

عبادك الموحدين..اللهم إنا نسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربنا إلى حبك يا ربّ العالمين..اللهم إنا نعوذ بك من قلب لا يخشع ، و عين لا تدمع ، وأذن لا تسمع ، ونفس لا تشبع ، وعلم لا ينفع ، ودعوة لا ترفع ..الله حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسق والعصيان..اجعلنا يا ربنا من الراشدين ..آمنا في أوطاننا .. وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا .. اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا ربّ العالمين اللهم اغفر ذنب المذنبين ، واقبل توب التائبين ..واكشف كرب المكروبين ، وفرج هم المهمومين ، واقض الدين عن المدينين ..ودل الحيارى ، واهد الضالين ..واغفر ربنا للأحياء ، وللميتين..عباد الله ..{ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بَالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِيْ القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعْلَكُمْ تَذَكَّرُونَ** } .فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروا على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله ما تصنعون..

***

البنيان المرصوص

الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه وإخوانه.أما بعد:أحبتي! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وطبتم وطاب ممشاكم، وتبوءتم من الجنة منزلاً، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته إخواناً على سرر متقابلين، وأسأله سبحانه أن يفرج هم المهمومين، ويكشف كرب المكروبين، ويقضي الدين عن المدينين، وأن يدل الحيارى ويهدي الضالين، ويغفر للأحياء وللميتين، ثم أما بعد:فحياكم الله وبياكم، وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم.نحن في سفر، والسفر طويل، والمسافر في طريقه يحتاج إلى متاع يبلغه وينفعه، وكلما قل المتاع وغلا ثمنه كان أسهل للمسافر في طريقه، وكلما كثر المتاع وقلت قيمته تعب المسافر في طريقه.إننا نشاهد مشاهدَ ونحن في طريق السفر من الدنيا إلى الآخرة، وكثيراً ما يتكرر أمام أبصارنا مثل هذا المنظر، وهو أن رجلاً يبني بنياناً حتى إذا أوشك البنيان على التمام أخذ المعول وأخذ يضرب في أساس البنيان حتى يسقط هذا البنيان، فماذا نقول عن هذا الرجل؟ إن أقل ما نقوله: إنه غير عاقل، وتتكرر فينا مثل هذه الصور! فمثلاً: إذا أقبل رمضان أقبل الناس على بيوت الله دعاء، وتضرعاً وصياماً وذكراً وقرآناً، وهذا كله زاد يتزود به المسافر في طريقه، حتى إذا انتهى رمضان عاد المسافر إلى ما كان عليه، فضيع الصيام، ويتخلف عن الصلوات، ويقلل من الذكر والطاعات، حتى يضيع ما بناه طوال شهر **كامل وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا [النحل:٩٢]**، ضرب الله مَثَل هذا بامرأة تغزل فبعد أن أوشك الغزل على التمام أخذت تفل خيوط هذا الغزل حتى عاد إلى ما كان عليه.أحبتي! إن الهدم سهل، ولكن البناء صعب، فالبناء يحتاج إلى مجهود أكبر، لكن بالمقابل في ساعات قليلة تستطيع أن تهدم بنىً كاملاً يتكون من أربعة أدوار أو ستة أدوار، استغرق من الوقت في بنائه شهور أو سنوات، لكن عند هدمه فالعملية لا تستغرق سوى ساعات.فالصعود إلى القمة صعب وفيه مشقة وتعب ويحتاج إلى عزيمة، ويحتاج إلى جهد وطاقة، لكن النزول من القمة سهل، وهكذا كثير من الناس يبني ويتعب، ثم يغريه الشيطان في دقائق وفي ساعات فيهدم مجداً عظيماً قد بناه، يبني ويتعب ويكدح ثم لشهوة في مرقد أو في مضجع، أو الشهوة في نفس أو في مال يهدم ما قد بناه.إن القضية قضية إيمان، فيوم بنى هذا الرجل بنيانه كان على إيمان **أن مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [الشورى:٣٦]**، وعندما ضعف

إيمانه بدأ يهدم هذا البنيان.إنما يتفاوت الناس في بنائهم وفي هدمهم بتفاوت الإيمان، فهذا إيمانه قوي وهذا إيمانه ضعيف، والفرق بين فلان وفلان في مقدار الإيمان الذي وقر في صدور أولئك الرجال؛ لأن فلاناً من الناس يستطيع المحافظة على الصلوات الخمس، فيناديه منادي الله في كل حين: حي على الصلاة؛ فلا يتخلف، ودائماً يجيب النداء، وفلان من الناس يناديه المنادي مرات ومرات لكنه مرات يتخلف ومرات يلبي، وكثيراً ما يتخلف، فلماذا هذا قوي في بنائه وهذا ضعيف في بنائه؟ وما هو الفرق؟إن الفرق هو الإيمان الذي وقر في صدر هذا والذي وقر في صدر ذاك.إن فلاناً من الناس إذا نام مبكراً، أو نام متأخراً يستيقظ إذا ناداه منادي الله: الصلاة خير من النوم؟ وفلان من الناس يقول: والله لو تضرب مدافع عند رأسي لا أستيقظ! فما هو الفرق؟ ما الذي أيقظ هذا وحركه للإجابة لنداء الله، ولم يتحرك ذاك ولو بصوت المدافع، ما هو الفرق؟ إنه الإيمان، لماذا هذا يبني وهذا يهدم؟ الدافع الحقيقي لهذا الإنسان هو الإيمان، والمحرك الحقيقي لهذا الإنسان ليفعل الطاعات هو الإيمان، فالذي جعل هذا يبني ويحافظ على البنيان هو الإيمان، والذي جعل هذا يتساهل ويهدم هو ضعف الإيمان. إن الظاهرة اليوم التي عمت وطمت وانتشرت حتى أصبحت مظهراً سائداً عاماً في حياة المسلمين هي ظاهرة ضعف الإيمان، وعلى قدر الإيمان تكون الأعمال، وعلى قدره يصمد هذا البنيان.إن قوي الإيمان لا يسقط أمام الشهوات واللذات والمغريات مهما كانت، إنه ثابت في المحيا وثابت عند الممات.ولماذا فلان من الناس عندما يذكّر مرة واحدة يكفيه؟ وآخر عندما يذكر مرات ومرات ومرات فلا يرتدع ولا يستجيب؟ ما هو الفرق؟ إنه فرق الإيمان، فأهل الإيمان من سماتهم أنهم أصحاب قلوب حية، فلا يمر الكلام عليهم مرور الكرام، إنه يقف ويتدبر ويتفكر.وكم خاطبنا الله بهذا النداء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، فالقضية مهمة في بناء الإيمان، ولهذا خاطبنا الله بنداء الإيمان، ولما كانت القضية مهمة قال الله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ [النساء:١٣٦]**، فأليسوا أهل إيمان؟ بلى هم أهل إيمان، فلماذا كرر الله الأمر بالإيمان مع أهل الإيمان؟ لأن القضية مهمة، والمعنى: احفظوا الإيمان، وارعوا الإيمان، وتعاهدوا الإيمان. إن الإيمان ليخلق في قلب الرجل، وإنه يضعف ويقوى، فلماذا -أحبتي- نندم على أمور الدنيا إذا فاتت ولا نتحسر على أمور الدين؟! ومن الذي إذا استيقظ وقد أشرقت الشمس وطارت الطيور بأرزاقها -كما يقولون- تحسّر وندم، فقد فاز المصلون، وفاز أولئك الذين دخلوا في ذمة الله في ذلك اليوم؟! وكم من إنسان استيقظ بعد شروق الشمس ولا يوجد في قلبه حسرة ولا ندامة على ما فاته، **يقول النبي صلى الله عليه وسلم**: (**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولما تلذذتم بالنساء على الفرش**)(**الترمذي ٢٣١٢**).يقول أحدهم: دخلت على رجل في مكتبه في الوظيفة فإذا على وجهه من آثار الهموم والغموم ما الله به عليم، فقلت في نفسي: هذا أصابته

مصيبة عظيمة إما في أهله أو في ماله، فآثار هذه المصيبة ظاهرة وبادية في وجهه، فقلت له: يا فلان! خيراً إن شاء الله -فمن حق المسلم أن يعزي أخاه-، فقال: اسكت إنها فرصة لا تعوض، قلت: يا رجل! كل شيء يعوض إلا العمر إذا مضى، قال له: يا رجل! فرصة العمر ما تعوض، قلت: خيراً إن شاء الله، قال -واسمع ما قال-: أرض تجارية في موقع تجاري عليها تصريح لستة أدوار، والدور الأول كله محلات تجارية، وقد بيعت بثمن بخس وثمن زهيد، فقلت في نفسي: إنا لله وإنا إليه راجعون، على هذا يتحسر المسلمون اليوم؟! على هذا يندم المسلمون اليوم؟! قلت له: يا رجل! ما كتبها الله لك، أما قال الله: **لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ [الحديد:٢٣]**، فاسمع على ماذا نبكي، واسمع على ماذا نتحسر.واسمع عن بكائهم وتحسرهم في لحظات احتضار فهذا معاذ أعلم الأمة بالحلال والحرام، اسمع تزكية النبي له وهو يقول له: (**والله إني لأحبك يا معاذ**)، (**ابي داود ١٥٢٢**) إنها تزكية النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الشاب الذي بنى البنيان وحافظ عليه حتى ساعات الاحتضار.وعند ساعات احتضاره بليل **قال لابنه: أصبحنا؟ قال: ليس بعد، فسأله بعد حين فقال: أصبحنا؟ قال: ليس بعد، ثم قال له مرة ثالثة: أصبحنا؟ قال: نعم، فقال: اللهم إني أعوذ بك من ليلة صبيحتها إلى النار، ثم لما ازدادت سكرات الموت وأتت ساعة الاحتضار، أخذ ينادي ربه، ويتضرع إليه ويدعوه قائلاً: اللهم إنك تعلم أني كنت أخافك وأنا الآن أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا لطول البقاء، ولا لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لصيام الهواجر، وقيام الليل، ومجالسة العلماء، فاسمع على ماذا يتحسر ويندم، إنه يتحسر على قيام الليل وعلى صيام الهواجر، وعلى مجالسة أهل العلم** (حلية الاولياء ١\٢٣٩)

:النفس تبكي على الدنيا وقد علمت أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيـها
فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خـــاب بانيها

فالقضية قضية بناء، فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خاب بانيها.وكثير من يفعل الطاعات لكن قليل من يترك المحرمات، وأصبحت القضية قضية هدم وبناء في نفس الوقت، يبني ويهدم، ويبني ويهدم، وهكذا لا يكتمل البنيان أبداً. إن الإيمان يجب أن يكون صافياً ونقياً وطرياً؛ حتى نستشعر له حلاوة، وحتى نرى للبنيان جمالاً، وحتى تظهر آثار التعب والنصب في هذا البنيان، فالعسل إذا لم يكن مصفى لا تستشعر حلاوته، ولا تعرف قيمته، فكلما زادت نقاوة العسل وخلوه من الشوائب كان طعمه أحلى، وهكذا الإيمان إذا صفي ونقي من الشوائب والمعايب كان له طعم وحلاوة.والمشكلة اليوم في حياتنا

أن القضية أصبحت مخلوطة، فكثير من المسلمين يصلي، لكن ينظر إلى الحرام، ويأكل الحرام، ويصلي ويفعل الطاعات من صيام وصدقة ولكن في المقابل يفعل المحرمات، فما هو الإيمان؟ الإيمان هو ما وقر في القلب، وصدقه اللسان، وعملت به الجوارح والأركان، ويزيد بالطاعة -أي: ينبني بالطاعة-، وينقص بالعصيان -أي: ويهدم بالمعاصي-، قال الله: **وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ [التوبة:١٠٢]**، وهذا حالنا اليوم، فنفعل الطاعات، لكن لم نترك المحرمات، فلم يظهر للإيمان أثر في حياتنا؛ لأن العملية أصبحت مخلوطة، فإذا قرأ العبد القرآن ارتفع إيمانه، وإذا حافظ على الصلوات الخمس ارتفع إيمانه، وإذا حافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها والسنن الرواتب ارتفع إيمانه، وإذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ارتفع إيمانه، وإذا تصدق ارتفع إيمانه، وإذا تبسم في وجه أخيه يبتغي بذلك مرضاة الله ارتفع إيمانه، وكل طاعة يفعلها ترفع الإيمان، لكن في المقابل إذا جلس أمام التلفاز وأطلق للسمع وللبصر العنان ينخفض ويضعف الإيمان.فالذي يعمل الطاعات يبني إيمانه بالقرآن والذكر والتسبيح والتهليل، لكن في المقابل هو يضعف إيمانه إذا استمع إلى الأغاني، وإذا نظر إلى الحرام، ضعف إيمانه، وإذا أكثر من القيل والقال فيما لا يعنيه ضعف الإيمان، وهكذا حال كثير من المسلمين اليوم، فهدم وبناء، وهدم وبناء، وأصبحت حياتنا لا قيمة لها، وكلما أوشك البنيان على التمام أخذنا في الهدم!!والقضية يوم القيامة قضية ميزان، فإما أن ترجح فيها كفة السيئات أو كفة الحسنات، وإن رجحت كفة السيئات خاب وندم، وإن رجحت كفة الحسنات أفلح وفاز، لكن متى ترجح كفة الحسنات؟ ترجح إذا حافظ على الطاعات حتى يلقى الله تبارك وتعالى، وترجيح إذا ترك السيئات والمحرمات.والله! إن أهل الجنة في جناتهم بين حورهم وقصورهم يتحسرون ويندمون على دقائق ضاعت منهم عندما يرون الكرامات، ويرون ماذا أعد الله لعباده الصالحين، ويتمنى أهل الجنة أن لو زادوا في الطاعة، ويتمنى أهل الجنة أن لو زادوا في القربات لما يرون من الكرامات التي أعدها الله لعباده الصالحين، فما ظنك بالفريق الآخر وهو يتقلب في النار؟! **يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ [الأحزاب:٦٦]**، كيف يكون حالهم؟ يقولون: **يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا [الأحزاب:٦٦]**.**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ [السجدة:١٢]**.**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا [الفرقان:٢٧-٢٨]**، ماذا عمل بك؟ قال: ما ساعدني على البناء إنما ساعدني على الهدم والضياع،

وهذا حال كثير من الناس اليوم، لو تسألهم عن سبب هدمهم لبنيانهم لقالوا: فلان وفلان وفلان هم السبب.

عبد الله! أعلم أنه لا يصنع الرجال إلا الإيمان، وعلى قدر الإيمان في القلوب تكون ثمراته، اسمع ماذا صنع الإيمان بالرجال **يقول النبي صلى الله عليه وسلم:** (**ثلاث من كن فيه ذاق بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**) (**البخاري ٢١**)، ومعنى هذا الكلام أنه إذا أتاك الأمر فعليك أن تفعل، وإذا جاءك نداء الله ألا تفعل فعليك ألا تفعل، وقد كانت التكاليف في السابق شديدة على الرجال ومع هذا ما تخلف منهم رجل واحد، واليوم التكاليف سهلة، يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ [البقرة:١٨٥]، فهم أقاموا البنيان، وإقامة البنيان أصعب شيء، فتعالوا نستمر في بناء ذلك البنيان الذي بناه أولئك الرجال بتضحياتهم، وبدمائهم، وبأوقاتهم، وبأموالهم وبكل ما يملكون.فهذا رجل واحد يناديه النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: (**اذهب إلى مكة وائتني برأس خالد الهذلي**)، خالد الهذلي رجل كان يجمع الرجال حتى يقتل النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بجندي واحد من جنود الإيمان، ليس بكتيبة ولا سرية ولا بجيش عرمرم، وإنما برجل واحد وقال له: (**اذهب إلى مكة وائتني برأس خالد الهذلي**)، فما قال الجندي: لا أستطيع، أو العملية شاقة ومتعبة وخطيرة، لا، إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا [النور:٥١]، فلا يختار الجندي إذا أمره القائد، فقال: إني لا أعرف الرجل -أي: ما رأيته قط، واسمع علامات الرجل- فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (**علامة الرجل أنك إذا رأيته تهابه**)، وهنا زادت القضية خطورة؛ فالرجل خطر، وكانت العرب تقول عن خالد الهذلي : إنه رجل بألف رجل، ومع هذا ما قال الجندي: أعذرني، وما قال: ابحث عن غيري، أو مدّني بفلان أو فلان، وإنما قال: سمعاً وطاعة، وخرج حتى وصل إلى عرفات قرب مكة حيث أقام الرجل هناك معسكره يجمع الشباب والرجال حتى يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم، فجاءه وقال له: أنا أريد أن أنضم إلى الرجال الذين معك حتى نقتل محمداً -صلى الله عليه وسلم- فآواه وقربه وأدناه حتى اطمئن إليه، ثم سار معه خلف الخيام يتباحثون في القضية والموضوع، حتى إذا ابتعدوا عن أعين الناس استل عبد الله بن أنيس رضي الله عنه وأرضاه سيفه واجتز رقبة الرجل وعاد يخبر القائد أن المهمة قد تمت، وكان الوحي قد سبقه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فما إن دخل الجندي على القائد حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (**أفلح الوجه، خذ عصاتي توكأ عليها أعرفك بها يوم القيامة، وقليل هم المتوكئون**)(. **مغازي الواقدي ٥٣١\٢**)، فلما احتضر عبد الله بن أنيس رضي الله عنه

وأرضاه أمر بتلك العصا أن تكفن معه في كفنه؛ كي تكون شاهدة ودليلاً على أنه أطاع الله وأطاع الرسول. فانظر لقد كانت التكاليف صعبة وشاقة على الرجال ومع ذلك ما تخلف منهم رجل واحد.وفي يوم بدر كان النبي صلى الله عليه وسلم يحثهم ويحرضهم على القتال، ويرفع شعار المعركة ويقول لهم: (**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**)، فيتعجب الرجل ويتأمل ويتفكر ويقول: جنة عرضها السماوات والأرض؟! قال: (**يا رسول الله! جنة عرضها السماوات والأرض؟ ماذا بيني وبينها؟ قال: أن تقاتل في سبيل الله فتقتل، قال: ادعُ الله أن أكون من أهلها، قال: أنت من أهلها، وكان في يده تمرات فقال: بخ بخ، وقذفها وانطلق وهو يقول: والله! إنها لحياة طويلة إن أنا عشت حتى آكل هذه التمرات**)، (**مسلم ١٩٠١**) ولسان حالهم:

ركضاً إلى الله بغير زادِ غير التقى وعمل المـعاد

والصبر في الله على الجهاد وكل عمل عرضة للنفادِ

إلا التـــــــــقى والبر والرشـــاد.

(**ادع الله يا رسول الله! أن أكون من أهلها قال: أنت من أهلها، ثم ينطلق ويبارز القوم ويقاتلهم حتى يسقط قتيلاً رضي الله عنه وأرضاه**). فما الذي دفع أولئك الرجال إلى تلك الأفعال؟! إنه الإيمان يوم بنوا البنيان حافظوا على البنيان حتى وصل إلى تمامه، ونحن اليوم نبني ونهدم، فلم نستشعر الإيمان وحلاوته، واسمع ماذا كانوا يقولون، كانوا يقولون: إذا لم تستطع قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم. والله! إننا في حرمان لا يعلمه إلا الله، وذلك يوم لم نستشعر الإيمان وحلاوته ولذته، والأنس بالله، والقرب من الله تبارك وتعالى، فإذا أنس أهل الدنيا بالدنيا فليأنس أهل الإيمان بالله، وإذا أنس أهل الدرهم والدينار بمالهم فليأنس أهل الإيمان بالله تبارك وتعالى.إنه الإيمان الذي يصنع الرجال (**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**)، أي: تبذل الغالي والنفيس للذي أعطاك، ووهب وسخر لك كل شيء، فهكذا تكون حياة أهل الإيمان. هذا الشاب الجديد في انطلاقته في طريق الإيمان، وفي طريق البناء، يوم أن بدأ يسير على الطريق كانت من أمنياته أن يحفظ سورة الفرقان، وما أجملها من سورة لو تدبرناها! فهي تصف عباد الرحمن أولئك الذين يبنون البنيان ويحافظون عليه، يقول: من أمنياتي وأنا في بداية الطريق أن أحفظ سورة الفرقان، فاجتهدت في حفظها بعد صلاة الفجر، فيوم أن نام النائمون مكثت أنا في المسجد أحفظ هذه السورة العظيمة، يقول: فلما أتممت حفظ السورة وخرجت من المسجد فمن السعادة التي في قلبي شعرت أن هذا الكون لا يستطيع أن يتحملني، وشعرت أني أستطيع أن أوزع الإيمان على الكون كله، وأستشعر السعادة في هذا الكون كله، يقول: فالتفت يمنة ولا يسرة ما أريد أن ينظر إليَّ أحد؛ لأني كنت أشعر أني

لا أسير على الأرض! ما هو هذا الشعور أليس هو الإيمان؟ أليست هي الطاعات التي جعلتهم يستشعرون الإيمان؟ أليس البنيان الذي بنوه وحافظوا عليه هو الذي كمل إيمانهم؟ فيأيها الغالي! حافظ على الطاعات من كل ما يشوبها وينقص من قيمتها. وأما صفات عباد الرحمن فقد قال الله عنهم: **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا [الفرقان:٦٣]، فلما وصف نهارهم قال أهل التفاسير: كان من باب أولى أن يصف ليلهم، وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا [الفرقان:٦٣-٦٨]**، ثم قال في الآيات التي تليها: **وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا [الفرقان:٧٢]**، أي: ليس عندهم مجال لتضييع الأوقات وتضييع الأعمار، وكل باطل وزور لا يشهدونه، وكل مجالس لهو وتضييع لا يشهدونها؛ لأنهم ما خلقوا من أجل هذه **وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا [الفرقان:٧٣-٧٤]**، ما هي ثمرات حفاظهم على البنيان؟ **أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا [الفرقان:٧٦-٧٧]**.فهذه أحوال الذين يبنون، وأما أحوال المضيعين والمفرطين الذين يهدمون البنيان فهي عكس صفات الرحمن تماماً.وجاءتنا الأخبار أن أحد الشباب سلك طريق الاستقامة، وركب سفينة النجاة، وبدأ يحافظ على الصلاة ويحفظ القرآن، وبدأ يتذكر أصحاباً له لا يزالون غارقين في لجج المعاصي والآثام، فودّ لو أنهم ركبوا معه في سفينة التوبة والنجاة، وانضموا إلى قوافل العائدين، زارهم وليته لم يفعل، وهذه نصيحة لكل تائب جديد في طريق الاستقامة ألا يذهب لأصحاب الماضي وحيداً، فخذ معك من يعينك على دعوتهم؛ لأن الكثرة تغلب الشجاعة، فزارهم يريد لهم الهداية، فبدأ الهجوم عليه من كل الجهات: أتذكر يوم كذا وكذا، وعلت الأصوات وانطلقت الضحكات، وقام من عندهم بعد أن جددوا جراحاً ماضية، وحركوا في القلب والنفس أشياء، وبدأ الصراع من جديد.جاءوه بعد أيام يعرضون عليه السفر إلى مكان قريب بقصد شراء سيارة قالوا له: نريد من يذكرنا بالله ويؤمنا في الصلاة، ويعلمنا الجمع والقصر، فزينت له نفسه السفر وانطلق معهم، وليته لم يفعل، هناك حيث يعصى الله استأجروا شقة مفروشة، وتركوه فيها وذهبوا وهم يخططون كيف يعيدونه إلى شواطئ الضياع مرة ثانية،

فأمضوا ليلتهم في سهرة ليلية بين خمر وغناء وهو هناك ينتظرهم، واتفقوا مع بغي زانية فاجرة على أن يدفعوا لها الثمن أضعافاً مضاعفة إن هي استطاعت أن توقع صاحبهم في الفاحشة، الله أكبر! يدفعون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فأدخلوها عليه ومعها خمر وشريط غناء حتى تكون الليلة حمراء، والخمر مذهبة للعقل، والغناء بريد الزنا، فخلت به وخلا بها (**وما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**)(**الترمذي ٢١٦٥**)، ولا زالت به حتى سقته كأساً من خمر، ثم ثانية، ثم ثالثة، ثم وقع المحظور وانهدم في لحظات بنيان طالما تعب حتى بناه، فنام في فراشه عارياً مخموراً -والعياذ بالله-، فلما أصبح الصباح جاء شياطين الإنس يطرقون الباب وضحكاتهم تملأ المكان، ففتحت الفاجرة لهم الباب فقالوا لها: ما عندك؟ ما الخبر؟ ما البشارة؟ قالت: أبشروا فقد فعل كل شيء: شرب الخمر، وزنى، ثم نام وهو عريان في فراشه الآن، تباً لهم ولأمثالهم أيفرحون ويستبشرون إن عُصي الله؟ أيفرحون أن صاحبهم زنى وشرب الخمر بعد أن كان يصلي ويقرأ القرآن؟!فدخلوا عليه ضاحكين شامتين وهو مغطىً في فراشه، فأيقظوه فلم يجبهم، فكرروا النداء فلم يجبهم، فحركوه وقلبوه في فراشه فلم يستيقظ، واسمع الفاجعة: إن صاحبنا شرب الخمر، وزنى، ونام، ومات من ليلته في فراشه على أسوأ ختام! إنا لله وإنا إليه راجعون!فيا ألله! أما كان صاحبهم يصلي ويصوم ويقرأ القرآن؟ أليس قد جاء معهم يريد لهم الهداية فأرادوا له الغواية؟ لقد دفعوا أموالهم وأوقاتهم ليصدوه عن سبيل الله، فهل سينقذونه من عذاب الله؟ فأي أصحاب هؤلاء؟! وصدق الله حين قال: **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولًا [الفرقان:٢٧-٢٩]**.

فلا تصحب أخا الفسق وإياك وإياه فكم من فاسق أردى مطيعاً حين آخاه

ما الذي قاد أولئك الرجال إلى حفظ الإيمان؟ وما هي القضية التي كانت قوية في حياتهم ضعيفة اليوم في حياتنا؟ إنها قضية الإيمان باليوم الآخر، فالإيمان باليوم الآخر هو الذي قاد أولئك الرجال إلى صنع تلك العجائب التي صنعوها، واليوم هذا الشعور ضعف في حياتنا، ولو استشعرنا أن هناك يوماً سيجمع الله فيه الأولين والآخرين فهل ترى الرجل يتخلف عن الصلوات؟ أتراه يتنازل عن الطاعات؟ أتراه يتساهل في المحرمات؟ من علم أنه لله عبد، وأنه بين يدي الله سيقف، أتراه يضيع العمر؟ أبداً والله! والله! ما ضاع المسلمون إلا يوم ضعف استشعار الإيمان باليوم الآخر في حياتهم، كما قال الله: **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا [المعارج:٦-٧]**.**ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ [هود:١٠٣-١٠٥]**.وقد جاء رجل إلى

إبراهيم بن أدهم قال له: هناك قضية شغلتني بالليل والنهار، قال له إبراهيم : دعني فأنا أيضاً مشغول، فعندي ما يكفيني ويشغلني، قال: يا شيخ! إما تشغلني، وإما أنا أشغلك بقضيتي، قال له إبراهيم : هي ثلاث قضايا لا تفارقني بالليل ولا بالنهار، قال الرجل: هات الأولى، قال: الأولى: يقول الله: يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ [آل عمران:١٠٦]، وأنا لا أدري إلى أي فريق أنتمي، وممن أكون: أمن الذين تبيض وجوههم أو من أولئك الذين تسود وجوههم.والثانية: يقول الله: فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ، وأنا لا أعلم أمن الأشقياء أكون أم من السعداء.والثالثة: يقول الله: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ [الشورى:٧]، فلا يوجد بين البين فإما جنة وإما نار.فاستشعارهم لليوم الآخر هو الذي غير مجرى حياتهم، وضعف هذا الشعور اليوم في حياتنا هو الذي أوصلنا إلى ما وصلنا إليه، ولو تدبرت آيات هذا الكتاب الحكيم فستجد أنها في كل صفحة من صفحاته تربطنا بذلك اليوم، **الْقَارِعَةُ [القارعة:١]**، **الْحَاقَّةُ [الحاقة:١]**، **الْوَاقِعَةُ [الواقعة:١]**، **ذَلِكَ يَوْمٌ [هود:١٠٣]**، **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ [الأنبياء:١]**، **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ [النساء:١]**، **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ[البقرة:٢٨١]**.فمن تعلق قلبه بذلك اليوم حافظ على البنيان، ومن ضعف تعلقه بذلك اليوم هدم البنيان ولم يبال.يقول ابن الحسن البصري : أمسى أبي صائماً حتى حانت ساعة الإفطار، فقدم إليه الطعام فقيل له: الطعام يرعاك الله، قال: فاسترجع وبكى وأبكى حتى عافت نفسه الطعام، ثم قرأ عليهم قوله تبارك وتعالى: **إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا [المزمل:١٢-١٣]**، فسبحان الله عندما تعرض عليهم أمور الدنيا يربطوها بالآخرة، يقول: حتى عافت نفسه الطعام، وأصبح صائماً لليوم الثاني على التوالي، ولم يذق الطعام ولا الشراب حتى حانت ساعة الإفطار فقيل له: الطعام -يرعاك الله-، فاسترجع وقرأ قوله تعالى: **إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا [المزمل:١٢-١٣]**، حتى عافت نفسه الطعام، وأمسى ليله كله باكياً حتى أصبح صائماً لليوم الثالث على التوالي، ولم يذق الطعام ولا الشراب.فأسألك بالله ما الذي حرمهم لذيذ المنام ولذيذ الطعام أليس هو استشعار اليوم الآخر؟ أليس هو استشعار المسئولية عند الوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى؟ فلما حانت ساعة الإفطار لليوم الثالث على التوالي ذهب ابنه إلى ثابت البناني ، ويحيى البكاء ويزيد الضبي فقال: أدركوا أبي! ثلاثة أيام لم يذق الطعام، ولا الشراب! فلا زالوا يكلمونه ويحدثونه حتى ذاق سويقة من تمر، ثم قرأ عليهم قول الله تبارك وتعالى: **إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا [المزمل:١٢-١٣]**، تخيل المشهد يرعاك الله، **يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا * إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ***

فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا [المزمل:١٤-١٦]، ثم الخطاب لنا **فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا * السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا * إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا [المزمل:١٧-١٩]**،

والله لو أن القلوب سليمة لتقطعت ألماً من الحرمان،

ولكنها سكرى بحب الدنيا، وسوف تفيق بعد زمان،

إن حفظ البنيان لا بد فيه من المجاهدة، ولا بد فيه من الصبر، ولا بد من الصدق مع الله تبارك وتعالى فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ [لقمان:٣٣]، فالعمر مهما طال فهو قصير، والدنيا مهما عظمت فهي حقيرة، واسمع كيف يستشعر المؤمن الإيمان وحلاوته. (**دخل النبي صلى الله عليه وسلم على رجل في المسجد فقال له: كيف أصبحت يا حارثة ؟ فقال: أصبحت مؤمناً حقاً، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: وما حقيقة هذا الإيمان؟**)، اسمع علامات الإيمان، وعمل أهل الإيمان قال: (**عزفت نفسي عن الدنيا**)،(**شعب الايمان ١٠١٠٦**) وهكذا المؤمن، فقلبه ليس معلقاً بالدنيا وحطامها، وكيف يتعلق في الدنيا وما فيها والله يقول: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ [فاطر:٥]**، يقول الناظم في الدنيا:

إذا هدمت فزدها أنت هدماً وحصن أمر دينك ما استطعتا

ولا تحزن على ما فات منها إذا ما أنت في أخراك فزتا

أراك تحب عرساً ذات خدر أبت طلاقــها العقلاء بتا

وتطعمك الطعام وعن قليل ستطعم منك مـا فيها طعمتا

تفر من الهجير وتتقيه فهلا من جهنم قد فـــــررتا

فإنك لا تطيق أهونها عذاباً ولو كنت الحديـد بها لذبتا

قال: (**عزفت نفسي عن الدنيا**)، ثم إن الإيمان لا بد أن يترجم إلى عمل.يقول الحسن البصري : ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه اللسان، وعملت به الجوارح والأركان. فالإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي، ولابد أن يكون مترجماً إلى عمل، قال: (**فأسهرت ليلي قياماً، وأظمأت نهاري صياماً**)، وهو لا يتكلم عن رمضان، نحن لا نعرف الصيام ولا القيام إلا من رمضان إلى رمضان، وهذا يتكلم عن سائر الأيام طوال العام فليلهم قيام، ونهارهم صيام.

عبّاد ليل إذا جن الظلام بهم كم عابد دمعه على الخد أجـــــراه

وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم خرجوا إلى الموت يستجدون رؤياه

فيا ربِ ابعث لنا من مثلهم نفراً يشيدون لنا مجداً تليداً قد أضعناه

يقول: (**أسهرت ليلي، وأظمأت نهاري**). ثم إذا ارتقى الإيمان بالعبد فإنه يصل به إلى مرتبة الإحسان؛ لأن الدين ثلاث مراتب: إسلام، فإيمان، فإحسان، نحن مطالبون -أيها الغالي- أن نرقى بإيماننا وأن نرقى بمستوانا يوماً بعد **يوم الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً [الملك:٢]**، إنه التفاضل في حسن العمل، فالكل يصلي لكن شتان بين مصل ومصلٍ، والكل يعمل الطاعات لكن هناك فرق بين من يحسن الطاعات ويراقب الله فيها، وبين من يؤديها أداء واجب.إن الدين عهد وميثاق بيننا وبين الله، فكم الذين يقومون بالدين ويحافظون عليه؟ لقد سمَّى الله الذين أوفوا بالعهد مع الله رجالاً فقال: **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ [الأحزاب:٢٣]**، والدين عهد بيننا وبين الله، والمطلوب أن نقوم به على أحسن وأتم وجه.ولما ارتقى الرجل في إيمانه قال: (**أسهرت ليلي، وأظمأت نهاري**)، **ويقول**: (**كأني أرى عرش الرحمن بارزاً أمامي، وكأني أرى أهل النار يتعاوون فيها، وكأني أرى أهل الجنة يتزاورون فيها**)، **فقال له النبي صلى الله عليه وسلم**: (**أنت إنسان عرفت فالزم**) أي: هذا هو الإيمان، فهو قول وعمل.ثم اسمع إلى ثمرات الإيمان، ففي يوم بدر يقتل حارثة رضي الله عنه وأرضاه، فتأتي أم حارثة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتقول: (**يا رسول الله! أين حارثة ، هل مكانه في الجنة فأفرح له، أم في النار فأجتهد في البكاء عليه؟ فيقول لها يا: أم حارثة ! إنها ليست جنة يا أم حارثة ! ولكنها جنان، وإن حارثة أصاب الفردوس الأعلى**)، بماذا وصل إلى تلك المرتبة الرفيعة العالية عند الله؟ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [يونس:٩-١٠]**، فالإيمان هو الذي صنع أولئك الرجال، وأقام ذلك البنيان تعلقهم بالله، وما عند الله هو الذي قادهم إلى جنات النعيم، واليوم عندما ضعف الإيمان في حياتنا أصبح الإيمان لا يكفي لإيقاظ الرجل لصلاة الفجر، اليوم الإيمان لا يكفي ليترك الرجل منامه وفراشه من أجل الله تبارك وتعالى.يقول الشاعر مخاطباً نفسه:

تريدين إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل

إن الإيمان هو الذي يصنع البنيان، وكلما قوي الإيمان كان البنيان قوياً، وكلما ضعف الإيمان بدأ البنيان بالسقوط.فتعالوا! نحفظ على الطاعات، ونجاهد النفس، ونلزمها على فعل الطاعات وترك المحرمات؛ لكي لا تصير القضية مخلوطة في حياتنا.وإذا استشعرنا الإيمان فوالله! لن نرضى به بدلاً، إذا استشعرت حلاوة الإيمان فثق تمام الثقة أنك لن ترضى به بديلاً، واسأل أولئك الذين ساروا على طريق الاستقامة، اسألهم

عن الماضي الذي كانوا فيه عندما كانوا يهدمون البينان، واسألهم الآن هل ترجعون إلى الماضي؟ إن أحدهم لا يرجع إلى ما كان عليه أبداً؛ لأنه استشعر الإيمان وحلاوته، وكلما تقربت وزدت في الطاعات كان أثر الإيمان واضحاً في حياتك (**من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً**)(**البخاري ٧٥٣٦**) وهكذا الإيمان!قال الله عن أصحاب الكهف: نَحْنُ **نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى [الكهف:١٣]**، فالإيمان يزيد، والهداية ليست باباً واحداً بل أبواب، وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ [محمد:١٧].إن المسئولية مسئوليتك أنت، فكلما اجتهدت في المسير، وقمت على بناية البنيان ورعايته، فثق تمام الثقة أن المردود أعظم في الدنيا قبل الآخرة.فما رأيت شيئاً يصنع الرجال كالصلوات الخمس، وهو عمر الخبير يقول: من كان محافظاً عليها كان على غيرها أحفظ، ومن كان لها مضيعاً كان لغيرها أضيع.وما أظن أن رجلاً يحافظ على الصلوات الخمس يبني ويهدم، وإنما جاءت قضية الهدم والبناء لأولئك الذين صلاتهم متقطعة، وأشهد بالله العظيم لو أن رجلاً استقام في صفوف المصلين أربعين يوماً لاهتدى، ولن يرضى أن يعود إلى الماضي القبيح، فهل تستطيع أن تجاهد النفس لله أربعين يوماً؟ لقد جاهد الرجال سنين طويلة، فهذا يقول: منذ أربعين عاماً ما فاتتني تكبيرة الإحرام، والآخر يقول: منذ خمسين عاماً ما فاتني لا في سفر ولا في حضر، أليست هممهم عالية؟ أليس إيمانهم راسخاً؟ثق تمام الثقة وخذ بالعلاج، فالمريض إذا مرض يذهب إلى الطبيب ثم يوصف له العلاج، فإذا داوم وحافظ على العلاج فبإذن الله يشفى، وضعف الإيمان علاجه الاستقامة على الطاعات، وفي نفس الوقت ترك المحرمات والمعاصي، وثق بعد الأربعين أنك لن ترضى أن تعود إلى الماضي السابق من الهدم والبناء في نفس الوقت، وما تدري وأنت تبني إلا ويقال لك: توقف انتهت المدة، وما يدريك لعل الساعة تكون قريبة.أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحفظني وإياكم بحفظه، وأن يعينني وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا –يا ربنا– من الراشدين.اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.اللهم اجمع شملنا، ووحد صفنا، واعل شأننا، وأصلح ولاة أمورنا، اجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين!اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل عبادك الموحدين.أستغفر الله العظيم، وصلى الله على محمد.

***

الجنةتنادي

انَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ..وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله يَآ أَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَ قُولُواْ قَولاً سَدِيداً، يُصلِحْ لَكُم أَعْمَالَكُم وَ يَغْفِرْ لِكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزَاً عَظِيمَاً أما بعد :فإنَّ أصدق الحديث كلام الله ..وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم ..وشرَّ الأمور محدثاتها ..وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

كلٌ يسبح في السماوات العلا والأرض للمتفرد الخلَّاق
ولوجهه عنت الوجوه وسبَّح ا لملكوت من زهر ومن أشواك
يا بادئ الحياة من عدم   ويا منشي الحياة وباسط الأرزاق
لك وحدك اللهم جال تفكري وهواك ملئ قلبي الخفاق

أحبتي حاضرين وحاضرات ...السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..حياكم الله وبياكم ..أنا وإياكم في ضيافة الرحمن الرحيم.. فهذا بيته ..الذي أذن أَن يُرفَع ويُذكر فيه اسمه ..فله الحمد كله ، وله الشكر كله ، وبيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله علانيته وسره..عنوان ليلتنا هذه المباركة :"الجنة تنادي "نعم أحبتي ..إنها ليست جنة ..ولكنها جنان ..**فلقد جاءت أم حارثة رضي الله عنها تسأل عن حارثة رضي الله عنه بعد مقتله ، قالت : يا رسول الله أين حارثة في النار فأبكيه ، أم في الجنة فاأفرح له ؟! ..فقال الصادق المصدوق صلوات ربي وسلامه عليه :(أهبلت يا أم حارثة !! إنها ليست جنة ..إنها ليست جنة ولكنها جنان ، وإن حارثة أصاب الفردوس الأعلى)** ..أحبتي ..ذكر الجنة حياة للقلوب ، ونسيان الجنة موت للقلوب ..فأردت من موضوعي الليلة في هذه الأيام والليالي المباركة ..تحريك القلوب ..وتشويق النفوس ..ورفع الهمم لطلب أعلى الدرجات وعدم الرضا بالدنيات ..فهيا ننطلق أنا وإياكم في رحاب أبواب الجنة التي تفتحت أبوابها ..اعلموا رعاكم الله ..مهما جال في خواطركم ..أو تردد في أذهانكم ..فإنَّ في الجنة ما هو أعلى منه وأتم ..صرح بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم تصريحاً فقال :(**قال الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)** ..

مصداق ذلك قوله تبارك تعالى في كتابه : **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ..فيا أيها المشتاقون ..فيا أيها المشتاقون ..مهما كان جمال الوصف فلا يعدُّ شيئاً بجانب الحقيقة الساطعة التي طبعها الله عليها — أي طبع الجنة عليها – لأنَّ الله تعالى ..إنما وصفها لنا على قدر عقولنا ..وصوّرها على حسب تصورنا وفهمنا..**يقول ابن القيم رحمه الله : وكيف يقدر العقل القاصر الضعيف قدر ..جنةٍ ..غرسها الرحمن بيده ..وجعلها جزاءً لأحبابه ..وملأها برضوانه ورحمته ..وزيَّنها وأتقنها بعظيم قدرته ..ووصف نعيمها بالفوز العظيم ..ووصف مُلكها بالمُلك الكبير (حادي الأرواح ١\١٩٢)**..قال الله : **وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ، عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً** ؟ ..تأمل وتدبَّر معي من الذي سقاهم !! ؟ **وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ، إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً** ..هذه هي أيام بذل الثمن في الوصول إلى تلك الدرجات وتلك الجنان ..والله إنه لنعيمٌ لا يستطيع الخيال له تصويرا ..ولا يستطيع اللسان عنه تعبيرا ..وليس الخبر كالمعاينة. .فانتظر ً إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ..إنها..الجَنّة ، ودَارُ السَّلَام ، ودَارُ الخُلد ، ودَار المقَامَة ، ودَارُ الحَيَوَان ..إنها ..جَنَّةُ المأْوَى ، والمقَامُ الأَمِين ، وجَنَّاتُ عَدْنٍ ، وجَنَّاتُ النَعِيْم ..إنها .. مَقْعَدُ صِدْقٍ عِنْدَ مَليكٍ مُقْتَدِرٍ ؟ ..إنها ..الفِرْدَوْس .. وما أدراك ما الفردوس !!..ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس ..فإنه أعلى الجنة ، وأوسط الجنة ، ومنه تُفجّر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن) (البخاري ٢٧٩٠)**

فإذا أردت أيها المشتاق أن تكون من أهل الفردوس فاسمع أوصافهم كما جاء في سورة المؤمنون :بسم الله الرحمن الرحيم :؟ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ؟ ، فإذا اتصفوا بتلك الصفات فماذا لهم ؟!: ؟ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ؟ ..اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بأسوأ ما عندنا يا أرحم الراحمين ..عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشدّ كوكب دريّ في السماء إضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ، ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألُوَّة ، أزواجهم الحور العين ، على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم**

عليه السلام)(البخاري ٣٢٤٥)..**وعن كعب رضي الله عنه قال : ما نظر الله إلى الجنة إلا قال : طيبي لأهلك...فتزداد ضعفاً حتى يدخلها أهلها (حلية الاولياء ٥\٣٧٩)**..اسمع أيها المشتاق .. اسمع أيها المشتاق وزد شوقاً واستبشاراً. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض ، ثم قرأ قوله تعالى **حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا** فإذا هم عندها بشجرة في أصلها عينان تجريان ، فيشربون من أحداهما فلا يترك في بطونهم قذىً ولا أذىً إلا رمته ، ويغتسلون من الأخرى فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رؤوسهم ولا تخضل أبشارهم بعد هذا أبداً، ثم قرأ قوله تعالى ؟ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ؟ ..فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ويتلقاهم الولدان ، فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر الأهل بالحميم يقدم من بعد غياب ، فينطلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم – يخبرون الأزواج بقدوم الأحباب – فتقول : أنت رأيته ؟! فيقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتكأ على سريره فينظر إلى أساس بيته فإذا هو قد أُسس على اللؤلؤ ، ثم ينظر في أخضر وأحمر وأصفر ، ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته فلولا أنه خلق له لاكتمع بصره – أي ذهب بصره من ذلك الجمال – فيقول: ؟ **الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ؟ ..فيا حبذا الجنة واقترابها .. طيبةٌ وبارد شرابها ...اسمع أيها المستبشر.. واسمع أيها المشتاق .إن الله جلت قدرته أعد في الجنة غرفاً شفافة يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، متألقة كأنها النجوم بلغت حدَّ الكمال في السعة والتمكين ..قصورها من ذهب لا يشاكله ذهب الدنيا ولا يماثله لأنه جوهر شفاف في غاية الصفاء وحصباء أرضها الياقوت والجوهر. .وترابها المسك والزعفران ..مفروشة بالفُرش الناعمة من السندس والأطاليس والاستبرق في غاية الرقة والنعومة ..تتشقق في أرجائها الأنهار ، وتجري في وسطها الغدران ..قال تعالى : ؟ **لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ** ؟ ..وروى**(الترمذي ٢٥٢٧) في جامعه عن علي رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إنَّ في الجنة لغرفاً يُرى ظاهرها من بطونها ، وبطونها من ظهورها) ، فقام إعرابي فقال : يا رسول الله لمن هذه الغرف ؟!، قال :(لمن طيّب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام)**.فهذا هو الثمن فادفعوه ما دمنا في زمن الإمكان ..أما أعظم نعيم في الجنان فهو ..التمتع بالنظر إلى وجه الرحمن ..وهذا مؤكد في السنة و في آيات القرآن ..قال تعالى : **وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ،لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ**

الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ؟ ..{ فالحسنى } : هي الجنة ..و{ الزيادة } : هي النظر إلى وجهه الكريم .

.فيا نظرة أهدت إلى الوجوه نضرة أضاء لها نورٌ من الفجر أعظم
للهِ أفراح المحبين عندما يخاطبهم من فوقهم ويُسلِّم
وللهِ أبصار ترى الله جهرة فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم

والذي لا إله إلا هو لقد أخبر الله بهذا ، وأخبر به الذي لا ؟ يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ؟ ..سترى ربك ..سترى ربك..سترى الذي خلقك وصورك ..سترى الذي كساك وسقاك وأطعمك ..سترى الذي للإسلام والإيمان هداك **ووفقك** ..؟ **تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً** ؟ ..في الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال : (**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر**) ..فما هو الثمن ؟؟؟!!!.. فما هو الثمن ؟؟؟!!!..اسمع رعاك الله ..ثم قال صلى الله عليه وسلم :(**فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**) (**البخاري ٥٥٤**)..فأبشروا يا أهل صلاة الفجر والعصر .. ويا خسارة النائمين.. ويا خسارة المتخلفين ..فأبشروا يا أهل صلاة الفجر والعصر .. ويا خسارة النائمين.. ويا خسارة المتخلفين..قال ابن مسعود رضي الله عنه : والله ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ..وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : **إن أدنى أهل الجنة منزلة مَن ينظر إلى ملكه ألفي عام يرى أدناه كما يرى أقصاه ، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه الله في كل يوم مرتين** ..(**الحاكم ٣٨٨٠**). وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه الله في كل يوم مرتين ...**وقال الحسن رحمه الله : لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا ولتقطعت كبودهم كمداً**..(**المجالسة وجواهر العلم ٢٩٧٤**) عباد الله ..قال الله جل في علاه : ؟ **مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ؟ ..ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : (**اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقاءك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة**) (**النسائى ١٣٠٥**)..اللهم لا تحرمنا لقاءك ، والنظر إلى وجهك يا رب العالمين..

فيا بائعاً هذا ببخس مُعجّل كأنك لا تدري ، بلى سوف تعلم

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

هذا هو أعظم النعيم ..وإنَّ أعظم العذاب في النار حرمانهم من النظر إلى وجه الجبار ؟ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ؟ ..هذا هو أقسى عذابهم ..كما أنَّ أعظم نعيم هو رؤيته جل جلاله .أما ما فيها من الثواب والنعيم ..ففيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون ..لا يموتون ، لا يمرضون ، لا يهرمون ..فيها دور وقصور ..وأنهار وأشجار..وجنات من نخيل وأعناب ..حدَّث رسولنا صلى الله عليه وسلم أصحابه يوماً فقال :(**بينما أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امراة تتوضأ إلى جانب قصر ، قلت لمن هذا القصر ؟! قالوا : لعمر بن الخطاب ، فذكرت غيرتك يا عمر فوليت مدبراً**) ..(**البخاري ٣٢٤٢**) فبكى عمر رضي الله عنه وقال : **أعليك أغار يا رسول الله !!** ..وقال بأبي هو وأمي :(**إن للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً ، له فيها أهلون ، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً**) (**البخاري ٤٨٧٩**)..أما الأشجار..فقد ذكر الله فيها : ؟ **فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ، وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ، وَمَاء مَّسْكُوبٍ ، وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ، لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ** ؟ ..وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(**إنَّ في الجنة لشجرة يسير الراكب الجوّاد المُضَمَّر السريع في ظلها مئة عام لا يقطعها**) (**البخاري ٦٥٥١**).أما الثمار..فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه يوماً وصف بعض ثمر الجنة فقال : (**إنه عرضت علي الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت قطفاً من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينتقصونه**).(**الحاكم ٨٧٨٨**).لباسهم السندس والاستبرق والحرير..مجالسهم في ؟ **سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ، وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ، وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ** ؟ ..قال الله جل في علاه : ؟ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ، تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ، يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ، خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ؟ ..هذا جزاؤهم ..وهذا ثوابهم ..فلطالما تعبت أبدانهم من الجوع والسهر ..لطالما حفظوا جوارهم عن اللهو والبطر..لطالما تغنوا بالقرآن وقت السحر ..ثم أتبعوا ذلك بالدموع والاستغفار والدعاء والذكر ..فهم ؟ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ؟ ..ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة ..وينظرون إلى أعدائهم حين يعذبون ..فيا حسنهم ..والولدان بهم يحفون ، وبين أيديهم يقفون، وقد أمنوا مما كانوا يخافون ..يقولون ؟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ، فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ، إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ، فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ؟ ..جاء في الحديث القدسي أنَّ الله تبارك وتعالى يقول :(**وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي أمنين ولا**

خوفين ، من أمنني في الدنيا خوفته في الآخرة ، ومن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة).(ابن حبان ٦٤٠).ف ؟ هُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ؟ ..فيا أيها الغافل ..ربح القوم ..وخسرت ..وساروا إلى الحبيب مسرعين ..وما سرت..وقاموا بالأوامر ..وضيعت ما به أُمرت..هل جاءك من خبر العيون والأنهار التي تجري تحت تلك الدور والقصور .فإنها أنهار تجري من تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم ..من يشرب من هذه الأنهار شربة لا يظمأ بعدها أبداً ..وماؤها أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأبرد من الثلج ، وأطيب ريحاً من المسك ، لا تنقص بكثرة الشراب ، ولا تتغير بطول المكث ..شربها يزيد في نور الوجوه والأجسام ، وينور القلوب والأرواح والأبدان ..الشارب منها يزداد معرفة وقرباً وشوقاً ويقيناً ..قال الله جل في علاه : ؟ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ** ؟..**قال جل في علاه** : ؟ **جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ؟ ..عند البخاري من حديث أنس أن رسولنا صلى الله عليه وسلم قال :(**بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوَّف ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، قال فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر) (البخاري ٦٥٨١)**..هذا من خبر الأنهار ..أما العيون ..فقد قال تعالى : ؟ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** ؟ ..**وقال سبحانه** ؟ **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ**؟ أنظر إلى من نسبهم في العبودية ؟ **عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ** ؟ وهذا أعظم الشرف وأعظم النداء .

.ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيَّرت لي أحمد نبياً

؟ **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ؟**وقال سبحانه** :؟ **وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ، عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً** ؟ ..فأخبر سبحانه عن مزج شرابهم بالكافور والزنجبيل فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة ، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ، ومجيء أحدهما على إثر الآخرى حالة أكمل وأطيب **وألذ..قال مجاهد وقال عكرمة في قوله تعالى** : ؟ **يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ؟ **أي يتصرفون فيها حيث شاءوا ، وأين شاءوا، ومتى شاءوا ، تحت قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم (ابن كثير ٨\٢٧٨)**. .والتفجير هو الإنباع كما قال تعالى : ؟ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً ؟ ..والذي بعث محمداً بالحق ..والذي بعث محمداً

بالحق لو قيل لك : سنعطيك داراً بجانب النهر لطرت فرحاً وسروراً ..والله لو قيل لك في الدنيا .. سنعطيك داراً بجانب النهر لطرت فرحاً وسروراً ..فكيف أنت بقصور تجري من تحتها الأنهار !!!!..أليس ذلك من أعظم البشارات ، وأعظم الأعطيات !!!..ولن يحلو المقام في تلك الدور والقصور والجنات والأشجار التي تتفجر فيها العيون وتجري تحتها الأنهار إلا بمعانقة الحور ، وفضِّ الأبكار في الدور والقصور وتحت الأشجار وعلى ضفاف الأنهار ..لن يحلو المقام في القصور وتحت الأشجار وعلى ضفاف الأنهار إلا بمعانقة الحور ، وفضِّ الأبكار في الدور والقصور وتحت الأشجار وعلى ضفاف الأنهار ..إنهنّ الخيّرات الحسان اللاتي لم يطمثهنَّ أنس قبلكم ولا جان ..وصفهن الله فقال : ﴿ **كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ** ﴾ ..إن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع. .وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والامتاع. .وإن قبلَّت فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل. .وإن نوَّلت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل..وإن خاصرت فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة ..وإن حاضرت فيا حسن تلك المحاضرة..فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها وابتسامتها ..وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها. .سماهنّ الله بالحور العين ..سماهنّ الله بالحور العين ..والحور : جمع حوراء ، وهي المرأة الشابة الحسناء ، الجميلة البيضاء ، شديدة سواد العيون العيون ..أو هي التي يحار المرء في حسنها وجمالها ..أو هي التي يحار بها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون ..حسان العيون .. يُرى ساقها من وراء ثيابها.. ويرى الناظر وجهه في وجهها من صفاء لونها فهنَّ بصفاء الياقوت ، وبياض المرجان ..قال صلى الله عليه وسلم :(**لو أنَّ امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على الأرض لأضاءت ما بينهما ، ولملأت ما بينهما ريحاً ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**) (**البخاري ٦٥٦٨**).. فلا إله إلا الله ..فلا إله إلا الله .. إذا كان نصيفها – أي خمارها – خير من الدنيا وما فيها ، فكيف بصاحبة الخمار!!.. فكيف بصاحبة الخمار!!..قال الله : ﴿ **إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء ، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً ، عُرُباً أَتْرَاباً ، لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ** ﴾ ..**وقال سبحانه** : ﴿ **فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ، فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ، فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ، فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ ..**يروى عن ثابت أنه قال :كان أبي من القوّامين لله في سواد الليل.. يقول أبوه : رأيت ذات ليلة في منامي امرأة لا تشبه النساء ، فقلت لها : من أنت يا أمة الله ؟قالت : أنا حوراء من حور الجنة ..فقلت : زوجيني نفسك ..فقالت: اخطبني من عند ربي وادفع مهري..فقلت : وما مهرك ؟! ..فقالت : مهري طول التهجد ، والقيام في الظلام ....فقالت : مهري طول التهجد ، والقيام في الظلام**

....اسمعوا يا نيام !!.. اسمعوا يا نيام !!..ولله در من قال :

يا خاطب الحور في خدرها وطالباً ذاك على قدرها

انهض بجدٍ لا تكن وانياً جاهد النفس على صبرها

وقم إذا الليل بدا وجهه وصم نهاراً فهو من مهرها

فلو رأت عيناك إقبالها قد وبدت رمانتا صدرهاو

هي تمشي بين أترابها وعقدها يشرق في نحرها

لهان في نفسك هذا الذي تراه في دنياك من زهرها

عن عامر بن عبد الواحد قال : بلغني أنَّ الرجل من أهل الجنة يمكث في مكانه سبعين سنة ..ثم يلتفت فإذا بامرأة أحسن ممن كانت معه تناديه فتقول له : وليَّ الله.. أما آن أن يكون لنا فيك نصيب ؟ ! ..فيقول : من أنت يا أمة الله ؟ ..فتقول : أنا من الذين قال الله فيهم : ؟ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ؟ ..فيمكث معها سبعين سنة ثم يلتفت ، فإذا بامرأة أحسن مما كانت معه ، فتقول له : وليَّ الله.. أما آنأن يكون لنا فيك نصيب ؟ ..فيقول : من أنت يا أمة الله؟ ..فتقول : أنا من الذين قال الله فيهم ؟ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ؟ ..هل سمعت قول الله في سورة يس عن أصحاب الجنة ؟ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ، هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِؤُونَ ، لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ، سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ؟ (ابن كثير ٦\٣٦٨)..قال أهل التفاسير في قوله تعالى ؟ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ؟ قالوا في فضِّ الأبكار ، وكلما جامعها رجعت بكراً كما كانت (ابن كثير ٦\٥٨٢) ..سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم : أنصل إلى نساءنا في الجنة ؟ ..فقال له :(**إن الرجل ليصل في اليوم إلى مئة عذراء ، وعدد الأزواج بحسب تفاوت الدرجات في الجنات**)(**ابو يعلي ٢٤٣٦**)..ولا تتعجب من ذلك ..فإن الرجل يؤتى في الجنة قوة مئة رجل. .فهل قدمت مهرها ؟!.. فهل قدمت مهرها ؟!..وهل دفعت ثمنها ؟! ..**قال مالك بن دينار : كان لي أحزاب أقرؤها كل ليلة ، فنمت ذات ليلة فإذا أنا في المنام بجارية ذات حسن وجمال وبيدها رقعة ، فقالت : أتحسن أن تقرأ ؟..فقلت : نعم ، فدفعت إلي الرقعة ، فإذا مكتوب فيها فيها هذه الأبيات**

لهاك النوم عن طلب الأماني وعن تلك الأوانس في الجنان

تعيش مخلداً لا موت فيها وتلهو في الخيام مع الحسان

تنبّه من منامك إن خيراً ن النوم التهجد بالقرآن

وأجمل الكلام كلام الرحمن الذي قال :؟ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ، كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ، يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ، فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ**؟(**التذكرة للقرطبي ١\٥٥٦**) ..ستسمعون غناء الحور ..وستسمعون كلامها .. الذي يسبي العقول بنغمة زادت على الأوتار والألحان ..يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكنا له ...**تقول عائشة رضي الله عنها حبيبة الحبيب التي طهَّرها الله وزكَّاها وأظهر براءتها من فوق سبع سماوات .. ألا لعنة الله على من يمس في عرضها أو يطعن في شرفها ..تقول رضي الله عنها وأرضاها : إن الحور العين إذا قلنَ هذه المقالة ..اسمعي بارك الله فيك..إنَّ الحور العين إذا قلنَ هذه المقالة أجبنهنّ المؤمنات من نساء الدنيا :نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ..ونحن المتوضئات وما توضئتن ..ونحن المتصدقات وما تصدقتن قالت عائشة : فغلبنهن ــ** (**التذكرة للقرطبي ١\٥٥٥**) أي نساء الدنيا المؤمنات غلبن الحور العين –..فأنت أكرم عند الله من الحور العين. .وأنت أجمل منهن ..أنت أكرم وأجمل ..ولولا حياء المرأة لوصف الله ما أعد لهن في الجنان..فشمري يا أمة الرحمن .. فشمري يا أمة الرحمن ..فإن الله قال ؟ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ** ؟ ..إليك أيها المستبشر..إليك أيها المشتاق ..أخباراً من أخبار من سبقونا إلى الجنان..ألم تسمع أيها المشتاق ..ألم تسمع نداء الله وهو ينادينا للحاق بهم ؟ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ؟ .. ؟ **اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ؟ ..**ولما نزل قوله تعالى : ؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ؟ أغلق ثابت بن قيس خطيب الأنصار وخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ..أغلق بابه و دراه وجلس يبكي وطال مكثه على هذه الحال ، حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فدعاه ، فجاء ثابتٌ وقال : يا رسول الله إني أحب الثوب الجميل والنعل الجميل ، وقد خشيت أن أكون من المختالين .. وقد خشيت أن أكون من المختالين .. حين قال الله : ؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ؟ ، فقال الشافع المشفع صلى الله عليه وسلم وهو يضحك :(إنك لست منهم بل تعيش بخير ، وتموت بخير ، وتدخل الجنة) (الاحاد والمثاني ١٩٢١)**..إنك لست من المختاين ، بل تعيش بخير ، وتموت بخير ، وتدخل الجنة ..قال الله عنهم وعمن سار على دربهم : ؟ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ**

جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ؟ ..وإليك أنت أيضاً أيتها المستبشرة المشتاقة ..إليك من أخبار من سبقوكِ إلى الجنان من الصادقات..**عن أبي هريرة رضي الله عنه أتى جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : هذه خديجة قد أتت ومعها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فأقرأ عليها من ربها ومني السلام.. فإذا هي أتتك فأقرأ عليها من ربها ومني السلام.. وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ؟ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ؟** ..أما سمعتِ رعاك الله ..**عن آسية بنت مزاحم التي صبرت على أذى فرعون وقومه ..لمّا علم فرعون بخبر إسلامها وإيمانها سامها أشد العذاب ..فخرج على قومه وقال لهم : ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟!..فأثنوا عليها فقال لهم : إنها تعبد رباً غيري .. فقالوا : اقتلها ..فسمّر يديها ورجليها ، وألقى بها في الشمس ، ووضع الرحى على ظهرها ..يا الله كم تحملوا وصبروا على ما أوذوا وما نكصوا على أعقابهم ..فسمّر يديها ورجليها – وهي المرأة الضعيفة – وألقى بها في الشمس ، ووضع الرحى والصخر على ظهرها ..فإذا آذاها وهج الشمس أظلتها الملائكة بأجنحتها ..فلما اشتد عذاب فرعون وظلمه وشماتته قالت آسية رضي الله عنها ؟ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ؟ ..فأطلعها العلي القدير حتى رأت مكانها في الجنة فرأت بيتها في الجنة يبنى أمامها – قيل إنه درة من اللؤلؤ – فضحكت رضي الله عنها حين رأت ذلك ..ووافق ذلك حضور فرعون فقال للملأ : ألا تعجبون من جنونها إنّا نعذبها وهي تضحك ..رأت ما لا عين رأت .. رأت ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر..رأت جزاء ثباتها ، ورأت جزاء صدقها ، فعجل الله لها بشراها في دنياها ..فقبض الله روحها ، ونجاها من القوم الظالمين ، ورفعها إلى الجنة .فهي بجوار رب العالمين .. أليست هي التي طلبت الجوار قبل الدار.(ابن كثير ١٧٢\٨).**عجبا لمن يعلم أن الجنة موجودة تزخرف ، وتُفتح أبوابها ثم لا يشتاق إليها ويسعى لها !!..قال صلى الله عليه وسلم :(**من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إنَّ سلعة الله غالية ..ألا إن سلعة الله الجنة**) (**الترمذي ٢٤٥٠**)..إنها الجنة ..التي لا يُسأل بوجه الله العظيم غيرها .إنها الجنة ..التي لا يُسأل بوجه الله العظيم غيرها لكرامتها على الله ..إنها الجنة ..التي اشتاق إليها الصالحون ..وقدم مهرها الصادقون ..فاسألوا عنها جعفر الطيار ، وعمير بن الحمام ، وحرام بن ملحان..اسألوا أنس بن النضر ، و عامر بن أبي فهيرة. .واسألوا عمرو بن الجموح ، وعبد الله بن أبي رواحة ..اسألوا خطاب عنها

، وأبا الوليد ..إنها الجنة ..دار كرامة الرحمن فهل من مشمر لها !! ..إنها الجنة ..فاعمل لها بقدر مقامك فيها ..إنها الجنة ..فاعمل لها بقدر شوقك إليها ..إنها الجنة ..دار الموقنين بوعد الله ..المتهجدين في ظلام الليل ..والصائمين في الهواجر ..والله الذي لا إله إلا هو ما حُلّيت الجنة ولا زُيِّنَت لأمة من الأمم مثلما حُليت وزُيِّنَت لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ..والله ما حُلّيت الجنة ولا زُيِّنَت لأمة من الأمم مثلما حُليت وزُيِّنَت لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .ومع هذا ..لا نرى لها عاشقاً ..ولم نسمع لها طالباً .فيا أيها المشتاق ..ويا أيتها المشتاقة ..اسمعوا قوله صلى الله عليه وسلم :(**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلّقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين**)(**البخاري ٣٢٧٧**) .نعم ستفتح حقيقة لا خيال ..**وسيناديك المنادي ..يا باغي الخير أقبل ..ويا باغي الشر أقصر** فأينالمشمرات.وأين المشمرون ؟؟!!!..ولمن الجنة تكون ؟!..؟ **تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً ؟ ..فإذا أردت اأن تكون من أهلها وسكانها فإليك صفاتهم علك تفوز بها : ؟ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ، وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ؟ نعم يذنبون .. ولكنهم لا يُصرّون على الذنب .. ويتوبون ويستغفرون ؟ أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ؟** ..مرَّ إعرابي على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ :؟ **إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ؟** ..فقال الإعرابي : كلام من هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم :(هذا كلام الرحمن) ..(هذا كلام الرحمن)..فقال الإعرابي : بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله ..فخرج إلى الغزو في سبيل الله واسشتهد.. فربح البيع .. والله ..إنه كلام الرحمن .. ؟ **فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ؟** ..إذا أردت أن تكون من أهلها..فكن من الخائفين ..كن من الخائفين من العذاب ، الراجين الثواب ..قال الله :؟ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ؟** .. قال صلى الله عليه وسلم :(**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**) .. (**وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**)..قال سبحانه : ؟ **فَأَمَّا مَن طَغَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ؟** ..فأين هي جنة المأوى

؟!.. ؟ **عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** ؟ ..وأنت أيضاً أيتها المشتاقة المستبشرة ..إذا أردت أن تكوني من أهل الجنان فاسمعي بعضاً من صفات نسائها ..قال صلى الله عليه وسلم :(**ألا أخبركم بنساءكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود التي إذا ظلمت قالت لزوجها هذه يدي في يدك لا أذوق غمضاً ولا أنام حتى ترضى**)(**الاوسط ٥٦٤٨**) ..وقال أيضا مبشراً الصادقات القانتات المطيعات :(**إن المرأة إذا صلت خمسها ، وصامت شهرها ، وحصَّنت فرجها ، وأطاعت زوجها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت**).(**مسند احمد ١٦٦١**).فماذا تريدين !!! ..بل اسمعي هذا الخبر العجيب من الرسول الحبيب ..**قالت عائشة رضي الله عنها : جائتني امرأة معها جاريتان أو ابنتان تسألني حاجة فلم عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها فبدل أن تأكلها قسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته عائشة بخبرها مع ابنتيها ، وأخبرته بفعلها ، فقال**:(**إن الله قد تعجَّب من فعلها ، وإن الله أوجب لها بها الجنة و أعتقها بها من النار**) .(**مسلم ٢٦٣٠**) بتمرة .. يا حليم .. يا غفار ..أمة الله إذا أردت أن تكوني من أهل الجنان ..فاسألي خديجة ، واسألي فاطمة ، واسألي أم عمارة ، والغميصاء ..واسألي النساء في العراق وفلسطين ..واسألي نساء الشيشان ..واسألي الصادقات المؤمنات وسيري على طريقهن .. يا رعاك الله..اعلموا أيها المشتاقون ..اعلموا أيها المستبشرون ..أن منازل الجنة إنما تكون على قدرالاجتهاد ها هنا في الدنيا .. إن منازل الجنة إنما تكون على قدرالاجتهاد ها هنا في الدنيا ..فوا عجباً من مضيع لحظة فيها فتسبيحة واحدة تغرس لك فيها شجرة أكلها دائم وظلها ..في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال :(**إنَّ أهل الجنة ليتراؤون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**) ..**قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم !..قال : (لا والله .. والذي نفسي بيده يبلغها رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**)..(**البخاري ٣٢٥٦**) فيا أيها الخائف ..فيا أيها الخائف من فوق ذلك شجع قلبك بالأمل والرجاء..فمنذ خروج الروح تنكشف هذه المنازل لأصحابها لتستقر تلك الأرواح في حواصل طير تعلق في أشجار الجنة ..فالبدار البدار ..فالبدار البدار ..قبل أن تصفر شمس العمر، وقبل أن يحين الغروب..**فمن تخيل دوام اللذة في الجنة ..هان عليه في الدنيا كل بلاء وشدة ..هان عليه كل بلاء وشدة.. قاله ابن الجوزي رحمه الله** (. **صيد الخاطر ١\٩٢**).اللهم إنّا نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ..اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم

والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة والنجاة من النار ..لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ، ولا همّاً إلا فرجته ، ولا ديناً إلا قضيته ، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة هي لك رضاً إلا قضيتها يا أرحم الراحمين ..اللهم إنا نسألك الجنة ..اللهم إنا نسألك الجنة .. اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل..عوذ بك اللهم من النار..نعوذ بك اللهم من النار.. نعوذ بك اللهم من النار وما قرب إليها من قول أو عمل..إلهنا تمَّ نورك .. فهديت فلك الحمد ..عَظُم حلمك .. فغفرت فلك الحمد ..وبسطت يدك للمسيئين فأعطيت فلك الحمد. تُطاع فتشكر ، تُعصى فتغفر ، وتجيب المضطر ، وتكشف الضر ، وتغفر الذنب ، وتستر العيب ، وتقبل التوب. .وجهك أكرم الوجوه ، وجاهك أعظم الجاه ، وعطيتك أفضل العطايا. .يا من أظهر الجميل ، وستر القبيح ..يا من لا يؤاخذ بالجريرة ، ولا يهتك السريرة ..يا من أظهر الجميل ، وستر القبيح ..يا من لا يؤاخذ بالجريرة ، ولا يهتك السريرة ..يا حسن التجاوز ، ويا واسع المغفرة ، يا باسط اليدين بالرحمة ..يا باسط اليدين بالرحمة ، يا كريم الصفح ، يا عظيم المن ، يا مبتدأ بالنعم قبل استحقاقها..

يا من له وجب الكمال بذاته بل كل غاية فوزهم لقياه

..أنت الذي لما تعالى جده قصرت خطا الألباب دون سناه.

.أنت الذي امتلأ الوجود بحمده لما اغتدى ملآن من نعماه

إنك ترى مكاننا، وتسمع كلامنا ، وتعلم سرنا ونجوانا ..نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا أن تجعلنا ووالدينا وأهلينا وذرياتنا ممن سبقت لهم منك الحسنى .. أن تجعلنا ووالدينا وأهلينا وذرياتنا والمسلمين ممن سبقت لهم منك الحسنى ..وأن ترزقنا الأعلى في الجنة من غير محنة ولا فتنة يا أرحم الراحمين ..يا من خيرك إلينا نازل ، وشرنا إليك صاعد ..يا من تتحبب إلينا بالنعم و أنت غني عنا ..و نبتعد إليك بالمعاصي ونحن فقراء إليك ..فقراء إليك .. فقراء إليك ..أنت أحق من ذُكر ، و أحق من عُبد ، وأعظم من اقتضي ، وأرأف من ملك ، وأجود من سُئل ، وأوسع من أعطى..أنت الله .. أنت الله .. أنت الملك لا شريك لك ، والفرد لا ندَّ لك ..كل شيء هالك إلا وجهك .. لن تطاع إلا بإذنك ، ولن تعصى إلا بعلمك ..لا راد لفضلك ، ولا معقب لحكم ..أسرع الحاكمين ، وأحكم الحاكمين وقيوم السماوات والأراضين ..نسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض ، وبكل حق هو لك أن تجيرنا من النار بقدرتك.. أن تجيرنا من النار بقدرتك.. أن تجيرنا من النار بقدرتك وأن تسكنّا الجنة برحمتك.. وأن تسكنّا الجنة برحمتك .. وأن تسكنا الجنة برحمتك ..يا عزيز يا غفار يا ذا الجلال والإكرام ..اللهم انصرمن نصر الدين ، واخذل من خذل عبادك الموحدين .اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل

إعلاء كلمة دينك ..انصر من نصرهم.اخذل من خذلهم ..قوي عزائمهم اربط على قلوبهم ..أفرغ عليهم صبراً .. ثبت الأقدام ..اللهم فك أسرانا .. اللهم فك أسرانا .. اللهم فك أسرانا ..لقد تتابع عليهم رمضان ثم رمضان ثم رمضان..كن لهم عوناً وظهيراً ومؤيداً ونصيراً ..أنزل عليهم رحماتك، وهيء لهم من أمرهم رشداً ، وهيء لهم من أمرهم مرفقاً..يا من كنت مع الفتية في الكهف والغار كن مع أسرانا .. كن مع أسرانا اللهم من سعى في فكاكهم ففك رقبته من النار .. اللهم من خذلهم فاخذله يا قهار يا جبار..اللهم أمّن المستضعفين في العراق والشيشان وفي فلسطين وكشمير وأفغانستان ..اللهم اجبر مصابنا في باكستان والسودان وفي كل مكان..آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ..اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين..نسألك علماء ربانيين ، وولاة أمر صالحين ، ودعاة مخلصين ..وشابات وفتيان صالحين وصالحات يا رب العالمين ..احفظنا ونساءنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن ..اجعل بلدنا هذا آمناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين..اللهم تقبل صيامنا وقيامنا وتجاوز عن كثير تقصيرنا وآثامنا ..اللهم اجعل عملنا في رضاك .. اللهم اجعل عملنا في رضاك . اللهم اجعل عملنا في رضاك ..اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلم ، ونستغفرك اللهم لما لا نعلم ..لا تؤاخذنا بالتقصير ، واعفو عنا الكثير ، وتقبل منا اليسير..إنك يا مولانا نعم المولى ونعم النصير..اللهم كما جمعتنا في هذا المكان الطاهر المبارك فاجمعنا في جنات عدن في مقعد صدق عند مليك مقتدر..اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بأسوأ ما عندنا يا رحيم يا قهار..اللهم عاملنا بما أنت أهله ، ولا تعاملنا بما نحن أهله إنك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة..اللهم صلي على محمد عدد ما طار طير وطار ، وعدد ما استغفر المستغفرون في الأسحار ، وعدد ما تعاقب الليل والنهار ..اللهم لا تحرمنا رؤيته.. اللهم لا تحرمنا رؤيته.. اللهم لا تحرمنا رؤيته واتباع سنته ..اللهم اجعلنا من أنصار دعوته ، أوردنا حوضه ، واسقنا من يده ، ولا تفرق بيننا وبينه حتى تدخلنا مدخله يا رب العالمين..اللهم اجمعنا بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والصحابة أجمعين وعلى من سائر على نهجهم ، واجعلنا ممن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك اللهم ونتوب إليك وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

***

الجود والشح والكرم

الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه. أما بعد: أحبتي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته، وأن يجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين، اللهم فرج هم المهمومين، واكشف كرب المكروبين واقض الدين عن المدينين، ودل الحيارى واهد الضالين، واغفر للأحياء وللميتين . إن ديننا يحث على التكافل والترابط والتآخي والتماسك، يحثنا على مكارم الأخلاق، وعلى نبذ كل ما لا يرضي الله عنا، فمن صفات المؤمنين الصادقين: البذل والجود والكرم والتضحية والعطاء والإيثار.. إلى غير ذلك من الصفات.ومن صفات المنافقين: الشح والبخل والحقد والحسد والبغضاء، فميزنا الله عن أولئك المنافقين بالبذل والتضحية والعطاء. وإن من أسماء الله جل في علاه: الغني، الكريم، الجواد، المعطي.. وكل هذه الأسماء آثارها لا بد أن تظهر في حياتنا، فديننا يحثنا على مثل هذا ..سأجمع في موضوعنا الكلام عن الجود والشح والكرم. فإن قلنا: الجود والكرم، فالجود هو بذل المعروف لمن تعرف ولمن لا تعرف، وأما الكرم فلا يكون إلا في إقراء الضيوف، لذلك كان الجود أعظم من الكرم، وإن كان للكرم دور عظيم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**)(**مسلم ٤٧**)، فنكرمه نحن على كل حال من الأحوال، لكن من الذي سيعطي المحتاج الذي نعرفه والذي لا نعرفه؟ من سيسد حاجة اليتيم والأرملة والفقير؟ وعلى أكتاف من ستقوم أعمال البر والخير؟ وعلى أكتاف من ستبنى المساجد والمدارس ودور الرعاية؟ هذه كلها لا تقوم إلا على أكتاف المنفقين الباذلين المتقين، الذين صدقوا تقواهم بحسن ظنهم بربهم. وحين أمرنا الله بالمسارعة إلى الجنة بين لنا الطريق، فقال سبحانه: **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران:١٣٣]** فمن أول صفات المتقين **قال: الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ [آل عمران:١٣٤]**، أي: في كل الأحوال يعطي، فإن كانت الصدقة من الغني جميلة، فإنها من الفقير أجمل، ومن صفاتهم قال تعالى: **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران:١٣٤]**، فهذه الصفات كلها يعود نفعها على الآخرين؛ لذلك فالأعمال التي نعملها إما أعمال قاصرة أو أعمال متعدية. فالأعمال القاصرة هي التي يقصر نفعها على الشخص، كقراءة القرآن والتسبيح والتهليل والتكبير

والصلوات فرضاً أو نافلة فالمردود له، فهذه أعمال قاصرة. والأعمال المتعدية أعظم أجراً عند الله، **يقول ابن عمر : لأن أسير في حاجة أخي أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد**(الكبير ١٣٦٤،).

وبين الله عظم أجر الذين يسعون في الخير فقال سبحانه: **لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ [النساء:١١٤]**؛ فإن هذه الأعمال كلها يعود نفعها على الآخرين، فقوله تعالى: إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أي: أعطاها، وقوله: أَوْ مَعْرُوفٍ أي: أحسن إلى الآخرين، أو أصلح ذات البين، فهذه أعظم الأعمال عند الله جل في علاه.ثم قال تعالى: **وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا [النساء:١١٤]**، أي: من يتصدق ويصلح ويبذل المعروف ابتغاء وجه الله: **فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا [النساء:١١٤]**. فإذا قلنا: الجود، فالجود أعظم وأعم من الكرم، وضده: الشح والبخل أعاذنا الله وإياكم منهما.والجود لغة: من جاد يجود، وكلمة جود تدل على التسامح بالشيء وكثرة العطاء، فهو يعطيه ونفسه راضية ومطمئنة، ثم لا يعطي اليوم ويمسك أياماً، بل هو دائماً كلما تيسر له البذل والعطاء أعطى، ولا يؤجل ولا يسوف أبداً، بل كل ما حانت الفرصة بحث عن الفقير والمحتاج. والجود اصطلاحاً كما قال الزبيدي : الجواد هو الذي يعطى بلا مسألة؛ صيانة للآخذ من ذل السؤال . فمن الصعب أن تسأل الناس، حتى ولو كان هذا الذي تسأله أخاك فإن في السؤال مذلة لا يعلمها إلا الله، لكن الحاجة هي التي تدفع الناس إلى السؤال، يقول ابن عمر : أحب الناس إلي من بات وعليه هم ولم يجد أحداً يرمي بهمه عليه إلا أنا. أي: أحب الناس إلي ذاك الذي بات مهموماً، إما بدين أو بهم أو بغم، أو بأي حاجة من الحوائج، ثم لم يجد من يرمي بهمه عليه إلا أنا، قال: هذا أحب الناس إلي، ما جاءني إلا ثقة ومحبة في. فالجود اصطلاحاً: قال الزبيدي : الجواد هو الذي يعطي بلا مسألة؛ صيانة للآخذ من ذل السؤال، قال الشاعر: وما الجود من يعطي إذا ما سألته ولكن الجود من يعطي بغير سؤال وورد حديث عند ا(لبخاري٦٠٣٣) **عن أنس قال**: (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس وأشجع الناس، قال: فزع أهل المدينة ليلة سمعوا هيعة في ناحية من نواحي المدينة، فأسرع الناس إلى ذلك المكان قبل الصوت، فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم راجعاً على فرس لأبي طلحة عري، فقال: لن تراعوا**) أي: ليس عليكم بأس، فما نام وتركهم يخافون، بل كان دائماً في قضاء حوائجهم. تقول عائشة رضي الله عنها: (**في آخر حياته كان يصلي جالساً من كثرة ما حطمه الناس**)، فهو في حوائج الناس يمنة وغفوة وصباحاً ومساءً، تقول عائشة : (حتى كانت الصبية الصغيرة تأخذه من يده حتى يقضي حاجتها) فهو الذي

علمنا فقال: (**أنفع الناس أنفعهم للناس**) فإذا تماسك الناس فيما بينهم أصبح المجتمع مترابطاً متماسكاً يخاف على بعضه البعض، فكيف أنتم بجار ينام وجاره ليس عنده ما يملأ بطنه؟ أي جار هذا! بأبي أنت وأمي يا رسول الله، من لي بمشيك المدلل تسير بالهون وتأتي في الأول. **يقول عنه جابر** : (**ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال: لا**)، (**مسلم ٢٣١١**) لولا التشهد لكانت لاؤه نعم، وقد لبس مرة رداءً جاءوا به هدية له صلى الله عليه وسلم، فرآه أعرابي فقال: يا محمد! أعطني هذا، فخلعه في الحال، ولم يكن عنده غيره. قال الحسن البصري : الجود بذل المجهود في بذل الموجود، أي: الجود بالموجود الذي عندك بدون تكلف، قال تعالى: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا [البقرة:٢٨٦] فهذا عنده مائة ألف فأخرج ألفاً، وهذا عنده مائة ريال وأخرج عشرة ريالات، فهي تعني الشيء الكثير. واسمع خبراً من الأخبار حتى تعلم أن أثر الجود والكرم يبلغ السماوات السبع، وأريدك وأنت تسمع أن تقول بعدها: سبحان الله! كيف وصلوا إلى هذه الدرجة من البذل والعطاء؟ ولا عجب في ذلك، فالقرآن زكى أولئك الرجال والنساء. جاء عند البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني مجهود -يعني: أصابني جوع وعطش وحاجة لا يعلم بها إلا الله- وأنا ضيف عليك، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى بعض نسائه فقال: عندكم طعام؟ قالت: والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا ماء، فبعث إلى البيت الثاني: أعندكم شيء؟ قالت: والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا ماء، فطافوا على بيوته التسعة وليس فيها غير الماء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: من يضيف ضيف النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله! فأخذه حتى إذا جاء إلى بيته وهو صاحب عيال وأطفال قال لزوجه: ماذا عندك من الطعام؟ قالت: والله ما عندنا إلا قوت العيال، قال: ألهيهم بأي شيء، فإذا ناموا جلسنا أنا وأنت مع الضيف -وكان ذلك قبل نزول آيات الحجاب فإن الضيف كان يجلس مع الرجل وأهل بيته- فقومي فأطفئي السراج، ثم تظاهري بالأكل حتى يشبع الضيف، فجلسوا مع الضيف ثم قامت فأطفأت السراج، ثم تظاهرا بالأكل حتى شبع الضيف ونام الضيف وارتاح، ونام الصغار وأهل البيت على جوعهم؛ إيثاراً للضيف، وليس عندهم شيء إلا ما قدموه، فلما أصبح الصباح وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (**إن الله قد عجب من صنيعكما مع ضيفكما الليلة**) فهم لم يقدموا إلا الموجود، وآثروا الضيف على أنفسهم وعلى صغارهم وعلى فلذات أكبادهم، وهذا هو منتهى البذل والعطاء؛ فقال الله فيهم: **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ**

كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الحشر:٩]. (**البخاري ٤٨٨٩**)

الله أكبر!

أنفق ولا تخش إقلالاً فقد قسمت على العباد من الرحمان أرزاق

لا ينفع البخل مع دنيا مضـــــللة ولا يضر مع الإقبال إنفاق

إن أشرف خصال تبلغ بالعبد منزلة الأخيار عشر خصال، إن طبقناها بلغنا بها منزلة الأخيار. **أولها**: **كثرة الصدق**ات، **ثانيها**: كثرة تلاوة القرآن؛ ليس من رمضان إلى رمضان، فقرآننا يشكو هجراً إلا ممن رحم الله، قال تعالى: **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا [الفرقان:٣٠]**.**ثالثها**: كثرة الجلوس مع من يذكرك بالآخرة ويزهدك بالدنيا، وإن مجالسنا اليوم طابعها قيل وقال. اشترط عمر بن عبد العزيز على جلسائه شروطاً ثلاثة، أولها: لا تتكلموا في الدنيا، ثانيها: لا تغتابوا أحداً في مجلسي، ثالثها: لا تمزحوا في مجلسي أبداً. فكان حديثهم عن الآخرة: الموت، والحشر، ويوم القيامة، فقُلوبٌ هذا مدار حديثها ستكون قلوباً حية. فوالله ما قست القلوب وابتعدت إلا بالغيبة وكثرة كلامها عن الدنيا وما فيها. فالصحابة تعودوا على كثرة الصدقة وكثرة تلاوة القرآن، ومجالسة الذين يذكرون الآخرة ويزهدون في الدنيا، وصلة الأرحام، وعيادة المريض، وقلة مخالطة الأغنياء الذين انشغلوا بالدنيا وما فيها. قال تعالى: **وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى [طه:١٣١]**. **رابعها**: كثرة التفكر فيما أنت صائر إليه غداً الجنة أو النار. جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم ، قال: يا إبراهيم مسألة شغلتني بالليل والنهار، قال إبراهيم : اتركني لا تشغلني فإن عندي من المسائل ما الله به عليم، قال: يا إبراهيم ما الذي شغلك؟ قال إبراهيم : ثلاث مسائل شغلتني، الأولى: الله يقول: **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ [آل عمران:١٠٦]** فأنا لا أدري إلى أي الفريقين أكون، ممن تبيض وجوههم أو ممن تسود وجوههم. الثانية، قوله تعالى: (**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**)**[هود:١٠٥]** وأنا لا أدري من الأشقياء أكون أم من السعداء، فهل فكرت أنت في العاقبة والمآل والمصير؟ الثالثة: الله يقول: **فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ [الشورى:٧]**. فهؤلاء الصالحون شغلتهم مثل هذه الأمور بالليل والنهار، فالكل يغدو ويروح، ويسعى لفكاك نفسه من عذاب النار والفوز بجنات النعيم. **أصبح النبي يوماً سائلاً أصحابه قبل أن ينتصف النهار، فقال**: (**من أصبح صائماً اليوم، قال الصديق – ولو لم يسأل ما أجاب– أنا، قال: من تصدق بصدقة؟ قال: أنا، قال: من سار في جنازة؟ قال: أنا، قال: من عاد مريضاً؟ قال: أنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما اجتمعت مثل هذه الأعمال في رجل إلا دخل**

الجنة (مسلم ١٠٢٨). وهذه الأعمال سهلة، لكن الموفق من وفقه الله لفعل الطاعات، وصرف عنه الفواحش والمنكرات، فتفكر إلى أين المصير، وأين دارك غداً؟رابعها: قصر الأمل وكثرة ذكر الموت، فما ألهى الناس وصدهم عن الصدق مع الله إلا طول الأمل، ومن أطال الأمل أساء العمل، قال تعالى: **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ [الحجر:٣]**. وقال الشاعر

:يا غافلاً عن العمل وغره طول الأمل الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

كان أحد الصالحين إذا أراد الخروج من المسجد بكى، فقيل له: ما الذي يبكيك؟ قال: أخاف ألا أرجع إليه مرة ثانية. وآخر يقول: والله ما نمت نومة إلا ظننت أني لا أستيقظ بعدها، وأما نحن فعندنا مخططات لشهور بل لسنوات، سنفعل كذا وكذا، فالأحرى بنا أن نبني على يومنا الحاضر، أما غداً فلا ندري ماذا سيكون فيه؟ خامسها: لزوم الصمت وقلة الكلام. وما أودى بالناس وكبهم على مناخرهم في جهنم إلا حصائد ألسنتهم. فاللسان سلاح ذو حدين، إما أن يرفعك في الجنة درجات، وإما أن يحطك في النار على وجهك دركات. **وفي الحديث أن معاذاً** (**قال: يا رسول الله! أمآخذون بما نقول؟! قال: ثكلتك أمك يا معاذ ، هل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا حصائد ألسنتهم**)(**ابن ماجة ٣٩٧٣**). فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يستهن بالكلمة، قالت عائشة كلمة، **فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم**: (**والله يا عائشة إنك قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لتغير طعمه**)، (**ابي داود ٤٨٧٥**)وذلك أنها قالت: صفية قصيرة، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**) فإن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب. وقال آخر: والله ما ندمت على السكوت أبداً، ولكني ندمت على الكلام مرات كثيرة. فالمسلم لا يندم على السكوت أبداً، إلا إذا سكت عن أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر، فهذا شيطان أخرس.سادسها: التواضع ولبس الدون، وحب الفقراء ومخالطتهم وحب اليتامى والمساكين والمسح على رءوسهم. سابعها: والجود دليل على كمال الإيمان وحكم الإسلام، قال تعالى: **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ [البقرة:١٧٧]، إلى أن قال: أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ [البقرة:١٧٧]**، فالمتقون من اتصفوا بهذه الصفات. والجود والبذل والعطاء دليل على حسن الظن بالله، **فالله يقول في الحديث القدسي**: (**أَنفق يا ابن آدم أُنفق عليك**)(**البخاري ٥٣٥٢**) ويقول سبحانه: **وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ [سبأ:٣٩]** . **فهذا أبو مسلم صحابي**

جليل أصابته فاقة، والعبد إذا بلغ مرتبة الولاية فليس بمستبعد أن الله يجري على يديه الكرامات، ففي بلاد اليمن أخذوا أبا مسلم ورموه في النار، فلما خمدت النار وجدوا أبا مسلم في النار قائم يصلي، فلما بلغ عمر الخبر، قال: الحمد لله الذي جعل في أمة محمد كإبراهيم عليه السلام، أما قال الله تعالى للنار حين ألقي فيها إبراهيم: كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ [الأنبياء:٦٩]. خرج أبو مسلم يوماً ثم رجع آتياً إلى أهله يطلب طعاماً، فقالت له امرأته: ما عندنا شيء، فبحثا داخل الدار فما وجدوا إلا ديناراً، فقالت له امرأته: اشترِ لنا بها طحيناً نخبز به خبيزاً، وأعطته وعاء، فخرج بالوعاء ذاهباً إلى السوق ليشتري طحيناً، فإذا بسائل فقير يسأل، وليس عنده إلا هذا الدينار، ولكنه أحسن الظن بالله وأعطاه الدينار لعل الله أن يعوضه خيراً ورجع إلى داره، فمر على مكان نجارة فملأ الوعاء بنشارة النجارة، ثم جاء إلى امرأته وأعطاها الوعاء، وذهب إلى مصلاه يصلي، وبعد فترات قصيرة جاءته امرأته بالخبز حاراً، فقال لها: من أين لنا الطحين؟ قالت: من الذي أتيت به، فجعل يأكل وهو يبكي. فلما أحسن الظن بالله لم يضيعه الله. (حلية الاولياء ٢\١٢٩) فهذه أخبار ثابتة عنهم، ولما سخروا أنفسهم لله سخر الله لهم كل شيء، فالله لا يعجزه شيء، قال تعالى: **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [يس:٨٢]**. والمطلوب: أننا نحسن الظن بالله، ونعلم أننا إذا أعطينا سيعوضنا سبحانه، فأنت عندما تحسن إلى فلان وفلان من الناس، فإنهم سيردون معروفك، فكيف وأنت تتعامل مع رب العالمين؟ يقول تعالى: **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ [البقرة:٢٦١]**فمن يعطي الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف غير رب العالمين؟ ومن كرمه على المذنبين والعصاة أن يبدل سيئاتهم إلى حسنات، فأي كرم وجود أعظم من هذا؟ يقول **في الحديث القدسي**: (**أتقرب إليهم بالنعم، ويبتعدون عني بالمعاصي، أخلق ويعبد غيري، أرزق ويشكر غيري، خيري إليهم نازل وشرهم إلي صاعد، ومع هذا أطعمهم وأسقيهم** (**شعب الايمان ٤٢٤٣**)؛ لأنه غفور حليم كري، فإذا أعطيت فثق تمام الثقة أن الله لن يضيعك. وقال: الجود سبب لحب الناس وقربهم من هذا الجواد الكريم، فمن الذي يحب البخيل الذي لا يعطي، وينفر ولا يبشر؟**قال أنس رضي الله عنه: (ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، جاءه رجل فأعطاه غنماً ما بين الجبلين، فرجع الرجل إلى قومه فقال: أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر. (مسلم ٢٣١٢)** قال الشاعر:

وكيف تخاف الفقر والله رازقٌ فقد رزق الطير والحوت في البحر

عليك بتقوى الله إن كنت جاهلاً يأتيك بالأرزاق من حيث لا تدري

والجود سبب لرفعة مكانة الجواد في الآخرة وحب الله له. فمن السبعة الذين يظلهم الله في ظله: (**من تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**) (**البخاري ٦٥٩**) وهذا من شدة إخلاصه. والجود سبب لقلة الأعداء والحساد، وسبب لحسن ثناء الناس، وما أكثر ما يقولون: جزى الله فلاناً خيراً بسبب جوده وفضله وعطائه، وإذا زكى الناس إنساناً فهو على خير عظيم. (**مرت جنازة أمام النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما تقولون في هذا؟ فأثنوا عليه ثناءً حسناً، قال: وجبت. ثم مر آخر، فقال: ماذا تقولون في هذا؟ فذكروه بشر، قال: وجبت. قالوا: يا رسول الله! قلت: وجبت لهذا ووجبت لذاك؟ قال: ذكرتم هذا بخير فقلت: وجبت له الجنة، وذكرتم ذاك بشر فقلت: وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض والملائكة شهداء الله في السماء**).(**البخاري ١٣٦٧**) وليس لنا من الناس إلا الظاهر، ومن الجهل أن يقال: المنفقون سادة الدنيا والأتقياء سادة الآخرة، فإنهم لن يكونوا متقين حتى ينفقوا كما قال الله: **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ [آل عمران:٩٢]** فقد كان من صفات الأبرار الجود والإنفاق، يحبون لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم، فانظر كيف كان كل واحد يغار على جاره ويهتم بأمر جاره، يقول عمر : أهدي إلى رجل من أصحاب محمد رأس شاة، فقال: جاري أحوج مني فأهداها إليه، فلا زالوا يتناقلونها من بيت إلى بيت حتى رجعت إلى الأول.(شعب الايمان ٣٢٠٤) فأي قوم هؤلاء؟! وأي جار هذا الذي ينام قرير العين وجاره لا يجد ما يلبس أو لا يجد ما يأكل ويشرب؟! قال الله عنهم: **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الحشر:٩]**، كانت هذه أخلاقهم وتلك صفاتهم فلا عجب أن يقول الله: (**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**)[**المائدة:١١٩**]، **فتأمل الفرق بيننا وبينهم. كان ابن عمر إذا اشتد عجبه بمال له أنفقه قربة إلى الله**(حلية الاولياء ١\٢٩٤)، **مستحضراً قول الله: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ [آل عمران:٩٢]**، وكثير من الناس اليوم إذا بليت ثيابه وتقطعت نعاله يعطيها الفقراء والمحتاجين تخلصاً منها، لا بذلاً ولا عطاء، فهذا هو الفرق بيننا وبينهم، فهم يعطون أجود أموالهم وأحسن ثيابهم، ونحن نعطي أدنى ما نملك تخلصاً منها. فحتى تكون جواداً منفقاً استشعر الأثر والأجر العظيم. قال الفقيه أبو الليث السمرقندي : عليك بالصدقة والجود بما قل أو كثر، فإن في الصدقة عشر خصال، خمس في الدنيا وخمس في الآخرة، أما الخمس التي في الدنيا. فأولها: تطهير مال، **كما قال النبي صلى الله عليه وسلم** (**ألا إن البيع يحضره اللغو والحلف والكذب فشوبوه بالصدقة**)(**ابي داود ٣٣٢٦**) يعني: طهروه

بالصدقة.ثانيها: تطهير البدن والنفس من الذنوب كما قال الله: **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا[التوبة:١٠٣]**.ثالثها: دفع البلاء ودفع المرض، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (داووا مرضاكم بالصدقة)، (البيهقي ٦٥٩٣،) فهو أعظم علاج لكل الأمراض، الصدقة يتبعها بالدعاء، فقلما يرد الدعاء بعد الصدقة، ومن منا لا يحزن، ومن منا لا يعرف مهموماً ولا مغموماً ولا مبتلى في بدنه. وقبل أن تذهب إلى الطبيب، تقرب إلى طبيب الأرض والسماء بالصدقة، فإن الصدقة مرضاة لرب العالمين. رابعها: إدخال السرور ومواساة المحتاج من غير أن يسألك، فكم من السرور تدخله عليه؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**أعظم الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم**). (**الكبير ١٣٦٤٦**) خامسها: فيها بركة في المال وسعة الرزق، قال تعالى: **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ [الأعراف:٩٦]**، وقال تعالى: **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ [البقرة:٢٧٦]**.وذُكر أن رجلاً وصل سن التقاعد، فخرج يوماً ليعطى حقوقه من الشركة، وكانت حقوقه نصفها ربا، فأعطي مليوناً؛ لأن حقوقه على مدى ثلاثين أو أربعين سنة خدمة، ثم في المقابل أعطوه مليوناً آخر؛ لأنه استثمر أمواله في الربا، فقيل له: هذه أموال ربوية. قال: بل هي أموالنا تعبنا فيها وليست ربا، إنكم أنتم الذين تضيقون على الناس، فخرج متقاعداً وأخذ المليونين، ثم بعد أشهر من تقاعده أصيب ابن له بمرض خطير، فلا زال ينقله من بلد إلى آخر حتى فنيت أمواله كلها، وعاد صفر اليدين، قال تعالى: **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ [البقرة:٢٧٦]**. القضية قضية ثقة برب الأرض والسماوات، فلما سُئلَ هذا المتقاعد عن أمره قال: أما في الماضي فكنا لا نعرف، أما الآن فوالله لا آخذ درهماً حراماً، فترك ملايين لله فعوضه الله خيراً مما ترك.أما الخمس التي في الآخرة، ونحن والله أحوج ما نكون إليها، وهي: الأولى: أن الصدقة تكون ظلاً لصاحبها في الحر الشديد، ودرجة الحرارة ليست أربعين درجة ولا خمسين ولا ستين، بل تدنو الشمس من رءوس العباد مقدار ميل، فيغرق الناس في عرقهم، فلا ماء يشربون، ولا أكل يأكلون، ولا ظل يستظلون، فترى الذين تصدقوا تحت غمامات صدقاتهم تظللهم في ذلك اليوم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله يربي لأحدكم الصدقة كما يربي أحدكم فلوه). (البخاري ١٤١٠) فالصدقة تظلله في ذلك اليوم العظيم، ومنهم من يستظل في ظل عرش الرحمن الرحيم؛ بسبب تلك الصدقات وتلك الأعمال التي قربتهم إلى رب الأرض والسموات. ثم قال: تسهيل الحساب، قال تعالى: **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ *فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا [الانشقاق:٧-٩]**، فقد كانت أخبارهم كما قال تعالى: **كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**

[الذاريات:١٧-١٩]، فسهل عليهم الحساب في ذلك اليوم.وجاء في الخبر الصحيح: أن غنياً وفقيراً التقيا عند باب الجنة، فدخل الفقير في الحال، وبقي الغني يحاسب على ماله خمسمائة سنة حتى خاف الفقير عليه، فدخل الغني الجنة بعد خمسمائة سنة من دخول الفقير، فقال له الفقير: خفت عليك فما الذي أخرك؟ قال: أخرني مالي. وهذا المال حلال، لا ربا فيه ولا غش، ولا أكل أموال الناس بالباطل، لكن كل هذا الحساب هو السؤال فقط: من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وهذا الغني طهر المال في الدنيا، وطهر نفسه بالصدقات، لكن لا بد من السؤال والحساب.فقال الغني: حبسني مالي، حبست محبساً سال مني فيه العرق ما لو أن ألف بعير أكلت من حمض النبات ثم وردت عليه لارتوت. هذا الحساب على مال حلال ليس فيه ربا ولا سرقات، ولا أكل مالاً بالظلم والعدوان، ولا أكل أموال اليتامى بالباطل، لا افترى على الناس، بل هو حلال أخره خمسمائة سنة، فكيف بالذي أكل مال هذا وسب هذا وشتم هذا وأخذ زوراً وبهتاناً أموال الناس؟ثم من آثار الصدقة يوم القيامة: أنها تثقل الميزان، قال يحيى بن معاذ : ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا حبة الصدقة. جاءت فقيرة إلى عائشة رضي الله عنها فما وجدت إلا حبة عنب فأعطتها إياها، فاستحقرتها جاريتها، فقالت عائشة التي تعرف عظم الأجر والثواب: إن الله يقول: **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه [الزلزلة:٧]** وكم من الذرات في حبة العنب.قال تعالى: **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الأنبياء:٤٧]**، فالله لا يظلم أحداً، إنما يوفى الناس حسابهم بالعدل والتمام بلا ظلم ولا نقصان . ثم من آثار الصدقة في ذلك اليوم: الجواز على الصراط، قيل لأحد الصادقين المنفقين: ماذا صنع بك الله؟ قال: وضعت قدماً على الصراط والقدم الأخرى في الجنة. فلا يعبر الصراط بالطائرات أو بالقطارات أو بالسيارات، بل يعبر الصراط بالأعمال الصالحة، **فمنهم من يمر كالريح، ومنهم كالخيل، ومنهم كالبرق، ومنهم من يركض ركضاً، ومنهم من يهرول هرولة، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حبواً، فناج مخدوش، ومكردس على وجهه في النار**(مسند ابي يعلي الموصلي ٦٢١٦): **وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا [مريم:٧١]**، أي: إلا سيمر على هذا الصراط كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا [مريم:٧١]. ثم من الذي ينجو؟ قال تعالى: ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا [مريم:٧٢] ومن صفاتهم: **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ**

أَجْرُ الْعَامِلِينَ [آل عمران:١٣٤-١٣٦].والطريق سهل على من سهله الله. ثم من آثار الصدقة: زيادة الدرجات، فمن صلى وصام ليس كمن رقد ونام، ومن قام وصلى وجد واجتهد ليس كمن تكاسل عن العمل، شتان بينهما، قال تعالى: **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ [القلم:٣٥]** ، **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ [الجاثية:٢١]**. **ألا** يكفيني ويكفيك أن الصدقة تطفئ غضب الرب، فالأنبياء وأولو العزم يقولون يوم القيامة: (**إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله) ثم الكل ينادي: نفسي نفسي، نفسي نفسي، وهم أولو العزم من الرسل، خير من صلى وصام وقرأ القرآن وقام، كل يقول: نفسي نفسي نفسي(مسلم ١٩٤)**، كيف سيكون مثل حالي وحالكم؟ فلا بد أن نتفكر في المصير والمآل. **قال ابن القيم رحمه الله(الصيب الوابل ١\٤٩): فإن الصدقة تفدي من عذاب الله تعالى، فإن ذنوب العبد وخطاياه تقتضي هلاكه فتجيء الصدقة تفديه من العذاب وتفكه منه؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم للنساء يوم العيد: (يا معشر النساء! تصدقن ولو من حليكن فإني رأيتكن أكثر أهل النار)(الترمذي٦٣٥) ، وفي رواية أخرى قال: (رأيت النار، ورأيت أكثرها النساء)، قال: (يكثرن اللعن ويكفر**ن العشير).(مسند احمد ٤٠٣٧) إذا رأت من الرجل شيئاً تقول: ما رأيت منك خيراً قط، وتنسى بحر الحسنات في سيئة من السيئات، فاتقي الله يا أمة الله، واتصفي واقتدي بعائشة وأمهات المؤمنين، أهدى معاوية لعائشة ثمانين ألفاً، تقول جاريتها: فما جاء المساء حتى أنفقتها كلها وكانت صائمة رضي الله عنها وأرضاها، فقالت لها جاريتها: هلا أبقيت لنا درهماً نشتري به طعاماً، قالت: لو ذكرتني، فهم إذا وجدوا أبواب الخير والمعروف انفتحت لا يتوانون ولا يتأخرون، بل يسابقون ويسارعون؛ لأن الله هو الذي دعاهم، فينسون أنفسهم عند فعل الخير، فعجب أمرهم.قال يحيى بن معاذ وكأنه يتكلم عن أهل دنيانا: عجبت من ثلاث: رجل يرائي بعمله مخلوقاً مثله ويترك أن يعمله من أجل الله، ورجل يبخل بماله وربه يستقرضه منه فلا يقرضه إياه، ورجل يرغب في صحبة المخلوقين ومودتهم، ولا يرغب في صحبة الله ومودته. تباً لهؤلاء ولأمثالهم! جاء أبو الدحداح إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يا رسول الله، ملك الملوك يستقرضنا، الغني يستقرض الفقراء، القوي يستقرض الضعفاء، قال: كيف ذلك يا أبا الدحداح ؟ قال: الله يقول: **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً [البقرة:٢٤٥]** ، قال: (**نعم هو يستقرضكم حتى يرفع من درجاتك)** فقال: يا رسول الله **!** أشهدك أن لي بالمدينة حائطاً فيه ستمائة نخلة، وإني أقرضتها الله ورسوله.يقول علي رضي الله عنه: كان الرجل منا

يعمل من مغيب الشمس حتى طلوعها بأجرة تمرة أو تمرتين، فخرج إلى بستانه فإذا بأم الدحداح ، فجعل يخاطبها شعراً، يقول لها:بيني، أي: أخرجي من الحائط واتركيه.

بيني من الحائط بالوداد فقد مضى قرضاً إلى التنادي
أقرضته الله على اعتماد بالطوع لا مَنٌ ولا ارتــداد
إلا رجاء الضِّعف في المعاد فارتحلي بالنفس والأولاد
والبر لا شك فخير زاد قدمه المرء إلى المـــعاد

فأخذت أم الدحداح تخاطبه شعراً وتقول:

بشرك الله بخير وفرح مثلك أدى ما لديه ونصـــــح
قد نفع الله صغاري ومنح بالعجوة السوداء والتمر الملــح
والمرء يسعى وله ما قد كدح طول الليالي وعليه ما اجترح

وقذفت التمرات وأخذت الصبية الصغار من أيديهم، وخرجت خالية اليدين. استقرضهم فأقرضوه، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**ربح البيع أبا الدحداح كم لأبي الدحداح من جذع نخل في الجنة رداح**)(**شعب الايمان ٣١٧٨**)، فلا بد أن نعلم ونتيقن أن المال لن ينفعنا إلا إذا أنفقناه، أما تكديس الأموال وتجميعها فإن الله يقول فيها: **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ [التوبة:٣٤-٣٥]**. روي عن الصديقة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها وعن آل أبي بكر أجمعين (**أنهم ذبحوا شاة فوزعتها وجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما بقي من الشاة؟ قالت: ذهب كلها، ولم يبق إلا الكتف، قال: لا يا عائشة! بقيت كلها ولم يذهب إلا الكتف**) (**شعب الايمان ٣٠٨٦**)، ما أنفقت مدخر لها عند الله؛ لذلك قيل: إذا كان عندك تمر فلا تدفنه في الأرض، لكن ادفنه في السماء؛ لأن القلب معلق، فإذا دفن في السماء تذكر قول الله: **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ [الذاريات:٢٢]**.قال الحسن : بئس الرفيق الدرهم والدينار لا ينفعانك حتى يفارقانك.وقال أبو ذر رضي الله عنه: الصلاة عماد الإسلام، والجهاد تمام العمل، والصدقة شيء عجيب، ثم كرره وأعاد قال: الصدقة شيء عجيب. من عجائبها: **قال صلى الله عليه وسلم**: (**بينما رجل يمشي بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسقي أرض فلان! فاتجهت تلك السحابة فأفرغت ماءها في حرة، فإذا تلك الحجارة مسيل ماء قد استوعبت ذلك الماء كله، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: فتتبع الرجل الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال**

له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: اسمي فلان، قال: إني سمعت صوتاً في السحاب يقول: اسقي حديقة فلان، فماذا تصنع بها حتى يساق إليك هذا، فقال: أما وقد سألت، فإني أنظر إلى ما يخرج من هذه الحديقة، فثلث أنفقه في سبيل الله، وثلث أنفقه على عيالي، وثلث أدخره في الأرض).(مسلم ٢٧١٠-) فهذا قسم الأموال إلى ثلاثة أقسام فكانت المكافأة من الله ذلك.قال ابن القيم رحمه الله: وللصدقة تأثير عجيب في دفع البلاء، ولو كنت فاجراً أو ظالماً، بل ربما لو كنت كافراً، حتى الكفار يعلمون أثر الصدقات، فالله يكافئ الكافر في دنياه، قال تعالى: **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا [الأحقاف:٢٠]** فلا تقل: إن الكافر لا يكافأ على إحسانه، بل الله كريم، حتى إذا وقفوا أمامه يوم القيامة كافأهم على أتعابهم الحسنة في الدنيا، لا تقل: إن الكافر لا يعمل أعمالاً حسنة، بل يعمل لكنه يكافأ عليها في دنياه، أما في الآخرة فليس لهم في الآخرة نصيب. قال: هذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون بأنهم جربوا ذلك، يقول الشافعي : يا لهف قلبي على مال أجود به على المقلين من أهل المروءات إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات وإن عكس الكرم والجود البخل والشح، قال الله: **وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [الحشر:٩]** . وفي حديث جابر قال صلى الله عليه وسلم : (**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)(مسلم ٢٥٧٨)**. بلْ عدَّ النبي صلى الله عليه وسلم الشح من السبع الموبقات، **وفي حديث أبي هريرة قال صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا السبع الموبقات وعد منها بعد الشرك بالله الشح)، (النسائي ٣٦٧١)** نسأل الله العفو والعافية . والشح كقطع الأرحام، ويحل الظلم والعدوان، ويجترئ الناس به على المعاصي وفعل السيئات؛ لأن أنفسهم مريضة، ثم إن الشح ينافي الإيمان ويغضب الرحمن، وليس البر أن نشح بما آتانا الله. ثم الصدقة تطفئ غضب الرب، والشح يغضب الرب، قال تعالى: **وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ [الحديد:١٠]**.والكرم والجود لا يكون بالمال فقط، بل بالنفس، وهذا من أعظم الكرم والبذل والجود، ثم الجود بالعلم، ثم الجود بالنفع والجاه، ثم الجود بالعرض. نزل رجل على شيخ من أهل مرو وصبي له صغير، وأهل مرو معروف عنهم أنهم أبخل الناس، وفي دمهم البخل يرثونه وراثة، قال: فقلت للصغير: أطعمني من خبزكم، قال: لا تريده مر، اسقني من مائكم، قال: لا تريده مالح، قلت: هات كذا، قال: لا تريده هو كذا، فكلما ذكرت له صنفاً رد علي، فضحك الأب، قال: هذا العلم يجري في عروقهم . ووقف على أبي الأسود الدؤلي أعرابي وهو يتغدى،

والأعرابي يعاني من جوع لا يعلمه إلا الله، فسلم عليه فرد عليه، ثم أقبل على أكله ولم يعزم عليه، فقال الأعرابي لأبي الأسود : لقد مررت بأهلك، قال: نعم كانوا في طريقك، قال: أخبروني أن امرأتك حامل، قال: كذلك تركتها، قال: يقولون: لقد ولدت، قال: لا بد لها أن تلد بعد الحمل، قال: يقولون: ولدت غلامين، قال: كذلك كانت أمها، قال: مات واحد منهم، قال: ما كانت تقوى على إرضاع اثنين، قال: مات الآخر، قال: مات حزناً على أخيه، قال: وماتت الأم، قال: حزناً على ولديها، قال: ما أطيب طعامك! قال: لذلك لن آكله إلا وحدي. وجلس أحد البخلاء مع زوجته على قدر من الطعام فقال: ما أطيب الطعام لولا كثرة الزحام، فقالت امرأته: وأي زحام وما ثم إلا أنا وأنت، قال: كنت أحب أن أكون مع القدر لوحدي. ومر رجل على رجل من أهل مرو، فبدأ يعرف بنفسه أنا كذا أنا كذا ، يعرفه لأنه كان صديقه، قال له: اسمع يا شيخ، والله لو خرجت من جلدك ما عرفتك. قال أحد البخلاء الأغنياء لخادمه: هات الطعام وأغلق الباب، قال الخادم: لا، أغلق الباب ثم هات الطعام، قال: لماذا؟ قال: تغلق الباب حتى لا يدخل أحد، ثم تأتي بالطعام، قال: اذهب فأنت حر لوجه الله؛ لعلمك بعزائم الأمور. ومر رجل على رجل له إليه حاجة، فلا زال يكلمه في حاجته ويأتيه يمنة ويسرة، ولكن ليس هناك جدوى، ثم قال له: أين الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟ قال: ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافاً. اللهم أعط نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها، إنك أنت وليها ومولاها، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع هداك يا رب العالمين، اللهم قيض لولاة أمورنا البطانة الصالحة التي تعينهم على الخير إذا فعلوه وتذكرهم به إذا نسوه، واجمع شملنا، ووحد صفنا، وانصر مجاهدينا في كل مكان، وثبت أقدامهم واربط على قلوبهم واجعل الكافرين غنيمة لهم يا رب العالمين. اللهم انصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، اللهم اجمع شملنا، ووحد صفنا، وأعل شأننا، وردنا إليك رداً جميلاً يا رب العالمين. اللهم من أنفق في سبيلك فضاعف له الحسنات، ومن أمسك اللهم فصحح نواياه، اللهم من بنوا هذا المسجد فبارك لهم في أموالهم وذرياتهم وأزواجهم، واخلفهم في مسجدهم هذا خيراً، وارحم موتانا وموتاهم يا رب العالمين، اللهم من أنفق في سبيلك فأنت الكريم، عاملهم بمنك وكرمك واخلفهم في أموالهم خيراً يا حي يا قيوم. هذا وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه.

***

الذي يراك حين تقوم

بسم الله الرحمن الرحيم إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]، يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد..فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة بالنار. معاشر الأحبة!السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.أنا وأنت وأنت في ليلة أذكرها بعنوان: (الذي يراك حين تقوم).وأي عنوان أحلى وأجمل من هذا؟ أي أسطر أجمل من تلك التي تتكلم عن الله وعن عظمته وبره ورحمته.لن أذكر للعنوان عناصراً، بل سأدع العناصر يسوق بعضها بعضاً حتى الختام.فهيا ننطلق!الدافع للموضوع: ما نراه من كثرة الفواحش والمنكرات، ما نلمسه من ضعف الوازع عن المحرمات، وما تأتي به الأخبار عن ضعف التربية، وقلة المراقبة في الخلوات هذا يتساهل في النظر، وذاك يمارس عادات، وآخر يأكل الربا وغيره يتمايل مع الغناء.أحبتي!كثير من الناس وجودهم كالعدم، لم يتأملوا دلائل الوحدانية، ولم يقفوا عند أوامر الله ونواهيه، هم كالأنعام بل هم أضل، إن وافق الشرع مرادهم قبلوه وإن لم يوافق تركوه، إن حصلوا على الدرهم والدينار رضوا وأخذوه، ولم يبالوا من حلال أم من حرام كسبوه، إن سهلت عليهم الصلاة فعلوها، وإن لم تسهل تركوها.أحبتي!من تفكر في العواقب أخذ الحذر! ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر!

تمضي السنون وتنقضي الأيام والناس تلهو والأنام نـيام
والناس تسعى للحياة بغفلة لم يذكروا القرآن والإســـلام
والمال أصبح جمعه كتهجد وتمتع الشهوات صار قيــام
قد زين الشيطان كل رذيلة والناس تفعل ما تريد حــرام
يا نفس يكفي فالذنوب كثيرة إن الغرور يســـبب الإجرام

هل تعلم اليوم المحدد وقته الله يعلم وحـــــــده العلام
ماذا تقول إذا حملت جنازة ودفنت بالقـــبر الشديد ظلام
هذا السؤال فهل علمت جوابه ماذا تجيـــب إذا نطقت كلام
من ذا نصيرك إن روحك غرغرت جاء المفرط كي يقول ختام
اليوم تفعل ما تشاء وتشتهي وغداً تموت وتـــرفع الأقلام

يروى أن عيسى بن مريم عليه السلام رأى الدنيا في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال لها: كم تزوجت؟ فقالت: لا أحصيهم! قال: فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك؟ قالت:بل كلهم قتلت! فقال عيسى عليه السلام: بؤساً لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين(التبصرة لابن الجوزي ١٠\١).اعلم رعاك الله! واسمعي بارك الله فيك! لا يقطع الطريق إلا بالصبر والتسلية كما قيل،

فإن تشكت فعللها المجرة من ضوء الصباح وعدها بالرواح ضحى.

حكي عن بشر الحافي أنه سار ومعه رجل في طريق طويل فعطش صاحبه فقال له: نشرب من هذه البئر، فقال بشر : اصبر إلى البئر الأخرى، فلما وصلا إليها قال له: اصبر إلى البئر الأخرى، فما زال يعلله ويصبره ثم قال:هكذا تنقطع الدنيا (صيد الخاطر ٣١\١)، بالصبر والتصبير. فدرب النفس على هذا الأصل وتلطف بها وعدها الجميل لتصبر على ما قد حملت.**كان بعض السلف يقول لنفسه: والله ما أريد بمنعك هذا الذي تحبين إلا من الإشفاق عليك.وقال أبو يزيد : ما زلت أسوق نفسي إلى الله تعالى وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك.يعني أكرهتها على العمل حتى استقامت ورضيت (صيد الخاطر ٣١\١).**

فمن هجر اللذات نال على المنى ومن عشق اللذات عض على اليد
ففي قمع أهواء النفوس اعتزازها وفي نيلها ما تشتهي ذل سـرمد

آية ومعنى: قال سبحانه: **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [الشعراء:٢١٧-٢٢٠].قال السعدي (التفسير ٥٩٩\١) رحمه الله: وأعظم مساعد للعبد على القيام بما أمر به الاعتماد على ربه، والاستعانة بمولاه على توفيقه للقيام بالمأمور، فذلك أمر الله تعالى بالتوكل عليه فقال: وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ [الشعراء:٢١٧]**.والتوكل: هو اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار، مع ثقته بالله وحسن ظنه بحصول مطلوبه، فإنه عزيز رحيم بعزته يقدر على إيصال الخير ودفع الشر عن عبده وأمته،

وكل ذلك برحمته. ثم نبهه عند فعل الأوامر وترك النواهي باستحضار قرب الله والنزول في منزل الإحسان فقال: **الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ [الشعراء:٢١٨-٢١٩]**، أي يراك في هذه العبادة العظيمة التي هي الصلاة، يراك وقت قيامك وتقلبك راكعاً ساجداً، خصها بالذكر -يعني الصلاة- لفضلها وشرفها، ولا بد من استحضار القلب حين فعلها، لأنه من استحضر فيها قرب ربه خشع وذل وأكملها، وبتكميلها يكمل سائر عمله ويستعين بها على جميع أموره. ثم قال: **إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [الشعراء:٢٢]** أي: السميع لسائر الأصوات على اختلاف تشتتها وتنوعها، والعليم الذي أحاط بالظواهر والبواطن والغيب والشهادة. فاستحضار العبد رؤية الله له في جميع أحواله وسمعه لكل ما ينطق به وعلمه بما ينطوي عليه قلبه من الهم والعزم والنيات يعينه على بلوغ منزلة الإحسان. فما هو الإحسان؟الإحسان **جاء في الحديث الصحيح عند (مسلم ٨) في حديث وصف الإسلام والإيمان لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإحسان قال:** (**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**).نعم يراك ويعلم سرك ونجواك، في الصحراء يراك، في الجو أو في السماء يراك، إن كنت وحيداً رآك، أو كنت في جمع رآك، **يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [الحديد:٤]**.معنى الإحسان: استحضار عظمة الله ومراقبته في كل حال.فما هي المراقبة؟ **قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين من منازل إياك نعبد وإياك نستعين: المراقبة هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه(مدارج السالكين ٢\٦٥)**، فاستدامته لهذا العلم واليقين بذلك هي المراقبة، وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله مطلع على عمله، ومن راقب الله في خواطره عصمه الله في حركات جوارحه.قال أحدهم: والله إني لأستحي أن ينظر الله في قلبي وفيه أحد سواه.قال ذو النون: علامة المراقبة إيثار ما أنزل الله، وتعظيم ما عظم الله، وتصغير ما صغر الله. وقال إبراهيم الخواص : **المراقبة: خلوص السر والعلن لله جل في علاه، من علم أن الله يراه حيث كان، وأن الله مطلع على باطنه وظاهره وسره وعلانيته، واستحضر ذلك في خلوته أوجب له ذلك العلم واليقين.** كان بعض السلف يقول لأصحابه: **زهدنا الله وإياكم في الحرام زهد من قدر عليه في الخلوة (المجالسة وجواهر العلم ١\٤٤٨)** فعلم أن الله يراه فتركه من خشيته جل في علاه. أو كما قال. **وقال الشافعي : أعز الأشياء ثلاثة:الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يرجى أو يخاف (التبصرة ٢\٢٨٥)**. وقالوا: أعظم العبادات مراقبة الله في سائر الأوقات. **قال ابن القيم : والمراقبة: هي التعبد**

بأسمائه الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير،(مدارج السالكين ٦٦\٢) فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها حصلت له المراقبة. فهيا معاً أحبتي ننظر في معاني هذه الأسماء وآثارها. من آثار هذه المعاني والصفات: اعلم بارك الله فيك واعلمي رعاك الله! أن أسماء الله الحسنى هي التي أثبتها الله تعالى لنفسه وأثبتها له عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وآمن بها جميع المؤمنين قال تعالى:**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأعراف:١٨٠]**، وقال: **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا [الإسراء:١١٠]**، وقال: **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى [طه:٨]**.**وجاء في الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** (**إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر**)(**مسلم ٢٦٧٧**)، ومعنى أحصاها: حفظها وعدها واستوفاها وعمل بمقتضاها. فكما أن القرآن لا ينفع حفظ ألفاظه دون العمل به كذلك أسماء الله وصفاته، ولا بد أن نعلم أن أسماء الله ليست بمنحصرة في التسعة والتسعين المذكورة في حديث أبي هريرة ولا فيما استخرجه العلماء من القرآن، ولا فيما علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين، **لحديث ابن مسعود عند (أحمد ٤٣١٨) وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:** (**ما أصاب أحداً همّ ولا حزن فقال: اللهم أنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك، أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك؛ أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، من قالها أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحاً، فقيل: يا رسول الله! أفلا نتعلمها؟ فقال: بلى. ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها**).فتعلموها وعلموها رعاكم الله. واعلم واعلمي أن من أسماء الله عز وجل ما لا يطلق عليه إلا مقترناً بمقابله، فإذا أطلق وحده أوهم نقصاً تعالى الله عن ذلك، فمنها المعطي المانع والضار النافع والقابض الباسط والمعز المذل والخافض الرافع، فلا تطلق على انفرادها بل لا بد من ازدواجها بمقابلها إذ لم تذكر في القرآن والسنة إلا كذلك. ومن ذلك: (المنتقم) لم يأت في القرآن إلا مضافاً إلى: (ذي) كقوله: (عزيز ذو انتقام) أو مقيداً بالمجرمين كقوله: **إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ [السجدة:٢٢]**.ومما يجب علمه أيضاً أنه ورد في القرآن أفعال أطلقها الله عز وجل على نفسه على سبيل الجزاء والعدل والمقابلة، وهي فيما سيقت فيه مدح وكمال في ذات الله عز وجل؛ لكن لا يجوز أن يشتق له تعالى اسم منها ولا تطلق عليه

في غير ما سيقت فيه من الآيات، كقوله: **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ [النساء:١٤٢]**، **وقوله: وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ [آل عمران:٥٤]، وقوله: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ [التوبة:٦٧]، وقوله: وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ [البقرة:١٤-١٥]**. فلا يطلق على الله تعالى أنه مخادع ولا ماكر ولا ناس ولا مستهزئ ونحو ذلك، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ولا يقال: الله يستهزئ ويخادع ويمكر وينسى على سبيل الإطلاق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً؛ ولكن هذا فعله بالمخادعين ومكره بالماكرين واستهزاؤه بالمستهزئين ونسيانه للذين نسوه. وهي في هذا السياق مدح وكمال. **قال شيخ الإسلام رحمه الله: وفي كتاب الله من ذكر أسمائه وصفاته أكثر من ذكر آيات الجنة والنار، وإن الآيات المتضمنة لأسمائه ولصفاته أعظم قدراً من آيات المعاد. (درء تعارض العقل والنقل ٦١\٣)** من أسمائه جل في علاه: الرقيب، ورد هذا الاسم في القرآن ثلاث مرات في سورة المائدة في قوله تعالى مخاطباً عيسى عليه السلام يوم القيامة في مشهد عظيم وموقف جسيم **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [المائدة:١١٦-١١٨]**.فمن هم الناجون في ذلك اليوم؟ اسمعوا رعاكم الله!**قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ [المائدة:١١٩]**، لن ينجو إلا أهل الصدق والإخلاص **لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [المائدة:١١٩-١٢٠]**. وجاء ذكر الرقيب في قوله تعالى في آية من سورة النساء: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]** ، **قال ابن جرير في قوله: (إن الله كان عليكم رقيباً) يعني: إن الله لم يزل عليكم رقيباً حفيظاً، محصياً عليكم أعمالكم ومتفقداً أحوالكم.(تفسير الطبري ٥٢١\٧)** وجاء ذكر الرقيب في سورة الأحزاب في قوله جل في علاه: **وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا [الأحزاب:٥٢]، قال الزجاج : الرقيب هو الحافظ الذي لا يغيب عما يحفظه(معاني القران واعرابه ٥\ ١٥٣) مَا يَلْفِظُ مِنْ**

قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [ق:١٨]، وقال الخازن : الرقيب هو الذي لا يغفل عما خلق(لباب التاويل في معاني التنزيل ١\٣٣٨).وفي(نونية١\٢٠٧) ابن القيم :

هو الرقيب على الخواطر واللواحظ كيف بالأفعال والأركان

قال السعدي : الرقيب: المطلع على ما أكنته الصدور القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير، (١\٩٤٧) فهو سبحانه رقيب على الأشياء بعلمه الذي وسع كل شيء **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا [غافر:٧]**. وهو رقيب على الأشياء ببصره الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو رقيب على الأشياء بسمعه المدرك لكل حركة وكلام. فأين أثر هذا في حياتنا؟ إنه يسمع ويرى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فأين أثر هذا في تصرفاتنا، في معاملاتنا، في عباداتنا؟ جاء في السير: بعد معركة بدر وبعد أن عادت قريش تجر أذيال الهزيمة وبعد أن تلقت درساً من معسكر **الإيمان قعد صفوان بن أمية وعمير بن وهب في الحجر، فأخذا يتذاكران أصحاب القليب، وكان صفوان بن أمية قد قتل أبوه وأخوه يوم بدر.فقال عمير لصفوان: لولا صبية صغار لا أحد يرعاهم بعدي وديون ركبتني لذهبت إلى المدينة وقتلت محمداً**، فقال صفوان: دينك علي وأنا أرعى صغارك على أن تقتل محمداً. فاتفقا ولا ثالث معهما إلا الله الذي يعلم السر وأخفى، وصل عمير إلى المدينة متظاهراً بأنه جاء لدفع الفداء عن ابنه وهب الذي كان أسيراً عند المسلمين. فرآه عمر رضي الله عنه فانطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد وقال: يا رسول الله! **هذا عدو الله عمير جاء متوشحاً سيفه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أدخلوه علي، فجاء به عمر وقد أخذ بتلابيبه فأوقفه على النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال: أرسله يا عمر ! ثم قال: ادن يا عمير !** فدنا ثم قال: أنعم صباحاً يا محمد! وكانت هذه تحية الجاهلية فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير أكرمنا بالسلام تحية أهل الجنة **تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ [الأحزاب:٤٤]**. ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما جاء بك يا عمير ؟ فقال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، فأحسنوا فيه، قال: فما بال السيف في عنقك؟ قال: قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئاً يوم بدر؟! قال: اصدقني يا عمير ! ما الذي جئت من أجله؟ قال: ما جئت إلا لذاك.قال: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب، ثم قلت أنت: لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً. **فتحمل لك صفوان بن أمية بالدين ورعاية العيال على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك، فقال عمير** : أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله! نكذبك بما كنت

تأتينا به من خبر السماء وما يتنزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، والله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله! فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق، **فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: فقهوا أخاكم في دينه وعلموه القرآن وأطلقوا أسيره(ابن هشام ١\٦٦٢)**.الله أكبر ولا إله إلا الله، تدبر في قوله جلّ في علاه: **يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا [النساء:١٠٨]**.أين أثر هذه الآيات في حياتنا؟!بل أين أثر قوله جل في علاه: **وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ [البقرة:٢٣٥]**.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيـــب

ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غداً للناظرين قـــريب

قال ابن كثير : إن عميراً هذا بعد أن هداه الله للإسلام استأذن الرسول صلى الله عليه وسلم في العودة إلى مكة ليكون داعيةً إلى الإسلام فقال: يا رسول الله! إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام لعل الله أن يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم. فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم، فلحق بمكة، وكان صفوان ينتظر وصوله بين آونة وأخرى، فكان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب قبل عمير فأخبر صفوان (السيرة النبوية ١\١٧٩) عن إسلامه، فغضب غضباً شديداً وحلف ألا يكلمه أبداً ولا ينفعه نفعاً أبداً. قال ابن إسحاق : فلما قدم عمير مكة وكان شجاعاً مهيباً جاهر أهل مكة بإسلامه ولم يجرءوا على التعرض له، وأخذ يدعو إلى الإسلام. أسألك بالله من أين أتت الشجاعة؟ لما دخل موسى وهارون على **فرعون قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا خَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى [طه:٤٥-٤٦]**.فأخذ عمير يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذىً شديداً، فأسلم على يديه خلق كثير. لكن قل لي وقولي لي: كيف أسلم عمير ؟! أسلم يوم استشعر عظمة الله ورقابة الله وإحاطة الله بكل شيء.فهلا استشعرنا ذلك واستشعرنا قوله تعالى: **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ [الأنعام:٥٩]. لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ [آل عمران:٥]**. ومن أسمائه جل في علاه: الحفيظ. وهو الذي حفظ خلقه وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب والهلكات، ولطف بهم في الحركات

والسكنات، وأحصى على العباد أعمالهم وجزاؤها. هل تعرف معنى: (**احفظ الله يحفظك**) معناها: احفظ حدود الله وحقوقه وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا نتجاوزها.المعنى: فعل الواجبات جميعاً وترك المحرمات جميعاً. وقد مدح الله عباده الذين يحفظون حدوده، فقال في معرض بيانه لصفات المؤمنين الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة: **التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ [التوبة:١١٢]**.نعم! بشرهم إذا حفظوا أوامره وحدوده، حفظهم في دينهم ودنياهم وفي أولاهم وأخراهم. ومن أعظم ما يجب على العباد حفظه من حقوق الله هو التوحيد، وهو أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، **روى (البخاري ١٢٨) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معاذ بن جبل قال: لبيك يا رسول الله وسعديك! قال: هل تدري ما حق الله على العباد؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم! قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. ثم سار ساعة ثم قال:يا معاذ بن جبل!قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك! قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم! قال: ألا يعذبهم)**.فهذا هو حق العظيم الذي أمر الله سبحانه عباده أن يحفظوه ويراعوه، ومن أجل حفظه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وكان الله رقيباً على الجميع **لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا [الجن:٢٨]**. فمن حفظ توحيده في الدنيا حفظه الله تعالى من عذابه يوم القيامة وسلمه وأمنه، وكان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ويجيره من النار، وإن عذب بسبب ذنوبه إن لم يتب منها فإنه أيضاً محفوظ بتوحيده من الخلود في النار مع الكفار الذين ضيعوا هذا الحق العظيم . ومن أعظم ما أمر الله بحفظه من الواجبات: الصلاة، وما أدراك ما الصلاة؟ قال سبحانه: **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ [البقرة:٢٣٨]**، وقال: **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ [المؤمنون:٩]**. فمن حافظ على الصلوات وحفظ أركانها حفظه الله من نقمته وعذابه وكانت له نجاة يوم القيامة، قال صلى الله عليه وسلم: (**اكلفوا من العمل ما تطيقون، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة**).**قال ابن القيم رحمه الله: والصلاة مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة للأدواء مقوية للقلب، مبيضة للوجه، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، منشطة للجوارح، ممدة للقوة، شارحة للصدر، مغذية للروح، منورة للقلب، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مبعدة من الشيطان، مقربة من الرحمن. وللصلاة تأثير عجيب في حفظ صحة**

البدن والقلب وقواهما ودفع المواد الرديئة عنهما، وما ابتلي رجلان بعاهة أو داء أو محنة أو بلية إلا كان حظ المصلي منهما أقل وعاقبته أسلم. وللصلاة تأثير عجيب في دفع شرور الدنيا، لا سيما إذا أعطيت حقها من التكميل ظاهراً وباطناً، فما استدفعت شرور الدنيا والآخرة ولا استجلبت مصالحها بمثل الصلاة. (**زاد الميعاد ٤\٣٣٢**) وسر ذلك: أن الصلاة صلة بالله عز وجل، وعلى قدر صلة العبد بربه عز وجل تفتح عليه من الخيرات أبوابها وتقطع عنه من الشرور أسبابها، تأمل في قوله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل: (**يا ابن آدم اركع لي من أول النهار أربع ركعات أكفيك آخره**).(**النسائي الكبري ٤٧٠**) ومن حفظ الله للمصلين أن صلاتهم تنهاهم عن الفحشاء والمنكر، أما من ضيعها، فقد توعده الله بالهلاك والشر العظيم قال سبحانه: **فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً [مريم:٥٩]**.فكيف هي صلاتنا؟ هل حفظناها؟ هل راقبنا الله فيها؟ هل تدبرنا قوله تعالى: **الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ [الشعراء:٢١٨-٢١٩]**؟ كم مرة تفوتك صلاة الجماعة؟ كم مرة تفوتك تكبيرة الإحرام؟ كم مرة تنام عن الصلاة المكتوبة؟ والله لن يستقيم لحال إلا إذا استقام العبد والأمة في أداء الصلاة. ومما أمرنا بحفظه السمع والبصر والفؤاد، قال سبحانه: **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا [الإسراء:٣٦]**. فاحفظ سمعك فلا تسمع إلا ما يرضيه، واحفظ بصرك فلا تنظر إلا إلى ما يرضيه، واحفظ قلبك فلا يمتلئ إلا بما يحبه ويرضيه، واحفظ عقلك فلا تفكر إلا في طاعته ومراضيه. ومما أمرنا بحفظه الفروج، قال سبحانه: **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ [النور:٣٠]**، وقال سبحانه: **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ [النور:٣١]**.ومدح الله المؤمنين والمؤمنات بذلك فقال: **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ [المؤمنون:٥]**. ومما أمرنا بحفظه الأيمان، فقال سبحانه: **وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ [المائدة:٨٩]** وقال: **وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ [البقرة:٢٢٤]**، لأن حفظ اليمين يدل على إيمان المرء وورعه.فكثير من الناس يتساهلون في الحلف والقسم، وقد تلزمه الكفارة وهو لا يدري، أو يعجز عنها فيقع في الإثم لتضييعه وعدم حفظه لأيمانه. وبالجملة فالعبد مأمور بحفظ دينه أجمع، فلا يترك منه شيئاً لتعارضه مع هواه ومصلحته، بل هو مطيع لربه على أي حال وفي كل زمان ومكان، لأن ربه يراه ويسمع سره ونجواه وكلما كان وفاء العبد والأمة بحفظ حدود الله وشرائعه أعظم كان حفظ الله له ولها مثل ذلك، قال سبحانه: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ [البقرة:٤٠]، وقال: **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ [البقرة:١٥٢]، وقال: إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**

[محمد:٧]. ومن أسمائه سبحانه السميع: قال جل في علاه: **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [البقرة:١٢٧]**، أي تسمع وتجيب. وقال عن نفسه: **إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ [المجادلة:١]**، وقال عن نفسه: **إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ [سبأ:٥٠]**.فهو السميع لأقوال عباده وحركات مخلوقاته، يسمع السر وأخفى، **سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ * لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ * هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ * وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ [الرعد:١٠-١٣]**، جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشتكي زوجها قالت:قال لي أنت علي كظهر أمي. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: **(والله ما أراك إلا قد حرمت عليه)**.تشتكي وترفع شكواها إلى الله قالت: يا رسول الله! إن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إلي جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا فقال بأبي هو وأمي: (والله ما أراك إلا قد حرمت عليه). قالت تجادل وتشتكي وترفع شكواها إلى الله: لقد أفنى شبابي وأفنى مالي، فيقول لها النبي صلى الله عليه وسلم: (والله ما أراك إلا قد حرمت عليه). وما هي إلا لحظات حتى جاء جواب ربها يواسيها ويرفع عنها الظلم والعدوان: **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ [المجادلة:١-٢]**. تقول عائشة : تبارك الله الذي وسع سمعه كل شيء، لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وتجادله وأنا في ناحية البيت ما بيني وبينها إلا ستار، والله ما سمعت شيئاً من كلامها، وفي رواية: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات!تأمل في قوله يوم ناداه زكريا نداءً خفياً، فسمع الصوت وأجاب الدعاء. **عند(البخاري ٢٩٩٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:** (**كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فكنا إذا علونا كبرنا فقال: أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا تدعون سميعاً بصيراً قريباً**). **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** [ق:١٦] **سار عمر يوماً ومعه الجارود : فالتقته امرأة في الطريق فقالت: إيه يا عمر لقد كنت تسمي عميراً تصارع الفتيان في أسواق عكاظ، ثم ما لبثت أن سميت عمر، ثم ما لبثت حتى أصبحت أميراً للمؤمنين فاتق الله يا عمر ! واعلم أن الله سائلك عن الرعية كيف رعيتها. فبكى**

عمر بكاءً شديداً، فلام أبو عبيدة المرأة على قسوتها على عمر فقال له عمر : دعها يا أبا عبيدة فهذه التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، فحري على عمر أن يسمع قولها(منهاج القاصدين المقدسي ٢\٧٣).سبحانه سميع لدعاء الخلق وألفاظهم عند تفرقهم وعند اجتماعهم، لا تختلف عليه اللهجات ولا اللغات، يعلم ما في قلب القائل قبل أن يقول، وقد يعجز القائل عن التعبير عن مراده والله يعلم ذلك فيعطيه الذي في قلبه. وجاء اسمه السميع مقترناً بغيره من الأسماء: (سميع عليم)، (سميع بصير)، (سميع قريب)، وهي تدل على الإحاطة بالمخلوقات كلها وأن الله محيط بها لا يفوته شيء منها ولا يخفى عليه، بل الجميع تحت سمعه وبصره وعلمه، وفي ذلك تنبيه للعاقل وتذكير للغافل كي يراقب نفسه وما يصدر عنها من أقوال وأفعال، **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ [الأعراف:٩٩]**. ومتى آمن الناس بذلك وتذكروه فإن أحوالهم تتغير من القبيح إلى الحسن ومن الشر إلى الخير وإذا تناسوا ذلك فسدت أخلاقهم وأعمالهم. ومن أسمائه جل في علاه: البصير، أي: له بصر يرى به سبحانه. ويعني كذلك أنه ذو البصيرة بالأشياء الخبير بها، يبصر كل شيء كبر أو صغر، يبصر ما تحت الأرض وما فوق السماء وما في أعماق البحار: **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [الأنعام:١٠٣]**. لا تراه في الدنيا العيون ولا تخالطه الظنون ولا تغيره الحوادث والسنون، لا تواري عنه سماء سماءً ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره ولا بحر ما في قعره، يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ [غافر:١٩].هذه آثار وأخبار نعرفها تمام المعرفة لكن أين أثرها في حياتنا؟ سمع عمر ليلة عجوزاً تقول لبنتها: امزجي اللبن بالماء، فقالت البنية: أما علمت يا جدة أن أمير لمؤمنين عمر نهى عن مزج اللبن بالماء، فقالت العجوز في لحظة غفلة: وأين عمر حتى يرانا؟ فقالت المؤمنة الموقنة بنظر الله: إن كان عمر لا يرانا فرب عمر يرانا.قصة يعرفها الصغير والكبير، ولكن أين أثرها في حياتنا وفي معاملاتنا؟ وفي ليلة أخرى يتجول **عمر فإذا بامرأة في ظلام الليل تردد هذه الأبيات:**

تطاول هذا الليل واسود جانبه وأرقني أن لا خليل ألاعبه

فوالله لولا الله لا شيء غيره لحرك من هذا السرير جوانبه

ولكن تقوى الله عن ذا تصدني وحفظاً لبعلي أن تنال مراكبه

(البيهقي الكبري ١٧٨٥٠)

الله أكبر! عظموا الله فراقبوه، واستحيوا منه فهابوه.الله أكبر! عظم الأمر فعظمت الأوامر.ومر ابن عمر على رويعي غنم في صحراء فقال له امتحاناً: بعنا من هذه الشياه! فقال: أنا مملوك ومؤتمن، فقال ابن عمر ممتحناً إيمانه: قل للمالك أكلها الذئب! فقال رويعي الغنم الذي امتلأ قلبه خشية من الله: إن قلت للمالك

أكلها لذئب فماذا أقول لله؟ ماذا يقول إذا نطقت الجوارح والأركان **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ [النور:٢٤-٢٥]**، فبكى ابن عمر وأرسل إليه من يعتقه وقال له: كلمة أعتقتك في الدنيا أسأل الله أن تعتقك يوم أن تلقاه. هذه أخبار كلنا يعرفها وسمعها مرات ومرات! لكن أيها الغالي! أيتها الغالية! أين أثر هذا في حياتنا؟ أين أثر هذا في حياتنا؟! ومن معاني البصير: أي الخبير بأحوالهم وأفعالهم يعلم من يستحق الهداية ومن يستحق الغواية **إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ [الشورى:٢٧]**، **وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرَاً بَصِيراً [الإسراء:١٧]**.

ومن أسمائه سبحانه العليم: أي: الذي يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن لو كان كيف سيكون، عليم بكل ما أخفته صدور خلقه من كفر وإيمان وحق وباطل وخير وشر، العالم بالسرائر والخفيات، هو عليم بذات الصدور. **قال (السعدي تفسيره ١\٢٧٠): وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء.**

قال ابن القيم في نونيته:

وهو العليم أحاط علماً بالذي في الكون من سر ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه فهو المحيط وليس ذا نسيان
وكذا يعلم ما يكون غداً وما قد كان والموجود في ذا الآن
وكذاك أمر لم يكن لو كان كيف يكون ذاك الأمر ذا إمكان

تأمل وتدبر في قوله: **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ مَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [المجادلة:٧]**. وتأمل في قوله: **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ [الأنعام:٦٠-٦٢]**. هذه بعض من أسمائه وصفاته جل في علاه فأين أثرها في حياتنا؟ أين الإيمان في حياتنا؟ أين أثر الإحسان في معاملاتنا وعباداتنا؟ إذا أردت أن تعرف مدى إيمانك فراقب نفسك في الخلوات، إن الإيمان لا يظهر في صلاة ركعتين أو صيام نهار بل يظهر في مجاهدة النفس والهوى. والله ما

صعد يوسف عليه السلام ولا سعد إلا في مثل ذلك المقام: **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى [النازعات: ٤٠-٤١]**.من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل لا ظله رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، وآخر دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله. **أف للذنوب ما أقبح آثارها، وما أسوأ أخبارها،** وهل تحدث الذنوب إلا في الغفلات والخلوات! يا من لا يقصر لحظة عما **يشتهي قل لي من أنت، وما علمك، وإلى أي مقام ارتفع قدرك؟** بالله عليك أتدري من الرجل؟ الرجل والله من إذا خلا بما يحب من المحرم وقدر عليه تذكر وتفكر وعلم أن الله يراه، ونظر إلى نظر الحق إليه فاستحيا من ربه كيف يعصيه وهو يراه.هيهات.. هيهات! والله لن تنال ولاية الله حتى تكون معاملتك له خالصة، والله لن تنال ولايته حتى تترك شهواتك، وتصبر على مكروهاتك، وتبذل نفسك لمرضاته، إن أقواماً أحبهم فأحبوه، واشتاق للقياهم فاشتاقوا إليه. رأى عبد الله بن عمرو الأنصاري ليلة أحد أنه يقتل فأوصى جابراً بأمه وأخواته خيراً فقالت الأم: أين الملتقى يا أبا جابر ؟ قال: الملتقى الجنة. فخرج يريد الموت ويتمناه فأعطاه الله ما تمنى، مقبلاً غير مدبر، فحزن عليه ابنه جابر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (**والذي نفسي بيده ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع، وإن الله كلم أباك كفاحاً ليس بينه وبينه ترجمان، فقال: تمن يا عبدي! فقال: أتمنى أن تعيدني إلى الدنيا فأقتل فيك، قال: إني كتبت على نفسي أنهم إليها لا يرجعون ، فتمن يا عبدي! قال: رب أن ترضى عني فإني قد رضيت عنك! قال: فإني أحللت عليك رضواني فلا أسخط عليك أبداً. ثم جعل الله روحه وأرواح إخوانه الذين قتلوا معه في حواصل طير خضر ترد الجنة فتأكل من ثمارها وتشرب من أنهارها وتأوي إلى قناديل معلقة في العرش حتى يرث الأرض ومن عليها، هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ [ق:٣٢-٣٥]**).

في كل يوم للجنان قوافل شهداء راض عنهم العلام
ماذا أقول بوصف ما قاموا به عجز البيان وجفت الأقلام
لله در ضياغم من أسدنا لعظائم الأعمال فيـــها قام
من كل عاف للحياة مجاهداً وسلاحه الإيـمان والإقدام

عظموا الله فخافوه، فعظموا أوامره ونواهيه. كيف لا يعظمونه والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون، كيف لا يعظمونه وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. **روى (الترمذي ٢٣١٢). في الحديث الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (قرأ رسول الله**

صلَى الله عليه وسلَم: هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا [الإنسان:١]، قال: قرأها حتى ختمها ثم قال: إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك ساجد وملك قائم، والله لو تعلمون ما أعلم لضحتكم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصُعدات تجأرون إلى الله تعالى)
ومعنى الحديث: لو علمتم ما أعلم من عظمته جل في علاه وانتقامه ممن يعصيه لطال بكاؤكم وحزنكم وخوفكم مما ينتظركم، ولما ضحكتم أصلاً.

يا مذنب الذنب أما تستحي الله في الخلوة ثانيك
غرك من ربك إمهاله وستره طول مسـاويك

اسمع فضيحة العصاة يوم القيامة: **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [يس:٦٥]**. إياك والاغترار بحلمه وكرمه فكم قد استدرج من عاص وقصم من جبار وظا لم! إذا همت النفس بالمعصية فذكرها بنظر الله، لا يكن الله أهون الناظرين إليك.

إذا ما خلوت الدهر يوماً بريبة والنفس داعية إلى العصيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يران

الله الله! في مراقبته الحق جل في علاه!الله الله في الخلوات! الله الله في البوطن! الله الله في النيات!فإن عليكم من الله عيناً ناظرة، فسبحان الذي يراك حين تقوم، وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم.راقب العواقب تسلم، لا تمل مع الهوى فتندم. أين لذة المعصية؟ أين تعب الطاعة؟ رحل كل بما فيه. فليت الذنوب إذا تخلت خلت. إن كنت تعتقد أنه لا يراك فما أعظم كفرك! وإن كنت تعصيه مع علمك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك! وما أقل حياءك! اقبل الموعظة، اعمل بالنصيحة؛ لأنه من أعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار، **فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ * بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً * كَلَّا بَلْ لا يَخَافُونَ الآخِرَةَ * كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ [المدثر:٤٩-٥٦]**.يا مسكين! بأي بدن ستقف بين يدي الله، وبأي لسان ستجيب! أعد للسؤال جواباً وللجواب صواباً! فماذا أعددت للنجاة من عظيم عقاب الله وأليم عذابه؟ لا يندفع ذلك إلا بحصن التوحيد وخندق الطاعات!اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة ونسألك قول الحق في الرضا والغضب ونسألك القصد في الفقر والغنى، ونسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ونسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. اللهم

زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين يا رب العالمين. اللهم إنك ترى ما حل بإخواننا في العراق وما حل بإخواننا في فلسطين وما حل بهم في الشيشان وأفغانستان؛ اللهم إنك ترى مكانهم وتسمع كلامهم، فرحماك بهم يا أرحم الراحمين.اللهم رحماك بالأطفال الرضع، ورحماك بالشيوخ الركع، ورحماك بالبهائم الرتع.اللهم إنهم خائفون فأمنهم، اللهم إنهم مظلومون. اللهم انصر من نصرهم، اللهم اخذل من خذلهم. اللهم لا تدع للكافرين قوة في الأرض إلا دمرتها، ولا قوة في السماء إلا أسقطتها، ولا قوة في البحر إلا أغرقتها.اللهم سلط عليهم ما خرج من الأرض وما نزل من السماء. اللهم اقلب عليهم البحر ناراً، والسماء شُهباً وإعصاراً، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك. اللهم احفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء ومكروه يا رب العالمين، أصلح ولاة أمورنا ووفقهم للعمل بكتابك وسنة نبيك يا رب العالمين. اللهم أقم علم الجهاد واقمع أهل الشرك والزيغ والفساد، أبرم لأمتنا أمراً رشداً يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر يا رب العالمين. اللهم ارحم ضعفنا وتقصيرنا وجهلنا وإسرافنا في أمرنا يا أرحم الراحمين.ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافين. وصلى اللهم وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

السلاح المعطل

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**. **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.معاشر الأحبة نساءً ورجالاً، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته! حياكم الله وبياكم وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته إخواناً على سرر متقابلين، أسأله سبحانه أن يحفظني وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين.عنوان اللقاء أحبتي في هذه الليلة المباركة: السلاح المعطل وهو الدعاء. وسيتكون الحديث من سهام لا من عناصر، لأن الحديث عن السلاح فكان مناسباً أن نرسل سهاماً إلى المسامع، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**ألا إن القوة الرمي**). (**مسلم ١٩١٧**) السهم الأول: مقدمة عن الدعاء وشروطه.السهم الثاني: **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ [الأنفال:٩]**. السهم الثالث: سهام الجمعة. السهم الرابع: الله المستعان. السهم الخامس: بمن تنتصر الأمة؟ السهم السادس: سؤال يطرح نفسه؟ السهم السابع: سهام عابرة للقارات. السهم الثامن: كيف تفتح أبواب الجنان؟ السهم التاسع: أجمل وأحلى الأوقات. السهم العاشر: كيف تعطل السلاح؟ والسهم الأخير: آخر السهام. فتعالوا أحبتي ننطلق! يوم أن أطلق الأولون سهام الدعاء في الأسحار وأوقات الإجابة، قهروا أعداءهم وسادوا وشادوا، فليس أكرم على الله من الدعاء، فهو العبادة، وهو الذل والانكسار، وهو الرجاء والافتقار، وهو طريق الصبر والانتصار؛ فيه صدق اللجوء وتفويض الأمر والتوكل على الله. عبادة سهلة ميسرة غير مقيدة بمكان ولا زمان، ولا حال من الأحوال، فهي في الليل والنهار، والبر والبحر والجو، وفي السفر والحضر، وحال الغنى والفقر، والمرض والصحة، والسر والعلانية. فالدعاء -وايم الله- وظيفة العمر، به يرفع البلاء ويدفع الشقاء، قال تعالى عن خليله إبراهيم: وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا

[مريم:٤٨].بالدعاء تستجلب الرحمات وبه العز والتمكين ورفعة الدرجات.فلله ما أعظم الدعاء! وما أعظم نعمة الله على عباده به! جمعت شروطه وآدابه في قوله تعالى: **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ [الأعراف:٥٥-٥٦]**. أركانه: الإخلاص، والمتابعة، مع اليقين وحسن الظن بالله، من غير اعتداء بإثم أو قطيعة، مع الاستفتاح بالحمد والثناء على رب الأرض والسماء بما هو أهله، والصلاة على خاتم الأنبياء في أوله ووسطه وخاتمته – فهي للدعاء كالجناح يصعد بخالصه إلى عنان السماء – مع طيب مطعم، وملبس، ومسكن، وإيقان **بالإجابة وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ [غافر:٦٠]**. فإذا استوفى الدعاء شروطه وانتفت موانعه لا يرد بإذن الله.. **قال سهل التستري** : شروط الدعاء سبعه: أولها التضرع والخوف والرجاء والمداومة والخشوع والعموم وأكل الحلال. وقال ابن عطاء : إن للدعاء أركاناً، وأجنحة، وأسباباً، وأوقاتاً، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح؛ فأركانه: حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع، وأجنحته: الصدق، ومواقيته: الأسحار، وأسبابه: الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم. **جاء في الأخبار والسير(ابن هشام ٣\١٧٤) عن عمر رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف(مسلم ١٧٦٣)** فقال: اللهم إنهم قلة فكثرهم، حفاة فاحملهم، جياع فأطعمهم. ثم نظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه إلى السماء وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصبة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض أبداً. قال: فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرده على ظهره، ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا نبي الله! كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز ما وعدك، فأنزل الله جل في علاه: **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ [الأنفال:٩]**، يقول أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه: فخفق النبي صلى الله عليه وسلم خفقة –أي إغفاءة قليلة– ثم انتبه ثم قال: أبشر يا أبا بكر ! أبشر يا أبا بكر ! أتاك نصر الله.. أتاك نصر الله، هذا أخي جبريل آخذ بعنان فرسه. لا إله إلا الله! **سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ [القمر:٤٥-٤٦]**. لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. صدق الرجال مع الله فصدق الله معهم، استشارهم النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الموقف، فقال: أشيروا علي أيها الناس! فقال المهاجرون: يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك، فوالذي بعثك

بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك ولجالدنا من دونك، ما تخلف منا رجل واحد، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ [المائدة:٢٤]، ولكن نقول لك: **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. ثم تكلم الأنصار فقالوا: يا رسول الله! آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، امض لما أردت ونحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه أمامك ما تخلف منا رجل واحد، والله لو أمرتنا أن نرمي بأنفسنا من أعالي الجبال لرميناها ما تخلف منا رجل واحد، يا رسول الله! صل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وسالم من شئت وعاد من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، واترك ما شئت، فوالله للذي أخذته أحب إلينا مما تركت، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً.. إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، فسر بنا على بركة الله. إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا [الفتح:١٠]. نصروا الله فنصرهم، قال عنهم سبحانه: وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ [آل عمران:١٢٣-١٢٦]**.كيف انتصر هؤلاء؟ انتصروا بالدعاء والتضرع إلى رب الأرض والسماء، باعوا الأنفس والأموال فاشتراها الله، فربح البيع والله.

البائعون نفوسهم لمليكهم الله أمضى بيعهم وتكـــرما
والحاملين إلى الوغى أرواحهم وعلى نحورهم تحدرت الدما
قوم كأن وجوههم شمس الضحى طلعت ففر الليل كالح مظلما
إن أسدل الليل البهيم ستاره عكفوا على آي الكتــاب ترنما
أو أشرق الصبح البهيج فلن ترى إلا الكتائب حاسـراً ومعلما
ملكوا الفؤاد وما دروا يا ويحهم أن الفؤاد بهـــم يهيم متيما
يتلذذون ببذلهم ويرونه حقاً أكــــيداً للإله ومغنما

ربح البيع والله! أن تجعل حياتك كلها خالصة لوجه الله، دعوة لله وجهاداً في سبيل الله، حياة ظاهرها عذاب وضيق، وباطنها عذوبة وبريق، ظاهرها دموع وألم، وباطنها خشوع وأمل، تعب الجسد ونعيم الروح، جسد يمشي على الأرض وروح ترفرف حول العرش. **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ**

مِمَّا يَجْمَعُونَ [يونس:٥٨]: **قال ابن عباس : فضل الله هو الإسلام، ورحمته أن جعلكم من أهل القرآن.** (**الجامع لاحكام القران ٨\٣٥٣**) اللهم احفظنا بالإسلام قائمين، وقاعدين، وراقدين، أحينا مسلمين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، يا رب العالمين. السهم الثالث: سهام الجمعة.. وما أدراك ما يوم الجمعة!أين السابقون يوم الجمعة؟! لا تنصر الأمة إلا بأولئك الذين يرفعون أكف الضراعة إلى رب الأرض والسماء.في معركة عين جالوت انتظر الملك المظفر قطز بالمسلمين وقت صلاة الجمعة ليباشروا قتال أعدائهم وخطباء المسلمين على المنابر يعجون مع المسلمين إلى الله بالدعاء أن يؤيدهم وينصرهم. ولما نشبت المعركة واشتدت تعرض السلطان للقتل على أيدي التتار، فأحاط به مجموعة من الفرسان قذفوا بأنفسهم شاهرين سيوفهم يدافعون عنه، وكان منهم فارس ملثم يدافع عنه، فأصابته طعنة قاتلة خر على إثرها صائحاً: صن نفسك يا سلطان المسلمين.. صن نفسك يا سلطان المسلمين! ها قد سبقتك إلى الجنة.. ها قد سبقتك إلى الجنة!ولما تبين للسلطان أن الفارس الملثم إنما هو السلطانة زوجته هاله الأمر. اسمعي رعاك الله.. اسمعي بارك الله فيك! حمل زوجته حتى أدخلها الخيمة، ووضعها على فراشها، وأخذ يقبل جبينها والدموع تنهمر من عينيه وهو يقول: وازوجاه! واحبيبتاه! فأحست به ورفعت نظرها إليه، وقالت بصوت متقطع وهي تجود بروحها: لا تقل واحبيبتاه! لا تقل واحبيبتاه! ولكن قل: وإسلاماه! ثم ما لبثت أن لفظت أنفاسها الأخيرة.فوضع السلطان على جبينها قبلة، ومسح دموعه، وترك الشهيدة لمن يتولى تجهيزها، وخرج إلى جيشه فكبر وكبروا، وحملوا واستبسلوا، واشتدت الهجمات، فتقدم السلطان فكشف عن خوذته وألقى بها إلى الأرض، وصرخ بأعلى صوته: وإسلاماه.. وإسلاماه! ودعوات المصلين في المساجد ترتفع إلى رب الأرض والسماء: اللهم انصر الإسلام والمسلمين، اللهم دمر الشرك والمشركين. وحمل القائد المظفر قطز ومن معه على التتار حملة صادقة وهم يرددون آيات الله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ [الأنفال:١٥]**، **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [الأنفال:٤٥-٤٦]**. بالصبر والثبات والدعاء تنتصر الأمة على الأعداء، برهبان الليل وفرسان النهار يقهر الكفار. اعلمي رعاك الله! واعلم بارك الله فيك! أن قيام الليل وإطلاق السهام في الظلام عز في الدنيا وشرف في الآخرة وعون على الأعداء في الجهاد. سأل عظيم الروم رجلاً من أتباعه -كان قد أسر مع المسلمين- فقال: أخبرني عن هؤلاء القوم! قال: أخبرك كأنك تنظر إليهم، هم رهبان بالليل، فرسان بالنهار، لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربوه

حتى يأتوا عليه. فقال عظيم الروم: **لئن صدقت ليملكن موقع قدمي هاتين** (هرقل). ولقد فعلوا.. ولقد فعلوا لله درهم.

ملكنا هذه الدنيا قرونا وأخضعها جدود خالـــدونا
وسطرها صحائف من ضياءفما نســــى الزمان
ولا نسينا وكنا حين يأخذنا ولي بطغيان ندوس له الجبينا
وما فتئ الزمان يدور حتى مضى بالمجد قوم آخـرونا
وأصبح لا يرى في الركب قوم يوقد عاشوا أئمته سنينا
وآلمني وآلم كل حر سؤال الدهر: أين المسلمـــونا

نعم أيتها الغالية! تقدمت الأمة يوم أن صامت، وقامت، وحكمت كتاب ربها وسنة نبيها؛ فلما ضيعت الأوامر ضاعت وتعطلت أسلحتها، ولما نسيت أمر الله نسيها، ولم تصب سهامها، وتسلط عليها أعداؤها. يقول أحد مراسلي الإذاعات عن مجزرة وقعت في كشمير: رأيت مجزرة لم أشهد أبشع منها؛ كان ضحيتها ألفاً من المسلمين، كنت أرى جثثاً بلا رءوس لأطفال ونساء. لماذا يذبحون؟!

لماذا يذبحون ونستكين ولا أحد يرد ولا يبـــين
أللإسلام نسبتنا وهذا دم الإسلام أرخص ما يــكون
دم الإسلام مسفوك فمن ذا يرد له الكرامة أو يصـون
تحاصرنا المجازر كل يوم وتهدم في مرابعنا الحصون
فكم من مسجد أضحى يباباً وعاث به التهتك والمجون
وما ذنب الضحايا غير دين تهون له النفوس ولا يهون

الله المستعان: يوم تعطلت أسلحتنا وسهامنا، فعلوا بنـــا هذا،
فالله المستعان. إذا حل الأمر الصعب، وادلهم الخطب، وعم الجـدب،
فالله المستعان. إذا أظلم الأفق، وضاقت الطرق، وانشق بالمصائب الأفق
، فالله المستعان. إذا جاعت البطون، وأخطأت الظنون، وحلت المنون،
فالله المستعان. إذا قست القلوب، وظهرت العيوب، وكثرت الذنـوب،
فالله المستعان. إذا فقد الولد، وقحط البلد، وضعف السند، فالله المستعان.

سبحان من انتشل ذا النون من الظلمات، ونجا نوحاً من الكربات. سبحان من أطفأ النار لإبراهيم، وجمد الماء للكليم. سبحان من على العرش استوى، سبحان من يسمع ويرى.. سبحان الله العظيم. سبحان من لا يموت، سبحان من تكفل بالقوت، سبحان من وهب النور في الأبصار، وقصر بالموت الأعمار. لا

إله إلا الله، لا نعبد سواه، غالب فلا يقهر، أغنى وأقنى، أضحك وأبكى، وهو رب الشعرى. لا إله إلا الله! عدد ما خطت الأقلام، وسجع الحمام، وهطل الغمام، وقوضت من منى الخيام. لا إله إلا الله كلما برق الصباح، وهبت الرياح، وكلما تعاقبت الأحزان والأفراح، عز فارتفع، خضع له كل شيء وركع، أعطى ومنع، خفض ورفع، وأعز وأذل، يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [الرحمن:٢٩]. يهدي ضالاً، ويغني فقيراً، ويغفر ذنباً، ويستر عيباً، وينصر مظلوماً، ويقصم جباراً،أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما تدري بما صنع الدعاء سهام الليل لا تخطي ولكن لها أمد وللأمد انقضاء تنتصر الأمة بأولياء الله الصالحين، بالمخلصين والصادقين الذين رباهم القرآن، أولئك الذين تربوا في روضة القرآن، وفي ظل الأحاديث الصحاح.

عباد ليل إذا جن الظلام بهم كم عابد دمعه في الخد أجـــــراه

وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم جاءوا إلى الموت يستجدون رؤياه

قال الحسن البصري رحمه الله: قراء القرآن ثلاثة أصناف: صنف اتخذوه بضاعة، وصنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده، وصنف وضعوا القرآن على داء قلوبهم فاستشعروا الخوف فقاموا في محاريبهم. بمثل هؤلاء تنتصر الأمة على أعدائها، وبمثل هؤلاء يستسقى الغيث من السماء. قال: فوالله الذي لا إله إلا هو لهذا الصنف من حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر. **لما صف المسلمون يوم اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب ومن معه، حمل راية المهاجرين سالم مولى أبي حذيفة فقالوا له: إنا لنخشى أن نؤتى من قبلك، فقال: إن أتيتم من قبلي فبئس حامل القرآن أنا أكون(لاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء٣\٥٠)بات قتيبة بن مسلم ليلة لقائه مع الترك باكياً متضرعاً، فلما أصبح الصباح سأل: أين محمد بن الواسع ؟ فبحثوا عنه فوجدوه يصلي ويدعو رافعاً أصبعه إلى السماء، فأخبروا قتيبة بن مسلم بذلك فقال: والله لأصبع محمد بن الواسع أحب إلي من ألف سيف شهير، وألف شاب طرير(المعجب في تلخيص اخبار المغرب ١\٢٨٦).** ولما حاصر عمرو بن العاص رضي الله عنه حصن بابليون بمصر طلب من عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يمده بمدد عدده أربعة آلاف مقاتل يستعين بهم على إتمام فتح مصر، فأرسل إليه عمر أربعة رجال وعلى رأسهم الزبير بن العوام ، وكتب إليه: بعثت إليك بأربعة رجال وعلى رأسهم الزبير ؛ كل رجل بألف رجل، ولقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**جيش فيه المقداد لا يهزم بإذن الله**). بمثل هؤلاء تنتصر الأمة، أولئك الذين إذا رؤوا ذكروا بالله عز وجل، أولئك الذين تنبعث من وجوههم أنوار الطاعة، أولئك الذين قال الله عنهم: (**من عادى**

لي ولياً فقد آذنته بالحرب)، أولئك الذين إذا قال المرء منهم: يا رب! قال الله: لبيك وسعديك، أولئك الذين تربوا في محاريب الظلام، أولئك الذين تدربوا على إطلاق السهام في صلاة القيام. لما انتدب الله محمداً صلى الله عليه وسلم للدور الكبير الشاق الثقيل قال له: **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا [المزمل:١-٦]**.وربى محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه في تلك المدرسة؛ مدرسة الليل، **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ [المزمل:٢٠]**.في مدرسة الإخلاص تربى الرجال والنساء، إنها التربية على الصبر، والإخلاص، ومجاهدة النفس، وعلو الهمة.قال قتادة رحمه الله: لا يقوم الليل منافق -وصدق والله- لا يقوم الليل إلا مؤمن صادق.فإذا أردت الانضمام إلى ركب الصالحين فعليك بسهام الليل والدعاء. إن كنت فقيراً تشتكي الفقر فعليك بسهام الليل والدعاء. إن كنت مظلوماً تريد الانتصار فعليك بسهام الليل والدعاء. إن كنت قد أثقلتك الذنوب والمعاصي فعليك بسهام الليل والدعاء. إن كنت مريضاً تطلب الشفاء فعليك بسهام الليل والدعاء. إن كنت عقيماً تريد الأطفال فعليك بسهام الليل والدعاء. عن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومقربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، وملهاة عن الإثم، ومطردة لداء الجسد**)،(**الترمذي**) **قال ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه**: (**فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية**).(**الكبير ٨٩٩٨**)وإنما فضلت صلاة الليل على صلاة النهار لأنها أبلغ في الإسرار وأقرب إلى الإخلاص. مدح الله سبحانه وتعالى المستيقظين بالليل لذكره ودعائه واسغفاره ومناجاته بقوله: **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ [السجدة:١٦]**، وقال: **وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ [آل عمران:١٧]**، وقال عن ليلهم: **وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا [الفرقان:٦٤]**. ونفى سبحانه التسوية بين المتهجدين القانتين وغيرهم في قوله: **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ [الزمر:٩]**.من مزايا أهل الليل: أن الله يحبهم ويباهي بهم ويستجيب دعاءهم. **عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال**: (**ثلاثة يحبهم الله ويضحك إليهم ويستبشر بهم، فذكر منهم: الذي له امرأة حسناء، وفراش حسن، فيقوم من الليل، فيقول الله تعالى: يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد، والذي إذا كان في سفر وكان معه رهط فسهروا ثم هجعوا، فقام**

هو من السحر يتملقني).(**الجامع الصحيح للسنن والمسانيد ١٤٧\١٧)** قال بعض السلف: قيام الليل يهون طول القيام يوم القيامة. السؤال الذي يطرح نفسه: كيف استطاعوا القيام وإطلاق السهام؟ الجواب: استطاعوا بأمور: منها وأهمها: الصدق والإخلاص. ومنها: سلامة الصدور، وخلوها من الأحقاد، وتعلقها بالآخرة، فلا هم إلا هم الآخرة. **كان داود الطائي يناجي في الليل: اللهم همك عطل علي الهموم، وحالف بيني وبين السهاد(حلية الاولياء ٣٥٦\٧)**. والأهم منها خوف لازم القلوب وقصر الأمل، **لأنه من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل(الترمذي ٢٤٥٠)**، لأن من تفكر في أهوال الآخرة، ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره، كما قال طاوس : إن ذكر جهنم طير نوم العابدين. **وكما قال ابن المبارك :إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع** (**وقيام الليل٣٤٦\١)** ومن ذلك أيضاً: عرفوا فضل قيام الليل يوم تليت عليهم الآيات **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ [السجدة:١٦]. سمعوا قوله: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [السجدة:١٧]. سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم:** (**إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: لمن أفشى السلام وطيب الكلام وصلى بالليل والناس نيام)**. (**شعب الايمان ٢٨٢٥)** ومن الأمور أيضاً وأعجبها: الحب الصادق، جربوا لذة المناجاة، وحلاوة الخلوة مع الحبيب. قال أحدهم: أفرح لقدوم الليل لأني أخلو بربي وأكره قدوم النهار لملاقاة الناس. قال علي البكار : أربعين سنة ما أحزنني شيء سوى طلوع الفجر. إن كانت صواريخهم طويلة المدى فصواريخ الدعاء سهام عابرة للقارات. اسمع واسمعي ماذا يصنع الدعاء! **خرج رجل من الصالحين العباد الزاهدين في تجارة فاعترضه قاطع طريق فقال: أقتلك، قال: خذ المال والتجارة، ودعني أمضي في طريقي، فقال: سآخذ المال والتجارة وسأقتلك، فقال العابد الزاهد: دعني أصلي لله قبل أن ألقاه، قال: صل ما بدا لك! فصلى، ورفع شكواه إلى الذي يسمع سره ونجواه، دعاه سراً وناجاه: يا ودود! يا ذا العرش المجيد! يا فعالاً لما تريد! أسألك بعزك الذي لا يرام، وبملكك الذي لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك، يا مغيث أغثني! يا مغيث أغثني! يا مغيث أغثني! سلم وأنهى صلاته، فإذا بقاطع الطريق ملقىً على الأرض ينزف دماً وعلى رأسه فارس أبيض، ذو ثياب بيضاء وعمامة بيضاء، على فرس أبيض، فقال من شدة الفرح: من أنت؟! قال: أنا ملك من السماء الرابعة، لما دعوت الدعاء الأول قرقعت أبواب السماء، ولما دعوت الدعاء الثاني ضجت الملائكة في السماء، ولما دعوت الدعاء الثالث**

قلت: يا ربي! مضطر يناديك، فائذن لي في إغاثته، أنا من جند أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ (الترغيب في الدعاء ١\١٠٥) [النمل:٦٢]. يا صاحبي في شدتي، ويا مؤنسي في وحدتي، ويا حافظي عند غربتي، ويا وليي في نعمتي، ويا كاشف كربتي، ويا سامع دعوتي، ويا راحم عبرتي، ويا مقيل عثرتي، يا إلهي بالتحقيق، يا ركني الوثيق، يا رجائي عند الضيق، يا مولاي الشفيق، ويا رب البيت العتيق، أخرجني من حلق المضيق إلى سعة الطريق، وفرج من عندك قريب وثيق، واكشف عني كل شدة وضيق، واكفني ما أطيق وما لا أطيق.اللهم فرج عني كل هم وكرب، وأخرجني من كل غم وحزن، يا فارج الهم، يا كاشف الغم، يا منزل القطر، يا مجيب دعوة المضطرين، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، يا كاشف كل ضر وبلية، ويا عالم كل سر وخفية، يا أرحم الراحمين. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ادع الله يوم سرائك، يستجب لك يوم ضرائك) -إي وربي- **(من تعرف على الله في الرخاء تعرف الله عليه في الشدة)**.

إن الدعاء عباد الله! من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ومن أنفع الأدوية، وهو يدفع البلاء ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل. لن ينفع حذر من قدر، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم بالدعاء، فعليكم بالدعاء عباد الله!**رجل يقال له صهيب يسهر الليل، يبكي، ويناجي، فعوتب على ذلك، فقالت له مولاته: أفسدت على نفسك يا صهيب ! فقال: إن صهيباً إذا ذكر الجنة طال شوقه، وإذا ذكر النار طار نومه(التخويف من النار ١\٤٤)**. سبحانك ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله، وما أوحش الطريق على من لم تكن أنيسه.طوبى لقلوب ملأتها خشيتك، واستولت عليها محبتك، فمحبتك مانعة لها من كل لذة غير مناجاتك والاجتهاد في مرضاتك، وخشيتك قاطعة لها عن كل معصيه خوفاً من أليم عقابك. ما ضر المقبلين على الله ما فاتهم من الدنيا إذا كان الله لهم حظاً، وما ضرهم من عاداهم إذا كان الله لهم سلماً. ولله در القائل:

هنيئاً لمن أضحى وأنت حبيبه ولو أن لوعات الغرام تذيبــه
وطوبي لقلب أنت ساكن سره ولو بان عنه إلفه وقريـــبه
فما ضر قلباً أن يبيت وما له نصيب من الدنيا وأنت نصـــيبه
ومن ترض عنه أنت في طي غيبه فما ضره في الناس من يستغيبه
فيا علة في الصدر أنت شفاؤها ويا مرضاً في القلب أنت طبيــبه

وصدق الله **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا، قال سبحانه: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ [النمل:٦٢]**.والدعاء سلاح المؤمن والمؤمنة، والسلاح بضاربه، فمتى كان السلاح قوياً لا آفة فيه، والساعد قوياً، والمانع مفقوداً، حصلت النكاية في

العدو؛ ومتى تخلف واحد من هذه الثلاث تخلف التأثير. فتدربوا على استعمال السلاح، واعلموا أن العلم بالتعلم، والصبر بالتصبر، والحلم بالتحلم.فيا معلم آدم وإبراهيم علمنا، ويا مفهم سليمان فهمنا، علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً يا رب العالمين. بالدعاء والتضرع تفتح أبواب الجنان قال سبحانه في سورة الطور: **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ [الطور:١٧–١٨]**.اسمعي واسمع رعاك الله! إذا استقر المتقون في الجنان دار بينهم هذا الحوار، قال الله: **وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ [الطور:٢٥–٢٨]**.اسمعي واسمع أثر الدعاء! إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ * فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ [الطور:٢٨–٢٩].قال السعدي رحمه الله في قوله: (تفسيره ١\٨١٥) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قال يتساءلون عن الدنيا وأحوالها، ثم أخذوا في بيان الذي أوصلهم إلى ما هم فيه من الحبرة والسرور: قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ، أي في الدنيا كنا خائفين وجلين، فتركنا من خوفه الذنوب، وأصلحنا لذلك العيوب، فكان نتيجة ذلك: **فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ** ، أي من علينا بالهداية والتوفيق، وأجارنا وأنقذنا من عذاب الجحيم. ثم بينوا حالهم وما الذي كان سبباً في فوزهم ونجاتهم، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ، كنا نسأله وندعوه أن يقينا عذاب السموم وأن يوصلنا إلى جنات النعيم، فمن بره ورحمته بنا أنالنا رضاه والجنة، ووقانا سخطه والنار. سر نجاتهم أنهم عاشوا على حذر من هذا اليوم، عاشوا في خشية من لقاء ربهم، عاشوا مشفقين من حسابه، عاشوا كذلك وهم في أهلهم حيث الأمان الخادع، لكنهم لم ينخدعوا حيث المشغلة الملهية، فرفعوا إلى الله سؤالهم وحاجاتهم، وتضرعوا إليه، طلباً للفوز والنجاة، وهم يعرفون من صفاته أنه البر الرحيم بعباده. **أخرج(أحمد في مسنده ٨٧٣٣)عن عبد الرحمن رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء)**.في إحدى معارك **المسلمين قال المغيرة بن حبيب : لما برزنا للعدو قال عبد الله بن غانم: هذه الجنان تزينت، فعلام آسى من الدنيا، فوالله ما فيها لعاقل مقام، ووالله لولا محبتي لمباشرة السهر بصفحة وجهي، وافتراش جبهتي في ظلم الليل رجاء الثواب وحلول الرضوان، لتمنيت فراق الدنيا وأهلها. ثم كسر جفن سيفه وتقدم وقاتل حتى قتل، فلما دفن أصابوا من قبره رائحة المسك، فرآه رجل فيما يرى النائم فقال له: يا أبا سراق! ماذا صنعت؟ قال: خير الصنيع. قال: إلام صرت؟ قال: إلى الجنة، قال: بم؟ قال: بحسن اليقين، وطول التهجد، وظمأ الهواجر، وكثرة الدعاء. قال: فما هذه**

الرائحة الطيبة التي توجد من قبرك؟ قال: تلك رائحة التلاوة والظمأ. قال: أوصني! قال: أوصيك بكل خير. قال: أوصني! قال: اكسب لنفسك خيراً، لا تخرج عنك الليالي والأيام عطلاً، فإني رأيت الأبرار نالوا البر بالبر، قال سبحانه: إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (حلية الاولياء ٦\٢٤٧)[المطففين:٢٢-٢٧].حتى تكون منهم فعليك بالدعاء والتضرع، فلقد قالوا: **إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ [الطور:٢٦-٢٧]**.ردد وقل:

أتيتك سائلاً فارحم عنائي فعندك يا كريم دواء دائـي

فيا مولى الورى جد لي بعفو ومن بنظرة فيها شفـائي

رأيت كثير ما أهدي قليلاً لمثلك فاقتصرت على الثنائي

اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بأسوأ ما عندنا. أجمل الأوقات هي ساعات الإجابة. **فمنها**: عند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبة، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة، وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم. ما أجمل وأحلى تلك الساعات! أما أجمل منها وأحلى منها: فثلث الليل الأخير ساعة السحر، كيف لا وهو وقت النزول الإلهي، **أخرج** (**أحمد في مسنده ٧٥٠٠**)**وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم**: (**ينزل الله عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ من ذا الذي يسترزقني فأرزقه؟ من ذا الذي يستكشف الضر أكشفه عنه؟ حتى ينفجر الفجر**). **قال سبحانه: وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ [آل عمران:١٧].جاء في كتب التفاسير(الجامع الاحكام القران ٩\٢٦٢) أنه لما قال أبناء يعقوب له: اسْتَغْفِرْ لَنَا [يوسف:٩٧] أخرهم إلى السحر لقوله: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ [يوسف:٩٨]. وفي (الزهد لابن حنبل ١\٧٠): (أن داود عليه السلام سأل جبريل عليه السلام: يا جبريل! أي الليل أفضل؟ قال: يا داود! لا أدري إلا أن العرش يهتز من السحر)**.

قلت لليل هل في جوفك سر عامر بالحديث والأخبار

قال لم أر حديثاً كحديث الأحباب في الأســـحار

قال صلى الله عليه وسلم: (إن من الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه، وذلك كل ليلة)، (**مسلم ٧٥٧**) فأين السائلون؟! فيا ألله ما أحلى حديثهم ودموعهم، ومناجاتهم

في تلك الساعات! فقائل منهم يناجي ويقول: يا خير معبود، ويا خير مسئول، وخير مشكور، ويا خير محمود، ويا خير مقصود، أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، اللهم أغلقت الملوك أبوابها، وقام عليها حراسها وحجابها، وبابك مفتوح للسائلين، نامت العيون، وغارت النجوم، وعينك لا تنام يا حي يا قيوم.وآخر يردد ويقول: إلهي! فرشت الفرش، وخلا كل حبيب بحبيبه، وأنت حبيب المتهجدين، وأنيس المستوحشين.

إلهي! إن طردتني عن بابك، فإلى باب من ألتجي،

وإن قطعت عني خدمتك، فخدمة من أرتــجي.

إلهي! إن عذبتني فإني مستحق العذاب والنقم، وإن عفوت فأنت أهل الجود والكرم. إلهي! أخلص لك العارفون، وبفضلك نجا الصالحون، وبرحمتك أناب المقصرون، يا جميل العفو أذقني برد عفوك، إن لم أكن أهلاً لذلك، فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة.فاز –والله– من سبح والناس هجوع، يدفن الرغبة ما بين الضلوع يغشاه سكون وخشوع بذكر الله والدموع هم وعسوف يغدو – والله – ذلك الدمع شموع كان بعض السلف يقول: اللهم إن منعتني ثواب الصالحين، فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته، اللهم إن لم ترض عنا فاعف عنا يا أرحم الراحمين.أين أحباب الرحمن؟! أين خطاب الجنان؟! يا قوام الليل في الأسحار! اشفعوا في النوام، يا أحياء القلوب! ترحموا على الأموات. يقول مالك بن دينار : سهوت ليلة عن وردي ونمت، فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وبيدها رقعة، فقالت: أتحسن القراءة؟ فقلت: نعم، فدفعت إلي الرقعة فإذا فيها:

ألهتك اللذائذ والأماني عن البيض الأوانس في الجنان

تعيش مخلداً لا موت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان

تنبه من منامك إن خيراً من النوم التهجد بالقران

يقول ابن القيم : عجباً لمن آثر الحظ الفاني الخفيف على الباقي النفيس! فباع جنة عرضها الأرض والسماوات بسجن ضيق بين أرباب العاهات!(حادي الارواح١\٤)

عجباً للجنة كيف نام طالبها، وكيف لم يدفع مهرها خاطبها

وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها؟! تأمل في قول أهل الجنان: **إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ [الطور:٢٨]**، فكيف غفلت عن تلك الساعة التي ينزل الله فيها إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله وعظيم سلطانه فيقول: هل من تائب؟! هل من داع؟!والله لو قام أهل الحاجات وأهل الذنوب في الأسحار، وسألوا مولاهم، وقدموا الطلبات، ورفعوا الحاجات، وأتبعوها بالاستغفار والآهات،

لرقت قلوبهم، وقضيت حاجاتهم، وسترت عيوبهم، وغفرت ذنوبهم، وأقيلت العثرات، ومحيت الزلات. والله لو شممت رحيق الأسحار لاستفاق منك قلبك المخمور. كيف تعطل ذلك السلاح؟تعطل يوم أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهن عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لك)**،(**رواه الترمذي ٢١٦٩)وقال حديث حسن**؛ فهل أمرنا بالمعروف، ونهينا عن المنكر، لعل الله أن يستجيب دعاءنا. تعطل السلاح يوم أكل الحرام، **جاء** (**عند مسلم ١٠١٥)أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الرجل يمد إليه إلى السماء ويقول: يا رب.. يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له**. تعطل السلاح يوم كثرت الذنوب والمعاصي، جاء في الأثر: (ما طفف قوم كيلاً، ولا بخسوا ميزاناً، إلا منعهم الله عز وجل القطر، وما ظهر في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت، وما ظهر في قوم الربا إلا سلط الله عليهم الجنون، ولا ظهر في قوم القتل إلا سلط عليهم عدوهم، ولا ظهر في قوم عمل قوم لوط إلا ظهر فيهم الخسف، وما ترك قوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا لم ترفع أعمالهم، ولم يسمع دعاؤهم)،. قال يحيى بن معاذ عن هؤلاء: آثروا النوم على القيام، والراحة على الجهاد والمجاهدة. تعطل السلاح يوم قل المستغفرون بالأسحار. تعطل السلاح يوم قل فرسان الليل، وقل فرسان النهار، فتطاول علينا الكفار. قيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، أما قال الله: **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ [المائدة:٩٢]**. وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، أما قال سبحانه: **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ [آل عمران:٣١]**. وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، أما قال جل وعلا: **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ [ص:٢٩]**. أكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها، أما قال جل وعلا: **يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا [النحل:٨٣]**. وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، أما قال تبارك وتعالى: **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [الزخرف:٧٢]**. وعرفتم النار فلم تهربوا منها، أما قال جل من قائل: وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا [الفرقان:٦٥]. وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، أما قال سبحانه: **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ [فاطر:٦]**. وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، أما قال سبحانه: **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [الجمعة:٨]. ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، أما قال سبحانه: فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي**

الأَبْصَارِ [الحشر:٢]. وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس **لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ [الحجرات:١١]**. اسمعي واسمع! يا من توقن أنك لا شك راحل، قم في الدجى قيام مشفق سائل، وأجب منادي: هل من سائل، لعلك ولعلك تحظى بالقبول، وتفوز بالمسئول، وتدرك المطلوب والمأمول

.لله در أقوام هجروا الدنيا وتركوها، وطلبوا الآخرة بالجد وآثروها،

إن جاء النهار قطعوه بالصيام، وإن جاء الليل نصبوا أقدامهم للقيام.

لله درهم؛ أبصروا عيوب الدنيا وميز وها، عرفوا طرق الجنة فسلكوها،

وعرفوا طرق الضياع وتجنبوها، إن أظلم الليل صفوا أقدامهم وانصبوها،

وإن أقبل النهار حفظوا جوارحهم وكفوها.

لله درهم كم تعبت أبدانهم بين جوع وسهر، كم كفت جوارحهم عن لهو وبطر، كم حفظوا ألسنتهم وأعينهم عن الكلام والنظر، كم تغنوا بكلامه والقلب خاشع وحاضر في السحر.يا حسنهم والليل قد أجنهم ونورهم يفوق نور الأنجم فماذا أعد الله **لهم فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [السجدة:١٧]**.اللهم إنا نعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك، ونعوذ بك اللهم من قلب لا يشتاق إليك، ونعوذ بك من دعاء لا يصل إليك، ونعوذ بك من عين لا تبكي عليك. سبحانك.. يا من تفرد بك المتفردون في الخلوات، وسبحانك من سبحت لعظمتك الحيتان في البحار الزاخرات، ولجلال قدسك اصطفت الأمواج المتلاطمات، أنت الذي سجد لك سواد الليل، وضوء النهار، والفلك الدوار، والبحر الزخار، والقمر النوار، وكل شيء عندك بمقدار. يا مؤنس الأغوار في خلواتهم، يا خير من حطت به النزال، سبحانك لك الجمال والجلال، ولك الكمال. اللهم إنا نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك اللهم من سخطك والنار، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، كره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم اجمع شملنا، ووحد صفنا، وأصلح ولاة أمورنا، وانصرنا يا قوي يا عزيز على القوم الكافرين. نسألك اللهم إيماناً كاملاً، ويقيناً صادقاً، وصلاةً خاشعةً، وعلماً نافعاً، ورزقاً حلالاً واسعاً، اللهم عاملنا بما أنت أهله، ولا تعاملنا بما نحن أهله إنك سبحانك أهل التقوى وأهل المغفرة. أستغفر الله العظيم. وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

الغفلة

الحمد لله، نحمده ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.معاشر الأحبة الأخيار! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله وبياكم، وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، أسأله سبحانه أن يجمع شملنا، ويوحد صفنا، ويصلح ولاة أمورنا، وأن ينصرنا على القوم الكافرين.إلى متى الغفلة؟ وها هو الموت يتخطف الناس يمنة ويسرة، فلا يكاد يمضي يوم إلا والمستشفيات تودع رجالاً ونساء، صغاراً وكباراً، والمقابر تستقبلهم. جاء في الآثار أن الدنيا تمثلت لعيسى بن مريم في صورة عجوز حسناء عليها من كل زينة فقال لها: كم تزوجت، قالت: كثير، قال: أكلهم مات عنك أم طلقك؟ قالت: بل كلهم قتلت، فقال عيسى عليه السلام: تعساً لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين!

يا غافلاً عن العمل وغره طول الأمل الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

إن الأمراض التي تصيب بني آدم على نوعين: أمراض تصيب الأبدان، ومنها نفر إلى الطبيب ونطلب العلاج. وأمراض تصيب القلوب، وهي أشد فتكاً، وأشد خطراً من أمراض الأبدان؛ لأنها لا تكتشف إلا عند ساعات الموت؛ ولأن أمراض القلوب تؤدي إلى خسارة الدنيا وخسارة الآخرة، وتؤدي إلى فساد الدين؛ لذلك كانت أشد خطراً من أمراض الأبدان. إن حياة القلوب حياة للأبدان، وموت القلوب موت للأبدان، قال الله تعالى: **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ [المنافقون:٤]**، لكن القلوب خاوية، والناس اليوم يشكون من قسوة القلب. إنها الغفلة التي استحكمت على حياة كثير من الناس، إنها مرض خطير، تصد عن الهداية، وتنسي الآخرة، سيظل الإنسان في غفلته ما بين راحة وجيئة حتى يفاجئه الموت، فإذا جاءه صاح بأعلى الصوت: رباه ارجعون، يريد أن يداوي ذلك القلب،

يريد أن يذهب إلى الطبيب، ويبحث عن علاج لهذا القلب المريض.أقول أحبتي: **رجل من أهل الخير مر عليه رجل من أهل الغفلة فقال له: يا أبا فلان! الحالة التي أنت عليها هل ترضاها للموت؟ قال: لا، فقال له: هل نويت أن تغير هذه الحال إلى حال ترضاها للموت؟ قال: ما اشتاقت نفسي بعد، قال: هل يوجد بعد هذه الدار دار فيها معتمل؟ قال: لا، قال: وهل تضمن أن لا يأتيك الموت وأنت على هذه الحال؟ قال: لا، قال: والله ما رأيت عاقلاً يرضى بهذه الحال**(قصر الامل لابن ابي **الدنيا ٧٠\١١**) !اسأل نفسك: الحالة التي أنت عليها هل ترضاها للموت؟ انتهى الأجل، وانقضت الساعات، وأزف الرحيل، أمستعد أنت لمغادرة هذه الحياة، والانتقال إلى حياة أخرى؟ فالغفلة مرض خطير، حذرنا القرآن منها فقال سبحانه: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [المنافقون:٩]**. وما غفل الناس إلا لاشتغالهم بأمور دنياهم بشهواتهم ولذاتهم، قال الله جل في علاه: **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى [الأنبياء:١-٣]**.الغفلة أودت بحياة كثير من الناس، سببها الانشغال بالدنيا، ونسيان الموت، غفلنا عن الموت وسكراته، غفلنا عن القبر وظلماته، غفلنا عن اللحد وضمته، غفلنا عن السؤال وشدته، غفلنا عن يوم القيامة وكرباته، غفلنا أن المصير إما إلى جنة وإما إلى نار.و

الموت فاذكره وما وراءه فما لأحد عنه بــــراء
إنه للفيصل الذي به يعرف ما للعبد عند ربــــه
والقبر روضة من الجنان أو حفرة من حفر النيـران
إن يك خيراً فالذي من بعده خير عند ربنا لعـــبد
وإن يك شراً فما بعد أشد ويل لعبد عن سبيل الله صد

مر علي على أهل القبور فقال: يا أهل القبور! إما تخبرونا خبركم أو نخبركم بأخبارنا، أما أخبارنا: فإن البيوت قد سكنت، والنساء قد تزوجت، والأموال قد قسمت. ثم قال: أما والله لو تكلم أهل القبور لقالوا: تزودوا فإن خير الزاد التقوى، أمرنا بعمارة الأعمار، واستغلالها في الطاعات؛ لأن العمر الذي نحياه عمر واحد، إذا مضى لا يرجع أبداً، فاغتنم هذا العمر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اغتنم خمساً قبل خمس: اغتنم الحياة قبل الممات، اغتنم الشباب قبل الهرم، اغتنم الصحة قبل المرض، اغتنم الفراغ قبل الانشغال، اغتنم الغنى قبل الفقر). وقال صلى الله عليه وسلم: (**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والجاهل من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني**)، تأمل في حال الناس اليوم حتى ترى

مقدار الغفلة التي يعيشها كثير من الناس إلا من رحم الله. من أحوال الغافلين النوم عن الصلوات، بل ربما لا يصلون، ينامون عن الصلوات مرات ومرات، ومنذ أشهر مضت مات شيخ في السبعين من عمره، فجاءني سائل يسأل ويقول: يا شيخ! ما حكم الصلاة على من لا يصلي؟ قلت: ما الخبر؟ قال: مات شيخ كبير في حينا تجاوز السبعين من عمره ما رأيناه قط في المسجد، وما رأيناه صلى يوماً ولا ركع لله، وعندما سئل أهله عن أخباره، قالوا: ما رأيناه يوماً يصلي! أي غفلة هذه؟ تمر بنا الأيام، وتنقضي بنا الليالي، وأنا وأنت نسير إلى النهاية التي لابد منها، أين الاستعداد للرحيل. **كان أحد الصالحين يقوم في هجيع الليل الأخير يرقى على أعلى مكان في قريته، ينادي بأعلى صوته يذكر الناس: الرحيل! الرحيل! الرحيل! حتى جاء يوم انقطع ذلك الصوت، فسأل عنه أمير القرية فقيل له: مات، قال: لا زال يذكر الناس بالرحيل حتى رحل هو(قصر الامل ابن ابي الدنيا ١\١٠٢)**.

لا يزال يلهج بالرحيل وذكره حتى أناخ ببابه الجمال

فأصابه متيقظاً متشمراً ذا أهبة لم تلهه الآمـــال

والله ما حال بين الناس وبين الاستعداد للآخرة إلا طول الأمل، ومن أطال الأمل أساء العمل، قال تعالى: **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الحجر:٣]**، فلا تراهم يصلون، بل ينامون عن الصلوات، بل قد لا يركعون ولا يسجدون. مجموعة من الشباب لقيتهم على إحدى الطرقات فركبوا معي، ثم دار بيني وبينهم هذا الحديث: قلت: أين تريدون؟ قالوا: نريد المكان الفلاني. قلت: ما هو هدفكم هناك؟ قالوا: نبحث عن وظائف وأعمال. سألتهم عن المؤهلات فلا تكاد تذكر، لا يحملون من الشهادات الدراسية أو المهنية شيئاً يذكر، سألتهم: كيف أنتم مع الصلاة؟ لعلمي يقيناً من كتاب الله وسنة نبيه أن الصلاة مفتاح البركات، قال تعالى: وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا **لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى [طه:١٣٢]**. فقال الأول: أتريد الصدق أم تريد أن أكذب عليك؟ قلت: إن كذبت فأنت تكذب على نفسك، أما أنا فلا يضرني. قال: يا شيخ! أنا لا أصلي. قلت: كافر؟ قال: لا. قلت: هذا حكم الله وحكم رسوله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**). أما الثاني فقال: أنا أحسن منه حالاً، قلت: كيف؟! قال: أنا أصلي في اليوم مرتين. قلت: إن هذا الأمر عجب، الله أمرنا بخمس صلوات، وأنت تصلي صلاتين، أي غفلة هذه؟ أما بني الإسلام على خمس؟ هل ممكن أن مسلماً يغفل عن هذه الأركان أو يجهل هذه الحقيقة؟ إنه عبد مأمور بأداء خمس صلوات. أما الثالث فكان أعجب من الاثنين، قال: أنا أحسن حالاً، أنا أصلي من الجمعة إلى الجمعة، قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وجلجلة الأذان بكل حي ولكن أين صوت من بلال
منائركم علت في كل ساح ومسجدكم من العباد خال

والله لن يستقيم حال المرء حتى يستقيم في صلاته، والله لا يتغير حال الإنسان من حال إلى حال حتى يضبط أمر صلاته، قال صلى الله عليه وسلم: (**اكلفوا من العمل ما تطيقون، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة**)، لن تتقرب إلى الله بقربة أعظم من المحافظة على الصلاة.فترى الغافلين لا يصلون، وانظر في غفلة المجتمع كله اليوم، إذا أذن المؤذن: الصلاة خير من النوم، فإذا خرجت إلى الشارع لا تكاد ترى سيارة تتحرك، ولا تكاد ترى إنساناً يسير، وتدخل المسجد فترى أباً أو شيخاً أو قلة من الشباب الذين هداهم الله، والبقية في غفلة لا يعلمها إلا الله، قال تعالى: **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ [الأعراف:١٧٩]**.وبعد أذان الفجر بساعة تلاحظ مقدار غفلتنا، إذا نادى منادي الدنيا: حي على الأعمال، حي على الوظائف! امتلأت الشوارع بالغادين والرائحين صغاراً وكباراً، ذكراناً وإناثاً، والبيوت بعد غفلتها هبت من نومتها واستعدت لطلب دنياها. كيف يتغير واقع الأمة وهي لا تزال تعظم دنياها أكثر من تعظيمها لأوامر الله، قال تعالى: **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [آل عمران:١٦٥]**. فتراهم لا يصلون، ويتساهلون في الصلوات، وتراهم يطلقون النظرات يمنة يسرة في حلال وفي محرمات، وتراهم قد هجروا القرآن، وأكبوا على الأغنيات بالليل وبالنهار، والليل والنهار عندهم سواء. أما أهل الصلاح فإن لليلِ والنهار معنى آخر عندهم، **كان عمر بن عبد العزيز يقول: إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل أنت فيهما. وكان الصديق يوصي عمر قائلاً: إن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وإن لله حقاً في النهار لا يقبله بالليل.** فأين نحن من هذه الحقوق والواجبات؟ فما وصلت الأمة إلى الحالة التي وصلت إليها إلا لغفلة الشباب والشيب. **زار أبو ذر مكة بعد طول غياب فرأى من أهلها عجباً، رآهم قد تطاولوا في البنيان، ورآهم توسعوا في المأكل والمشرب، فنادى بهم وهو يطوف حول الكعبة، فقال: يا أيها الناس! أنا جندب بن جنادة، وأنا لكم ناصح مشفق أمين. فأقبلوا عليه، فقال: أرأيتم لو أن رجلاً أراد السفر، أليس يأخذ من الزاد ما يبلغه في سفره؟ قالوا: بلى، قال: فإن سفر الآخرة أطول ما تريدون فخذوا له ما يبلغكم، قالوا: وما يبلغنا؟! قال: صلوا في ظلمة الليل لظلمة القبور، وحجوا حجة لعظائم الأمور. واجعل الدنيا مجلسين: مجلساً في طلب الآخرة، ومجلساً في طلب الدنيا، وآخر يضرك لا تَرِدْه، واجعل الدرهم درهمين: درهماً تنفقه في سبيل الله، ودرهما تنفقه على نفسك وعيالك ومن عندك،**

وآخر يضرك لا ترده، ما لي أراكم تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، وتؤملون فتطيلون، قتلكم حرصٌ على الدنيا لستم ببالغيه(شعب الايمان ٣٦٣٩). أقول: إلى الله المشتكى، كيف لو جاء أبو ذر ورأى أحوالنا؟ ورأى القصور الشاهقة لا يسكنها إلا اثنان أو ثلاثة؟ كيف لو جاء أبو ذر ورأى أرصدتنا في البنوك الربوية؟ كيف لو جاء أبو ذر ورأى نساءنا وأطفالنا يتمايلون مع المعازف والألحان؟ كيف لو جاء أبو ذر ورأى ليلنا أمام الشاشات والقنوات؟ كيف لو جاء أبو ذر ورأى الملاعب تغط بالبنين والشباب؟ كيف لو جاء أبو ذر ورأى عباد البقر يهدمون مساجدنا؟ كيف لو جاء أبو ذر ورأى عباد الصليب ينتهكون حرماتنا وأعراضنا؟ كيف لو جاء أبو ذر ورأى أحفاد القردة والخنازير يتلاعبون بنا؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون، فما وصلنا إلى هذه الحال إلا من غفلتنا، وما أوتينا من قبل قوة القوم، ولكن أوتينا من ضعفنا، ومن غفلتنا، أما آن الأوان أن نسمع المواعظ فنتعظ، ونسمع النصائح فنتغير ونتبدل. أما آن أن نتذكر أن الموت لا يعرف صغيراً ولا كبيراً، ولا يعرف صيفاً ولا شتاء، ولا ليلاً ولا نهاراً. أما آن أن نعرف أنه ينتظر كلاً منا شدائد وأهوال، وفي القبر ضمة وسؤال. إنها ثلاثة أسئلة ستطرح على كل واحد منا: من ربك؟ وما دينك؟ ومن هو ذلك الرجل الذي بعث فيكم؟ ولا تظن أن قضية الإجابة بالقضية السهلة، فإنه لن يستطيع أهل الغفلة الإجابة، ولن يجيب إلا أصحاب القلوب الحية ثباتاً وتثبيتاً من الله جل في علاه، قال تعالى: **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ [إبراهيم:٢٧]**. الغفلة تصد عن الحق، وتصد عن اتباع المواعظ، وتصد عن استماع النصيحة، قال جل جلاله: **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ [الأعراف:١٤٦]**. فماذا أعددت للموت وسكراته؟ وماذا أعددت للقبر وظلماته؟ وماذا أعددت ليوم مقداره خمسون ألف سنة؟ وماذا أعددت لسؤال وجواب في ذلك اليوم العظيم؟ ستسأل عن الصلوات، وستسأل عن النظرات، وستسأل عن الكلمات، وستسأل عن كل صغيرة وكبيرة. مر الحسن البصري على مجموعة من الشباب، ومن بينهم شاب يضحك بأعلى صوته، فقال له الحسن : هل مررت على الصراط؟ قال: لا، قال: هل تدري إلى الجنة يؤخذ بك أم إلى النار؟ قال: لا، قال: إذاً: على ماذا هذا الضحك؟ إلى متى أحبتي! ونحن ندفن موتانا ولا نعتبر؟ إلى متى ونحن نودع الصغار والكبار ولا نزدجر؟ ندخل المقابر مرات ومرات وغطاء الغفلة لا زال يخيم على القلوب. **كان السلف يقولون: إذا سرنا في جنازة لا نرى إلا متقنعاً باكياً(موعظة المؤمنين**

٣٢٣\١). وانظر في واقعنا إذا سرنا في الجنازات اليوم، كانوا يقولون: كنا لا ندري من نعزي لكثرة الباكين، واليوم لا ندري من نعزي لكثرة الضاحكين، وعند المصائب والآلام تدخل المقبرة حين توديع الأموات فلا ترى الناس يتأثرون، فإذا لم تؤثر المقابر وأخبار أهل القبور فينا وتغير من أحوالنا فما الذي يؤثر فينا ما الذي يغير الواقع؟ إن مصير الغافلين مصير مظلم لا يعلمه إلا الله، تخونهم الذنوب والمعاصي في ساعة هم أحوج ما يكونون للتثبيت من الله جل في علاه. الغفلة تصد عن الحق، وتصد عن اتباع المواعظ، وتصد عن استماع النصيحة، قال جل جلاله: **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ [الأعراف:١٤٦]**. فماذا أعددت للموت وسكراته؟ وماذا أعددت للقبر وظلماته؟ وماذا أعددت ليوم مقداره خمسون ألف سنة؟ وماذا أعددت لسؤال وجواب في ذلك اليوم العظيم؟ ستسأل عن الصلوات، وستسأل عن النظرات، وستسأل عن الكلمات، وستسأل عن كل صغيرة وكبيرة أحد الذين يعملون في أمن الطرقات يقول: حادث شنيع حدث أمام أعيننا، سيارتان مسرعتان ارتطمتا وجهاً لوجه، فانطلقنا إلى مكان الحادث. جئنا إلى السيارة الأولى فإذا الذي فيها قد فارق الحياة، وجئنا إلى السيارة الثانية فإذا فيها ثلاثة من الشباب، والذي يظهر أنهم في ساعات احتضار، أنزلناهم من السيارة، ومددناهم على جانب الطريق، أخذ صاحبي يردد عليهم: قولوا لا إله إلا الله، قولوا لا إله إلا الله، وفجأة ارتفعت أصواتهم بالغناء، وصاحبي يردد عليهم: قولوا لا إله إلا الله، وهم يرددون ألحان الشيطان حتى خمدت أنفاسهم والعياذ بالله. وهكذا خانتهم المعاصي والذنوب، خانتهم الأغاني، وخانتهم المخالفات، وخانهم الشيطان في تلك اللحظات. ما عمروا القلوب بالطاعة، ما ملئوا الأسماع بالقرآن، فلا عجب حين قيل لهم: قولوا لا إله إلا الله، فانطلقوا يرددون كلام الشيطان، تخونهم المعاصي عند الموت وبعد الموت، والعياذ بالله. يقول أحد الذين يغسلون الموتى: جيء لنا بشاب في مقتبل العمر شديد البياض، فما أن بدأنا بتغسيله حتى انقلبت بشرته من البياض إلى السواد الشديد والعياذ بالله، وصدق الله حين قال: **وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ [الأنفال:٥٠-٥١]**، **وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [آل عمران:١١٧]**. يقول: انقلبت بشرته من البياض إلى السواد الشديد والعياذ بالله، وخفنا من المنظر، وخرجنا من مكان التغسيل، فإذا رجل يدخن خارج الغرفة، قلنا: الميت ميتكم؟ قال: نعم، أنا أبوه. الأسرة كلها تعيش في غفلة لا يعلمها إلا الله، قلت: ما خبر ميتكم

هذا؟ قال: ميتنا هذا لم يكن من المصلين! قال: قلت: خذوا ميتكم أنتم غسلوه وكفنوه، أما حكم الله ورسوله في هذا أنه لا يغسل ولا يكفن، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يحمل على الرقاب، ولا يدعى له، ولا يستغفر له، بل تحفر له حفرة في الصحراء يكب فيها على وجهه والعياذ بالله، قال تعالى: **وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [آل عمران:١١٧]**.إنها الغفلة، وما تصنع بأصحابها، ألم نودع أمثال هؤلاء؟ لقد ودعنا أمثال هؤلاء كثيراً، قال تعالى: **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ [الحديد:١٦]**، **وقال تعالى: اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [الحديد:١٧]** أما آن أن نعتبر بمن مضى؟

خل ادكار الأربع والمعهد المرتبع والظاعن المـــــودع وعدَّ عنه ودعِ
واندب زماناً سلفاً سودت فيه الصحفا ولم تزل معتــــكفاً على القبيح الشنع
كم ليلة أودعتها مآثماً أبدعتها لشهوة أطعتها في مرقد ومضـــــــجع
وكم خطىً حثثتها لخزية أحدثتها وتوبة نكثتها لمـــــــــلعب ومرتع
وكم تجرأت على رب السماوات العلى ولم تراقبه ولا صـــــدقت فيما تدع
وكم غمطت بره وكم أمنت مكره وكم نبذت أمره نبذ الحـــــــذا المرقع
وكم ركضت في اللعب وفهت عمداً بالكـــــــــــــــذب ولم تراع
ما يجب من عهده المتبع فالبس شعار الندم واسكـــب شآبيب الدمع
قبل زوال القدم وقبل سوء المـــــــــــــــصرع
إلامَتي تسهو وتني ومعظم العمر فني فيما يضر المقتـــــني ولست بالمرتدع
أ ما ترى الشيب وخط وخط في الرأس خطط ومن يلح وخط الشمط بفوده فقـد نع
يويحك يا نفس احرصي على ارتياد المخلص وطاوعي
وأخلصي واستمعي النصح وعـــــــــــــــــــــــي
واعتبري بمن مضى من القرون وانقضى واخشي مفاجاة القضـــا وحاذري أن تخدعي
وانتهجي سبل الهدى وادكري وشك الردى فإنَّ مثواك غداً في قعر لحــــد بلقع
آهاً له بيت البــــلا والمنزل القفر الخلا ومنزل السفر الألى واللاحق المتبع
بيت يرى من أودعه قد ضمه واستودعه بعد الفضاء والســـعة قيد ثلاث أذرع
لا فرق أن يحله داهية أو أبله أو معسر أومن له ملك كمــــــلك تبع

فالكل سيموت: الصغير سيموت، والكبير سيموت، والذكر سيموت، والأنثى ستموت، والغافل سيموت، والصالح سيموت، والله لا يظلم أحداً، أما أهل الغفلة فتأخذهم الغفلات في ساعات احتضارهم، وأما الصالحون فيثبتهم الله عند ساعات احتضارهم. يقول الذي شهد مشهد الشباب على الأغاني: بعد حين شهدت مشهداً آخر:شاب في مقتبل العمر تعطلت سيارته تحت نفق من الأنفاق، فنزل لإصلاح العطل، فجاءت سيارة فارتطمت به من الخلف، وسقط على الأرض، وتكسرت عظامه، وسالت دماؤه! يقول: أسرعنا إلى مكان الحادث، جئناه فإذا هو في حال لا يعلمها إلا الله، حملناه في السيارة، ويظهر على مظهره الالتزام، فإذا هو يهمهم بأصوات وكلمات لم نميزها حتى وضعناه في الكرسي الخلفي من السيارة، وعندما انطلقنا تبين لنا ذلك الكلام الذي كان يهمهم به، كان يقرأ القرآن بصوت عذب ندي، ما سمعنا أجمل من ذلك الصوت، هو يقرأ ونحن نبكي. أقول في نفسي: سبحان الله ما كأنه تكسرت عظامه، فقلت في نفسي: ألقنه الشهادة، فأنا صاحب خبرة من المواقف الماضية، يقول: فجأة بدأ صوته يخفت شيئاً فشيئاً، فالتفتُ إلى الخلف فإذا هو رافع إصبعه السبابة يتشهد، ثم سقطت يده على صدره وفارق الحياة. فهذا لا يحتاج أن تلقنه لا إله إلا الله؛ لأنه عاش على (لا إله إلا الله)، فعرف معنى (لا إله إلا الله)، وبذل حياته من أجل (لا إله إلا الله)، فثبته الله في ساعة احتضاره، لم تتخل عنه الصلوات، ولم يتخلَّ عنه القرآن، ولا تخلى عنه التسبيح والتهليل، بل كان الله معه في تلك الساعة، فغادر الحياة وهو يقول: لا إله إلا الله! وآخر من أحد دعاتنا يقول: جيء بشاب من أهل الصلاح والاستقامة، أحسبه والله حسيبه من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ومن الحريصين على حب الخير للناس، جيء به إلينا حتى نغسله، فلما بدأنا بتغسيله، وبدأنا بإعداد المسك والكافور، والله الذي لا إله إلا هو لقد فاحت رائحة المسك منه قبل أن نضع المسك عليه، وامتلأت الغرفة بمسك ما شممنا بمثله من قبل. قال: قلت لصاحبي: هل تشم ما أشم؟ قال: إي والله، فنظرنا في وجهه فإذا هو كالقراطيس من شدة البياض، غسلناه، وكفناه، وأخذناه إلى المقبرة، وكنت ممن نزل في قبره، فلما أعطونا إياه فإذا هو يؤخذ من بين أيدينا، والله ما حملناه، بل أُخذ من بين أيدينا، قلت لصاحبي: أتشعر؟ قال: إي والله. ووسد التراب، والله ما وسدناه، ووجه إلى القبلة، ووالله ما وجهناه، وكشفت عن وجهه فإذا هو يضحك، فخفت وظننته حياً، لولا أنني أنا الذي غسلته وكفنته! هذا الشاب الصالح لم تخنه الطاعات حتى في قبره، ولم تخنه الصلوات حتى في قبره، إذا مات ابن آدم تبعه عمله، أما أهل الغفلة فتتبعهم غفلاتهم، وأما أهل الطاعات فتتبعهم طاعتهم، وتضيء لهم قبورهم، فإلى متى والناس يوماً بعد يوم يرحلون والحال لا يتغير ولا يتبدل؟ إن المرض في القلوب ولابد من علاجها، وعلاج القلوب لا يكون إلا بالمواعظ القرآنية. قال ابن القيم: وعلاج القلب في خمسة: قراءة القرآن بتدبر،

وقيام الليل. ولكن الناس اليوم يمكثون أمام الشاشات ساعات وساعات، ويضيعون الواجبات والطاعات، وأحوال أمتنا في كل مكان مآسي وجراحات.

ها هو الأقصى يلوك جراحه والمسلمون جموعهم آحاديا

ويحنا ماذا أصاب شبابنا أوما لنا سعد ولا مـــتقداد

إنَّ علاج القلب بالتضرع في السحر، والارتماء بين يدي الله جل في علاه، والعلاج يكون بتقليل الأكل والشرب والطعام، فما فسدت القلوب إلا لما أثخنت البطون أكلاً وشرباً ولهواً وغفلة، ثم علاج القلوب بمصاحبة الأخيار، والطيور على أشكالها تقع. إنَّ من أخبار أصحاب القلوب الحية، يقول سلمان الفارسي : ثلاثة أعجبتني حتى أضحكتني: مؤمل والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، قال تعالى: **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [ق:١٨]** وضاحك ملء فيه لا يدري ربه راض عنه أو ساخط عليه. وآخر يقول: ما نمت ليلة إلا ظننت أني لا أستيقظ بعدها. والآخر كلما أراد الخروج من المسجد بكى بكاء شديداً، فإذا قيل له: ما الذي يبكيك؟ قال: أخاف أن لا أرجع إليه مرة ثانية.كان حبيب الفارسي إذا أصبح قال لزوجته: إذا مت اليوم فابعثي إلى فلان يغسلني، وابعثي إنساناً يكفنني، واصنعي كذا، واصنعي كذا، فقيل لها: رؤيا رآها، قالت: لا، كل يوم يقول مثل هذا الكلام. فهذه هي القلوب الحية.أما **عبد الله بن عامر فسمع منادياً ينادي لأذان المغرب وكان في مرض شديد، بل ربما كان ينتظر ساعة الاحتضار، فقال لأبنائه: خذوني إلى المسجد، قالوا: أنت ممن عذر الله، ليس على المريض حرج، قال: والله إني لأستحي أن أسمع النداء فلا أجيب! واليوم يمرون من جانب المساجد كأن الأمر لا يعنيهم، ويسمعون حي على الصلاة، حي على الفلاح فلا يجيب إلا قليل. قال: خذوني إلى المسجد، فإني والله لأستحي أن أسمع النداء ولا أجيب، فاغتسل وتطيب وتعطر وذهب لأداء صلاة المغرب، فلما سجد السجدة الأولى لم يرفع رأسه بعدها**، وما أحلاه من ختام، وما أحلاها من نهاية، قال تعالى: **يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ [الأحقاف:٣١-٣٢]**.هذه أخبار أصحاب القلوب الحية، فإن لم تكن مثلهم فتشبه بهم، إن التشبه بالصالحين فلاح، وانتبه أن تطلب وقتاً مستقطعاً ووقتاً إضافياً فلا يستجاب لك، خذ بالعلاج إذا أردت الشفاء.**عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم:** (**إذا دخل أهل الجنة الجنة، ودخل أهل النار النار جيء بالموت على هيئة كبش أقرن أملح بين الجنة والنار، ثم**

ينادى بأهل الجنة: يا أهل الجنة! تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم نعرفه، هذا الموت، ثم ينادى بأهل النار: يا أهل النار! تعرفون هذا؟ فيشرئبون فينظرون ويقولون: نعم نعرفه، هذا الموت، فيؤمر بالموت بين الجنة والنار فيذبح، ثم ينادى بأهل الجنة: يا أهل الجنة خلود فلا موت، وينادى بأهل النار: يا أهل النار خلود فلا موت)(البخاري ٦١٨٢). فيقال لأصحاب القلوب الحية: إن لكم ألا تجوعوا فيها أبداً، إن لكم أن تصحوا فيها فلا تمرضوا أبداً، وأن تحيوا فيها فلا تموتوا أبداً، وأن تقيموا فيها فلا تظعنوا أبداً، وأن تشبوا فيها فلا تهرموا أبداً. ويقال لأهل الغفلة وأهل النار: خلود فلا موت: **وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ [السجدة:١٢]**)، فهم يتمنون العودة، ولكن هيهات هيهات! ثم قرأ صلى الله عليه وسلم: **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ [مريم:٣٩-٤٠]**.فاتقِ الله عبد الله! وانفض غبار الغفلة، واستعد للرحيل، فإنك قد تمسي ولا تدرك الصباح، وقد تصبح ولا تدرك المساء، والشاب يغتر بشبابه، وإنك تجد أنَّ أكثر من يموت هم الشباب، والشيخ الكبير يغتر بصحته، والمرض يأتي فجأة، وإذا جاء المرض فقد اقترب الموت.

يا عجباً للناس لو فكروا أو حاسبوا أنفسهم أبصر
وعبروا الدنيا إلى غيرها إنما الدنيا لهم معبر
لا فخر إلا فخر أهل التقى غداً إذا ضمهم المحشر
ليعلمن الناس أن التقى والبر كان خير ما يدخر

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا من الراشدين.اللهم اجمع شملنا، ووحد صفنا، وردنا إليك رداً جميلاً يا رب العالمين.اللهم انصر المستضعفين في كل مكان، في فلسطين والشيشان وفي كشمير والفلبين، وفي العراق وأفغانستان.اللهم كن لهم عوناً وظهيراً ومؤيداً ونصيراً.اللهم انصر من نصرهم، واخذل من خذلهم. اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بأسوأ ما عندنا يا رب العالمين.وصلى الله وسلم على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

المسيح الدجال

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**.**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. عباد الله! حدثتكم في الجمعة الماضية عن خروج المهدي وعن أحداث تسبق خروجه، وحدثتكم عن صفاته وبعض من أخباره، وحتى يكون الحديث متصلاً سأحدثكم اليوم عن الدجال ، وهو أعظم فتنة تمر على البشرية، فما من نبي إلا حذر قومه الدجال ، ولكن تحذير نبينا صلى الله عليه وسلم كان أشد؛ لأنه سيخرج في هذه الأمة، وخروجه أمر عظيم وجسيم، وتبلغ فتنته مبلغاً لا يعلمه إلا الله، أما ترى أننا نتعوذ من فتنته في دبر كل صلاة، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا يبقى لهم سائمة إلا هلكت، وأنه يمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر عليهم، ويأمر الأرض أن تنبت لهم، إنها والله فتنة عظيمة، لذلك حذر الأنبياء منها، وكان نبينا أشد الأنبياء تحذيراً.**عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، وكان أكثر خطبته عن الدجال والتحرز منه، وكان من قوله: يا أيها الناس! إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال ، وإن الله تعالى لم يبعث نبياً بعد نوح عليه السلام إلا حذره أمته، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة بين العراق والشام، فيعيث يميناً ويعيث شمالاً، ألا يا عباد الله فاثبتوا، فإنه يبدأ فيقول: أنا نبي، ولا نبي بعدي، ثم يثني فيقول: أنا ربكم، ولن تروا ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية، وربكم ليس بأعور، مكتوب على جبهته: كافر، يقرؤها كل مؤمن كاتب وغير كاتب)(ابن ماجة ٤٠٧٧)**.إنها فتنة عظيمة عباد الله! وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم

أنه لا يخرج حتى يذهل الناس عن ذكره، وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر، من أجل هذا اخترت الحديث عنه حتى لا تسكت المنابر عن التحذير من فتنته.فهيا معاً نطوف بين الأحاديث والآثار التي تحذر وتنذر وتخبر عن فتنته، وقد أطيل قليلاً لكني أردت أن يكون الحديث تاماً ومتصلاً من وقت خروجه إلى نهايته. أما لماذا سمي الدجال بالمسيح؟ فعلى عدة أقوال:قال ابن فارس : لأن أحد شقي وجهه ممسوح مشوه، وقيل: لأنه ممسوح العين، وهذا ما اختاره أكثر أهل العلم، وقيل: لأنه يمسح الأرض، أي: يقطعها تجولاً في أربعين يوماً، فلا تبقى بقعة في الأرض إلا يطؤها في أربعين يوماً.وقد يقول قائل: ولماذا سمي المسيح ابن مريم بذلك؟اختلف في ذلك على عدة أقوال، منها: أنه يمسح على الأعمى والأكمه والأبرص فيبرأ بإذن الله، ويمسح على الميت فيحيا بإذن الله، وقيل: لأنه أمسح الرجل، فليس لرجله أخمص، وقيل: إنه خرج من بطن أمه كأنه ممسوح بالدهن، وقيل: إن حسن الوجه يسمى مسيحاً في اللغة، فعلى هذا يكون على وجهه مسحة جمال وحسن، وقيل غير ذلك.فلدينا مسيحان: مسيح على وجهه مسحة قبح، ومسيح على وجهه مسحة حسن وجمال. ويقول البعض عن الدجال : المسيخ، بدلاً من المسيح؛ وذلك للتفريق بينهما، وهذا ليس بصحيح، وإنما يفرق بينهما فيقال: مسيح الهداية ومسيح الضلالة.فمسيح الهدى يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، ومسيح الضلالة يفتن الناس بما يعطاه من الآيات، كإنزال المطر وإحياء الأرض وغيرها من الخوارق. لماذا سمي بالدجال ؟ فيه أقوال عدة اخترت منها قول ابن دحية الحافظ: قال العلماء: الدجال في اللغة يطلق على عدة وجوه، منها: الدجال بمعنى: الكذاب، وهذا معروف وما أكثره اليوم.ومنها: الدجال مأخوذ من الدجالة وهو طلاء البعير بالقطران؛ سمي بذلك لأنه يغطي الحق ويستره بسحره وكذبه، كما يغطي الرجل جرب بعيره بالدجالة والنصب والاحتيال.ومنها أيضاً: أن الدجال هو الضارب في نواحي الأرض وقطعه لها، يقال: دجل الأرض إذا ضرب في مشارق الأرض ومغاربها.ويقال: الدجال من التغطية، أي: أن كل شيء غطيته فقد دجلته، فالدجال يغطي الحق ويظهر الباطل.وقالوا كذلك: الدجل من ماء الذهب الذي يطلى به الشيء فيحسن ظاهره وداخله خزف أو عود، فالدجال يطلي الأشياء لتصبح في ظاهرها حسنة وهي باطلة. اسمع رعاك الله وبارك الله فيك عن فتنته ودجله على الناس: جاء في رواية: (**وإن من فتنته أن معه جنة وناراً، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليستعن بالله وليقرأ فواتح سورة الكهف، فتكون عليه برداً وسلاماً كما كانت النار على إبراهيم عليه السلام**) (**ابن ماجة ٤٠٧٧**). وفي رواية أخرى: (**معه نهران يجريان، أحدهما: رأي العين ماء أبيض، والآخر: رأي العين نار تتأجج، فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه ناراً، وليغمض عينيه، ثم ليطأطئ رأسه فيشرب، فإنه ماء بارد** (**مسلم ٢٩٣٤**) فجنته نار وناره جنة، لا إله إلا الله! إنها والله لفتنة عظيمة، ولا

ينجو منها إلا من صدق مع الله عز وجل.وإليك مزيداً من الأخبار، فأعوانه وجنوده الشياطين كيف لا وهم أنصار كل باطل وأعداء كل حق؟! قاتلهم الله أنى يؤفكون! جاء في رواية: (**وإن من فتنته أن يقول لإعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وبعثت لك أمك، أتشهد أني ربك، فيقول الإعرابي: نعم، فيتمثل له شيطانان على صورة أبيه وعلى صورة أمه، فيقولان له: يا بني! اتبعه فإنه ربك**) (**ابن ماجة ٤٠٧٧**) فهل من فتنة أشد من هذا! عباد الله! ولأن خروجه أمر عظيم وأمر جسيم، فمن سنة الله أن تسبق هذا الحدث علامات تنبئ بظهوره وبخروجه، ومنها: ظهور المدعين للنبوة، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم**: (**لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كل يزعم أنه رسول**)(**مسلم ١٥٧**).ومنذ أيام مضت ادعى رجل في اليمن النبوة، وادعى قبله أقوام.ومن العلامات التي تسبق ظهوره أيضاً: فتح القسطنطينية، عن معاذ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**الملحمة العظمى، وفتح قسطنطينية، وخروج الدجال في سبعة أشهر فقط**) (**الكبير ١٧٤**).ومن العلامات ومما نلاحظ في هذه الأيام: تغير الأحوال وتبدل الأشياء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة**)(**ابن ماجة ٤٠٣٦**) صححه ابن حجر .ومن العلامات السابقة لظهوره كذلك: جوع وقحط وحاجة، جاء في حديث أبي أمامة الطويل: قال صلى الله عليه وسلم: (**وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله، فلا تنبت خضراء، فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا من شاء الله، فقال أحد الصحابة: وما يكون طعام الناس حينها؟ قال: التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد، ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام**) **رواه ابن ماجة في كتاب الفتن، وسنده حسن وله شواهد**. إن حال الناس عند خروجه في ضعف وضنك وظمأ وجوع وجهل، وهذه أسباب تساعد الدجال على نشر دعواه وسرعة انتشاره، فيخرج ومعه سبعون ألفاً من يهود أصبهان، ويتبعه من المسلمين سبعون ألفاً من الأغنياء، وأكثر أتباعه اليهود والنساء.وجاء **أنه** (**يأتيه الأعرابي وقد اشتد به الحال وعظمت عليه المصائب، فيستغل الدجال جهله فيقول له: أرأيت إن**

أحييت لك إبلك، ألست تعلم أني ربك؟ فيقول الإعرابي: بلى، فيحييها له). ويكون معه جبل من خبز ونهر من ماء، والناس جائعون ليس معهم خبز ولا ماء، فماذا يمنعهم من اتباعه؟!إنها والله فتنة عظيمة، فالغني يريد أن يزيد في غناه، والفقير يريد أن يخرج من فقره، وأهل البادية في جهل، والنساء ناقصات عقل ودين، واليهود له تبع؛ لأنه منهم.جاء في رواية: (أنه لا ينجو منه إلا سبعون ألفاً من الرجال وخمسون ألفاً من النساء، والذين يعرفون كذبه يفرون إلى الجبال).عباد الله! إن الحديث عن خروج الدجال ومكان خروجه من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله، أو بوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي أكثر من ذكر الدجال وفتنته، فمتى يخرج؟ وأين يذهب؟ وماذا يصنع؟ وكم يمكث في الأرض؟ إليك مزيداً من الأخبار: **فعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** (**إن الدجال ليخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة**) أي: وجوههم عريضة،(الترمذي ٢٢٣٧) صححه الحاكم وأقره الذهبي .وقال أبو هريرة : أحدثكم ما سمعت عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: (**إن الأعور الدجال مسيح الضلالة يخرج من قبل المشرق، في زمن اختلاف من الناس وفرقة، فيبلغ ما شاء الله أن يبلغ من الأرض في أربعين يوماً، الله أعلم ما مقدارها، الله أعلم ما مقدارها**)(**ابن حبان ٦٨١٢**). قالها مرتين.وقد اختلفت الروايات في تحديد تلك الفترة، فعن **عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:** (**يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين**) (**مسلم ٢٩٤٠**) قال الراوي: لا أدري: أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً.وفي **حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال:** (**قلنا: يا رسول الله! وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعين يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم،قلنا: يا رسول الله! فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا قدره**)، (**الترمذي ٢٢٤٠**) فانظر كم هم حريصون على صلاتهم؛ لأن الفتن يستعان عليها بالصبر والصلاة. أما سبب خروجه فلقد جاء في حديث حفصة عند مسلم قال صلى الله عليه وسلم: (**إنما يخرج الدجال من غضبة يغضبها**)، (**ابن حبان ٦٧٩٣**) وأما أول باب يطرقه بعد خروجه **فعن ابن مسعود رضي الله عنه: إني لأعلم أول أهل بيت يقرعهم الدجال ، قال: أنتم يا أهل الكوفة. رواه** (**ابن أبي شيبة٣٨٦٩٤**) **والطبراني، ورجاله ثقات**.قال أهل العلم: إنما قال ذلك لشدة حبهم للفتن والقلاقل، وليس للصحابي أن يقول ذلك اجتهاداً، إنما هو من قول النبي صلى الله عليه وسلم. من فتنته وخوارقه أيضاً أنه لا يترك بقعة في الأرض إلا وطأتها قدماه إلا مكة والمدينة، **فعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:** (**ليس من بلد إلا**

سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس نقب من نقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق) رواه (البخاري ١٧٨٢). وأما إسراعه في الأرض فقد بينه النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله الصحابة عن ذلك: (**فقالوا: يا رسول الله! وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح) رواه (مسلم ٢٩٣٧)**.ومعنى ذلك: أن سرعته كالمطر عندما ينزل فتتبعه الريح.عباد الله! وعلى الرغم من شدة البطش التي عرف بها الدجال وتلك الخوارق التي معه، إلا أنه في الشدائد يعرف الرجال بإيمانهم، ويعرفون بصدقهم، ويعرفون بثباتهم، ويعرفون بتمسكهم بالحق، فلا يخشون إلا الله، ولا يفرون من الموت، واسمع من خبرهم في مواجهة الدجال ، فهم يعرفونه لأنه مكتوب على جبينه كافر لا يقرؤها إلا المؤمن، وإن كان لا يقرأ أو يكتب.فعند (مسلم ٢٩٣٨)من حديث أبي سعيد قال: (**حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً حديثاً طويلاً، حدثنا عن الدجال فكان فيما حدثنا أنه قال: يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين، فيلقاه المسالح –قوم معهم سلاح من أعوان الدجال وحراسه– فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج، قال: فيقولون له: أوما تؤمن بربنا! فيقول: ما بربنا خفاء نعرف ربنا، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم –يعني الدجال – أن تقتلوا أحداً دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال ، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس! هذا الدجال الذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فيأمر الدجال به فيشبح –يمدد على الأرض– فيقول: خذوه وشجوه، أي: اقطعوا رأسه، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، قال: فيقول له الدجال : أوما تؤمن بي؟ قال: فيقول: أنت المسيح الدجال ، قال: فيؤمر به فينشر بالمنشار من مفرق رأسه حتى يفرق بين رجليه، قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم، فيستوي قائماً، قال ثم يقول لي: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، أنت الدجال ، قال ثم يقول المؤمن: يا أيها الناس! إنه لا يفعل هذا بعدي بأحد من الناس، قال: فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسبه الناس إنما قذفه إلى النار وإنما ألقى به في الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين)** أي: هذا الرجل أعظم شهادة عند رب العالمين.نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم. الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم! صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.أما بعد:أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله، وإن من تقواه التمسك بكتابه وهدي نبيه صلى الله عليه وسلم الذي حذرنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، فجزاه الله عنا خير ما جازى نبياً عن أمته. عباد الله! السؤال: هل الدجال موجود؟ وكيف تكون نهايته؟ فاسمع رعاك الله وبارك فيك.عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنهما قالت: (**خرجت إلى المسجد فصليت مع النبي صلى الله عليه وسلم، فكنت في صف النساء التي تلي ظهور الرجال، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: ليلزم كل إنسان مصلاه، ثم قال: أتدرون لم جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكني جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال ، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً، فلعب بهم الموج شهراً كاملاً في البحر، وأرفئوا إلى جزيرة في البحر حين مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة –إما في آخر السفينة أو في القارب الصغير الذي يكون في السفينة– فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثيرة الشعر لا يدرون ما قبله من دبره؛ من كثرة شعر هذه الدابة، فقالوا: ويلك ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة –يعني: التي تجس الأخبار للدجال – انطلقوا إلى هذا الرجل في هذا الدير؛ فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال – أي: تميم – : لما سمت لنا رجلاً فرقنا –يعني:خفنا– منها أن تكون شيطانة، قال تميم رضي الله عنه: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً، وأشده وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت؟! قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم –يعني: ثارت بهم أمواجه– فلعب بنا الموج شهراً ثم أرفأ بنا إلى جزيرتك، فقال: أخبروني عن نخل بيسان –مكان بين الأردن وفلسطين– قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم، قال: أما إنه يوشك ألا يثمر، قال: أخبروني عن بحيرة طبرية، قلنا: وماذا عن شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زغر –قرية بمشارف الشام فيها عين– ، قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل بيثرب –يعني المدينة– ،**

قال: أقاتله العرب؟ قلنا له: نعم، قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا له: نعم، قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه -قالها وهو الدجال !- قال تميم : فقال لنا: إني مخبركم عني: إني أنا المسيح ، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج، فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة؛ فهما محرمتان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده سيف صلت يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها)(مسلم ٢٩٤٢) وهذا حديث صحيح وصريح وثابت من طرق متعددة.فالدجال موجود، وينتظر فقط أن يؤذن له، والله أعلم. عباد الله**!** سيخرج الدجال كما أخبر الصادق المصدوق، فإذا عاث في الأرض فساداً جاء الأمر من الله بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام، ونزول عيسى علامة أخرى من علامة الساعة الكبرى التي أخبر الصادق المصدوق عنها، فينزل عيسى عليه السلام ليكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، ليحيا من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، لكن لماذا عيسى دون سائر الأنبياء؟ ذلك لأسباب، قال أهل العلم: **إن اليهود تدعي أنهم قتلوه وصلبوه، ونزوله إبطالاً لباطلهم: وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ [النساء:١٥٧]**، قالوا: ونزوله دليل على قول من قال: إنه لم يمت، فلدنو أجله ينزل ثم يموت، فكل نفس ذائقة الموت، وقالوا: وجد عيسى في الإنجيل فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: **ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ [الفتح:٢٩]** فدعا عيسى عليه السلام ربه أن يجعله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فاستجاب الله دعاءه.فسيعيث الدجال في الأرض فساداً، ثم ينزل عيسى عليه السلام، فماذا يحدث للدجال إذا رأى عيسى عليه السلام؟ إذا جاء الحق زهق الباطل، وإذا جاء النور تبدد الظلام، وإذا جاء العدل هرب الظلم والظلمة والطغاة، فإذا رأى مسيح الضلالة مسيح الهدى ذاب كما يذوب الملح في الماء.وهذا منظر بديع حين ينزل عيسى عليه السلام، فقد ثبت في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان مرفوعاً: **(فبينما هو كذلك -يعني الدجال - يعيث في الأرض يمنة ويسرة، إذ بعث الله المسيح عيسى ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذ طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد نفسه إلا مات حين رؤية عيسى عليه السلام، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه)**. الله أكبر إنه منظر جليل بديع يؤذن بنهاية الظلم والكفر والطغيان.قالت أم شريك في حديث آخر: **(يا رسول الله! فأين الناس حينها؟! -أي: أين الناس حين ينزل عيسى عليه السلام؟- قال: هم يومئذ قليل وجلهم**

ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح – يعني: المهدي – فيسير الدجال حتى ينزل فيها يحاصر بيت المقدس، فبينما هو يحاصرهم إذ نزل عيسى عليه السلام، فيعرفه الرجل الصالح فيرجع القهقرى في صلاة الفجر؛ ليتقدم عيسى عليه السلام، فيضع عيسى عليه السلام يده بين كتفيه فيقول له: تقدم فصل فإنها لك قد أقيمت، فيصلي عيسى وراءه، فإذا سلم ذلك الإمام قال عيسى عليه السلام: افتحوا وأقيموا الباب، فيفتح باب بيت المقدس ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وسلاح، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وانماع، ثم ولى هارباً، فيقول عيسى عليه السلام: إن لي فيك لضربة لن تسبقني بها، قال: فيدركه عيسى عليه السلام عند باب لد الشرقي فيقتله عليه السلام، ويهزم الله عز وجل يهوده ويقتلون أشد قتلة، فلا يبقى شيء مما خلق الله دابة ولا شجر ولا حجر يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود، قال صلى الله عليه وسلم: فيكون عيسى عليه السلام في أمتي حكماً عادلاً وإماماً مقسطاً، يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتملأ الأرض من السلم والعدل كما يملأ الإناء من الماء، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها..)

فلا جهاد؛ لأنه لا كفر في ذلك اليوم، ثم تتابع أشراط الساعة تلو الأخرى، ثم تعود الأرض إلى كفرها وشركها فلا يبقى على وجه الأرض مؤمن واحد، وعلى هؤلاء تقوم الساعة، ولعلنا في الجمعة القادمة نتابع الحديث إلى قيام الساعة وتتابع الأشراط.عباد الله! ما نذكر هذا إلا ليزداد المؤمن إيماناً: **فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ * فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ [محمد:١٨-١٩]**، وحتى ننجو من فتنته، فلا بد من المبادرة بالأعمال الصالحة، والاستعاذة من شره، وحفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، وفي رواية: من آخر سورة الكهف، فإنها تعصم من فتنته.أسأل الله أن يحفظني وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الموحدين.اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.اللهم اجمع كلمة المسلمين على الحق يا رب العالمين!اللهم احفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك يا رب العالمين!اللهم من أرادنا وبلادنا وبلاد المسلمين بسوء فأشغله في

نفسه، واجعل تدبيره تدميراً عليه يا رب العالمين!اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء دينك، اللهم انصر من نصرهم واخذل من خذلهم، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين! وسدد رأيهم ورميهم، وصن أعراضهم واحقن دماءهم، وفك أسرانا وأسراهم يا رب العالمين! اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا! من الراشدين.عباد الله! إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل:٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون

الملتقى الجنة

أحبتي أهلاً بكم، وأهلاً بالجميع.إن لله عباداً أسكنهم دار السلام، فأخمصوا البطون عن مطاعم الحرام، وأغمضوا الجفون عن مناظر الحرام، قيدوا الجوارح عن فضول الكلام، وطووا الفرش وقاموا في جوف الظلام، طلبوا الحور الحسان من الحي الذي لا ينام، فلم يزل في نهارهم صيام، وفي ليلهم قيام، حتى أتاهم ملك الموت عليهم السلام.فارقوا الدنيا على أن يكون ملتقاهم الجنة، سموا وسعوا إلى دار ليس فيها ما يشينها، دار لا يفني فيها ما يزينها، دار لا يزول عزها، ولا يزول تمكينها، قال الله عن تلك الدار وعن ساكنيها: **إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى [طه:١١٨-١١٩]**.فيا الله ما أتم نعيمهم! وما أعم تكريمهم! وما أفضل حريمهم! وما أكرم كريمهم! وما أظرف حديثهم! منحوا الخلود، افترقوا في الدنيا على أمل أن يكون اللقاء في الجنة.دفعني إلى الموضوع: تشويق النفوس إلى ما أعده الله لأهل الطاعات، وبيان خسارة أولئك الذين آثروا الشهوات والملذات. دفعني إلى الموضوع: حتى يزيد الصالح في صلاحه، ويثبت الثابت على استقامته وعلى مكانه.. فأي فوز أعظم من الفوز بجنات النعيم، ورؤية الرحمن الرحيم؟!قال يحيى بن معاذ : ترك الدنيا شديد، وفوات الجنة أشد، وترك الدنيا هو مهر الجنة.لي معكم في هذا اللقاء خمس وقفات وخمس تأملات:فالوقفة الأولى: آيات وتفسير.والوقفة الثانية: من أخبار المشتاقين.والوقفة الثالثة: الملتقى الجنة.والوقفة الرابعة: ما أهون ما بذلوا في عظيم ما نالوا!والوقفة الخامسة: الطريق إلى الجنة.فهيا ننطلق مع الوقفة الأولى: آيات وتفسير:جاء من ذكر الجنة في القرآن الكثير الكثير، تثبيتاً للعاملين، وتشويقاً للمشتاقين، قال سبحانه: **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً [الغاشية:٨-١١]** قال المفسرون: معنى قوله: نَاعِمَةٌ أي في نعمة وكرامة، وقوله: لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ أي أنها رضت ثواب عملها الذي كانت تعمله في الدنيا، وقوله: فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ أي عالية المنازل متفاوتات الدرجات، وقوله: لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً أي لا تسمع فيها كلام لغواً أو باطل، كما قال سبحانه: **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلامًا سَلامًا [الواقعة:٢٥-٢٦]**.ثم بين ما في تلك الجنان من نعيم فقال سبحانه: **فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ [الغاشية:١٢-١٦]**.**قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ قال: ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت، مرتفعة ما لم يجئ أهلها فإذا جاءوا وأرادوا الجلوس تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها، فإذا قاموا عادت وارتفعت إلى مكانها.وقوله: وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ وهي الأباريق التي لا عري لها موضوعة عندهم، وقوله: وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ هي**

الوسائد مصفوفة إلى جنب بعضها.وقوله: وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ هي الطنافس أي البسط والفرش كثيرة متفرقة.. هذا بعض ما فيها!أما الحق الذي نعرفه (لباب التاويل في معاني التنزيل ٧\٢٣٨)فإن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. اسمع واسمعي عن أدناهم منزلة وأعلاهم منزلة في الجنان:روى(**مسلم ١٨٩**)**في صحيحه عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال الله لموسى: هو رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب! كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا، فيقول: رضيت رب، فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة: رضيت رب! فيقول: ولك هذا وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك. فيقول: رضيت رب! فما أعلاهم منزلة؟ قال الله: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [السجدة:١٧]**).فماذا كان عملهم حتى جزاهم ونضر وجوههم وقال عنهم: **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ [القيامة:٢٢-٢٣]، وقال: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ [عبس:٣٨-٣٩]**.فاسمع رعاك الله! عن تلك الوجوه!وجوه طالما غسلتها الدموع، وجوه طالما أذلها الخشوع، وجوه ظهر عليها الاصفرار من الجوع، وجوه إذا ذكرت أذعنت وذلت، وجوه ألفت الركوع والسجود فما كلت ولا ملت، وجوه توجهت إلى ربها وما نكصت على أعقابها وما تولت، وجوه سارت في الدنيا بين الرجاء والخوف، رجاء دخول الجنان والخوف من النيران، لسان حالهم في دنياهم كما قال ربهم جلا في علاه: **إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ * قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا [الإنسان:١٠-٢٢]**.سعيكم مشكور إذ صبرتم على طاعتي سعيكم مشكور إذ صبرتم عن معصيتي سعيكم مشكور إذ صبرتم على الأذى في سبيلي

صبرت عن اللذات حتى تولت وألزمت نفسي هجرها فاستمرت
وكانت على الأيام نفسي عزيزة فلما رأت صبري على الذل ذلت
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فإن توقت تاقت وإلا تســلت

اسمعي واسمع بعض من سعيهم كما قال ربهم: **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [المؤمنون:١-١١]**.اللهم اجعلنا ممن يقال لهم يوم العرض الأكبر: **ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ [ق:٣٤]**. من أخبار المشتاقين.**روى ابن المبارك في(الزهد ١\٣٠٥) عن مولى لأبى ريحانة قال: قفل أبو ريحانة من بعث غزا فيه، فلما انصرف أتى أهله فتعشى من عشائهم ثم دعا بوضوء فتوضأ منه ثم قام إلى مسجده -يعني مصلاه في بيته- فقرأ سورة ثم أخرى، ولم يزل كذلك كلما فرغ من سورة افتتح الأخرى حتى إذا أذن المؤذن من سحر شد عليه ثيابه، فأتته امرأته فقالت: يا أبا ريحانة قد غزوت فتعبت في غزوتك ثم قدمت إلي فلم يكن لي منك حظ ولا نصيب، فقال: بلى والله ما خطرت لي على بال، ولو ذكرتك لكان لك علي حق، قالت: فما الذي شغلك عنا يا أبا ريحانة ؟ قال: لم يزل قلبي يهيم فيما وصف الله في جنته من لباسها وأزواجها ونعيمها ولذاتها حتى سمعت المؤذن.الله أكبر!.. لما سمع القوم قوله تعالى: فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ [البقرة:١٤٨]، وقوله: سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ [الحديد:٢١]**، فهموا أن المراد من ذلك أن يجتهد كل واحد منهم أن يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة. **قال الحسن : إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه أنت في الآخرة(ذم الدنيا الابن ابي الدنيا ١\١٨٤)**. وقال رحمه الله: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره. اعلم رعاك الله واعلمي بارك الله فيك! أنه:على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم قام رجل من الصالحين يصلي من الليل فمر بقوله تعالى: **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران:١٣٣]** فجعل يرددها ويبكي حتى أصبح، فلما أصبح قيل له: أبكتك آية ما مثلها يبكي، إنها جنة عريضة واسعة، فقال: يا ابن أخي! وما ينفعني عرضها إن لم يكن لي فيها موضع قدم؟فيا عجباً كيف ينام طالبها؟! وكيف لم يستخدم فيها خاطبها؟!

وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها؟! وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها؟! وكيف قر دونها أعين المشتاقين؟! وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟! وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين؟! وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين؟!

فسل المتيم أين خلف صبره في أي واد أم بأي مكان

أترى يليق بعاقل بيع الذي يبقى وهذا وصفه بالفاني

اعلم رعاك الله! واعلمي بارك الله فيك! أن من جد وجد، ومن سهر ليس كمن رقد، ومن لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة له.لسان حال المشتاقين:إذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم جعلت اشتغالي فيك يا منتهى شغلي **عن كريب أنه سمع أسامة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم**: (**ألا هل من مشمر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها، ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، في مقام أبد، في دار سلمة، وفاكهة خضراء، وحبرة ونعمة، في محلة عالية بهية، قالوا: نعم يا رسول الله! نحن المشمرون. قال: قولوا: إن شاء الله. فقال القوم: إن شاء الله**)(**ابن ماجة ٤٣٣٢**).هنيئاً لهم سمعوا الأوصاف والأخبار فشمروا، وصدقوا الأقوال بالأفعال، علموا أن السلعة غالية، فقدموا الثمن من الأنفس والأموال، لأن الله اشترى وهم باعوا والثمن الجنة، وعد صادق، وعهد سابق، **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا [النساء:١٢٢]**. خبراً من أخبارهم:قتل يوم بدر حارثة العابد الزاهد الملازم للمساجد فجاءت أمه أم حارثة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم شاكية باكية قالت: يا رسول الله! أخبرني عن حارثة أين هو؛ في النار فأبكيه أم في الجنة فأفرح لما هو فيه؟ قال: (**يا أم حارثة أمجنونة أنت؟! إنها ليست جنة ولكنها جنان، وإن حارثة أصاب الفردوس الأعلى**).قال الله جلا في علاه: **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا [الكهف:١٠٧]**، وقال جل في علاه: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [يونس:٩-١٠].

لله قوم أخلصوا في حبه فاختصهم ورضي بهم خـــدام

قوم إذا هجم الظلام عليهم قاموا فكانوا سجداً وقـــيام

ايتلذذون بذكره في ليلهم ونهارهم لا يفترون صـــيام

فسيفرحون بورد حوض محمد وسيسكنون من الجنان خيام

اوسيغنمون عراساً بعرائس ويبوءون من الجنان مكـان

وتقر أعينهم بما أخفى لهم وسيسمعون من الجليل سلام

هذا طريقهم فأين السالكون؟ وهذا وصفهم فأين المشمرون؟كان رجل من الموالي اسمه صهيب وكان يكثر قيام الليل والبكاء، فعوتب على ذلك فقال: إن صهيباً إذا ذكر الجنة طال شوقه، وإذا ذكر النار طار نومه. الملتقى الجنة.عن رافع بن عبد الله قال: قال لي هشام بن يحيى الكناني : لأحدثنك حديثاً رأيته بعيني وشهدته بنفسي، قلت: حدثني يا أبا الوليد .قال: غزونا أرض الروم سنة ثمان وثلاثين وكنا رفقة من أهل البصرة وأهل الجزيرة، وكنا نتناوب الخدمة والحراسة وإعداد الطعام وكان معنا رجل يقال له سعيد بن الحارث ذو حظ من عبادة يصوم النهار ويقوم الليل، وكنا نحرص على تخفيف النوبة عليه لطول قيامه وكثرة صيامه، فكان يأبى إلا بالقيام بكل المهمات وما رأيته في ليل ولا نهار إلا في حالة جد واجتهاد ، فأدركني وإياه النوبة ذات ليلة في الحراسة وكنا قد حاصرنا حصناً من حصون الروم فاستصعب علينا، فرأيت من سعيد في تلك الليلة من الجلد والصبر على العبادة ما جعلني أحتقر نفسي.قال: فلما أصبح الصباح لم ينم، فقلت له: خفف على نفسك فلنفسك عليك حق، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**اكلفوا من العمل ما تطيقون**)، فقال لي: يا أخي! إنما هي أنفاس تعد وعمر يفنى وأيام تنقضي، فأنا رجل ينتظر الموت في أي لحظة.فبكيت لجوابه ودعوت الله لي وله بالعون والتثبيت، ثم قلت: نم قليلاً لتستريح، فإنك لا تدري ما يحدث من أمر العدو، فنام تحت ظل خيمته وتفرق أصحابنا في أرض المعركة، وأقمت في موضعي أحرس رحالهم وأصلح طعامهم، فبينما أنا كذلك إذ سمعت كلاماً يأتي من ناحية الخيمة، فعجبت فليس هنا إلا سعيداً نائماً، ظننت أن أحداً جاءه ولم أره.فذهبت إلى جانب الخيمة فلم أر أحداً وسعيد على حاله نائماً إلا أنه كان يتكلم في نومه ويضحك، أصغيت إليه وحفظت كلامه، ثم مد يده وهو نائم كأنه يأخذ شيئاً ثم ردها بلطف وهو يضحك ثم قال: الليل إذاً! ثم وثب من نومه وهو يرتعد خائفاً، فاحتضنته إلى صدري حتى سكن وهدأ، وجعل يهلل ويكبر ويحمد الله، فقلت: ما شأنك؟ فقد رأيت منك عجباً وسمعت منك عجباً، فحدثني بما رأيت!قال: أعفني من ذلك، فذكرته حق الصحبة وقلت: لعل الله ينفعني بما تقول، فحدثني عما رأى في منامه قال: جاءني رجلان لم أر قط مثل صورتهما كمالاً وحسناً فقالا: أبشر يا سعيد فقد غفر ذنبك، وشكر سعيك، وقبل عملك، واستيجب دعاؤك، وعجلت لك البشرى في حياتك، فانطلق معنا حتى ترى ما أعد الله لك من النعيم، قال: فأتيت على حور، وقصور، وجوار، وغلمان، وأنهار، وأشجار، فأدخلوني في قصري ثم إلى دار فيه حتى انتهيت إلى سرير عليه واحدة من الحور العين كأنها اللؤلؤ المكنون، فقالت لي: قد طال انتظارنا إياك! فقلت لها: أين أنا؟ فقالت: أنت في جنة المأوى، قلت: ومن أنت؟ قالت: أنا زوجتك الخالدة، فمددت يدي إليها، فردتها بلطف وقالت: أما اليوم فلا،

إنك راجع إلى الدنيا، قلت: لا أريد الرجوع، فقالت: لا بد من ذلك وستقيم هناك - يعني في الدنيا- ثلاثا ثم تفطر عندنا إن شاء الله تعالى، فقلت: بل الليلة، قالت: إنه كان أمراً مقضياً، ثم قامت من مجلسها، فوثبت لقيامها، فإذا أنا قد استيقظت، وأنا أسألك بالله ألا تحدث بحديثي هذا واسترني ما حييت!قلت: أبشر فلقد كشف الله لك ثواب عملك، ثم قام وتطهر واغتسل ومس طيباً ثم حمل سلاحه ونزل إلى أرض القتال وهو صائم وظل يقاتل حتى الليل، فلما انصرف أصحابه وهو فيهم قالوا: يا أبا الوليد لقد رأينا من هذا الرجل عجباً، حرص على الشهادة وطرح نفسه تحت السهام والرماح، وكل ذلك يصرف عنه، قلت في نفسي: لو تعلمون خبره لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً!قال: فأفطر على قليل من الطعام وبات ليله قائماً، فلما أصبح صنع كصنيعه بالأمس، وفي آخر النهار عاد هو وأصحابه وذكروا عنه مثلما ذكروا بالأمس، حتى إذا كان اليوم الثالث انطلقت معه وقلت: لا بد أن أشهد أمره وأرى ما يكون، فلم يزل يقاتل ويكبد الأعداء الخسائر وينكل بهم ويصنع الأعاجيب وهو يبحث عن القتل والموت في مظانه، وأنا أراه وأرعاه بعيني ولا أستطيع الدنو منه، حتى إذا نزلت الشمس للغروب وهو أنشط ما كان، فإذا برجل من أعلى الحصن قد تعمده بسهم فوقع في نحره فخر صريعاً وأنا أنظر إليه، فصحت بالناس، فحملوه وبه رمق من حياة وجاءوا به، فلما رأيته قلت له: هنيئاً لك ما تفطر عليه الليلة، يا ليتني كنت معك فأفوز فوزاً عظيماً، فعض شفته السفلى وأومأ لي ببصره وهو يضحك وقال: اكتم أمري.. والملتقى الحنة، ثم قال: الحمد لله الذي صدقنا وعده (**لم اجده عندي**).! فوالله ما تكلم بشيء غيرها، ثم فاضت روحه وآيات الله تناديه: **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ [آل عمران:١٦٩-١٧١]**.

هذي الجنان تزينت فتفتحت أبوابها طرباً إلى العشاق
أينام من عشق الجنان وحورها وكرائم الجنات للسباق
بل كيف يغفل موقن بعظيم سد ربه وبذا النعيم الباقي

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً)، فذلك قول الله جلا في علاه: وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [الأعراف:٤٣].(مسلم ٢٨٣٧)

فيا بائعاً هذا ببخس معجل كأنك لا تدري بلى سوف تعـــلم

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بأسوأ ما عندنا يا أرحم الراحمين.

ما أهون ما بذلوا في عظيم ما نالوا!**قال صلى الله عليه وسلم**: (**لو أن امرأة من نساء الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها**).(**الترمذي ١٦٥١ –**) الله أكبر! إذا كان النصيف خيراً من الدنيا وما فيها، فما بالك بربة النصيف وصاحبة الخمار. عن أبي هريرة قال: (**إن في الجنة حوراء يقال لها العيناء، إذا مشت مشى حولها سبعون ألف وصيف عن يمينها، وعن يسارها كذلك، تنادي وتقول: أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟**)(**لم اجده عندي**).فأبشروا يا رجال الحسبة! وأبشر يا من تغار على هذا الدين!. وهذه همسة أهمسها في أذنيك أيتها الغالية!هل تأملت في أوصاف الحور العين وما ذكر من حسنهن وجمالهن؟! أقول: فأنت أفضل من ذلك في الجنة، فضلت على الحور العين بالصلاة والقيام فكل صفة للحوراء أنت أولى بها، فاعملي مع العاملين.**قال عطاء السلمي لمالك بن دينار : يا أبا يحيى شوِّقنا، قال يا عطاء : إن في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن الله كتب على أهل الجنة ألا يموتوا لماتوا من حسنها وجمالها، فلم يزل عطاء كمداً حزيناً من قول مالك** (صفة الجنة ابن ابي الدنيا **٢٠٧\١**).**عن يزيد الرقاشي قال: بلغني أن نوراً سطع في الجنة لم يبق موضع في الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه، فقيل: ما هذا؟ قيل: حوراء ضحكت لزوجها، قال صالح المري : فشهق رجل من ناحية المسجد فلم يزل يشهق حتى مات** (**صفة الجنة ابن ابي الدنيا ٢٣٠\١**) في مكانه. ولقد روينا أن برقاً ساطعاً يبدو فيسأل عنه من بجنان فيقال هذا ضوء ثغر ضاحك في الجنة العليا كما تريان فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت من ضحكها! وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها! وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقة المخاصرة!وحديثها السحر الحلال لو انه لم يجن قتل المؤمن المتحيز إن طال لم يملل وإن هي حدثت ود المحدث أنها لم توجز و إن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع، وإن قبلت فلا شيء أشهى من ذلك التقبيل، وإن نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل.هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة، والقمر ليلة البدر، **فذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد .فاستمع يوم ينادي المنادي: يا أهل الجنة! إن ربكم تعالى**

يستزيركم فحي على زيارته! فيقولون: سمعاً وطاعة! وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم، فيستوون على ظهورها مسرعين، حتى إذا أتوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحداً، أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك، ثم نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، وجلس أدناهم – وحاشاهم أن يكون فيهم دني – جلس أدناهم على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم، واطمأنت بهم أماكنهم، نادى المنادي: يا أهل الجنة! إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا؟! ويثقل موازيننا؟! ويدخلنا الجنة؟! ويزحزحنا عن النار؟!فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم فإذا الجبار جلا جلاله، وتقدست أسماؤه، قد أشرق عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة! سلام عليكم! فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام! فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم، ويقول: يا أهل الجنة! ويكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني؟ هذا يوم المزيد، سلوني فهذا يوم المزيد.فيجتمعون على كلمة واحدة: أن قد رضينا فارض عنا! فيقول: لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، سلوني هذا يوم المزيد!فيجتمعون على كلمة واحدة: أن ربنا أرنا وجهك ننظر إليه، فيكشف لهم الرب جلا جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لو أنه تعالى قضى ألا يحترقوا لاحترقوا، فلا يبق في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله تعالى محاضرة وناظره مناظرة،حتى أنه يقول له: يا فلان! أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ – يذكره ببعض غدراته في الدنيا – فيقول: يا رب! ألم تغفر لي؟ فيقول: لو لم أغفر لك لما بلغت منزلتك هذه.فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة، ويا لذة الأنظار بتلك المناظرة، ويا قرة عيون الأبرار في الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة(البخاري ٤٨٧٨ ومسلم ١٨٢\١٨٣ ابن ماجة ١٨٧والترمذي ٢٥٥٢)، قال سبحانه: **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ [القيامة:٢٢-٢٣].قال يزيد الرقاشي لحبيب العجمي : ما أعلم شيئاً من نعيم الجنة وسرورها ألذ عند العابدين ولا أقر لعيونهم من النظر إلى ذي الكبرياء العظيم، إذا رفعت الحجب وتجلى لهم الكريم، فصاح حبيب عند ذلك وخر مغشياً عليه(**التهجد وقيام الليل ابن ابي الدنيا **١\٣٩٧).أقول: لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ [الصافات:٦١]**. اللهم لا تحرمنا لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة.اللهم زينا بزينة الإيمان،

واجعلنا هداة مهتدين يا رب العالمين.اسمع وقل: **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ [المطففين:٢٦]**. **أخرج(مسلم ١٨٣)عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري في السماء، قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى والذي نفسي بيده رجاله آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، قال الله: لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ [الزمر:٢٠]**.. اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل. **عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: (أول ما قدم رسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة انجفل الناس إليه، فكنت فيمن جاءه، فلما تأملت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، قال: فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: يا أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام)(الترمذي ٢٤٨٥).وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قلت: (يا رسول الله! أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، فقال صلى الله عليه وسلم: لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وتحج البيت.ثم قال صلى الله عليه وسلم: ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ: تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ [السجدة:١٦].ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وسنامه؟ رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله.ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ كف عليك هذا – وأشار إلى لسانه– قال: يا نبي الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟! قال: ثكلتك أمك يا معاذ ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم)،(الترمذي ٢٦١٦) حديث صحيح**.هذا هو الطريق؛ لكن في الطريق عقبات.. نعم عقبات، فتن وشهوات لأن **(الجنة حفت بالمكاره، وحفت النار بالشهوات)،(مسلم ٢٨٢٢) قال الله: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ [آل عمران:١٤]**.هل يتجاوزونها؟نعم يتجاوزونها إذا عرفوا ثمن الثبات، قال الله: **قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ [آل عمران:١٥]**.من هم أصحاب هذه

المنازل وأصحاب هذه الدرجات؟ **الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [آل عمران:١٦]، صفاتهم: الصَّابِرِينَ [آل عمران:١٧] بقلوبهم، وَالصَّادِقِينَ [آل عمران:١٧] بأرواحهم، وَالْقَانِتِينَ [آل عمران:١٧] بنفوسهم، وَالْمُنْفِقِينَ [آل عمران:١٧] أموالهم، وَالْمُسْتَغْفِرِينَ [آل عمران:١٧] بألسنتهم. اللهم اجعلنا منهم ومعهم.اسمع الطريق: (إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً).(البخاري ٦٠٩٤)**

إليك وإلا لا تشد الركائب ومنك وإلا فالمؤمل خائب

وفيك وإلا فالغرام مضيع وعنك وإلا فالمحدث كاذب

اعلم أنه إذا عرف الثمن هانت العقبات..أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك؟ فيقول لهم: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟! فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك. قالوا: يا ربنا! فأي شيء أفضل من ذلك؟! قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً**).

هنيئا لمن أضحى وأنت حبيبه ولو أن لوعات الغرام تذيبه

أيها المشتاق للقاء في جنات النعيم، ليكن بيتك الخلوة، وطعامك الجوع، وحديثك المناجاة، فإما أن تموت بدائك، وإما أن تصل إلى دوائك.أخيراً أحبتي! ها نحن في بيت الله التقينا وأوشك اللقاء على النهاية، سنفترق في دروب الحياة وكلنا أمل ورجاء وحسن ظن بالله أن يكون الملتقى الجنة.

لئن لم نلتق في الأرض يوماً وفرق بيننا كأس المنون

فموعدنا غداً في دار خلد بها يحيا الحنون مع الحنون

يا من أحل الصادقين دار الكرامة، وأورث البطالين منازل الندامة، اجعلني ومن حضر من أفضل أوليائك زلفى، وأعظمهم منزلة وقربة، تفضلاً منك علي وعلى إخواني وأخواتي.. يوم تجزي الصادقين بصدقهم.يا أكرم من رجي، ويا أحق من دعي، ويا خير من اتقي، امنن علينا بغفرانك، وعاملنا بفضلك وإحسانك، وهب لنا نوراً من أنوارك، وذكراً من أذكارك، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اجعل لنا لسان صدق في الآخرين، واجعلنا من ورثة جنة النعيم، ونجنا من عذابك ونيرانك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين، والحاضرين منهم والغائبين.اللهم اجعل ملتقانا بعد تفرقنا في دنيانا في جناتك، اجعل خير عمرنا آخره، وخير عملنا خواتيمه، وخير أيامنا يوم نلقاك، اللهم اجمع شملنا ووحد

صفنا، وأصلح ولاة أمورنا، واغفر لنا وارحمنا، وانصرنا يا قوي يا عزيز على القوم الكافرين.أستغفر الله العظيم.وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين.سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

***

المنافقون

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**.**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.عباد الله! منذ قرون مضت هاجم الرومان إحدى بلدان المسلمين، فانتهكوا الأعراض، وسبوا الديار، ودنسوا المقدسات، لكن امرأة واحدة رأت بارقةَ أمل في أحد قادة المسلمين، فرفعت صوتها وصرخت: وامعتصماه! فصاح المعتصم لصيحتها: لبيك أختاه، لبيك أختاه!فأعدَّ العُدَّة وجهز الجيوش لنصرتها، وحين حاول المنجمون الجبناء أن يثنوه عن عزمه ضرب بكلامهم عرض الحائط، وخرج بنفسه على رأس جيوشه حتى وصل إلى عمورية، فأحرقها ولقن الرومان درساً لن ينسوه، وكسر شوكتهم، وأدب جيوشهم، فسطر التاريخ له ذلك، وتسابقت أبيات الشعر تصف ذلك الموقف العظيم.

السيف أصدق إنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
أين الرواية بل أين النجوم وما صاغوه من زخرفٍ فيها ومن كذب
وخوفوا الناس من دهياء مظلمة إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب

ثم دار الزمان دورته، وتركت الأمة أسباب عزها وقوتها، **قال صلى الله عليه وسلم**: (**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**) **صحيحه الألباني رحمه الله**(**ابي داود ٣٤٦٢**).فيا ألله ماذا أصابنا؟! وماذا جرى لأمتنا؟! هاهي أعراضنا تنتهك، ومقدساتنا تدنس باسم السلام والشرعية الدولية! والأعجب من هذا أن ترى كثيراً من أفراد هذه الأمة عاكفين على اللهو والعبث، فهذه بطولات للكرة يتابعونها، وهذه حفلات غنائية يقيمونها!يا ألله! كيف يستطيع صاحب الطعام أن يتلذذ بطعامه؟! وكيف يستطيع صاحب الصبيان أن يمازح ويدلل صبيانه؟!يا ألله! كيف يهدأ لنا بال ويقر لنا قرار، ونحن نرى الأطفال في فلسطين والعراق

والشيشان وكشمير وأفغانستان وهم يُقتَّلون في أحضان أمهاتهم؟! ما ذنبهم؟! وما هي جريمتهم؟! والعالم الحيران يرى ويسمع ولا يجيب!يا ألله! كم انتهكت من الأعراض هنا وهناك! وكم ارتفعت أصوات المسلمات: وامعتصماه وامعتصماه! ولكن لا مجيب ولا مواتي! ماذا جرى لأمتي حتى **ترضى بالهوان؟!**

أمتي هل لك بين الأمم منبر للســــيف أو للقلم
أتلقَّاك وطرفي مطرقٌ خجلاً من أمسك المنصـــرم
ويكاد الدمع يهمي عاتباً لبقـــــايا كبرياء الألم
ألإسرائيل تعلو راية في حمى المــــهد وظل الحرم
أو ما كنت إذا البغي اعتدى موجة من لهـــب أو من دم
اسمعي نوح الحزانى واطربي وانظري دمع اليتامى وابسم
يرب وامعتصماه انطلقت ملءَ أفواه الصـــبايا اليتَّم
لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتـــــصم

إن ما تعانيه أمتنا ليس بسبب قوة أعدائها، فلقد قهرت أمتنا أقوى وأعتى الأعداء وهي أقل عدة وعتاداً. عباد الله! منذ بداية ظهور قوة الإسلام وعزة أهله، بدأ الأعداء يخططون ويدبرون، وبدأت التكتلات تظهر ضد الإسلام وأهله، وأبرز هذه التكتلات وأخطرها النفاق والمنافقين. إن خطر المنافقين أشد من خطر الكفار والمشركين، ولقد حذر الله منهم فبين أنهم هم الأعداء الحقيقيون، فالعدو الذي يُظهر عداوته أهون بكثير من المنافقين الذين قال الله عنهم: **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ [المنافقون:٤]**.ولشدة خطورتهم وعدائهم كان موقعهم في أشدِّ مواقع النار عقوبة وعذاباً، قال الله: **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا [النساء:١٤٥]**، فوظيفة المنافقين الدسُّ والوقيعة بين المسلمين، وفتنة ضعفاء الإيمان، ومن أعظم وظائفهم: التعرف على مصادر قوة المسلمين لاستخدامها ضد المسلمين.ولخطورة النفاق والمنافقين فلا تكاد تخلو سورة مدنية من ذكر المنافقين تلميحاً أو تصريحاً.وقد خصهم الله بسورة تتكلم عن أخلاقهم وأكاذيبهم، ففضحت السورة دسائسهم ومناوراتهم، وأظهرت ما في قلوبهم من بغض وكيد للإسلام والمسلمين.ثم حذر الله في آخر السورة المؤمنين من الاتصاف بصفاتهم ولو من بعيد، ومن أعظمها الغفلة عن ذكر الله وعن الاشتغال بأوامره بالأموال والأولاد، فقال سبحانه: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [المنافقون:٩]**. عباد الله! إن النفاق الذي بدأ بدخول الإسلام المدينة، واستمر إلى وفاته صلى الله عليه وسلم لم ينقطع في أي وقت من الأوقات، وإن تغيرت مظاهره ووسائله من حين إلى

حين.وتأمل في إعلام النفاق الذي تسلط على الأمة اليوم، ففي حين تعبث مروحيات اليهود وطائراتهم في سماء فلسطين وتقصف الآمنين، ترى أن دور قنواتنا التي ملأت فضاءنا تخدر الأمة بالرقصات الغنائية الفاضحة، والمسابقات الفنية والكروية من آسيا إلى أوروبا إلى بطولات كأس العالم!وهاهم أبطال طاش ينتهكون حرمة المقابر، فلم يسلم من سخريتهم واستهزائهم حتى الأموات، ومهما كان هدفهم فالمقابر ليست مكاناً للتمثيل والتصوير، لكن الله المستعان!عباد الله! إن خطر المنافقين عظيم، وأي خطر أعظم من أن تظن أنه معك فإذا هو يحاربك، ويخطط ضدك بالليل والنهار! لقد شن القرآن عليهم حملة قوية لفضحهم وبيان ما يقومون به داخل الصف المسلم لتضعيفه وتشتيته، وأنا لن أتوسع في ذكر صفاتهم، لكن سأقف مع آيات في سورة النساء ذكرت صفاتاً هي من أخطر صفاتهم، فاسمع بارك الله فيك، وقس هذا على واقعنا اليوم. من أعظم صفاتهم: موالاة الكافرين، **قال الله: بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا [النساء:١٣٨]**، من هم؟ أجاب القرآن: **الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا [النساء:١٣٩]**.فالمنافقون مرضى نفوس، وقد اغتروا بقوة الكافر وسيطرته وظهوره في وقت من الأوقات، **وما علموا أن العزة لله رب العالمين، وقد فضحهم الله فقال: فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ [المائدة:٥٢]**.وقد أرعبتهم طائرات أمريكا ودباباتها، وهاهم أبطال الفلوجة يسومون أمريكا وجنودها سوء العذاب، وهاهم أبطال الحجارة يلقنون يهود الدروس يوماً بعد يوم. ومن صفاتهم: الكفر والاستهزاء بآيات الله كما قال الله: وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا [النساء:١٤٠].ومن عباراتهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء: أكبر بطوناً، وأجبن عند اللقاء، ثم يعتذرون قائلين: حديث ركب، ونقطع الطريق بالضحك والاستهزاء بالمؤمنين!قال الله: **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ [التوبة:٦٥]** فالعذر غير مقبول، لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ [التوبة:٦٦].وفي كل يوم تطالعنا الصحف والجرائد والمجلات بأصحاب تلك الأقلام التي تهزأ بالدين وأهله، فإن لم يكن فعلهم وكتاباتهم ردة عن الإسلام فماذا تكون؟ وها هو مسلسلهم طاش الذي يفسد صيام الصائمين يتعرض للمجتمع كله بالسخرية والاستهزاء.ومن العجب أن هيئة كبار العلماء أفتت بحرمة هذا المسلسل، وحرمة مشاهدته، ولا يزال يعرض علينا في كل رمضان، فالله المستعان!فالاستماع والجلوس في

مجالس السخرية والاستهزاء ضعف وهزيمة، فأين الحب لله ولآياته، وأين الدفاع عن الدين وأهل الدين؟ ومن صفاتهم: تحيُّن الفرص للشماتة بالإسلام وأهله، قال الله: **الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [النساء:١٤١]**.ولما رجعوا من أحد قال كبيرهم ابن سلول : نصحته -يعني: نصحت النبي صلى الله عليه وسلم -فلم يسمعني وسمع كلام الأطفال.واليوم يقول قائلهم: ليس للعرب ولا للمسلمين خيار إلا التوسل بأمريكا، قلت: توسَّل بها أنت ومن هم على شاكلتك، وأما أهل التوحيد فلا يدعون إلا الله، ولا يتوسلون إلا بأسمائه وصفاته، وبأعمالهم الصالحة، وبدعاء الصالحين الأحياء.فعجيب أمر المنافقين! إذا انتصر الإسلام جاءوا يقولون: **نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ [المنافقون:١]**، وإذا انتصر الباطل جاءوا إلى أهله قائلين: **إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ [البقرة:١٤-١٥]**.وقد يخرجون للقتال، ولكن الهدف من الخروج إدخال الضعف والفرقة لا النصر والتمكين، كما قال الله: **لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ [التوبة:٤٧]** والمصيبة: **وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ [التوبة:٤٧]**.لكن الله يطمئن المؤمنين بأن أولئك لن ينتصروا، وأن الغلبة للمؤمنين، قال الله تعالى: **فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا [النساء:١٤١]**. ومن صفاتهم: ظنهم أنهم سيخدعون الله، كما قال الله: **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ [النساء:١٤٢]**، إنها والله غفلة عظيمة حين يظنون أنهم سيخدعون الله، وهو يعلم السر وأخفى، والله خادعهم، أي: مستدرجهم وتاركهم في غيِّهم حتى يسقطوا دون أن يُنزل عليهم قارعة؛ استدراجاً منه تبارك وتعالى، فالقوارع والمحن رحمةٌ حين تصيب العباد فتردهم عن الخطأ، والنعمة والعافية استدراج حتى ينتهوا إلى شر مصير، قال سبحانه: **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الأنعام:٤٤-٤٥]**.**وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)(البخاري ٤٦٨٦)، قال الله: ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الحجر:٣]**. ومن صفاتهم التي ابتلينا بها اليوم: الكسل والنوم عن الطاعات، كما قال الله: **وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا [النساء:١٤٢]**، فهم لا يقومون إلى الصلاة بحرارة وشوق إلى لقاء الله، والوقوف بين يديه، والاتصال به والاستمداد منه.وتأمل في قوله صلى الله عليه وسلم: **(أرحنا بها يا بلال!)**، **وقوله: (وجعلت**

قرة عيني في الصلاة)(النسائي ٣٩٤٠)، وكان صلى الله عليه وسلم (إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة).(ابي داود ١٣١٩) **وأخبرنا بأبي هو وأمي أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله (ورجل قلبه معلق في المساجد).وقال عدي بن حاتم : ما جاء وقت صلاة إلا وأنا إليها بالأشواق، وما دخل وقت صلاة إلا وأنا لها مستعد(مصنف ابن ابي شيبة ٣٦٤٠٦)**. فهذا حال المؤمنين الصادقين.وأما حال المنافقين فلا يقومون إلى الصلاة إلا وهم كسالى، يؤذن المؤذن فلا يتحرك، ويسمع الإقامة فلا يتحرك، وفي آخر الركعات قد ينطلق مرآةً للناس وسمعة!وتراهم نشيطين في طلب دنياهم، كسالى في فعل الطاعات، وكم مرة يسمعون الصلاة: (**خير من النوم**) وهم في غيهم يعمهون، ثم إذا نادى منادي الدنيا قاموا إليها مسارعين. ومن صفاتهم: أنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً، فهم لا يذكرون الله ولكن يذكرون الناس، وهم لا يتوجهون إلى الله وإنما يتوجهون إلى الناس. ومن صفاتهم قول الله: **مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ [النساء:١٤٣]**، فشخصياتهم ضعيفة مهتزة غير ثابتة، فإن مالت الريح يميناً مالوا معها، والعكس بالعكس، وبسبب هذه المواقف المهتزة حقت عليهم كلمة الله، واستحقوا ألا يعينهم الله على الهداية، ولن يستطيع أحد أن يهديهم سبيلاً، قال سبحانه: (**وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا [النساء:٨٨]**.ثم يحذرنا الله من سلوك طريقهم والاتصاف بصفاتهم، ويحذرنا من موالاتهم ومحبتهم، ومن يفعل ذلك فقد عرَّض نفسه لعذاب الله وانتقامه، قال سبحانه: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا [النساء:١٤٤]**. بيَّن الله مآل المنافقين ومصيرهم فقال: **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا [النساء:١٤٥]** فهم في الدرك الأسفل من النار بلا أعوان ولا أنصار؛ لأنهم كانوا مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.فهذه بعض صفاتهم وأخبارهم، وفي القرآن والسنة من أخبارهم الكثير الكثير، ومن أخطرها أنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ويسعون في الأرض فساداً، ويحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، فقاتلهم الله أنى يؤفكون!اللهم طهِّر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه.اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى

آله وصحبه وإخوانه.أما بعد:عباد الله! أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله، اتقوا الله عباد الله، **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ [البقرة:٢٨١]**.عباد الله! سينتصر الحق، وسيهزم الباطل، وسيظهر المنافقون على حقيقتهم، لقد فضحهم الله سابقاً وسيفضحهم لاحقاً.**لقد جلس أحد المنافقين في مجلس يضم أشباهه من المنافقين وهو جلاس بن سويد بن حبيب ، فقال لجلسائه: لئن كان هذا الرجل صادقاً -يعني النبي صلى الله عليه وسلم- لنحن شر من الحمير -يعني الحمر الوحشية-، فسمع هذه المقولة ربيبه الغلام المؤمن الصغير عمير بن سعد فقال: والله يا جلاس إنك لأحب الناس إلي، وأحسنهم عندي يداً، وأعزهم علي أن يصيبه شيء يكرهه، ولكنك قلت مقالة لئن قلتها وأخبرت عنك فضحتك، ولئن سكتُّ ليهلكنَّ ديني، والأولى أيسر عندي، فديني أغلى من روحي، ثم مشى الغلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ما قاله جلاس ؛ إذ لابد من فضح المنافقين وبيان حقيقتهم، فحلف المنافق بالله كاذباً بأن عميراً قد كذب عليه وأنه لم يقل ما قال! فقبل منه النبي صلى الله عليه وسلم يمينه اتقاء للفتنة، فاحتار الغلام في أمره، فجاءه العون من السماء، نزل القرآن يؤيّد عميراً ويثبّته ويفضح المنافق ويكفّره، قال الله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ (معرفة الصحابة الابي نعيم ٤\٢١٠١) [التوبة:٧٣-٧٤]**. ومع عظم جرمهم وقبيح فعلهم، فقد فتح الله لهم الباب ليعودوا، فقال سبحانه: **فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ [التوبة:٧٤]**.ولقد روي أن جلاساً هذا قد تاب وحسنت توبته، حتى عرف منه الخير والإسلام، فهذه دعوة للمنافقين أن يتوبوا ويرجعوا. عباد الله! رغم الأحداث الدامية، والمآسي المبكية هنا وهناك، إلا أننا على ثقة ويقين أن العاقبة للمتقين، وأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، فمن هديه صلى الله عليه وسلم التفاؤل في أشد الأوقات وأحلك الظروف، ونحن على دربه سائرون.

متفائل واليأس بالمرصاد متفائل بالسبق دون جيـــاد
متفائل رغم القيود يذيقنا جمر السياط وزجرة الجــلاد
متفائل بالغيث يسقي روضنا وسماؤنا شمس وصحو بـاد
متفائل بالزرع يخرج شطأه رغم الجراد كمنجل الحصـاد

متفائل يا قوم رغم دموعكم إن السماء تبكي فيحيا الــوادي
والبحر يبقى خيره أتضرُّه ياقومنا سنَّارة الصيــــــاد
قسماً بمن أسرى بخير عباده وقضى بدائرة الفناء لعـــاد
لتدورُ دائرة الزمان عليهمُ ويكون حقاً ما حكاه الهـــادي
هذا يقيني وهو لي بلُّ الصدى والكأس غامرة لغلة صـاد
فاجعل يقينك بالإله حقيقةً واصنع بكفِّك صارماً لســداد
وإذا قطعت الرأس من حياتهم لا تنس أذناباً بكل بـــلاد

اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل عبادك الموحدين. اللهم انصر إخواننا في فلسطين، اللهم انصرهم في العراق والشيشان وكشمير وأفغانستان، اللهم كن لهم عوناً وظهيراً، ومؤيداً ونصيراً، وصن أعراضهم، واحقن دماءهم، وفك أسرانا وأسراهم يا رب العالمين! اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك، وانصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، وكن لهم عوناً وظهيراً، ومؤيداً ونصيراً، وسدد رأيهم ورميهم، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين!اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين!اللهم طهر بلادنا وبلاد المسلمين من الفواحش والمنكرات، اللهم ادفع عنا الغلاء والربا والزنا والفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن. اللهم وفق ولاة أمور المسلمين للعمل بكتابك وسنة نبيك يا رب العالمين! اللهم قيِّظ لأمتنا قادةً مصلحين، وعلماء ربانيين، ودعاة مخلصين يا رب العالمين!اللهم ردنا إليك رداً جميلاً يا رب العالمين!اللهم افضح المنافقين وفعلهم، اللهم اجعلهم عبرة للمعتبرين، اللهم اجعل تدبيرهم تدميراً عليهم يا عليم يا خبير!اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب اهزم أمريكا وأعوانها، اللهم اهزم أمريكا وأعوانها، اللهم اهزم أمريكا وأعوانها، اللهم اشدد وطأتك عليهم، اللهم سلِّط عليهم جندك يا رب العالمين! اللهم أخرجهم من بلاد المسلمين أذلة صاغرين.اللهم عليك باليهود ومن هاودهم، والشيوعيين ومن شايعهم.اللهم عليك بأعداء الملة والدين إنهم لا يخفون عليك ولا يعجزونك يا عليم يا خبير يا قوي يا عزيز!عباد الله! **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل:٩٠]**، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

المهدي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**.**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.عباد الله! إن عدالة السماء تقتضي أن يبعث الله تبارك وتعالى رجلاً للبشرية ليفصل في أمرها بحكمه عز وجل بعدما استشرى في الأرض الفساد والظلم، وبعد تعاسة الإنسان.يأتي هذا الرجل بعد طول انتظار حلماً من الله تبارك وتعالى على عباده عسى أن يتوبوا، وإمهالاً لهم لا إهمالاً؛ ليميز الخبيث من الطيب، وليعلم المجاهدين من القاعدين، وليحيا من حيي عن بينة، وليهلك من هلك عن بينة.هذا الرجل هو المهدي المنتظر، وسيظهر المهدي في آخر الزمان، وسيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، وهو من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، واسمه كاسمه واسم أبيه كاسم أبيه، ويؤيده الله وينصره على أعدائه أعداء الإسلام، ويعيش المسلمون في عهده في أمان وسعة من الرزق.وقد جاء ذكره في أكثر من ثمانين حديثاً تناقلها مئات الرواة وقد خرجها المهدي أبو داود والترمذي وأبو يعلى وابن ماجة والبزار والحاكم والطبراني ، وأسانيد أحاديث هؤلاء بين ضعيف وحسن وصحيح.وكما ادعى النبوة أقوام فقد ادعى المهدية أقوام، وآية كذب هؤلاء أنهم قتلوا، ولو كانوا كما يدعون لانتصروا وملئوا الأرض عدلاً. لقد جاءت الآيات تشير إلى ظهور المهدي ، وجاءت السنة تبين ذلك، فأما القرآن فقد **قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله في قوله تعالى: لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ [البقرة:١١٤]: أما خزيهم في الدنيا فإنه إذا قام المهدي وفتحت القسطنطينية؛ قتلهم وأسرهم وسباهم، فذلك الخزي(الطبري ٢ : ٥٢٥).وحكى القرطبي عن قتادة والسدي : الخزي لهم في الدنيا قيام المهدي ، وفتح عمورية ورومية والقسطنطينية وغير ذلك من مدنهم(الجامع لاحكام القران ٢\٧٩).وقال الشوكاني : أما خزيهم في الدنيا فإنه إذا قام المهدي**

وفتحت القسطنيطينية (**فتح القدير ١\٢٠٥**).وعن مقاتل بن سليمان في قوله تعالى: وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ **مُسْتَقِيمٌ [الزخرف:٦١] قال: هو المهدي في آخر الزمان، وبعد خروجه تكون أمارات الساعة وقيامها**. إن أدلة خروج المهدي من السنة كثيرة كما ذكرت، منها: **حديث علي رضي الله عنه عند** (**ابن ماجة ٤٠٨٥**)(**وأحمد ٦٤٥**)**–وهو في** (**صحيح الجامع ٦٧٣٥**)**– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** (**المهدي منا آل البيت، يصلحه الله في ليلة**).ومعنى (يصلحه الله في ليلة) أي: يتوب عليه، ويوفقه إلى طريق الرشاد والسداد، ويلهمه الصواب لمهمته العظيمة فيكون أهلاً لها. **وجاء** (**عند الحاكم ٨٦٧٣**) **في مستدركه من حديث أبي سعيد أيضاً: قال صلى الله عليه وسلم:** (**يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، قال رجل: وما صحاحاً يا رسول الله؟ قال: أن يعطيه بين الناس بالسوية، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، ويعيش سبعاً أو ثمانياً**)**. عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** (**لن تهلك أمة أنا في أولها، وعيسى بن مريم في آخرها، والمهدي في وسطها**(**كنز الافعال في السنن والاقوال ٣٨٦٧١–**)**. وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت:** (**سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: المهدي من عترتي من ولد فاطمة**)(**رواه أبو داود ٤٢٨٦ –**) **وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:** (**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني أو من أهلي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي**) **رواه** (**أبو داود ٤٢٨٦**)**و**(**الترمذي٢٢٣١ –**) **وقال: هذا حديث حسن صحيح.وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال:** (**خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الدجال فقال: فتنفي المدينة الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص، قالت أم شريك : فأين العرب يا رسول الله يومئذ؟ قال صلى الله عليه وسلم: هم يومئذ قليل، وجلهم ببيت المقدس، وإمامهم المهدي –رجل صالح–، فبينما إمامهم المهدي تقدم ليصلي بهم الصبح إذ نزل عيسى بن مريم وقت الصبح، فيرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقري ليتقدم عيسى، فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له: تقدم فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم**) **يعني: المهدي . رواه الحاكم وابن ماجة**(**٤٠٧٧**) **وابن خزيمة وأبو نعيم واللفظ له**.وهذا شرف عظيم لهذه الأمة أن يصلي عيسى نبي الله خلف رجل منها.**وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** (**ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: ذو القرنين وسليمان عليه السلام، والكافران:**

النمرود وبختنصر ، وسيملكها خامس من أهل بيتي) (**شاهد الحاكم ٨٤١٤٣**) أخرجه ابن الجوزي في تاريخه. عباد الله**!** أما أقوال العلماء في أن المهدي حق، **فلقد قال شيخ الإسلام في منهاج السنة النبوية: الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة(منهاح السنة ٨\١٨٣**).وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب : وقد ورد ما يدل على أن المهدي من ذرية الحسن رضي الله عنه، كما رواه أبو داود وغيره.وقال الحافظ ابن كثير في نهاية البداية والنهاية: فصل في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان، قال: وهو أحد الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وليس بالمنتظر الذي تزعم الروافض، وترتجي ظهوره من سرداب سامراء، فإن ذلك ما لا حقيقة له ولا عين ولا أثر.**وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان**(**اغاثة اللهفان ٢\٣٣٨**)**: والمسلمون ينتظرون نزول عيسى عليه السلام من السماء لكسر الصليب، وقتل الخنزير، وقتل أعدائه من اليهود وعباده من النصارى ، وينتظرون خروج المهدي من أهل بيت النبوة يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً**. لقد جاء ذكر المهدي في كتب اليهود والنصارى!قال كعب الأحبار رضي الله عنه: إني لأجد المهدي مكتوباً في أسفار الأنبياء ليس في حكمه ظلم ولا عنت.وجاء في سفر التثنية الإصحاح الرابع، والخطاب لليهود: إذا كثرت ذريتكم، وعمرتم الأرض، وعلوتم العلو الأخير، وتعاظمت خطاياكم، وحاولتم إغاظة الرب؛ فإني أشهد عليكم هذه السماء، وأشهد عليكم هذه الأرض التي تعبرون إليها إلى نهر الأردن لعلكم تملكونها، إنكم لن تعيشوا طويلاً، بل سوف تهلكون، وبيد الفتى المنتظر. سبحان الله! وبنفس النعت (الفتى المنتظر)، ثم تأمل في قوله: وعلوتم العلو الأخير. قال سبحانه: **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا [الإسراء:٤-٧]**. عباد الله! لماذا سمي المهدي بهذا الاسم؟هناك أقوال عدة منها:عن كعب الأحبار رضي الله عنه قال: إنما سمي المهدي لأنه يهدى إلى أمر خفي، ويستخرج التوراة والإنجيل من بلد يقال لها: أنطاكية.وقال ابن الأثير : المهدي الذي قد هداه الله إلى الحق. وذكر السيوطي إنما سمي بالمهدي لأنه يهدى إلى جبل من جبال الشام يستخرج منه أسفار التوراة يحاجج بها اليهود، فيسلم على يديه جماعة منهم.إذاً: فالمهدي اسم على مسمى، فهو رجل هداه الله للهدى، وثبته عليه، وأيده بجند من عنده، وسيهدي الأمة لطريق العزة والرشاد والتمكين، فأسأل الله أن يعجل بظهوره.

مر بنا قوله صلى الله عليه وسلم **من حديث ابن مسعود** : (**المهدي فتى أجلى الجبهة –أي واسع الجبهة–، أقنى الأنف –أي: طويل الأنف مع دقة أرنبته–، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يملك سبع سنين**). وعن أبي جعفر بن علي الباقر رضي الله عنهما قال: **سئل الإمام علي رضي الله عنه عن صفة المهدي فقال: هو شاب مربوع حسن الوجه، يسيل شعره على منكبيه، يعلو نور وجهه سواد شعره ولحيته ورأسه.وجاء في كتاب المسيح الدجال وأسرار الساعة للسفاريني** : بأنه آدم –أي: أسمر– ضرب من الرجال –أي: نحيف ممشوط لا طويل ولا قصير– أجلى الجبهة، أقنى الأنف، أزج –أي: حاجبه فيه تقويس مع طول طرفه–، أكحل العينين، واسع العينين، براق الثنايا أفرقها، منفرج الفخذين، وفي لسانه ثقل، وإذا أبطئ عليه ضرب فخذه الأيسر بيده اليمنى، وفي رواية: (**ما بين ثلاثين وأربعين، خاشع لله خشوع النسر بجناحيه**).وأما من يوطئ له ملكه فلقد جاء عند (ابن ماجة ٤٠٨٤) عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع رايات سود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم، قال: ثم نسيت ما قال، ثم قال: فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج، فإنه المهدي**).**قال ابن كثير : المراد بالكنز المذكور كنز الكعبة،** فيُقتل عنده، يأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء، حتى يكون آخر الزمان، فيخرج المهدي، ويكون ظهوره من بلاد المشرق لا من سرداب سامراء كما يدعي ويزعم بعض الجهلة.قال ابن كثير : ويؤَيد بناسٍ من أهل المشرق ينصرونه، ويقيمون سلطانه، ويسترون أركانه، وتكون راياتهم سود، وهو زي الوقار؛ لأن راية النبي صلى الله عليه وسلم كانت سوداء يقال لها: العقاب.عباد الله! إن خروج المهدي حدث عظيم، وعلامة من علامات الساعة الكبرى، وقبل حدوث مثل هذه الأحداث العظام تسبقها أمارات وعلامات تبين قرب وقوعها، وسأذكر بعضاً منها في الخطبة الثانية.نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وكثير نعمه، وعفوه وإحسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وخيرته من خلقه أجمعين، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من استن بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين، واجعلنا معهم بمنك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين!أما بعد: عباد الله! فأوصي نفسي وإياكم بتقوى الله، ومن تقواه الاستعداد للقائه بالإيمان بآياته، واتباع كتابه، وطاعة رسوله

صلى الله عليه وسلم الذي أخبرنا عن الساعة، وعن علاماتها وأماراتها وأشراطها، ومنها خروج المهدي ، وخروجه تسبقه أشراط وعلامات تبين قرب ظهوره.ولقد وردت آثار وتواردت أخبار عن علامات تسبق ظهور المهدي منها حرب وهرب وإدبار وفتن شداد، وكرب وبوار، وظلم وجور واعتداءات، فيظهر إذا امتلأت الأرض ظلماً وجوراً، وقد أوشكت.**فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:** (**ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلاً من عترتي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكنو السماء وساكنو الأرض، لا تدع الأرض من قطرها شيئاً إلا صبته مدراراً، ولا تدع الأرض من نباتها شيئاً إلا أخرجته، حتى يتمنى الأحياء الأموات لما يرون من الأمن والسعادة والبركة وعز الإسلام، يعيش في ذلك سبع سنين أو ثمان**).(**مصنف عبد الرزاق ٢٠٧٧٠**) وهو يظهر -بارك الله فيك- عند تجبر الملوك والطغاة.وعن حذيفة **قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:** (**ويح هذه الأمة من ملوك الجبابرة! كيف يقتلون ويخيفون المطيعين إلا من أظهر طاعتهم؟!**) فالمؤمن التقي يصانعهم بلسانه، ويفر منهم بدينه، فإذا أراد الله أن يعيد الإسلام عزيزاً قصم كل جبار عنيد، وهو القاهر على أن يصلح أمة بعد فسادها. ثم قال صلى الله عليه وسلم: (يا حذيفة ! لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي) تجري الملاحم على يديه، ويظهر الإسلام، ولا يخلف الله وعده، والله سريع الحساب.ومن العلامات التي تسبق ظهور المهدي :استحلال البيت، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:** (**يبايع لرجل بين الركن والمقام، ولن يستحل البيت إلا أهله**).(**مصنف بن ابي شيبة ٣٨٣٩٨**) ومن العلامات أيضاً: أن يكون المسجد النبوي كالقصر الأبيض، قال صلى الله عليه وسلم: (يوم الخلاص وما يوم الخلاص، قالوا: يا رسول الله! وما يوم الخلاص؟ قال: يجيء الدجال فيصعد على أحد فيطلع إلى المدينة ويقول لأصحابه: أترون هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد). فما رأيكم! كيف هو المسجد النبوي اليوم؟ سأترك الجواب لكم.ويسبق ظهوره أيضاً: انتشار الربا حتى يصبح أمراً معتاداً، فقد روى أبو داود وابن ماجة والحاكم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا، فمن لم يأكله أصابه غباره**).(**بن ماجة ٢٢٧٨**)عباد الله! إن انتشار الربا في العالم اليوم لأمر جلي لا يخفى على أحد، ولا ينكره إلا غبي، فأعمال البنوك والمصارف كلها تقوم على النظام الربوي اليهودي، وحتى الذين ينكرونها ويستنكرونها يضطرون للتعامل معها ولو بمس الغبار كما أخبر الصادق

المصدوق، ومع أن الله يلعن ويحارب المرابي إلا أن العالم يغرق في الربا ويعلن الحرب على الله دون حياء؛ ولهذا فالعالم يئن من الشقاء والحروب والويلات والتعاسة، وصدق الله: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩]**.وقال صلى الله عليه وسلم: (**الربا سبعون باباً أدناها كوقع الرجل على أمه**)(**شعب الايمان ٥١٣٢**)، **وفي رواية**: (**كالذي ينكح أمه**) (**شعب الايمان٥١٣٤**)، ومع هذا الوعيد فلا زالت الأمة تغرق في الربا بلا حياء!ومن علامات ظهوره أيضاً: ضياع الأمانة، عن أبي هريرة رضي الله عنه: (**أن أعرابياً سأل النبي صلى الله عليه وسلم: متى الساعة؟ فقال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: يا رسول الله! وكيف إضاعتها؟ قال صلى الله عليه وسلم: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**).فهذه أشراط الساعة وعلاماتها قد ظهرت فينا والله المستعان!قال الله: **فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ * فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ [محمد:١٨-١٩]**.عباد الله! إن المهدي سيخرج ولكن متى؟ الله أعلم، وليس المطلوب من الأمة أن تركن وتقعد عن العمل، وتتكاسل أملاً في ظهوره يوم كذا من شهر كذا من عام كذا، ولكن عليها أن تعمل وأن توطئ الأمر لظهوره وخروجه، ونعد لذلك أنفسنا، ونعد له رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهؤلاء هم الغرباء الذين إذا حضروا لم يعرفوا، وإذا غابوا لم يفتقدوا، ووالله! إن العالم اليوم ليئن ويشتكي من الظلم والجور، ونداءات المظلومين تنادي:

يا أيها الإنسان هل تبكي لما أبكـــان

أرأيت ماذا قد حصل في العالم الحيران

اليأس يعصف بالأمل ويهز كل كيــان

ألا فليستيقن المستضعفون بأن الله سينصر دينه برجل من هذه الأمة، وليستبشروا فإن الفرج قريب، قال الله: **وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ [القمر:٥٠]**.ألا فليعلم أعداء الله أن الله سيتم نوره ولو كره المشركون، قال سبحانه: **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ [الأنبياء:١٨] ويقول: وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ [يوسف:٢١]**.اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الموحدين، اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل عبادك الموحدين.اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا.اللهم اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين!اللهم ادفع عنا الغلاء والوباء والربا والزنا والفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلدنا هذا خاصة وعن سائر بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين!اللهم اجمع كلمة المسلمين على الحق

يا ذا الجلال والإكرام، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك، اللهم انصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، وصن أعراضهم، واحقن دماءهم، وفك أسرانا وأسراهم يا رب العالمين! اللهم من أرادنا وبلادنا بسوء وبلاد المسلمين فأشغله في نفسه، واجعل تدبيره تدميراً عليه يا رب العالمين! اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا! من الراشدين. اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، اللهم اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، واحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن. عباد الله! صلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة عليه فقال جل من قائل: إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [الأحزاب:٥٦] اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم ارض عن صحابته أجمعين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، واجعلنا معهم بمنك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين! اللهم لا تؤاخذنا بالتقصير، واعف عنا الكثير، وتقبل منا اليسير، إنك يا مولانا! نعم المولى ونعم النصير. عباد الله! **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل:٩٠]** فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ [العنكبوت:٤٥]**.

***

امتحان في القبر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**. **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.معاشر المسلمين! غداً يدخل البنون والبنات قاعات الامتحانات، وإننا لنرى من الاستعدادات في البيوت الشيء الكثير، فقد تغيرت مواعيد الطعام والشراب، وتغيرت مواعيد الاستيقاظ ومواعيد المنام، والآباء في قلق والأمهات على حذر، والبنون والبنات أعصابهم متوترة، والبنون يكثرون من المكوث في المساجد والدعاء بعد الصلوات، وطلب الدعاء من فلان ومن فلان، لماذا؟ غداً الامتحانات.. غداً الامتحانات.. غداً الامتحانات.أقول: أربعوا على أنفسكم، فما من امتحان إلا وهناك امتحان أصعب وأشد منه، وهذه القضية هينة، فمن استعد منذ بداية العام فلن يحمل هماً؛ لأنه على مدى العام على أتم الاستعداد، وعلى ثقة برب العالمين أنه سيكون معه وسيثبته ويؤيده، فهو متثبت من نفسه، وأما من فرط وسوّف وأخر حتى قبيل الامتحانات بأيام فهذا حاله لا يعلم به إلا الله، ومن جدَّ وجد ليس كمن نام ورقد، ومن طلب العلا سهر الليالي، وقضية الاستعداد للامتحان لا تأتي قبل الامتحان بيوم أو بيومين، فالقضية فضية استعداد منذ بداية العام.فأقول: أربعوا على أنفسكم، فمن وفق فبتوفيق من الله تبارك وتعالى، ومن لم يوفق فليرض بقضاء الله وقدره، وإمكانية التعويض موجودة، فهناك دور أول ودور ثان، وإن لم يوفق في الدور الثاني فهناك فرصة أن يعيد العام مرة ثانية.وماذا سيتقرر على النجاح في هذه الامتحانات؟ انتقال من مرحلة إلى مرحلة، ثم ماذا؟ إن أنهى السنوات الدراسية سيتقدم إلى الوظيفة التي سوف تدر عليه في كل شهر آلاف معدودة من الريالات، ثم على فرض أنه وفق ونال الشهادة ونال الوظيفة ماذا بعد هذا كله؟غداً سيدخل البنون والبنات قاعات امتحانات مجهزة ومكيفة، فالإضاءة فيها على أكملها وأوجها، وتقرأ عليهم الأسئلة، ويهون عليهم من أمرها، ويمر عليهم من يخدمهم ويسقيهم

الماء البارد، ويذكرونهم أن الوقت كذا وكذا، فالأمر هيّن، لكن كيف بي وبك وقد انتقلنا إلى لجنة اختبارات أخرى، وإلى قاعة امتحانات أخرى، وإلى لجان غير اللجان التي نعرفها، إنه مكان امتحان سيدخله القاصي والداني، ولا فرق هناك بين غني وفقير، ولا ذكر وأنثى، ولا عزيز وذليل.فاللجنة هناك تختلف تمام الاختلاف، ومكان الاختبار أيضاً يختلف تمام الاختلاف.كيف بك إذا عالجت سكرات الموت وبدأت ساعات الامتحان الرهيبة؟ ساعات لا بد أن تنزل بكل واحد منا، فأنت الآن تفعل كل شيء باختيارك، فتغدو إلى السوق باختيارك، وتذهب إلى الوظيفة باختيارك، بل وتأتي إلى المسجد باختيارك، لكنك لن تموت باختيارك، ولن تدخل القبر باختيارك، بل ستموت رغماً عنك، وستدخل القبر بغير رضاك، فهذا هو الامتحان الذي لا بد أن نستعد له في كل لحظة، فإن كانوا قد حددوا لامتحان الدنيا موعداً فامتحان القبر ليس له موعدٌ معين، بل يأتيكم بغتة وأنتم لا تشعرون، فاللجنة هناك تختلف تمام الاختلاف، والمكان أيضاً يختلف تمام الاختلاف.فمكان الاختبار: (القبر) طوله أذرع قليلة، وعرضه أذرع قليلة، ولا تستطيع الحركة فيه كما تشاء، وهذا الامتحان أنت لا تدري كيف ستكون النتيجة فيه، لكنك على مدى عمر كامل وأنت تستعد لذلك الامتحان.وأسئلة الامتحان معروفة أعطيتها وتعطاها في كل يوم، وهي أسئلة ثلاثة ستقدم لك في ذلك المكان، والنور والإضاءة غير موجودة، وليس هناك خدمة ولا مكيفات، بل سينقطع عنك الهواء وينقطع كل شيء، وستنقطع عن العالم تماماً، فأنت الآن في عالم آخر وهو عالم القبور، وأنت في عالم الظلمة والتراب الذي يحيط بك من كل الجهات، وأنت لا تدري ماذا سيحدث لك في تلك اللحظات، لكنك أعطيت أسئلة ثلاثة حتى تستعد للإجابة عليها في ذلك الوقت، فمن أفلح في الإجابة عنها فقد فاز، ويرى مقعده من الجنة، ومن لم يفلح وتردد وتلعثم في الإجابة أري مقعده من النار.وهناك لا مجال للتعويض، فلا يوجد هناك دور ثانٍ تعطاه، فقد أعطيت الفرصة عمراً كامل قدر الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين أو الستين سنة؛ حتى تستعد للإجابة.واللجنة هناك ليست كلجان القاعات فيها بشر أمثالنا نتكلم معهم ويتكلمون معنا، ويهونون علينا الأمر، بل هناك ستوسد التراب، وسيحيط بك الظلام من كل ناحية، وسيذهب عنك الأهل والأحباب يا مسكين! وستسمع قرع نعالهم وسينادى عليك:

ذهبوا وتركوك، وفي التراب وضـــعوك،
وللسؤال عرضوك، ولو بقوا معك ما نفعوك

، ولن ينفعك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت، **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ [ق:١٩]**، فالحق أنك ستموت، والحق أن الملائكة ستأتيك: إما ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، والحق أنك ستعرض للسؤال،

والحق أنك سترى جنة أو ناراً، فكيف سيكون الحال؟! وكيف سيكون السؤال؟! بل ليت شعري كيف سيكون الجواب؟! وأين سيكون المصير؟! وهل سترى مقعدك من الجنة أم سترى مقعدك من النار؟!إن ساكن الدنيا لا بد أن يعلم أنه سينتقل من هذه الدار إلى دار أخرى، يا ساكن الدنيا! إن مثواك القبر غداً، فماذا أعددت للقبر؟إن القبر كل يوم يناديك: يا ابن آدم! تمشي في جماعة على الأرض وسوف تقع وحيداً في بطني، وتسرح وتمرح وتضحك على الأرض وسوف تبكي وحيداً في بطني.يا ابن آدم! تأكل الحرام، وتأكل أموال اليتامى، وتأكل أموال الربا وسوف يأكلك الدود وحيداً في بطني.يا ابن آدم! تنظر إلى الحرام، وتسمع إلى الحرام وسوف ترى الأهوال في بطني.و

القبر فاذكره وما وراءه فما لأحد عنه بـــراءة

وإنه للفيصل الذي به يعرف ما للعبد عند ربــه

والقبر روضة من الجنان أو حفرة من حفر النيران

فالأسئلة معروفة يعرفها الصغير والكبير: من ربك؟ وما دينك؟ ومن هو ذلك الرجل الذي بعث فيكم؟إنه اختبار للتوحيد، واختبار للصدق، واختبار لصدق الاتباع، إنها رحلة سيمر بها كل إنسان منا شاء أم أبى، رحلة تبدأ منذ الاحتضار، بل منذ أن تخرج من هذه الحياة، فقد خرجت من بطن أمك وأنت تبكي على فراق بطن أمك، فلما رأيت النور فرحت أنك قد خرجت من بطن أمك، ثم بعد سنوات وسنوات تأتيك ساعات الاحتضار فتنقل من تلك الدار إلى دار أخرى، فإن كنت قد أعددت لها فستفرح أنك فارقت الحياة، **وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [الشورى:٣٦]** ثم ستنتقل أيضاً من تلك الدار إلى الدار الأبدية: إما جنة وإما نار، فهذه مراحل وأطوار يمر بها كل إنسان منا.

أنت الذي ولدتك أمك باكياً والناس حولك يضحكون ســرور

أفاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (**بينما كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار ولما يلحد بعد، جلسنا عند شفير القبر، وكان بيده صلى الله عليه وسلم عصا نكت فيها على التراب ثلاثاً، ثم قال: استعيذوا بالله من عذاب القبر، استعيذوا بالله من عذاب القبر، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في إدبار من الدنيا وإقبال على الآخرة، -يعني في ساعات الاحتضار- جاءته ملائكة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، وجلسوا منه مد البصر، ثم جاء ملك الموت فيجلس عند رأسه، فيقول: يا أيتها النفس الطيبة! اخرجي إلى رب راض عنك غير غضبان، أيتها النفس الطيبة! أبشري بروح وريحان، ورب**

راض غير غضبان، فتسل روحه كما يسل القطر من السقاء، حتى إذا قبضها ملك الموت لم تدعها الملائكة في يده طرفة عين حتى يلبسوه الكفن الذي من الجنة، ويحنطوه بالحنوط الذي من الجنة، فتخرج منه رائحة كأطيب رائحة مسك وجدت على وجه الأرض، فما يمر على ملأ من الملائكة إلا قالوا: من صاحب هذه الروح الطيبة؟! فيقال: هذا فلان بن فلان، ينادى عليه بأحب أسمائه التي كان ينادى بها في الدنيا، ثم يعرج به إلى السماء، حتى إذا جاءوا إلى السماء الأولى واستفتحوا له فتح له، وشيعه مقربو تلك السماء إلى السماء التي تليها، حتى إذا بلغوا السماء السابعة نادى منادي الله: أن اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأرجعوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتعاد روحه في قبره، فيأتيه ملكان)(ابي داود ٤٧٥٣) وهنا يبدأ الامتحان يأتيه ملكان أصواتهما كالرعد القاصف، وأنفاسهما كاللهب، وأبصارهما كالبرق الخاطف، فمن منا يستطيع أن يجيب وهذا هو منظر الملكين؟! قال الله تعالى: **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ [إبراهيم:٢٧] (فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن هو ذلك الرجل الذي بعث فيكم؟ فأما العبد المؤمن -العبد الصادق المحافظ على الصلوات التارك للفواحش والمنكرات- فيقول: ربي الله حقاً، ونبيي محمد صدقاً، وديني الإسلام، فينادي منادي الله: أن صدق عبدي، -تظهر النتيجة- فافرشوا له فراشاً من الجنة، وألبسوه لباساً من الجنة، وحنطوه بحنوط من الجنة، ويوسع له في قبره مد البصر، فيأتيه رجل أبيض الوجه طيب الشمائل فيقول: من أنت؟! فوجهك -والله- الذي لا يأتي إلا بالخير، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، أنا عملك الصالح، فتفتح له نافذة من الجنة، فيأتيه من روحها وريحانها، ويرى مقعده من الجنة، فيقول: رب! أقم الساعة، رب! أقم الساعة، رب! أقم الساعة؛ حتى أرجع إلى أهلي ومالي، فيقال: نم كما تنام العروس)** فهذا حال الذي صلى الفجر في جماعة، وهذا حال الذي طهر السمع والبصر فليس عنده أغانٍ ولا شاشات ولا قنوات.إنه اختبار للتوحيد: من ربك؟ فلن يستطيع أن يقول: ربي الله إلا من أطاع الله، وتعرّف على الله، ولم يخش إلا الله، ولم يستعن إلا بالله، ولم يعط إلا لله، ولم يمنع إلا لله، ولم يغضب إلا من أجل الله، حياته كلها لله؛ فيثبته الله، فهو لم يشرك بالله، ولم يذهب إلى سحرة ولا مشعوذين، ولا كهنة ولا عرافين، ولم يقسم إلا بالله، وما قدم النذور إلا لله، وما ذبح إلا لله، ولم يستغث إلا بالله، فسينجح من كان هذا حاله في اختبار التوحيد والصدق. **(وما دينك؟ قال: ديني الإسلام)** أي: الإسلام المبني على خمسة أركان: على شهادة

التوحيد، على إقامة الصلوات، فأين المصلون؟ فصلاة الفجر تئن وتشتكي، وباقي الصلوات تئن وتبكي، والمسلمون يمرون على المساجد كأن الأمر لا يعنيهم، ستسأل يا مسكين! فإذا وسد العبد في قبره جاءته الأعمال الصالحة، وجاءته صلاته، وجاءه قرآنه، وجاءه ذكره وتسبيحه وتهليله يدرءون عنه العذاب، فيرسل الله عليه طائفة من العذاب تأتي من رأسه فيردها القرآن، فيقول: والله! إنه كان في الليل والنهار يقرأ القرآن، والله! إنه أتعب ليله ونهاره وهو يقرأ القرآن، فلا مدخل لك عليه، فيأتيه العذاب من بين يديه فترده الصدقات والصلوات وتقول: عنك والله! ما ارتاح إلا الآن في قبره، حتى وضوءه يدافع عنه في قبره، فماذا أعددنا للامتحان؟! وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان.يا

عجباً للناس لو فكروا أو حاسبوا أنفسهم أبصر

وعبروا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم معبرُ

لا فخر إلا فخر أهل التقى غداً إذا ضمهم المحشر

ليعلمن الناس أن التقى والبر كانا خير ما يدخر

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ [فاطر:١] لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.عباد الله! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، ومن تقوى الله الاستعداد للامتحان، قال جل في علاه: **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ [المؤمنون:١١٥-١١٦]**، فخسارة الآخرة ليست كالخسارة في الدنيا، ولكن الخسارة أن تنادي بأعلى الصوت: رباه! ارجعون، فلا يستجاب لك، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ [سبأ:٥٤]. وأما العبد الكافر فقال صلى الله عليه وسلم فيه: (**أما العبد الكافر إذا كان في إدبار من الدنيا وإقبال على الآخرة جاءته ملائكة سود الوجوه، معهم كفن من أكفان النار، وحنوط من حنوط النار، وجلسوا منه مد البصر، فيأتيه ملك الموت فيقول: يا أيتها الروح الخبيثة! اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتسل روحه كما ينزع السفود من القطن، فإذا قبضها ملك الموت لم تدعها الملائكة في يده طرفة عين حتى يلبسوه الكفن الذي من النار، ويحنطوه بالحنوط الذي من النار، فتخرج منه رائحة كأنتن رائحة وجدت على وجه الأرض، ثم يعرج به إلى السماء، فما يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: من صاحب هذه الروح الخبيثة؟! فيقال: هذا فلان بن فلان، ينادى بأقبح أسمائه التي كان ينادى بها**

في الدنيا، حتى إذا وصلوا إلى أبواب السماء واستفتحوا له لم يفتح له، ثم قرأ صلى الله عليه وسلم: **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ [الأعراف:٤٠]** إنها رحلة سأمر بها أنا وأنت شئت أم أبيت، (**فيستفتحون له فلا يفتح له، ثم ينادي منادي الله: أن اكتبوا كتابه في سجين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتعاد روحه في قبره، فيأتيه الملكان فيقعدانه فيقولان: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري**) ما صلى الفجر في جماعة، ولا حفظ الجوارح والأركان، وما قدر الله حق قدره، (**فيقولان: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيضربانه بمطرقة على رأسه فيخر في الأرض سبعين خريفاً، حتى إذا أفاق قالا له: وما دينك؟ قال: هاه هاه لا أدري، فيضربانه حتى يخر في الأرض سبعين خريفاً، فإذا أفاق أقعداه وسألاه: ومن هو ذلك الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: سمعت الناس يقولون كذا وكذا -فتظهر النتيجة- ويقال له: لا دريت ولا تليت، وينادي منادي الله: أن كذب عبدي، فافرشوا له فراشاً من النار، وألبسوه لباساً من النار، وحنطوه بحنوط من النار، ويضيق عليه في قبره حتى تختلف أعضاؤه، فيأتيه رجل قبيح المنظر نتن الرائحة فيقول: من أنت فوجهك -والله!- الذي لا يأتي إلا بالشر؟ فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، أنا عملك السيئ**) أنا تركك للصلوات، أنا نومك عن الفجر والعصر، وأنا الأغاني، وأنا الربا، وأنا الغيبة والنميمة، وأنا السب واللعان، وأنا الشاشات والقنوات، فيقول: (**من أنت؟ فوجهك -والله- الذي لا يأتي إلا بالشر**) وَقَالَ **الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [الشورى:٤٥]** فكيف سيكون الحال إذا سئلت وتلعثمت؟ فتطلب الرجوع إلى الله فلا يستجاب لك، أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ [فاطر:٣٧]، فينادون بأعلى الصوت: رباه! ارجعون، فلا يستجاب لهم، (فيفتح له نافذة من النار، فيأتيه من حرها وسمومها، فيقال له: هذا مقعدك من النار، فيصيح بأعلى الصوت: رب! لا تقم الساعة، رب! لا تقم الساعة، رب! لا تقم الساعة). أنت الآن في فترة الإعداد للاختبار والامتحان، فأسألك بالله العظيم لو جاءك ملك الموت اليوم من الذي يحول بينك وبينه؟ فهل أنت على أتم الاستعداد؟ وهل أعددت للسؤال جواباً وللجواب صواباً؟هذه أسئلة ثلاثة سأقرؤها عليك، فاكتبها عندك، واستعن بمن تشاء حتى تحل هذه الأسئلة: من ربك؟ وما دينك؟ ومن هو ذلك الرجل الذي بعث فيكم؟فهذه هي الأسئلة، وهذا هو الامتحان.فوصيتي لك هي وصية جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم: (**أتاني جبريل فقال: يا محمد! عش ما شئت فإنك**

ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وإن عزه استغناؤه عن الناس)(الحاكم ٧٩٢١)، فالعز ليس في الشاشات ولا في القنوات، ولكنه في الدعاء والتضرع في الظُلَم.فكم طلبنا الدشوش -الأطباق- من المصلين مرات ومرات استعداداً للاختبار؟! فما الذي ألهى الناس عن الاستعداد للاختبار؟ أليست هي الشاشات والقنوات التي دمرت أخلاق البنين والبنات!! حتى أصبحت الأعراض والمحارم تنتهك في البيوت، فمن وجد خيراً في قبره فليحمد الله، ومن وجد دون ذلك فلا يلومن إلا نفسه، **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [النحل:١١٨]**.**وها نحن نكرر النداء: استجيبوا لله وللرسول، اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ [الشورى:٤٧]**، فاستجيبوا لله، واستعدوا للاختبار، ولا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله، واستعدوا للامتحان قبل أن تنادوا بأعلى الصوت: رباه! ارجعون، فلا يستجاب لكم.اللهم وفق البنين والبنات في امتحانات الدنيا والآخرة، اللهم ثبتنا وإياهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.اللهم ارحمنا إذا وسدونا، وفي التراب وضعونا، وفي ظلمة القبر تركونا، اللهم ثبتنا بالقول الثابت يا رب العالمين!اللهم اجعل قبورنا روضة من رياض الجنان، ولا تجعلها حفرة من حفر النيران، اللهم ثبتنا بالقول الثابت يا رب الأنام!اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا من الراشدين!اللهم أرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.اللهم آمنا في أوطاننا، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك يا رب العالمين!اللهم امنن علينا بتوبة نصوح قبل الموت، وبشهادة عند الموت، وبرحمة بعد الموت يا أرحم الراحمين.اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالد والدينا، ولكل من له حق علينا.اللهم نور على أهل القبور قبورهم، واغفر لهم وارحمهم ويسر أمورهم، اللهم اغفر لموتانا وموتى المسلمين يا أرحم الراحمين! واجمعنا وإياهم في جناتك جنات النعيم.عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم.

***

الهداية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**، **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**، **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب: ٧٠-٧١]**. أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. أيها المسلمون! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، طبتم وطاب ممشاكم، وتبوأتم من الجنة منزلاً، وحياكم الله وبياكم، وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم كما جمعني وإياكم في هذا المكان أن يجمعني وإياكم في دار كرامته إخواناً على سرر متقابلين، وأسأله سبحانه أن يحفظني وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين. إن المقصد والهدف من هذا الاجتماع أن نسير أنا وإياكم يداً بيد كي ننجو من عذاب الله، ونفوز برحمته تبارك وتعالى؛ لذا اخترت لكم حديثاً عن نعمة عظيمة الكل يتمناها، والكل يقول: ادعوا لي بهذه النعمة، وهذه النعمة التي سأحدثك عنها هي سر السعادة في الدنيا والآخرة، وصاحب هذه النعمة سعيد مرتاح البال، مطمئن القلب، إذا أصابته سراء شكر، وإذا أصابته مصيبة صبر، فهو على خير على كل حال من أحواله، وهذه النعمة تنفع صاحبها في الدنيا وعند الموت وبعد الموت، فأما في الحياة فحياة طيبة، وأما عند الموت فثبات من رب الأرض والسماوات، وأما بعد الموت فأمن وأمان، قال الله: **لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ [الأنبياء:١٠٣]**، أي: أصحاب هذه النعمة، **وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ [الأنبياء:١٠٣-١٠٤]**.والناس بدون هذه النعمة لا قيمة لهم، فهم أموات في صور الأحياء وإن أكلوا وإن شربوا، وإن غدوا وراحوا، فلعلك عرفت هذه النعمة، إنها نعمة الهداية، إنها الميلاد

الجديد والحياة الجديدة، إن لكل واحد منا ميلادين: الميلاد الأول: هو يوم أن خرجنا من بطون أمهاتنا لا نعرف شيئاً، فخرجنا نبكي لا ندري ماذا يراد بنا في هذه الحياة:

أنت الذي ولدتك أمك باكياً والناس حولك يضحكون سـروراً

فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

وأما الميلاد الثاني وهو الأهم: فهو يوم أن يسلك العبد طريق الهداية والاستقامة، ويعلن التوبة والرجعة والإنابة إلى الله، يقول النبي صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك يوم أن تنزل القرآن يعلن فيها توبة الله على أولئك الثلاثة الذين خُلِّفوا: (**يا كعب ! أبشر بخير يوم منذ ولدتك أمك**)، (**البخاري ٤٤١٨**) فيوم التوبة ويوم سلوك طريق الاستقامة هو أعظم وأفضل يوم في الحياة، يوم أن يرجع العبد إلى الله، فيفرح الله تبارك وتعالى بذلك وهو الغني تبارك وتعالى عن عباده.أيها المسلمون! كلنا ذوو خطأ، وخير الخطائين التوابون، وليس عيباً أن نخطئ، لكن العيب كل العيب أننا نتمادى في الخطأ ونستمر فيه، وأنا أعرف وعلى يقين أن أمامك فتناً كثيرة، ومغريات كبيرة، لكن طريق الاستقامة واضح بيِّن، فقد سلكه الكثير فوجدوا فيه الراحة والسعادة والطمأنينة، فإن كانوا قد استطاعوا أن يسلكوا هذا الطريق فأنت أيضاً تستطيع أن تسلكه، فالفتن تواجههم كما تواجهك أنت، لكنهم عرفوا معنى: **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة:٥]**، وأنت كذلك تعرفها، وأنت من أهل هذه الكلمة العظيمة، فاسلك الطريق ففيه سعادة الدنيا وسعادة الآخرة. إن المطلوب مني ومنك أن نبذل السبب حتى نحصل على ما نريد، والعجب كل العجب أننا نبذل الأسباب لكل شيء إلا لنعمة الهداية، وصدق من قال:

ترجو السلامة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

وتأمل معي هذه المواقف وقل عجباً: عجيب أنك ترى ساعة في طاعة الله طويلة مملة، ثم في المقابل أنت تجلس تسعين دقيقة في ملعب كرة القدم، بل وتفرح إذا كان هناك وقتاً إضافياً. وعجيب أنك لا تستطيع أن تقرأ جزءاً واحداً من القرآن، ثم في المقابل أنت تقلب الجرائد والمجلات لساعات طويلة. عجيب أنك لا تستطيع أن تجلس ساعة واحدة في المسجد لخطبة أو محاضرة، ثم في المقابل أنت تجلس ساعات وساعات أمام الشاشات والقنوات. وعجيب أنك لا تستطيع أن تحفظ سورة من القرآن، ثم أنت في المقابل تحفظ القصائد وتحفظ الأشعار، بل حتى الأغاني والألحان. وعجيب أنك تريد أن تكون من أهل الجنة التي فيها (**ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**)، فماذا عملت لها حتى تكون من أهلها؟ فما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا فلا زلت مصراً على ترك الصلوات، وارتكاب المعاصي والمنكرات، فنهارك نوم وكسل، وليلك غفلة وفشل. فتعال معي نصنع مقارنة بين شاب مستقيم وبين

شاب آخر، ثم نقرر أيهما خير الشاب المستقيم طاهر القلب، سليم الصدر، يشع وجهه بالنور، وتكسوه لحية وهبها أحسن الخالقين إليه؛ كي تكون علامة فارقة وسمة تميزه عن غيره من الغافلين، وأما الآخر فخبيث النفس، ضيق الصدر، معتم الوجه، يسعى جاهداً لتغيير خلق الله، دائماً يبحث عن السعادة المزعومة فلا يجدها، فأيهما خير؟ والشاب المستقيم يلجأ إلى الله في كل حين مستيقناً قلبه قائلاً **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ [الفاتحة:٥-٧]**.والآخر يتوجه إلى غير الله من المخلوقات والجمادات، فيدعوها ويستعينها ويستهديها، ويوالي من حاد الله ورسوله، ويتبرأ من أهل الخير، وينعتهم كما نعتهم به أسياده من التزمت والرجعية والإرهاب والتطرف، فمثله كمثل الإمعة، **إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ [الفرقان:٤٤]**، فأيهما خير؟ والشاب المستقيم يزاحم إخوانه عند أبواب المساجد وبين أيدي العلماء، ويتعلم العلم النافع، ويتقرب إلى الله بحب الدعاة والعلماء، وأما الآخر فإنه يزاحم أقرانه عند أبواب المجمعات والأسواق والجسور المهلكة؛ بحثاً عن السعادة: **نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ [التوبة:٦٧]**، فأيهما خير؟ والشاب المستقيم تسمعه يقول لإخوانه: جزاك الله خيراً، وزوجك بكراً، وبارك الله فيك، ولا تنسنا من صالح الدعاء، ورحمك الله ووالديك، وأما الآخر فلسانه دائماً يقذف بالشرر من اللعن والسباب ونابي الألفاظ، وأسماؤهم وأنعاتهم: أبو غضب وأبو عاصي والمحروم والمجرم.. وهلم جراً، والصفة تتبع الموصوف، فأيهما خير هذا أم ذاك؟ والشاب المستقيم منتج للمجتمع، فهو يفشي السلام، ويطعم الطعام، ويصل الأرحام، ويقيم حقوق الجيران، فهو لا يقف أمام مصالح المسلمين، فلا يسد باباً، ولا يعترض مرئاباً للسيارات، ويبتسم في كل حين من أثر السعادة التي غمرت قلبه، وانعكست على جوارحه، ويحافظ على أنظمة المرور من باب طاعة ولاة الأمور، وشعاره: **اجعل المكان كما كان أو أحسن مما كان**، لا يعرف معنى الفراغ، فهو كالنحلة لا يكل ولا يمل في العمل لهذا الدين، فهو كالنور والزهر والماء والهواء للمجتمع.وأما الآخر فهو أداة تخريب وهدم ودمار للمجتمع، فهو لا يفعل مما سبق ذكره، بل يملأ الشوارع تفحيطاً وتجديعاً، ومخالفة للأنظمة، وإضراراً بالآخرين، ولا يعرف معنى الوقت ولا معنى الحياة، ودائماً يردد: الحياة ملل في ملل، فهو كالحنظلة للمجتمع، وهو صفراً على الشمال، بل الشمال على الصفر له قيمة في بعض الأحيان.والشاب المستقيم أفضل من يبر بوالديه، ويحترم إخوانه، فيوقر الكبير، ويرحم الصغير، وأما الآخر فعباراته لوالديه: أف وآه، واللهم طولك يا روح، وكلمات كلها تجرح الوالدين، وهو أناني لا يحب إلا نفسه، ولا يقضي إلا حاجاته، فأيهما خير هذا أم ذاك؟والشاب المستقيم قدوته النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة الأطهار، والعظماء الفاتحين، وأما الآخر فقدوته في هذه الدنيا اللاعب الفلاني، والمغني فلان، بل بعضهم قدوته من الكفار، نسأل الله العفو والعافية، فأيهما

خير؟والشاب المستقيم يكتم شهواته بالصيام، والصلاة والقيام، وخدمة الإخوان، وأما الآخر فيفتح شهواته بالإنترنت والفيديو والشوارع والأسواق وغير ذلك من أنواع المحرمات، فأيهما خير؟والشاب المستقيم يذكر الله كثيراً، وهو مبارك أينما حل، ومبارك في زوجه وفي ماله وفي ولده، وأما الآخر فلا يذكر الله إلا قليلاً، وقد محقت بركة رزقه وبركة أولاده، بل حتى البركة في نفسه ووقته، فالله المستعان.لكن قل لي: أيهما خير هذا أم ذاك؟والشاب المستقيم يحمل هم الأمة، فيدعو لها، ويعمل لنصرتها، وهو بعيد النظر في التفكير، ودقة في التحليل، ودائماً يفكر في معالي الأمور، وأما الآخر فيحمل هم بطنه وهم شهوته، ولا يدري من هو ولا إلى أين يسير، فمثله في الدنيا: مع الخيل يا شقراء، وحشر مع الناس عيد، وأكبر همه كل سافل وحقير.والشاب المستقيم إذا مات مات ميتة كريمة، فينطق لسانه بالشهادة، ويشع وجهه نوراً، ولعلك تشم منه رائحة المسك، وقد لا يتعفن، فهو يدعو الله أن يرزقه الشهادة في سبيل الله آناء الليل وأطراف النهار، **(من طلب الشهادة بحق بلغه الله مرتبة الشهداء وإن مات على فراشه)(مسلم ١٩٠٩)** ، وأما الآخر إذا مات مات ميتة حقيرة، فتسحب روحه سحباً، وتقطع بها أحشاؤه، ولا يستطيع النطق بالشهادة، كالح الوجه، منتفخ ثقيل، لا يترحم عليه أقرانه في الدنيا، ولا يذكرونه بخير. وكم سمعنا عن شباب ماتوا في الحمامات، وبعضهم في أحضان المونسات على سكر ومخدرات، فأي الفريقين تريد؟ وأيهما خير هذا أم ذاك؟ وماذا تنتظر؟وكثير من الشباب ينتظر مصيبة تحل على رأسه، وكثير من الشباب اغتر بإمهال الله له، فينتظر مصيبة تحل على رأسه أو قارعة تصيبه في أهله حتى يرجع إلى الله، وما يدريك لعلها إن حلت المصيبة أو القارعة أنها تكون القاضية. هذا شاب صغير يروي قصة الضياع، ثم يروي كيف اهتدى إلى طريق الاستقامة والهداية، يقول: لما بلغت الرابعة عشرة من عمري، وكنت في السنة الثانية من المرحلة المتوسطة، حدث حادث في حياتي كان سبباً في تعاستي وشقائي فترة من الزمن، فقد تعرفت على شلة من رفقاء السوء، وكانوا ينتظرون الفرصة المناسبة لإيقاعي في شباكهم، وجاءت الفرصة مناسبة أثناء فترة الامتحانات، فجاءوني بحبوب بيضاء منبهة، فكنت أسهر عدداً من الليالي المتوالية في المذاكرة دون أن يغلبني النعاس، وما كنت أشعر بحاجة إلى النوم، فانتهت الامتحانات ونجحت بتفوق، وبعد الامتحانات داومت على تعاطي هذه الحبوب البيضاء فأرهقني السهر وتعبت تعباً شديداً، فجاءني أولئك الشياطين وقدموا لي في هذه المرة حبوباً، لكن اختلفت الألوان، في المرة الأولى كانت الحبوب بيضاء، وفي المرة الثانية كانت الحبوب حمراء، قالوا لي: إنها تطرد عني السهر وتجلب لي النوم والراحة، ولم أكن أدرك حقيقة هذه اللعبة وهذا التآمر والمكر الخبيث من هؤلاء الشياطين: شياطين الإنس الذين هم أخطر من شياطين الجان.يقول: فأخذت أتعاطى هذه الحبوب مرات ومرات في اليوم، وبقيت على هذه الحال ثلاث سنوات

تقريباً أو أكثر، ففشلت في دراستي وفي كل شأن من شئون حياتي، ولم أتمكن حتى من إتمام المرحلة المتوسطة من الدراسة بعد أن كنت من المتفوقين، فصرت أتنقل من مدرسة إلى مدرسة لعليّ أن أحصل على هذه الشهادة، ولكن دون جدوى! وبعد هذا الفشل الذريع الذي كان سببه هذه الحبوب وهذه المخدرات فكرت في الانتقال إلى مدينة أخرى حيث يقيم عمي وأبناء عمي في تلك المدينة لعلي أغير شيئاً من حياتي، وكان والدي قد اشترى سيارة جديدة، فأخذت السيارة في تلك الليلة دون علم والدي وتوجهت إلى تلك المدينة، وكنت أحمل في جيبي كمية كبيرة من هذه الحبوب الحمراء، وفي الطريق توقفت عند بعض الأصحاب، وفي تلك الليلة أسرفت في تناول هذه الحبوب حتى أصبحت في وضع يرثى له، لا أميز من الغادي ومن الرائح، وقبيل الفجر ركبت السيارة وأنا في حالة لا يعلمها إلا الله، وانطلقت مسرعاً في طريقي، وما هي إلا دقائق حتى غبت عن الدنيا، ولم أفق إلا وأنا في المستشفى في حالة سيئة، كسرت ساقي اليمنى، وأصبت بجروح بالغة بعد أن مكثت في غرفة الإنعاش ثمانياً وأربعين ساعة، فأخرجوني إلى الغرفة التالية، ثم بعد أن تعافيت وخرجت من المستشفى مكثت في البيت أياماً يداويني أهلي ويرعوني، ومن رحمة الله بي أن كتب لي حياة جديدة، ومنح لي فرصة جديدة؛ لعلي أن أتوب وأرجع وأقلع عما أنا فيه، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث، فنقلت من المستشفى إلى بيت والدي، وفي البيت كنت أتعاطى هذه الحبوب النكدة، وقد تسألني وتقول: من أين لك هذه الحبوب وأنت ترقد على فراش المرض؟ فأقول لك: كان أولئك الشياطين يأتون لزيارتي في البيت، فيعرضون علي بضاعتهم فأشتري منهم ما يكفيني لأيام، وبالرغم من حالتي السيئة بقيت على هذه الحال أياماً، وبعدها أحسست بتحسن بسيط. وكانت فكرة السفر إلى تلك الديار حيث يقيم عمي وأبناء عمي تراودني، فأنا أريد أن أغير الواقع وأن أرجع إلى ما كنت عليه، فخرجت يوماً بعكازي وأخذت أبحث عن سيارة تأخذني إلى تلك المدينة، فما توقف لي أحد، فذهبت إلى مواقف سيارات الأجرة واستأجرت سيارة أوصلتني إلى تلك المدينة، وهناك بادرت بالتسجيل في إحدى المدارس المتوسطة، فكبرت في السن ولا زلت في المرحلة المتوسطة، بعد جهود بذلها عمي وغيره تم قبولي في تلك المدرسة وحصلت على شهادة الكفاءة، لكني كنت مستمراً على تعاطي المسكرات والمخدرات حتى بدلت الحبوب المخدرة وبدأت بتعاطي الخمر في كل يوم! لقد انتقلت من حفرة إلى أخرى، وهكذا الذنوب تقود بأصحابها من ورطة إلى أخرى، فتركت الحبوب ولكني أصبحت مدمناً للخمر والعياذ بالله، وكنت أقوم في نفس الوقت بترويج تلك الحبوب الحمراء وبيعها بسعر مضاعف، لم أكن أدرك فداحة هذا الأمر، وأني أفسد الآخرين، وأني أجمع المال من طريق حرام -أسأل الله أن يتوب علي-. ثم بعد الخمر انتقلت إلى الحشيش وأدمنت عليه، وكنت أتعاطاه عن طريق التدخين، فكنت أذهب إلى المدرسة وأنا في حالة هستيرية

فأرى الناس حولي كأنهم ذباب أو حشرات صغيرة، ولم أكن أتعرض لأحد؛ لأن الذي يتعاطى هذا البلاء يكون جباناً يخاف من كل شيء، بقيت على هذه الحال سنتين تقريباً، وكنت أقيم في غرفة في طرف المدينة حتى لا يراني عمي وأبناء عمي على تلك الحال.وفي يوم من الأيام جاءني اثنان من شياطين الإنس الذين أعرفهم، وكان أحدهما متزوجاً، فأوقفت سيارتي وركبت معهم وكان ذلك بعد صلاة العصر، فأخذنا ندور وندور في شوارع البلد بلا هدف ولا غاية ولا مقصد. وأمثال هؤلاء كثير يتجولون في الشوارع بلا هدف ولا غاية، وبعد جولة دامت ساعات أوقفوني عند سيارتي فركبتها وتوجهت إلى البيت، ولكني ظللت الطريق ولم أستطع أن أرجع إلى بيتي فقد كنت في حالة سكر شديد، ظللت مدة ساعتين أو أكثر أبحث عن البيت فلم أجده، وفي نهاية المطاف وبعد جهد جهيد وصلت إلى البيت، فلما رأيت البيت فرحت فرحاً شديداً، فلما هممت بالنزول من السيارة أحسست بألم شديد في قلبي، وبصعوبة بالغة نزلت ودخلت البيت، وفي تلك اللحظات تذكرت الموت، نعم تذكرت الموت كأنه أمامي شبح أسود يريد أن يهجم علي، ورأيت أشياء عجيبة أعجز عن وصفها الآن، فقمت مسرعاً من غير شعور ودخلت دورة المياه وتوضأت، سبحان الله! سنوات طوال وأنا لا أعرف الركوع والسجود، فدخلت دورة المياه وتوضأت، وبعد خروجي من الدورة عدت مرة ثانية وتوضأت، ثم أسرعت إلى إحدى الغرف وكبرت ودخلت في الصلاة، وتذكرت في تلك اللحظة أنني لم أصل ولم أركع ولم أسجد لله لسنوات طوال، وأتذكر أنني قرأت في الركعة الأولى الفاتحة وقل هو الله أحد، ولا أتذكر ما قرأته في الركعة الثانية، فالمهم أنني أديت تلك الصلاة بسرعة شديدة قبل أن أموت، ثم ألقيت بنفسي على الأرض على جنبي الأيسر واستسلمت انتظاراً للموت، وتذكرت في تلك اللحظات أنني سمعت أن الميت الأفضل أن يوضع على جنبه الأيمن فتحولت إلى الجنب الأيمن، وأنا أحس بأن شيئاً ما يهز كياني هزاً عنيفاً، ومرت في خاطري صور متلاحقة من سجل حياتي الحافل بالضياع والشهوات والمجون، وأيقنت أن روحي على وشك الخروج، ومرت لحظات كنت أنتظر فيها الموت، وفجأة حركت قدماي فتحركتا ففرحت بذلك فرحاً شديداً، وعلمت أنني لم أمت إلى الآن، لقد رأيت بصيصاً من الأمل يشع من بين تلك الظلمات الحالكة، فقمت مسرعاً وخرجت من البيت وركبت سيارتي وتوجهت إلى بيت عمي، فدفعت الباب ودخلت وسقطت مغشياً علي، لقد وجدتهم مجتمعين يتناولون طعام العشاء، فألقيت بنفسي بينهم، فقام عمي فزعاً، ثم لما أفقت سألني: ما بك؟ فقلت له: إن قلبي يؤلمني، فقام أحد أبناء عمي وأخذني إلى المستشفى، وفي الطريق أخبرته بحالي وأني قد أسرفت على نفسي في تعاطي ذلك البلاء، وطلبت منه أن يذهب بي إلى طبيب يعرفه، فذهب بي إلى إحدى المستشفيات الأهلية، فلما كشف علي الطبيب وجد حالتي في غاية السوء حيث بلغت نسبة الكحول في جسمي نسبة عالية، فامتنع عن

علاجي، وقال: لا بد من حضور الشرطة، وبعد محاولات مستمرة وإلحاح شديد وإغراءات وافق على علاجي، فقام بعمل تخطيط للقلب، ثم بدأ بعلاجي. كان والدي قد أتى إلى تلك المدينة في ذلك اليوم لزيارة عمي ولزيارتي، فلما علم أني في المستشفى جاء ليزورني، فرأيته واقفاً على رأسي، فلما شم رائحتي الكريهة ضاق صدره وخرج ولم يتكلم، فأمضيت ليلة تحت العلاج، وفي غرفة الإنعاش وقبل خروجي نصحني الطبيب بالابتعاد عن المخدرات والمسكرات، وأخبرني بأن حالتي سيئة جداً وأني إذا استمريت على هذه الحال فستكون النهاية مؤلمة، فخرجت من المستشفى وأحسست بأني قد منحت حياة أخرى جديدة، وأن الله أراد بي خيراً، فكنت فيما بعد كلما شممت رائحة الحشيش أصابني مثل ما أصابني في تلك الليلة: ألم في قلبي، وضيق في التنفس، فيأتيني ذكر الموت في تلك اللحظات فأطفئ السيجارة، وأتذكر تلك اللحظات التي مررت بها وأنا في المستشفى، وكنت كلما نمت بالليل أشعر بأن أحداً يوقظني ويقول لي: قم واستيقظ وصل لله، فأتذكر الموت، وأتذكر الجنة والنار والقبر، كما كنت أتذكر اسمين من أصحابي لقيا حتفهما على حال لا يعلمها إلا الله، فكنت أخاف أن يكون مصيري كمصيرهما، فكنت أقوم آخر الليل فأصلي ركعتين، ولم أكن أعرف صلاة الوتر في ذلك الحين، ثم بدأت بعدها أحافظ على الصلوات المفروضة، وكنت كلما شممت رائحة الحشيش أو الدخان أتذكر الموت فأتركهما، وبقيت على هذه الحال أربعة أشهر أو أكثر حتى قيض الله لي أحد الشباب الصالحين، فالتقطني من بين أولئك الأشرار وأخذني معه إلى مكة المكرمة لأداء العمرة، وبعدها رأيت حياة جديدة ورأيت نوراً بدأ يشع في قلبي، فبدأت أستشعر نعمة الهداية والإيمان، وعدت إلى الله وتبت إليه بعد أن أمهلني الله مرات ومرات.فنصيحتي للشباب أن يحذروا من شياطين الإنس ورفقاء السوء الذين كانوا سبباً في شقائي وتعاستي لسنوات طويلة، ولولا رأفة الله ورحمته حيث أنقذني من بين أيديهم لكنت من الخاسرين، فأسأل الله أن يتوب علي وعلى جميع المذنبين والعاصين إنه تواب رحيم. فهذه قصة ومثلها كثير، فإن كان الله أمهل هذا الشاب فكثيرون قد ماتوا في دورات المياه، وفي أحضان المونسات والفاجرات.

فيا صاحب الخطايا أين الدموع الجـــارية

ويا أسير المعاصي ابك على الذنوب الماضــية

ويا مبارزاً لله بالقبائح أتصبر على النار الهاوية

ويا ناسياً ذنوبه والصحف للمنسي حاويــة

أسفاً لك إذا جاءك الموت وما أنبت واحسرة لك إذا دعيت إلى التوبة فما أجبت كيف تصنع إذا نودي بالرحيل وما تأهبت ألست الذي بارزت بالكبائر وما لله راقبت إن لسان حال الغافلين:

قد مضى في اللهو عمري، وتناهى فيه أمري.
شمر الأكياس وأنا واقف قد شيب أمــري
بان ربح الناس دوني وأنا قد بان خســـري
ليتني أقبل وعظي ليتني أسمع زجـــري
كل يوم أنا رهن بين آثامــــي ووزري
ليت شعري هل أراني همة في فك أســري
أو أرى في ثوب صدق قبل أن أنزل قبـري
وتأمل قوله:وحملوني على الأكتاف أربعة من الرجال وخلفي من يشيعني
وقدموني إلى المحراب وانصرفوا خلف الإمام فصلى ثم ودعـــــني
صلوا علي صلاة لا ركوع لها ولا سجود لعل الله يرحـــــــمني
وأنزلوني إلى قبري على مهل وقدموا واحداً منهم يلحــــــدني
وكشف الثوب عن وجهي لينظرني وأسبل الدمع من عينيه أغرقـــني
وقال هلوا عليه الترب واغتنموا حسن الثواب من الرحمـــن ذي المنن
في ظلمة القبر لا أم هناك ولا أب شقيق ولا أخ يؤنســـــــني
من منكر ونكير ما أقول لهم قد هالني أمرهم جداً فأفزعـــــني
وأقعداني وجدوا في سؤالهم ما لي سواك إلهي من يخلصـــــــني
ما أحلم الله عني حيث أمهلني وقد تماديت في ذنبي ويســـــترني
تمر ساعات أيامي بلا ندم ولا بكاء ولا خـــــــوف ولا حزني
أنا الذي أغلق الأبواب مجتهداً على المعاصي وعين الله تنـــظرني
يا زلة كتبت في غفلت ذهبت يا حسرة بقيت في القلب تحرقـــني
دعني أنوح على نفسي وأندبها وأقطع الدهر بالتذكير والحـــزن
دع عنك عذلي يا من كان يعذلني لو كنت تعلم ما بي كنت تعذرنـي
دعني أسح دموعاً لا انقطاع لها فهل عسى عبرة منها تخلصـــني

فماذا تنتظر؟ هل تنتظر مصيبة، أو قارعة تحل، وماذا يقول أهل القبور إذا وصدوا في قبورهم؟ فالكل يتمنى حينها الرجوع، وحتى الصالح يتمنى أن يرجع حتى يزيد في صلاحه. اسمع بارك الله فيك وأنت تتساقط أمام فتن وشهوات ومغريات اسمع كيف ثبت الشباب، واسمع بارك الله فيك هذا الخبر.في آخر فترات النبي صلى الله عليه وسلم خرج كذابان يدعيان النبوة أحدهما بصنعاء، وهو الأسود بن كعب العنسي ، وخرج الثاني باليمامة وهو مسيلمة الكذاب ، وراح الكذابان يحرضان الناس على المؤمنين الذين استجابوا لله وللرسول،

وفوجئ الرسول صلى الله عليه وسلم يوماً بمبعوث بعثه مسيلمة بكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه: (**من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك، أما بعد: فإني قد أشركت في الأمر معك، وإنا لنا نصف الأرض ولقريش نصفها الآخر، ولكن قريشاً قوم يعتدون**)، فرد النبي صلى الله عليه وسلم كتابه وكتب إليه كتاباً يقول فيه: (**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد. فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين**)(**شعب الايمان ١٣٧٠**). فلقد ظن الكذاب أن النبوة ملكاً يريد أن يتقاسمه، فلما وصل إليه الكتاب ما زاده إلا ضلالاً وإضلالاً، ومضى ينشر إفكه وبهتانه، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه رسالة ينهاه فيها عن حماقاته، وعن كذبه وافتراءاته، لكن من سيحمل هذه الرسالة إلى هذا المتكبر العاتي الجبار، فوقع الاختيار على أحد الشباب، ومن للمهمات العظام والمدلهات إلا الشباب وقع الاختيار على حبيب بن زيد رضي الله عنه وأرضاه، وهو شاب ملأ الإيمان قلبه، وهو على أتم الاستعداد للتضحية من أجل الله ورسوله، ومن أجل نصرة هذا الدين. ومن للمهمات العجيبة والمهمات العظيمة إلا الشباب يا شباب! لكن أين الشباب الذين تربوا على الوحي: كتاب وسنة، وتربوا على تقوى من الله ورضوان:

شباب ذللوا سبل المعالي ما عرفوا سوى الإسلام دينا تعهدهم
فأنبتهم نباتاً كريماً طاب في الدنيا غصـــــــــونا
إذا شهدوا الوغى كانوا كماة يدكون المعاقل والحصـــونا
شباب لم تحطمه الليالي ولم يسل إلى الخصم العرينـــا
وما عرفوا الأغاني مائعات ولكن العلا صيغت لحونـــا

فسافر حبيب رضي الله عنه في هذه المهمة الخطيرة وهو فرح مسرور لاختيار النبي صلى الله عليه وسلم له، وللثقة التي وكلت إليه، فلما وصل حبيب إلى مسيلمة الكذاب الذي لم يعرف المروءة ولا العروبة ولا الرجولة، جمع الكذاب قومه بعد أن قيد حبيباً بالقيود، وأنزلوا به صنوف العذاب والهوان، وأرادوا من ذلك أن يسلبوه الشجاعة والإقدام حتى يفتتن أمام الجميع ويعلن إيمانه بالكذاب، لكن أبى لهم ذلك، فقال مسيلمة لحبيب : أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال حبيب : نعم أشهد أن محمداً رسول الله، فعلا الخزي والعار وجه مسيلمة ، وعاد يسأل ويقول: وتشهد أني رسول الله؟ فأجاب حبيب بسخرية قاتلة: إني لا أسمع ما تقول، فاشتد غضب الكذاب، وعلم أن تعذيبه للشاب المؤمن لم يؤثر فيه، بل زاده ثباتاً وإيماناً فهاج كالثور المذبوح، ونادى الجلاد أن أحضر السيف، ثم راح يقطع جسد حبيب قطعة قطعة وعضواً

عضواً، وكان كلما قطع منه قطعة قال له: أتشهد أني رسول الله، فيقول حبيب : لا أسمع شيئاً، ولا أشهد إلا أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فلا زالوا يقطعونه عضواً عضواً، وفي كل مرة يرددون عليه: أتشهد أن مسيلمة رسول الله؟ وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولا زالوا يقطعونه عضواً عضواً وهو صابر محتسب حتى فارقت الروح الجسد. فأسألك بالله: أما كان باستطاعته أن يساير الكذاب ويظهر تصديقه به وهو معذور بهذا، لكنه الإيمان الذي صنع أولئك الشباب الأبطال، فقد ثبت وجسده يقطع قطعة قطعة، وثبت وهم يساومونه على دينه ومعتقده، وثبت لأنه يعلم أن الجنة غالية وأن السلعة غالية، فأنى لطالب الجنان أن يتنازل، وأنى لطالب الحور الحسان أن يتنازل. لقد ثبت خبيب قبله حين طلبوه في التنعيم وسألوه(**ابن هشام ٤\١٢٦)أتحب أن يكون محمداً مكانك وأنت بين أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً يشاك بشوكة، وأن جالس مطمئن بين أهلي، ثم رفع بصره إلى السماء منادياً ربه: اللهم! إنا قد بلغنا رسالة نبيك، اللهم! بلغ نبيك ما يفعل بنا، ثم رددها خالدة إلى أن يرث الله الأرض والسماء.**

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب في الله كان مصـــرعي
ولقد خيروني الكفر والموت دونه ولقد هطلت عيناي من غير مجزع
وما بي حذار الموت إني لميت ولكن حذاري جحم نار ملفـــــع

فقد ثبتوا كالجبال أمام العذاب والهوان، وأنت تضعف أمام شاشات وقنوات، وأمام أغاني وملهيات، لكن صدق الله حين قال: **أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ [الرعد:١٩-٢٤]**. تريد الهداية؟ ابذل أسبابها. تريد النجاة؟ خذ بأسباب النجاة. تريد الجنة؟ اعمل بعمل أهلها، وأول عربون في طريق الهداية والاستقامة ترك الذنوب والمعاصي. تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب للمحب مطيع ثم الخطوة التالية إعلان التوبة والندم والرجعة والإنابة إلى الله، ثم المحافظة على الصلوات، وإياك ثم إياك أن يناديك المنادي حي على الصلاة والصلاة خير من النوم وأنت تتخلف عن أوامر الله. ثم لا بد

من أمر مهم وهو تغيير الصحبة، فسبب ضياع كثير من الشباب هم الشباب، وسبب هداية كثير من الشباب هم **الشباب** (**والمرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**)(**الترمذي ٢٣٧٨**)

فلا تصحب أخ الفسق وإياك وإياه فكم من فاسقاً أردى مطيعاً حين آخاه

فأنت تردد كل **يوم اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [الفاتحة:٦]**، فخذ بالأسباب، واعلم أن الأيام صفحات مطوية، فكل يوم نطوي صفحة، فنفتح صفحة الليل ثم نطويها، ونفتح صفحة النهار ثم نطويها حتى تأتي آخر الصفحات، ولا أدري أنا ولا أنت بماذا يختم لنا، لكن الذي أعرفه ويعرفه كل منا **أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [**آل **عمران:١٨٢]**، وأن من عاش على طاعة مات على طاعة، وبعث على طاعة بإذن الله، والعكس بالعكس، فمن شب على المعاصي شاب على المعاصي ومات على المعاصي وحشر على المعاصي والعياذ بالله.فانتبه قبل أن تنادي بأعلى الصوت: رباه ارجعون، فلا يستجاب لك. إن نعمة العقل نعمة عظيمة فاستخدمها فيما يعود عليك بنفع الدنيا ونفع الآخرة. أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا هداة مهتدين، لا ضالين ولا مضلين، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا! من الراشدين. اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. اللهم وفقنا لتوبة نصوح قبل الموت، اللهم وفق الشباب لخير الدنيا وخير الآخرة، يا رب الأرض والسماء يا رب العالمين! واجمع شملنا، ووحد صفنا، وأصلح ولاة أمورنا، وانصرنا يا قوي يا عزيز! على القوم الظالمين. أستغفر الله العظيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

انتصف رمضان يا دمعة المتهجد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**.**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.عباد الله! انتصف رمضان وبدأ العد التنازلي لأيام رمضان ومن المفترض أنه كلما تقدمت أيام رمضان ولياليه زدنا في النشاط والعبادة، فإن الأجير يوفى أجره إذا انتهى من عمله.عجيب ما نراه من قسوة في القلوب وهجر للقرآن، فلا يعرف ختم القرآن إلا من رمضان إلى رمضان، يقول تعالى: **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا [الفرقان:٣٠]**! عجيب ما نراه من تفريط بالنوافل بل بالفرائض، فالصلاة أصبحت مجرد حركات من قيام وقعود! وعجيب ما نراه من تخلف عن تكبيرات الإحرام ورضاً بالصفوف الأخيرة، اعلم أنه: **من أراد إدراك المفاخر لم يرض بالصف الآخر**!عجيب ما نراه من تكاسل عن الجمعة والجماعة وشح في البذل والصدقات، **ما كأن اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**.إن حاجتنا للعبادة كحاجة الأرض للمطر فلا تحيا القلوب إلا بذكر علام الغيوب، نحن في أمس الحاجة إلى تقوية الصلة بالله؛ حتى نكون من أوليائه الذين قال عنهم: **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [يونس:٦٢-٦٣]**، وهل تنتصر الأمة إلا بأوليائها، بالعباد والزهاد الصادقين، قال عز وجل: **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ [غافر:٥١]** أي: تنتصر الأمة بالصادقين والمخلصين وبالذين يدعون ويتضرعون، عن علي رضي الله عنه قال: **(ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يصلي ويبكي**

حتى أصبح يناجي ربه ويتضرع: اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصبة لا تعبد بعد اليوم، اللهم إنهم حفاة فاحملهم، عراة فاكسهم، حتى سقط رداءه عن ظهره، فقال له: أبو بكر رضي الله عنه: هون عليك يا رسول الله! إن الله منجزك وعده، ثم غفا إغفاءة، ثم قال: أبشر يا أبا بكر هذا أخي جبريل آخذ بعنان فرسه، فأنزل الله: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ [الأنفال:٩-١٣]) بالعباد والأولياء تنتصر الأمة، برهبان الليل وفرسان النهار.فأهل العصور الماضية كانوا يعيشون في محيط إسلامي تسوده الفضائل، ويسوده التواصي بالحق، أما اليوم فغفلة وقسوة في القلوب، وانشغال بتوافه الأمور، نحتاج إلى أولئك الذين يثبت الناس برؤياهم وكلامهم.**حكى ابن القيم عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، وما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً وأسرهم نفساً، تلوح نظرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت منا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة، (الوابل الصيب باب ٣٤).**
قال الله عنهم: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ **[السجدة:٢٤]**، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.اسمع شيئاً عنهم: **عن جعفر بن سليمان قال: بكى ثابت البناني حتى كادت تذهب عيناه، فجاءه رجل يعالجها فقال الطبيب: أعالجك على أن تعطيني شرطاً أشرطه عليك، قال ثابت : على أي شيء أطيعك؟ قال: على ألا تبكي، قال ثابت : فما خيرهما إن لم تبكيا(حلية الاولياء ٢\٣٢٢)، أما قال الله: إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا [مريم:٥٨]، أما قال الله عن أوليائه: وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا [الإسراء:١٠٩]، سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضائع**

عن سلام بن أبي مطيع قال: جيء للحسن بكوز من ماء ليفطر عليه وكان صائماً، فلما أدناه إلى فيه بكى، فقيل ما أبكاك؟ قال: ذكرت أمنية أهل النار: وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ [الأعراف:٥٠]، قال وذكرت الجواب: قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ [الأعراف:٥٠]، أجل إن الله حرمهما على الكافرين: الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ [الأعراف:٥١](**حلية الاولياء ١٨٩\١**).دخلت امرأة على أهل الأوزاعي فنظرت في مصلاه فوجدت بللاً في موضع سجوده، فقالت لزوجته: ثكلتك أمك أراك غفلت عن الصبيان حتى بالوا في مسجده وفي مصلاه، فقالت زوجة الأوزاعي للمرأة: ويحك هذا أثر دموعه في مسجده وليس من بول الصبيان، لله درهم أما قال الله عنهم: **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ [المائدة:٥٤]**، لسان حالهم

:والله ما طلعت شمس ولا غربت إلا وحبك مقرون بأنفاسي

ولا جلست إلى قوم أحدثهم إلا وأنت حديثـي بين جلاسي

كان يزدجرد ملك الفرس قد أرسل يستنجد بملك الصين، ووصف له المسلمين، فكان من أوصافهم: لا ينامون بالليل ولا يأكلون بالنهار، شعث رءوسهم، بالية ثيابهم، فأجابه ملك الصين: إنه يمكنني أن أبعث لك جيشاً أوله في منابت الزيتون -يعني: في الشام- وآخره في الصين، لكن إن كان هؤلاء القوم كما تقول، فإنه لا يقوم لهم أهل الأرض، فأرى لك أن تصالحهم وتعيش في ظلهم، وتأمن في عدلهم،

يا رب فابعث لنا من مثلهم نفراً يشيدون لنا مجداً أضـــعناه

عباد ليل إذا جن الظلام بهم كم عابد دمعه في الـــخد أجراه

وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم هبوا إلى الموت يستجدون رؤياه

قال الحافظ ابن حجر : المراد بولي الله: المواظب على طاعته المخلص في عبادته(فتح الباري قوله **باب التواضع ٣٤٢\١١**)، ومن أعظم ما يتبين به الولي: أن يكون مجاب الدعوة راضياً عن الله في كل حال، قائماً بالفرائض، مجتهداً بالنوافل، تاركاً للنواهي، له هدف غير أهداف الناس الدنيوية، وغير حريص على الدنيا، إذا وصل إليه القليل صبر، وإذا وصل إليه الكثير شكر، يستوي عنده المدح والذم والفقر والغنى، غير معجب بما منَّ الله عليه من خصال الولاية، كلما زاده الله رفعة زاد تواضعاً وخضوعاً، من صفاته: حسن الأخلاق، كريم الصحبة، عظيم الحلم، كثير الصبر والاحتمال، فمن اتصف بهذه الصفات فغير بعيد أن تظهر على يديه الكرامات؛ لأن الله تعالى قال عنه: (**إذا سألني لأعطينه، ولئن استعاذني**

لأعيذنه). عباد الله! من كان بالله أعرف كان من الله أخوف، فاسمع بارك الله فيك: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الأوابين وسيد العابدين المتبتلين، لم تتخلف نفسه عن أغراض حياته العظمى قيد أنملة أو قيد شعرة، ولم يخلف موعده مع الله في عبادة ولا جهاد لا في ليل ولا في نهار، ولله در أمهات المؤمنين حين يصفن علو همته صلى الله عليه وسلم للصحابة، فتقول إحداهن: **(وأيكم يطيق ما كان يطيق)**، وتقول الأخرى: **(ما لكم وصلاته صلى الله عليه وسلم)**، همة عالية في كل مقامات الدين، فلقد كان صلى الله عليه وسلم سيد المجاهدين والعابدين والصابرين والصائمين والقائمين، كان أعلى الناس توكلاً، وأوفر الناس نصيباً من الرضا والحمد والدعاء والشكر والتبتل، وأعلى الناس يقيناً، وكان أشجع الناس، وأرحم الناس، وأشد الناس حياء، وكان أحسن الناس خلقاً ومروءة وتواضعاً، ومن أكثر الناس مراقبة لربه تبارك وتعالى، ومن أعلى الناس خشوعاً، ومن أشد الناس عبادة لربه، وكان من أطول الناس صلاة، فعن حذيفة : (**أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل فكان يقول: الله أكبر –ثلاثاً– سبحان ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة، ثم استفتح فقرأ البقرة، ثم ركع فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم رفع رأسه فكان قيامه نحواً من ركوعه، ثم سجد فكان سجوده نحواً من قيامه، ثم رفع رأسه من السجود فكان يقعد فيما بين السجدتين نحواً من سجوده، ففي أربع ركعات قرأ البقرة والنساء وآل عمران والمائدة أو الأنعام**)، شك الراوي في ذلك.(ابي داود ٨٧٤)يقول أبو هالة في وصفه صلى الله عليه وسلم: (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان، دائم الفكر، ليست له راحة**).(**شعب الايمان**)تقول عائشة رضي الله عنها: (**قام ليلة بآية يرددها حتى الفجر وهو يبكي، وهي قوله تعالى: إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [المائدة:١١٨]**)(**النسائي ١٠١٠**) .يقول عبد الله بن الشخير : (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل).(ابي داود)قال له ربه: قُمْ فَأَنذِرْ [المدثر:٢]، فانطلق يبلغ دعوة الله، وقال له ربه: قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا [المزمل:٢] ، فقام حتى تفطرت قدماه، قال لعائشة ليلة: (**دعيني أتعبد لربي، تقول: فقام يصلي وجعل يبكي حتى بل لحيته، ولا زال يبكي حتى بل الثراء تحته، فجاءه بلال ليعلمه بدخول وقت الصلاة فوجده يبكي، فقال له: تبكي بأبي أنت وأمي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال صلوات ربي وسلامه عليه: كيف لا أبكي يا بلال وقد تنزلت علي الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتدبرها، ثم تلا قوله تبارك وتعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى**

جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ [آل عمران: ١٩٠-١٩٤](مشكل الاثار للطحاوي٤٦١٨). كم مرت على مسامعنا مثل هذه الآيات؟ فهل وجدنا لها في قلوبنا أثراً، أو في أنفسنا مكاناً؟ إنها آيات تصور العابدين في ليلهم ونهارهم وفي جميع أحوالهم، تصور خوفهم ورجاءهم وتفكرهم ودعاءهم.

لما علمت بأن قلبي فارغ ممن سواك ملأته بــهواك
وملأت كلي منك حتى لم أدع مني مكاناً خالياً لســواك
فالقلب فيك هيامه وغرامه والروح لا تنفك عن ذكراك
والسمع لا يصغي إلى متكلم إلا إذ ما حدثوا بحــلاك
والطرف حيث أجيله متلفتاً في كل شيء يجتلي معنـاك

كان سيد العابدين صلوات ربي وسلامه عليه حريصاً على صلاة الجماعة في أشد الأحوال، وفي أصعب الظروف، روى **(البخاري٦٨٧) عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: (دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: ألا تحدثيني عن مرض النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: بلى، قالت: ثقل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك، قال: فضعوا لي ماء في المخضب، قالت: ففعلنا فاغتسل فقام لينوء -يعني: ليقوم- فأغمي عليه -بأبي هو وأمي- ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قال: ضعوا لي ماء في المخضب، قالت: فقعد فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه فسقط، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله! فقال: ضعوا لي ماء في المخضب فقعد فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه الثالثة، ثم أفاق، فقال: أصلى الناس؟ فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله! والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس)، الله أكبر! كم كان حريصاً عليه الصلاة والسلام على صلاة الجماعة، يشتد مرضه فيغتسل ثم يغمى عليه فيفيق فيغتسل ثم ثانية وثالثة، كل ذلك لعله يجد خفة ونشاطاً يمكنه بفضل الله تعالى من حضور صلاة الجماعة، فكيف كانت تلك الخفة؟ وكيف كان خروجه صلى الله عليه وسلم، اسمع ما رواه البخاري قال: (فوجد النبي صلى الله عليه وسلم خفة**

فخرج يهادى بين رجلين، كأني أنظر رجليه تخطان من الوجع)، سبحان الله! لم يكن صلى الله عليه وسلم يتمكن من المشي إلا اعتماداً على رجلين، ولم يكن يقدر على تمكين رجليه على الأرض لشدة ضعفه، ومع هذا ما تخلف عن صلاة الجماعة مع شدة مرضه وشدة تعبه، فلماذا يتخلف الأقوياء؟! ولماذا ينام الأصحاء؟! أين نحن من هؤلاء؟! أما آن أن نفيق ونستيقظ؟! خرج المصطفى عليه الصلاة والسلام ليبين للناس أن العابدين لا يتخلفون عن الصلوات في المساجد، خرج ليبين أن العابدين لا يصنعون إلا في المساجد والمحاريب، فأي استقامة لا تنطلق من المسجد والمحراب لا خير فيها.إن سجود المحراب واستغفار الأسحار ودموع المناجاة من أهم صفات الصادقين والعابدين، ولئن ظن أهل الدنيا أن جنتهم في الدينار والنساء والقصور، فإن جنة العابدين في محرابهم في خلواتهم بربهم، أما سمعت قول الله لزكريا: **فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ [آل عمران:٣٩]**، إن خلوات العباد في المحاريب تربية لهم، وتيجان على رءوسهم أحلى من التيجان التي على رءوس الملوك. أعيد وأكرر: لا تنتصر الأمة إلا بالعباد والزهاد عباد الله! العباد الزهاد في الناس كالعملة النادرة، يصدق عليهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**تجدون الناس كإبل مائة لا يكاد يجد الرجل فيها راحلة**)، ومعنى الحديث: أن المرضي الأحوال من الناس، الكامل الأوصاف؛ الحسن المنظر، القوي على الأحمال والأثقال، قليل جداً، كقلة الراحلة في الإبل، وكذا الصادقون المنتسبون للدين كثير، لكنهم ما بلغوا مرتبة الولاية، تلك المرتبة التي ينصر الله أصحابها، ولذا عمت المصيبة بفقدهم.

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاه تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر يموت بموته بشـــر كثير

فالرجل من أولئك بألف منهم، وبمائة ألف منا اليوم، **قال أبو بكر رضي الله عنه: صوت طلحة في الجيش خير من ألف رجل.ولما طلب عمرو بن العاص رضي الله عنه المدد من أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في فتح مصر، كتب إليه عمر : أما بعد: فإني أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم مقام الألف، أرسلت إليك الزبير والمقداد وعبادة بن الصامت ومسلمة بن خالد .أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع.**

أسمعتم ما حدث في تايلاند؟ وما صنعوا بالمسلمين هناك؟ خرجوا في مظاهرة سلمية يطالبون بأبسط الحقوق، ينادون بحقوق الحيوانات ولا ينادون بحقوق المسلمين.هنَّا على الله، فهنَّا على البشر، قال الأصمعي : **لما صاف قتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم، سأل عن محمد بن واسع فقيل: هو ذاك في الميمنة جانح على قوسه، رافع إصبعه نحو السماء، قال: تلك الإصبع أحب إلي من مائة ألف سيف**

شهير،(**سير اعلام النبلاء ٦\١٢١**) وشاب طرير.بمثل أولئك تنتصر الأمة.أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم. الحمد لله على إحسانه والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.أما بعد:عباد الله! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، اتقوا الله حق تقاته، وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ [البقرة:٢٨١].عباد الله! من أهم صفات العابدين: أنهم أهل صلاة وقيام ومحافظة على الفرائض، وتقرب لله بالنوافل، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (**إن الله تبارك وتعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**).فلما سمع القوم منادي المحب يناديهم، انطلقوا سباقاً إليه، وعلموا أن أفضل القربات هي الصلوات، قال صلى الله عليه وسلم: (**اكلفوا من العمل ما تطيقون، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة**)، كيف لا وهي عماد الدين وعصام اليقين، ورأس القربات، هي المعين الذي لا ينضب، والزاد الذي يزود القلوب، إنها العبادة التي تفتح القلب، وتوثق الصلة، وتيسر الأمر، وتبارك في الأرزاق، بدأت صفات المؤمنين بالصلاة وختمت بالصلاة؛ لعظيم مكانها في بناء الإيمان، وهي أكمل صورة من صور العباد، أما قال الله: **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ [المؤمنون:١-٢]، ثم ختم صفاتهم بقوله: وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ [المؤمنون:٩]**، فأين نحن من صلواتنا؟ كم بلغت من العمر اليوم؟ بلغت الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين أو الستين أو دون ذلك، تعال لنرى مقدار الربح والخسارة، لن أسألك عن الستين ولا عن السبعين ولا عن العشرين والثلاثين، سأسألك عن العام الذي مضى، فمنذ بداية العام حتى يومنا هذا: كم مرة فاتتك صلاة الجماعة؟ اجرد الحسابات مرة أو مرتين أو ثلاثاً، كم مرة ناداك مناد الله: الصلاة خير من النوم؟ وواقع الحال يقول: النوم خير من الصلاة، مرة أو مرتين؟ نعرف أقواماً تفوقم كل يوم وهم لا يتوبون ولا يتذكرون، **أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ *لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [المطففين:٤-٦]**.فأسألك بالله يا من تظن أنك من المحافظين والمداومين، كم مرة فاتتك تكبيرة الإحرام؟ مرة مرتين أو ثلاثاً؟ يقول وكيع إذا رأيت الرجل تفوته تكبيرة الإحرام فاغسل يديك منه.قلت: إلى الله المشتكى، كيف لو نظر في حالنا وفي صفوفنا، وفي مساجدنا؟!بدأت صفات المؤمنين بالصلاة وختمت بالصلاة، قال صلى الله عليه وسلم: (**الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر**) حسنه

الألباني .وقال سيد العابدين صلوات ربي وسلامه عليه: (**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكار، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**)، وقال صلى الله عليه وسلم: (**من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة، فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين**) (**ابي داود ٥٥٨**) حسنه الألباني .أما يكفيك قوله صلى الله عليه وسلم : (**إن أحدكم إذا قام يصلي إنما يناجي ربه، فلينظر كيف يناجيه**)(**الحاكم ٨٦١**)؟ هل استشعرنا هذا؟اعلم أن للعبد بين يدي ربه موقفين: موقفاً في الدنيا، وموقفاً في الآخرة، أما الموقف الذي في الدنيا: فوقوفنا بين يديه سبحانه في الصلاة، أسألكم بالله: هل خشعنا؟ هل خضعنا؟ هل استحضرنا عظمة من نقف أمامه؟ صلاة بلا إيمان، وركوع بلا خضوع، وسجود بلا خشوع، كيف يظهر أثر الإيمان وأثر الصلوات؟! (**إن أحدكم إذا قام يصلي إنما يناجي ربه فلينظر كيف يناجيه**).وأما الموقف الثاني: فيوم القيامة، فأول ما تسأل فيه عن هذه الصلاة، إن صلحت أفلحت العبد فزت، وإن ضاعت خبت وخسرت، لقد علم العباد قدر الصلاة، وأنها ميدان سباق، فانطلقوا يتسابقون ولسان حالهم:من فاته منك وقت حظه الندم ومن تكن همه تسمو به **الهمم** روى(**مسلم ٦٥٤**)**عن ابن مسعود قال**: (**لقد رأيتنا ما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف**) يعني: مع شدة مرضه! لله درهم من مرضى، لا والله بل نحن والله المرضى، مرضى القلوب الغافلة القاسية البعيدة عن الله جل في علاه. عن عطاء بن السائب قال: دخلنا على أبي عبد الرحمن السلمي وهو يقضي -يعني: ينازع- في المسجد، فقلنا له: لو تحولت إلى دارك وفراشك فإنه أوفر، فقال لهم: حدثني فلان عن فلان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مصلاه ينتظر الصلاة، والملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه**)(**مسلم ٦٤٩**)، فأنا أريد أن أموت في مسجدي وأنا في انتظار الصلاة، أليس من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: رجل قلبه معلق بالمساجد؟ فبماذا تعلقت قلوبنا؟ (بطاش ما طاش) (وأكاديم استار) والشاشات والقنوات، وأعراضنا تنتهك، ونساؤنا تغتصب، أليس هذا هو الواقع؟! الضاحكون في كل مكان، بل قل المقهقهون وحالنا لا يعلم بها إلا الله! **قيل لنافع**: ما كان يصنع ابن عمر في منزله؟ قال: لا تطيقونه، الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما. فماذا نصنع في بيوتنا؟!**وعن محمد بن زيد** أن ابن عمر كان له مهراس فيه ماء فيصلي ما قدر له، ثم يصير إلى الفراش فيغفي إغفاءة كالطائر، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي، يفعل ذلك في

الليل أربع مرات أو خمساً، كلما استيقظ وقف أمام ربه.**وروى نافع أن ابن عمر** كان يحيي بين الظهر والعصر. فمن منا فعل ذلك؟! **عن الربيع بن خثيم قال: أتيت أويساً القرني، فوجدته قد صلى الصبح وقعد، فقلت: لا أشغله عن التسبيح، فلما كان وقت الصلاة -يعني: بعد شروق الشمس- قام فصلى حتى الظهر، فلما صلى الظهر قام فصلى حتى العصر، فلما صلى العصر قعد يذكر الله إلى المغرب، فلما صلى المغرب قام يصلي حتى العشاء، فلما صلى العشاء اتكأ على سارية في المسجد ثم أغفى إغفاءة ثم أفاق وهو يقول: اللهم إني أعوذ بك من عين نوامة، وبطن لا تشبع، أعوذ بك اللهم من غفلة الغافلين(الاعتصام للشاطبي ١\٢٣٩)**.أرأيت كيف كان جلدهم في العبادة وصبرهم على الطاعات؟ بدأ رمضان فلم نستطع أن نواصل خمسة عشر يوماً قياماً، وهو أعظم مواسم الطاعات، وفي كل يوم صفوف المصلين تقل في جميع الصلوات، ليس في التراويح فقط، أول ما بدأنا الشهر كان يصلي الفجر معنا أربعة إلى خمسة صفوف، ومع انتصاف الشهر عادت الصفوف إلى ما كانت عليه قبل رمضان! رحم الله أويساً ما أعلى همته، يعاتب نفسه على إغفاءة خاطفة، ولهذا يعده الشاطبي ممن يأخذ بما هو شاق على الدوام، ومع هذا لا يعتبر مخالفاً للسنة، بل إنه من السابقين الأولين، ألم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تتورم قدماه؟عن أصبغ بن زيد قال: كان أويس إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع فيركع حتى يصبح، وأحياناً يقول: هذه ليلة السجود فيسجد حتى يصبح، وكان رحمه الله يقول: **والله لأعبدن الله في الأرض كما تعبده الملائكة في السماء.هذا حالهم وهذه عبادتهم**، ووالله لولا الأسانيد الصحاح والرجال الثقات لقلنا: إن هذه الأخبار ضرباً من الخيال، ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومن لج ولج، ومن طرق الباب يوشك أن يفتح له.

سعد الذين تجنبوا سبل الردى وتيمموا لمنازل الرضــوان
فهم الذين أخلصوا في مشيهم متشرعين بشرعة الإيمــان
وهم الذين بنوا منازل سيرهم بين الرجا والخوف للديــان
وهم الذين ملأ الإله قلوبهم بوداده ومحبة الرحـــــمن
وهم الذين أكثروا من ذكره في السر والإعلان والأحيــان
يتقربون إلى المليك بفعلهم طاعاته والترك للعصـــيان
فعل الفرائض والنوافل دأبهم مع رؤية التقصير والنقصــان
صبروا النفوس على المكاره كلها شوقاً إلى ما فيه من إحسان
صحبوا الخلائق بالجسوم وإنما أرواحهم في منزل فوقــان

عزفوا القلوب عن الشواغل كلها قد فرغوها من سوى الرحمن
حركاتهم وهمومهم وعزومهم لله لا للخلق والشيــــطان

فمن أراد الوصول فعليه بالأصول ، ومن سار على الدرب وصل،

واعلم –رعاك الله– أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن من آثر الراحة فاتته الراحة، وأن بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة.**قيل للربيع بن خثيم : لو أرحت نفسك قال: راحتها أريد(مجالسة وجواهر العلم ١\٢٦٤)**.وقيل للإمام أحمد : متى يجد العبد طعم الراحة؟ قال: عند أول قدم في الجنة.

أحزان قلبي لا تزول حتى أبشر بالقبول
وأرى كتابي باليمين وتسر عيني بالرسول

عوتب أحدهم في شدة اجتهاده فقال: إن الدنيا كانت ولم أكن فيها، وستكون ولن أكون فيها، ولا أحب أن أغبن أيامي(مجالسة وجواهر العلم ١\٦٤)، والصلاة خير من النوم، والتجلد خير من التبلد، والمنية خير من الدنية:

فكن رجلاً رجله في الثراء وهامة همته في الثريا
فإن إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء المــــحيا

قال عز وجل: **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا [الإسراء:١٨-١٩] ويقول صلى الله عليه وسلم: (من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة)(الترمذي ٢٤٥٠). قال الفضيل : الزم طريق الهدى ولا يغرنك قلة السالكين، وإياك وطريق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين**.اللهم اجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين.اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا من الراشدين.اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.اللهم وفقنا لإتمام الشهر صياماً وقياماً يا رب العالمين، واجعلنا فيه من المقبولين، ومن عتقائك من النار يا أرحم الراحمين.اللهم اغفر لوالدينا ووالد والدينا، ولكل من له حق علينا يا رب العالمين.اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين.اللهم اهدِ شباب المسلمين، اللهم اهدِ شباب المسلمين، الله اهدِ شباب المسلمين، ووفقهم للعمل الصالح يا رب العالمين.اللهم بارك لنا في جيلنا ونسائنا وأطفالنا يا أرحم الراحمين.اللهم رحماك بالمستضعفين في تايلاند والفلبين، اللهم رحماك بهم في العراق وفلسطين، وأفغانستان وكشمير والشيشان وفي كل مكان يا رب العالمين، كن لهم عوناً وظهيراً

ومؤيداً ونصيراً يوم أن قل الناصر والمعين.اللهم كن لهم ولا تكن عليهم، وآثرهم ولا تؤثر عليهم، وزدهم ولا تنقصهم، وأكرمهم ولا تهنهم، اللهم مكن لهم دينهم الذي ارتضيت لهم، اللهم مكن لهم دينهم الذي ارتضيت لهم، اللهم مكن لهم دينهم الذي ارتضيت لهم، اللهم بدلهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونك لا يشركون بك شيئاً يا رب العالمين.اللهم قوِّ عزائم المجاهدين في الفلوجة، اللهم قوِّ عزائم المجاهدين في الفلوجة، اللهم قوِّ عزائم المجاهدين في الفلوجة، اللهم قد ضرب عليهم الحصار من كل مكان، ولم يبق باب إلا باب السماء يا رب الأرض والسماء، اللهم أنزل عليهم مدداً من عندك، اللهم أنزل عليهم مدداً من عندك، اللهم أنزل عليهم مدداً من عندك، واقلب أرض الفلوجة على الكفار ناراً، وسماءها شهباً وإعصاراً، اللهم شتتهم في الأرض شذر مذر، اللهم لا تبق لهم في الأرض أثراً، اللهم مكن المجاهدين من رقابهم، زلزل الأرض تحت أقدامهم، واقذف الرعب في قلوبهم، وأمطر عليهم حجارة من سجيل.اللهم لا ترفع لهم راية، اللهم لا ترفع لهم راية، اللهم لا ترفع لهم راية، اللهم لا تحقق لهم في بلاد المسلمين غاية، واجعلهم لمن خلفهم عبرة وآية ، هم والمنافقين يا جبار السماوات والأرضين، ليس لنا رب سواك فندعوه، وليس لنا إله سواك فنرجوه، يا أول الأولين ويا آخر الآخرين، يا ناصر الضعفاء والفقراء والمساكين، يا ذا القوة المتين، لا يخلف وعدك، ولا يهزم جندك، لا يرد بأسك عن القوم المجرمين، بك نصول وبك نجول، عليك توكلنا وإليك أنبنا، وإليك المصير، اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا يا حي يا قيوم.عباد الله! **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل: ٩٠]**، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

***

انهم فتية امنوا بربهم

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**. **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.قال تعالى: **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ [الكهف:١٣]**.من هؤلاء الفتية؟ وما شأنهم؟ ولماذا اعتزلوا قومهم، وهجروا ديارهم، وفارقوا أهلهم؟ لماذا تجردوا من زينة الأرض ومتاع الحياة؟ ما هي القضية التي تشغلهم. إنهم أشداء في أجسامهم، أشداء في إيمانهم، أشداء في استنكار ما كان عليه القوم، كانوا بين خيارين: إما أن يرضوا بمتاع الحياة الدنيا وزخرفها، أو يفروا بدينهم وعقيدتهم، فاختاروا ما جعل لهم قيمة وشأناً، إنه الإيمان، قال عنهم سبحانه: **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ**.إن الإيمان يصنع حياة بعد موت، قال الله: **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ [الأنعام:١٢٢]**، ويصنع عزاً بعد ذل، قال الله: **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران:١٣٩]**، ويصنع شجاعة وإقداماً بعد خوف وإحجام، قال الله: **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ [آل عمران:١٧٣]**.إن الإيمان يجعل للحياة طعماً، وللدنيا لوناً وللقلب ثباتاً، وللصدر انشراحاً، وللطاعة حلاوة، وللمعصية نكارة، والإيمان اطمئنان وإيثار، ولجوء إلى الله، واعتماد عليه، وأنس وسعادة به، وخلوة معه، ورحمة منه.تأمل وانظر كيف انقلب الكهف إلى مأوى؟ قال الله: **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا [الكهف:١٦]**.إن من آثار الإيمان وثمراته، تثبيت الله لأهله، قال الله: وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ

[الكهف:١٤].إن الاعتراف بالعبودية عزة يعتز بها أصحاب الكهف كما قال الله عنهم: **إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ [الكهف:١٤]**، وأي عزة أعظم من أن تكون عبداً لله؟

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك: يا عبادي! وأن صيرت أحمد لي نبياً

لقد أنكر أهل الإيمان هؤلاء الباطل، فقال الله تعالى على لسانهم: **هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً [الكهف:١٥]** أي باطل أعظم من الشرك بالله؟ إن القلوب المؤمنة تعلم أن ما على الأرض إنما جعل للابتلاء والامتحان، وأن نهاية هذا الكون إلى الفناء والزوال، قال الله: **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا [الكهف:٧-٨]**. ذكر أكثر من واحد من السلف والخلف: أن فتية الكهف كانوا أبناء ملوك، لكن الإيمان الراسخ أمام الفتن والشهوات يجعل أهل الإيمان في حرص على دينهم وعقيدتهم؛ لأن الدين غالٍ، ولا مجال لتعريضه للخطر، فأعز ما يملك المؤمن هو دينه وإيمانه، تأمل في دعائه صلى الله عليه وسلم: (**اللهم احفظني في ديني ودنياي**)، (ابي داود ٥٠٧٤)وفي قوله: (**اللهم أصلح لي ديني**)(**مسلم ٢٧٢٠**)، وقوله: (**ولا تجعل مصيبتي في ديني**)(**شعب الايمان ٢٣٧**)، وليس التشريف في الآية لفتية الكهف فقط، بل لكل من سار على دربهم وطريقهم. إن فتية اليوم في أمس الحاجة لسماع أخبار فتية الأمس، ونحن نستمد من الماضي قوة؛ لأن الماضي متصل بالحاضر، وإن كان فتية الأمس قد استطاعوا فإن فتية اليوم أيضاً عندهم القدرة والاستطاعة على أن يفعلوا كما فعل فتيان الأمس، كيف لا والمصدر واحد، والمنبع واحد، قال الله: **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ [الأنبياء:٩٢]**. والشباب أقبل للحق، وأهدى للسبيل، ولقد كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم هم الشباب، فكتاب الوحي هم الشباب، وحفظة السنة هم الشباب، وسفراء الرسول صلى الله عليه وسلم هم الشباب، وشعراؤه صلى الله عليه وسلم هم الشباب، وقادة الجيوش يمنة ويسرة هم الشباب، فعلى أكتافهم تقوم الحضارات، وتنهض الأمم، وفي ورقات ست سوف نسوق أخبارهم: الورقة الأولى: الفتية وطلب العلم.الورقة الثانية: الفتية وظلام الليل.الورقة الثالثة: الفتية وعزة المؤمنين.الورقة الرابعة: في ساحات الوغى اشتاقت لهم الجنة واشتاقوا لها. الورقة الخامسة: ما الذي حدث؟ وكيف تبدل الحال؟ ثم الورقة الأخيرة: همسة لها لحواء. الورقة الأولى: من صفات الفتية: أنهم طلاب علم، فبالعلم يعبد الله ويوحد، وبالعلم يقدس الله ويمجد، وقد رفع الله أهل الإيمان والعلم على غيرهم درجة، كيف لا والعلم طريق من طرق الجنة، وطلاب العلم أخشى الناس لله من غيرهم، فهم ورثة الأنبياء، والله يقول: **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا [طه:١١٤]. جاء في فضل العلم وأهله: عن معاوية رضي**

الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين).(البخاري ٧١) **وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)**،(**ابي داود ٣٦٤٣**) والأحاديث في فضل العلم وأهله كثيرة.**وروى الوليد بن مسلم قال:** شيعنا الأوزاعي وقت انصرافنا من عنده، فأبعد في تشييعنا، فمشى معنا فرسخين أو ثلاثة، فقلنا له: أيها الشيخ! يصعب عليك المشي على كبر السن قال: امشوا واسكتوا، لو علمت أن لله قوماً يباهي بهم أفضل منكم لمشيت معهم وشيعتهم، ولكنكم أفضل الناس.وسئل ابن المبارك : لو أن الله أوحى إليك أنك سوف تموت العشية، فماذا تصنع اليوم؟ قال: أقوم وأطلب العلم.وقال صلى الله عليه وسلم من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان: أحدهما عابد والآخر عالم، فقال عليه الصلاة والسلام: (**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال صلى الله عليه وسلم: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير**)(**الترمذي ٢٦٨٥**).

حتى تكون من طلاب العلم وفتيانه لابد من صفات وخصائص ومميزات لابد أن تتحلى بها:أولها: فتية العلم أصحاب همم عالية! كان أسد بن الفرات قد خرج من القيروان إلى الشرق سنة مائة واثنين وسبعين؛ **فسمع الموطأ من مالك في المدينة،** ثم رحل إلى العراق فسمع من أصحاب أبي حنيفة وتفقه عليهم، وقد حضر مجلس محمد بن الحسن الشيباني وقال له: إني غريب، قليل النفقة، والسماع منك شرف، ولكن الطلبة من حولك كثير، فما حيلتي؟ فقال له محمد بن الحسن : استمع مع العراقيين بالنهار، وقد جعلت لك الليل وحدك، فتبيت عندي وتقرأ علي وأسمعك، قال أسد : فكنت أبيت عنده، وينزل إلي، ويجعل بين يديه قدحاً فيه ماء، ثم يأخذ في القراءة؛ فإن أطال الليل ونعستُ ملأ يده ونضح وجهي بالماء فأنتبه، فكان ذلك دأبه طوال الليل، ودأبي معه حتى أتيت على ما أريد من السماع منه.صدقوا حين قالوا: من طلب العلا سهر الليالي.**قال ابن القيم رحمه الله: فإذا نام المسافر واستطال الطريق، فمتى يصل إلى المقصود**(**الفوائد ١\١٠٠**)؟!وقال ابن أبي حاتم : كنا بمصر سبعة أشهر في طلب العلم لم نحصل فيه على مرقد. نهارنا ندور على الشيوخ، وفي الليل ننسخ ونقابل، فأتينا يوماً أنا ورفيق لي شيخاً، فقالوا: هو

عليل، فرأيت سمكة أعجبتنا فاشتريناها، فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس بعض الشيوخ، فمضينا، فلم تزل السمكة ثلاثة أيام، وكادت تنتن، فأكلناها نيئة ولم نتفرغ لنشويها، ثم قال: لا يستطاع العلم براحة الجسد. ثانيها: إن أردن أن تكون من طلاب العلم وفتيته فلابد أن تحرص على الوقت، ولا تنشغل بتوافه الأمور، قال الله عنهم: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا [الفرقان:٦٣]، هذا نهارهم. أما ليلهم: **وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا [الفرقان:٦٤-٦٥]، وقال عنهم: وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ [الفرقان:٧٢]** وكل باطل زور، **وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا [الفرقان:٧٢]**، فلا ترى فتى العلم إلا في فرض يؤديه، أو خير يعمله.روي أنه أحضر فيل في المدينة المنورة، وكان مالك بن أنس يدرس في المسجد، فقال قائل: حضر الفيل، فقام تلاميذ مالك ينظرون إلى الفيل وتركوا الشيخ، إلا يحيى بن يحيى الليثي الأندونيسي ، فقال له مالك : لم لم تخرج لترى هذا الخلق العجيب وليس في بلادك مثله؟ قال: إنما أتيت لآخذ علمك، ولم آت لأنظر إلى الفيل.ففتى العلم حريص على وقته، مترفع عن توافه الأمور، والعمر لا يقاس بالسنين ولكن بالإنجازات التي تنجز فيه.ثالثها: العمل بالعلم، فمن أراد أن يكون من فتية العلم وطلابه فلا بد من أن يعمل بالعلم الذي تعلمه.كتب الإمام الغزالي رحمه الله إلى أحد تلامذته حين طلب منه أن يقدم له نصيحة، فقال: يا ولدي! النصيحة سهلة، ولكن الصعب قبولها؛ لأنها في فم من لم يتعودها مرة المذاق، وإن من يحصل العلم ولا يعمل به تكون الحجة عليه أعظم، كما قال صلى الله عليه وسلم: (**أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه**)، (**الدارمي ٢٦٨**)وقالوا: العلم يهتف بالعمل، فإن أجاب حل، وإلا ارتحل، ولابد مع العمل من صدق وإخلاص. الورقة الثانية: الفتية وظلام الليل.إن أردت أن تكون خالصاً لله بالنهار فلابد أن تكون خالصاً له بالليل، والظلام سر من الأسرار، وفي جوف الظلام يتربى الفتية الذين آمنوا بربهم، قال الله جل في علاه: **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا [المزمل:٦]**، وقال عنهم: **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا [السجدة:١٦]**. إن الصلاة في ظلام الليل من أفضل الطاعات وأجل القربات بعد الصلوات المفروضات، ولقد كان سيد القائمين صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فإذا سئل عن ذلك قال: (**أفلا أكون عبداً شكوراً؟!**).وكان يربى الفتيان على القيام في ظلام الليل -لأنه لا تربية أعظم من التربية السرية بين العبد وبين ربه- فيقول: (**نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم الليل**)(**البخاري ٣٧٣٨**)، فلما أخبر عبد الله بخبر النبي صلى الله عليه وسلم ما ترك قيام الليل.روى مسلم عن أبي هريرة : أنه صلى الله

عليه وسلم سئل عن أفضل الصلاة بعد المكتوبة؟ فقال: (**أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل**).(**مسلم ١١٦٣**) وفي حديث عذب جميل أخرجه النسائي وصححه الترمذي وابن خزيمة و(ابن حبان ٤٧٧١)عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً: (**ثلاثة يحبهم الله عز وجل، فذكر منهم: وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به نزلوا فوضعوا رءوسهم، فقام عبدي يتملقني ويتلو آياتي**) قام الذي بينه وبين الله أسرار يتملق ربه ويتلو آياته، وأي شيء أعظم من الانكسار بين يديه سبحانه في ظلام الليل؟! وفضل الصلاة في ظلام الليل معلوم، ولا يقدر عليها إلا متجرد عظيم الإخلاص، ولذلك قالوا: لا يقوم الليل منافق.قلت لليل: هل بجوفك سرٌ عامر بالحديث والأسرار؟قال: لم ألق في حياتي حديثاًكحديث الأحباب في الأسحاروللفتية في نبيهم أسوة، فعن علي رضي الله عنه قال: (**ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح**) رواه أحمد بإسناد صحيح. إن من دأب الصالحين قيام الليل، واللجوء إلى الله عند الشدائد والفتن، وأي شدائد أعظم مما نمر به في مثل هذه الأيام؟!يقول ابن مسعود : ما سمعنا مناشداً ينشد ضالة أشد من مناشدة محمد صلى الله عليه وسلم لربه يوم بدر، كان يقول في مناشدته لربه: (**اللهم إني أنشدك ما وعدتني، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد، اللهم لا تودع مني، اللهم لا تخذلني، اللهم لا تترني، اللهم أنشدك ما وعدتني، اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني به**) يدعو ويردد ويلح على ربه في الدعاء حتى يسقط رداءه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه فقال: يا نبي الله! كفاك مناشدتك لربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ [الأنفال:٩]** هذا هو الزاد عند الشدائد، **وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ [فاطر:١٤]**.لقد تعلم الفتية من نبيهم فن التضرع والبكاء في ظلام الليل، قال الذهبي : وممن كان يصلي صلاة طويلة من العشاء إلى الفجر علي بن الحسين زين العابدين ، كان إذا أطل عليه الليل وأقبل عليه النهار توضأ وأتى فراشه وقال: ما أحسنك وما أدفأك، ولكن في الجنة أحسن منك وأروح منك وأدفأ منك، والله لا أنام حتى الصباح، فكان يصلي حتى الفجر، فإذا طلع الفجر رؤي على وجهه قبس من نور وشعاع من بياض.قيل **للحسن البصري** : إن الذين يقومون الليل على وجوههم نور؟ قال: خلوا به في الظلام فكساهم من نوره.ومن فتية الظلام أيضاً: **الربيع بن خثيم** ، كان يقول: أكثروا من ذكر الموت فهو غائبكم المرتقب، وإن الغائب إذا طالت غيبته أوشكت أوبته، وترقبه

ذووه، ثم استعبر وقال: ماذا نصنع غداً إذا دكت الأرض دكاً دكاً، وجاء ربك والملك صفاً صفاً، وجيء يومئذ بجهنم؟ كان الربيع لا ينام، فتصحو أمه فتجده صافاً في محرابه، كادحاً في مناجاة ربه، مستغرقاً في صلاته، فتناديه وتقول: ألا تنام يا ربيع ؟! فيقول: يا أماه! كيف ينام من جن عليه الليل وهو يخشى البيات، يعني: هجوم الخصوم، لقد أرق أمه كثرة تضرعه وبكائه وشدة نحيبه في عتمات الليل والناس نيام حتى ظنت به الظنون، فصاحت تناديه: ما الذي أصابك يا بني؟! لعلك أتيت جرماً، لعلك قتلت نفساً؟ قال: نعم يا أماه! لقد قتلت نفساً، فقالت في لهفة: ومن هذا القتيل حتى نجعل الناس يسعون إلى أهله لعلهم يعفون عنك؟ والله لو علم أهل القتيل ما تعاني من البكاء، وما تكابد من السهر لرحموك، فقال: لا تكلمي أحداً يا أماه! إنما قتلت نفسي بالذنوب والمعاصي.إنه تلميذ ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقرب الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم، كان ابن مسعود يقول للربيع : ما رأيتك مرة إلا ذكرت المخبتين، وكان يقول له: يا أبا يزيد ! لو رآك النبي صلى الله عليه وسلم لأحبك. الورقة الثالثة: الفتية وعزة المؤمنين. قال الله جل في علاه: **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا [فاطر:١٠]**، وقال: **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ [المنافقون:٨]**. في موقف عصيب، وفي أيام شديدة، تجمع فيها الكفر وأحزابه في يوم الأحزاب –وما أشبه اليوم بالأمس– لاستئصال شوكة الإسلام، وجاءوا ليطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، يصور القرآن هول ذلك اليوم وشدته، فيقول سبحانه: **إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا [الأحزاب:١٠]**، يظن المنافقون وليس المؤمنون، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا [الأحزاب:١١].في مثل هذه المواقف العصيبة تظهر عزة الفتية الذين آمنوا بربهم، **فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الجموع قد تجمعت حول المدينة، وقد تآمر اليهود والمشركون وألبوا قبائلهم واستجمعوا، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخفف من ضغط الحصار الخانق الذي تتعرض له المدينة وأهلها، فاتصل بقائدي غطفان سراً عيينة بن حصن والحارث بن عوف ، فقد علم النبي صلى الله عليه وسلم بحنكته السياسية، وخبرته بنفسيات الرجال أن غطفان وقادتها ليس لهم هدف سياسي أو باعث عقدي، وليس لهم هم سوى الحصول على المال والغنائم، فاجتمع بهم صلى الله عليه وسلم سراً وعرض عليهم عقد صلحٍ منفرد بين المسلمين وغطفان، وهو: أن تتوقف غطفان عن القيام بأي عمل حربي، وتكف الحصار عن المدينة، وتنسحب برجالها، على أن يدفع المسلمون لغطفان مقابل ذلك ثلث**

ثمار المدينة، فقبلت غطفان هذا العقد؛ لأنهم ما خرجوا إلا للمكسب المادي، واشترط النبي صلى الله عليه وسلم موافقة فتية الأوس والخزرج على هذا الاتفاق قبل توقيعه، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم السعدين: سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج، وعرض عليهما الأمر بحضور قادة غطفان، واستمع السعدان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالا: يا رسول الله! أمراً تحبه فتصنعه لنا؟ أم شيئاً أمرك الله به لابد لنا من العمل به؟ إن كان أمراً من السماء فامض لما أمرك الله، وإن كان أمراً لم تؤمر به ولك فيه رغبة فسمعاً وطاعة، وإن كان إنما هو الرأي فاسمع يا رسول الله منا: نحن وهؤلاء القوم كنا على كفر وشرك وعبادة للأصنام، وما كانوا يأكلون ثمارنا إلا قرىً -أي: ضيوفاً عندنا- أو بيعاً، واليوم بعد أن أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا إليه، وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟ والله ما بيننا وبينهم إلا السيف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو كان أمراً أمرني الله به ما شاورتكما، ووالله ما أصنع ذلك إلا لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر شوكتهم إلى أمر ما)(بن هشام ٢\٢٢٣).وهكذا فإن العزة لا تظهر إلا في أوقات الشدائد، قال الله: **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ [المنافقون:٨]**، إنها العزة المستمدة من كتاب الله، ويواسي الله المؤمنين في قوله: **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ [آل عمران:١٣٩-١٤٢]**.لقد انقلبت الموازين يوم ثبت الفتية على دينهم، وأظهروا عزتهم بالإسلام، قال الله تعالى: **وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ [الأحزاب:٢٥]**، ونصرهم الله وهم قلة، قال الله سبحانه: **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [آل عمران:١٢٣]**، لما كانوا رهباناً بالليل استطاعوا أن يكونوا فرساناً بالنهار.

الورقة الرابعة: الفتية في ساحات الوغى اشتاقوا للجنة واشتاقت الجنة لهم. إن صفقة غالية تمت بين الله جل في علاه وبين الفتية المؤمنين، هم باعوا والله اشترى، على أن يكون الثمن الجنة، فالمشتري هو الله، والبائعون هم فتية الإسلام، قال الله: **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا [الفتح:١٠]**، وعند الأزمات تظهر معادن الرجال.من أعظم صفات الفتية: أنهم شجعان، وأنهم لله جند، همهم: أن

تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، شعارهم:**نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً** وشعارهم أيضاً: كنا جبالاً فوق الجبال وربما صرنا على موج البحار بحاراًلقد اشتاقوا إلى الجنة واشتاقت لهم.منذ الساعات الأولى لوفاة النبي صلى الله عليه وسلم والتحاقه بالرفيق الأعلى، وقفت قبائل العرب تخرج من دين الله أفواجاً كما دخلت فيه أفواجاً، حتى لم يبق على الإسلام إلا مكة والمدينة والطائف وجماعات متفرقة هنا وهناك، فثبت الله قلوب أهل الإيمان لما نصروا دينهم، وصمد الصديق رضي الله عنه لهذه الفتنة المدمرة صمود الجبال الراسيات، وجهز من المهاجرين والأنصار أحد عشر جيشاً، وعقد لقادة هذه الجيوش أحد عشر لواء، ودفع بهم في أرجاء الجزيرة؛ ليعيدوا المرتدين إلى سبيل الهدى والحق، فإن عادوا سلماً وإلا فالسيف بيننا وبينهم.كان أقوى المرتدين بأساً وأكثرهم عدداً بني حنيفة، أصحاب مسيلمة الكذاب ، فلقد اجتمع له أربعون ألفاً من أشداء المحاربين، فأرسل لهم الصديق جيشاً بقيادة عكرمة بن أبي جهل فرده مسيلمة على أعقابه، فقال أبو بكر: ليس لها إلا خالد ، فأرسل خالداً ومعه فتية آمنوا بربهم من المهاجرين والأنصار، والتقى الجيشان على أرض اليمامة في نجد، فما هو إلا قليل حتى رجحت كفة مسيلمة وأصحابه، وزلزلت الأرض تحت أقدام الفتية المؤمنين، وأخذوا يتراجعون عن مواقفهم حتى اقتحم أصحاب مسيلمة خيمة خالد واقتلعوها من أصولها، عند ذلك شعر المسلمون بالخطر الساخن، وانطلقت الآيات والتكبيرات، الآيات كقوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ [الأنفال:١٥]، وكقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الأنفال:٤٥]**، أدرك الفتيان أن الدين في خطر، وأنهم إن يهزموا أمام مسيلمة لن تقوم للإسلام قائمة، ولن يعبد الله وحده لا شريك له في جزيرة العرب، فنظم خالد الصفوف، وميز المهاجرين عن الأنصار، وارتفعت رايات لا إله إلا الله، وهب نسيم الجنان، وعلت التكبيرات، وتنادى القوم: **إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء**، وليرين الله ما نصنع، ثم كر القوم على القوم، فدارت رحى معركة ضروس لم تعرف حروب المسلمين لها نظيراً من قبل، ثبت قوم مسيلمة في ساحات الوغى، ولم يأبهوا لكثرة ما أصابهم من القتل، وأظهر الفتية خوارق البطولات وسجلوا ملحمة من الملحمات.صفحات مجد في الخلود سطروها ذات الرجال لها بغير جدال فهذا فتى الأنصار ثابت بن قيس حامل لواء الأنصار يتحنط ويتكفن، ويحفر لنفسه حفرة في الأرض، وينزل فيها إلى نصف ساقيه، ويبقى ثابتاً في موقفه يساند ويقاتل عن راية التوحيد، حتى خر صريعاً شهيداً، ولسان حاله: **يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها** وهذا فتى آخر وهو زيد بن الخطاب، أخو عمر رضي الله عنهم أجمعين، ينادي في المسلمين: أيها الناس! عضوا

على أضراسكم، واضربوا في رقاب عدوكم، وامضوا قدماً، أيها الناس! والله لا أتكلم بعد هذه الكلمة أبداً حتى يهزم مسيلمة أو ألقى الله فأدلي إليه بحجتي، الله أكبر، الله أكبر، ثم كر على القوم فما زال يقاتل حتى قتل، وآيات الله تناديه: **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ [آل عمران:١٦٩]**، **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى [الكهف:١٣]**.وهذا مولى أبي حذيفة يحمل راية المهاجرين فيخشى عليه قومه أن يضعف أو يستكين أو يتزعزع فقالوا له: إنا لنخشى أن نؤتى من قبلك، فقال: **إن أتيتم من قبلي فبئس حامل القرآن أكون أنا**، ثم كر على الأعداء كر الأسود حتى أصيب. **كرر علي حديثهم يا حادي فحديثهم يجلو الفؤاد الصادي** ولما رأى خالد وطيس المعركة قد حمي واشتد التفت إلى البراء بن مالك وقال: إليهم يا فتى الأنصار! فالتفت البراء إلى قومه وقال: يا معشر الأنصار! يا معشر الأنصار! لا يفكرن أحد منكم بالرجوع إلى المدينة، فلا مدينة لكم بعد اليوم، إنما هو الله وحده ثم الجنة، قال الله تعالى: **فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [محمد:٤-٧]**، ثم حمل على المشركين وحملوا معه، وأعملوا السيوف في رقاب الأعداء حتى تقهقر مسيلمة وأصحابه، فلجئوا إلى الحديقة التي عرفت فيما بعد باسم حديقة الموت. دخل مسيلمة وجنده الحديقة وأغلقوا الأبواب وتحصنوا بالجدران العالية، وأخذوا يمطرون المسلمين بنبالهم، فتقدم فتى الأنصار **المغوار البراء بن مالك** فقال: يا قوم! ضعوني على جحف وارفعوه على الرماح، ثم اقذفوني إلى الحديقة قريباً من بابهم، فإما أن أنال الشهادة وإما أن أفتح لكم الباب.لقد كان في عملية استشهادية لا يقوم بها **إلا فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى [الكهف:١٣]**، فوضعوه على جحف وكان نحيل الجسم لكنه قوي الإيمان، ورفعته عشرات الرماح فألقته في حديقة الموت بين آلاف مؤلفة من جنود الكفار فنزل عليهم نزول الصاعقة، فأخذ يقاتلهم وحيداً فريداً والله معه، ويعمل في رقابهم أمام باب الحديقة، فقتل منهم عشرة وفتح الباب، وبه بضع وثمانون جرحاً ما بين رمية بسهم وضربة بسيف، فتدفق المسلمون على باب الحديقة، وأعملوا السيوف في رقاب المرتدين حتى قتلوا منهم أكثر من عشرين ألفاً، ووصلوا إلى مسيلمة الكذاب فتناوشته السيوف والرماح حتى أردوه قتيلاً، وحمل الفتى المغوار إلى رحله، وأقام عليه خالد شهراً يعالجه من جراحه حتى شفاه الله، وكتب لجند المسلمين على يديه النصر. بمثل هؤلاء تنتصر الأمة.

ملكنا هذه الدنيا القرونا وأخضعها جدود خـــالدونا
وسطرنا صحائف من ضياء فما نسي الزمان ولا نسينا
بنينا حقبة في الأرض ملكاً يدعمه شباب طامـــحونا
شباب ذللوا سبل المعالي وما عرفوا سوى الإسلام ديناً
تعهدهم فأنبتهم نباتاًكريماً طابت الدنيا غصـــونا
إذا شهدوا الوغى كانوا كماة يدكون المعاقل والحصونا
شباب لن تحطمه الليالي ولن يسلم إلى الخصم العرينا
وإن جن المساء فلا تراهم من الإشفاق إلا ساجـــدينا
ولم تشهدهمُ الأقداح يوماً وقد ملئوا نواديهم مجـــونا
وما عرفوا الأغاني ماجنات ولكن العلا صيغت لحونا

هذه أخبارهم، فما أخبارنا؟ وأفعالهم، فما أفعالنا؟ وتضحياتهم، فما تضحياتنا؟ ومواقف فتيانهم، فأين فتياننا؟ أما الديار فكأنها كديارهم وأرى رجال الحي غير رجالهم الورقة الخامسة: ما الذي حدث؟ وكيف تبدل الحال؟ قال الله: **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا [مريم:٥٩]**. خلف من بعدهم خلف استبدلوا التسبيح والتهليل والتكبير بالقيل والقال، وكثرة السؤال، واستبدلوا السواك بالسيجارة، والقرآن بالمجلة، ومجالس العلم بمجالس الأفلام والمسلسلات، وتلاوة القرآن بسماع الأغاني والألحان، ورايات الجهاد برايات الضياع والعناد، **بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا [الكهف:٥٠]**.

يا ويحنا ماذا أصاب رجالنا أو ما لنا سعد ولا مقداد؟
هذه بساتين الجنان تزينت للخاطبين فأين من يرتـاد
يا ليل أمتنا الطويل متى نرى فجراً تغرد فوقه الأمجاد
دعنا نسافر في دروب آبائنا ولنا من الهمم العظيمة زاد

ولكن مهما طال الليل لابد للنهار أن ينجلي، وها نحن نرى كل يوم أفواج الشباب تعود وترجع، وتنضم إلى أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم، ها هي تباشير الصباح قد ظهرت وأنتم ثمارها، فيا شباب الإسلام! يا أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، يا من دك أجدادكم دولة الأصنام، أنتم الأمل بعد الله لقيادة البشرية، وإنقاذ الإنسانية، من سيقود الناس إلا أنتم، ومن سيهديهم إلى سبل الرشاد إلا أنتم؟ رويداً بني روما فللحرب فتية تهيج الظبى أطرافهم **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى [الكهف:١٣]**. همسة قبل النهاية: **أخرج** (**ابن أبي شيبة٣٧٩٣٧**) **عن الشعبي : أن امرأة دفعت إلى ابنها يوم أحد سيفاً، فلم يطق حمله فشدته على ساعده بنسعة** -يعني: **قطعة قماش- ثم أتت به إلى النبي صلى الله عليه**

وسلم، فقالت: يا رسول الله! هذا ابني يقاتل عنك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للغلام: (**أي بني احمل ههنا احمل ههنا وأخذ يقاتل دون النبي صلى الله عليه وسلم، فأصابته جراحة فصرع، فأتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أي بني لعلك جزعت؟ قال: والذي بعثك بالحق لم أجزع، وانطلق يقاتل القوم على شدة جراحه وآلامه**). فأنجبي لنا مثل هؤلاء، وربي لنا مثل هؤلاء، فأنت صانعة الأبطال، ومربية الأجيال.إن الشباب هم القوة، وهم حملة الرسالات، وإن مسئولية الشباب اليوم أكبر مما مضى، فالمطلوب من أبناء الإسلام شباباً وشيوخاً أن يفهموا دينهم فهماً صحيحاً، بتعلم العلم الشرعي والعمل بذلك العلم، ثم الدعوة إلى الله والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، قال الله: **كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ [المجادلة: ٢١]**.اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب إليك، ونؤمن بك ونتوكل عليك، ونثني عليك الخير كله، نشكرك ولا نكفرك، ونترك ونهجر من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجوا رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق. اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك، اللهم انصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، اللهم طمئن قلوبهم، وثبت أقدامهم، وأفرغ عليهم صبراً يا رب العالمين! اللهم صن أعراضهم، واحقن دماءهم، وعجل بنصرهم يا رب السموات والأرضين. اللهم من أرادنا وبلاد المسلمين بسوء فأشغله بنفسه، واجعل تدبيره تدميره، اللهم لا تدع لهم ناراً للحرب إلا أطفأتها، اللهم اجعل تدبيرهم تدميرهم، واجعل دائرة السوء عليهم، اللهم ردهم خائبين خاسرين فإنهم لا يعجزونك يا جبار السموات والأرضين، اللهم رد الشباب والشيب إليك رداً جميلاً يا رب العالمين! اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا يا ربنا من الراشدين. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا في من خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين! ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

***

أهمية الوقت وخطورة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**.**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.عباد الله! لقد أقسم الله تبارك وتعالى بالوقت في مواضع عدة، فأقسم جل في علاه بالليل، وأقسم بالضحى، وأقسم بالفجر، وأقسم بالعصر، والله لا يقسم إلا بعظيم، ولله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وليس للمخلوق أن يقسم إلا بالله العلي العظيم.وقد أقسم الله بالوقت لعظيم أهميته، ولعظيم خطورته، فالوقت هو الأعمار التي نمتلكها، وهو رأس المال، والوقت إذا مضى فإنه لا يرجع أبداً، فمن منا يستطيع أن يُرجع ساعة من العمر الذي مضى، أو دقيقة، بل ثانية؟! فكلنا نزين المعصم بالساعة، ونحن ننظر إلى عقارب الساعة تسير إلى الأمام، ولا ترجع إلى الخلف أبداً، فقد زينا المعاصم بالساعات ولكن قليلاً منا هم الذين عرفوا قيمة الساعات والأوقات.وقد قال جل في علاه مبيناً أصناف الناس في استغلال أوقاتهم: **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ [فاطر:٣٢]**، فالناس أصناف ثلاثة: قسم لا يشعر بالوقت، ولا يعرف أهميته، ولا يدرك خطورة تضييعه، فهؤلاء يكتشفون أنهم كانوا في حسرة وندامة عند ساعات الاحتضار، وأمنيتهم حينئذ أن يزدادوا في العمر ساعة؛ حتى يستدركوا ما فات.وقسم يعرفون قيمة الوقت وأهميته، لكنهم أصيبوا بالكسل والفتور، فهممهم لم توصلهم إلى ما يريدون.والقسم الثالث: أقوام لله درهم! عرفوا قيمة الوقت، وعرفوا أن الوقت هو العمر، وجعلوا قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**خيركم من طال عمره، وحسن عمله**) شعاراً لهم في حياتهم، فعرفوا قيمة الليل، وعرفوا قيمة

النهار، فالليل والنهار يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود ووعيد، قال عمر بن عبد العزيز : **الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل أنت فيهما**. لقد بين الله جل في علاه حقيقة هذه الحياة وأنها لا تعدو عن كونها أشياء أربعة، فقال سبحانه: **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ [الحديد:٢٠]**، ثم بين طريق النجاة فيها فقال: **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الحديد:٢١]**، فالحياة لا تعدو عن كونها أشياء أربعة، كما قال ربنا تبارك وتعالى: لعب، ولهو، وزينة، وتفاخر، وتكاثر في الأموال والأولاد، وشبهها تبارك وتعالى بالمطر الذي يعجب الكفار نباته، ثم في لحظات يصفر ويصبح حطاماً، ثم تبدو الحقيقة التي لا بد منها في الآخرة: إما عذاب شديد للذين ضيعوا الأعمار والأوقات، وإما مغفرة من الله ورضوان. إن السباق في الحياة الدنيا على نوعين: إما سباق على الدرهم والدينار كما هو الواقع اليوم، **وتعس عبد الدرهم، وتعس عبد الدينار(الاوسط ٢٥٩٥)**، وإما سباق على مرضاة الله تبارك وتعالى، ولكل سباق خط نهاية، ونهاية السباق إما نعيم دائم، أو عذاب مقيم، إما: يا أهل الجنة! خلود فلا موت، ويا أهل النار! خلود فلا موت.والسباق يحتاج إلى مطية، والمطية لا بد أن تكون قوية؛ حتى نستطيع أن نقطع السباق، ففي طريق السباق مصاعب وعقبات وآهات وآلام، فإذا نام المسافر واستطال الطريق فمتى يصل إلى المقصود؟ فالمطية: هي الليل والنهار، فنركب مطية الليل ثم ننزل، ثم نركب مطية النهار ثم ننزل، ثم نركب مطية الليل.. وهكذا، حتى نصل إلى آخر السباق. من كلما زاد عمره زاد اسمه!يا من يجول في المعاصي فكره وهمه!يا قليل العبر وقد دق عظمه!يا قليل العبر وقد تبين أن القبر عما قليل يضمه!كيف نعظ من نام قلبه لا عقله وجسمه؟!فالأيام تقربان كل بعيد، وتأتيان بكل موعود ووعيد، وما من يوم تشرق شمسه إلا ومناد ينادي: يا ابن آدم! أنا يوم جديد، وعلى عملك شهيد، فاغتنمني فإني إذا مضيت لا أرجع أبداً.فهاهي الأعمار تنقضي، وهاهي الليالي تنطوي، وهكذا هي الحياة، فهاهو المسلسل يعيد نفسه من جديد، انقضت بالأمس اختبارات وامتحانات، وها نحن وإياكم نستقبل أيام الإجازات، فعلى أي حال سنستقبلها؟ هل نستقبلها كما استقبلناها في المرات الماضية والأعمار تضيع هدراً؟ فلو رأيت إنساناً يسير في طريق من الطرقات وبيده رزمة من الريالات، فصار يقذف بها يمنة ويسرة لعددت هذا مجنوناً غير عاقل، مع أن المال يعوض، فماذا تقول في الذي يهدر العمر، ويضيع

الساعات، ولا يعرف قيمة الدقائق والثواني؟!جاء أحدهم إلى العمل متأخراً، وجاء بعذرٍ أقبح من ذنب، قلت له: ما الذي أخرك؟ قال: أطلت السهر ليلة البارحة، قلت: في قيام وقراءة قرآن؟ قال: أتهزأ بي؟! وأنا أعرفه لا يكاد يصلي صلاة الظهر في جماعة، ثم قال: قناة رياضية عرضت ثلاث مباريات من الدوري الأوروبي، شاهدتها مباراة تلو الأخرى، أي: بمعدل ساعتين لكل مباراة! فهذا أضاع ست ساعات أمام الشاشات والقنوات! أعمارنا تضيع هدراً، فمتى سنعرف قيمتها؟ ومتى سنعرف أن العمر أغلى من الذهب والفضة؟ سنعرف ذلك إذا حاسبنا أنفسنا، وصدقنا مع أنفسنا، فاسأل نفسك يا ابن العشرين! واسأل نفسك يا ابن الثلاثين! واسأل نفسك يا ابن الأربعين والخمسين! كيف انقضت السنوات؟ وكيف انطوت تلك الساعات واللحظات؟ والله إنها أسرع من البرق، انظر إلى قرص الشمس هل يقف؟ هل توقفت الشمس يوماً عن الغروب أو تأخرت يوماً عن الشروق؟إن مرور الأيام والليالي ليس له إلا دليل واحد وهو: أنني أنا وأنت نقترب من النهاية كلما انقضى يوم وكلما انقضت ليلة، فالعمر والليالي في نقصان، وأنا وأنت نقترب إلى آخر اللحظات، فننتقل أنا وإياك من دار إلى دار، وهي دور أربع، نتنقل من هذه الدار إلى تلك الدار حتى نصل إلى دار القرار، فكنت في بطن أمك في ظلمة يرعاك الله في ذلك المكان، وكنت آمناً مطمئناً في تلك الدار، فخرجت تبكي عندما تغير الحال، فلما استشعرت النور، واستشعرت الفرحة والسرور رضيت بدار الدنيا.

أنت الذي ولدتك أمك باكياً والناس حولك يضــحكون سروراً

فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

فخرجت من بطن أمك إلى هذه الدار، فكم ستمكث فيها؟ الله أعلم، لكن خيركم في هذه الدار من طال عمره وحسن عمله، وشركم في هذه الدار، من طال عمره وساء عمله، **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم**: (**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**) (**البخاري ٦٤١٢**).وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**اغتنم خمساً قبل خمس: اغتنم شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل مرضك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك**).والناظر في حال كثير من الناس يرى أنهم لا يستعدون للدار التي بعد هذه الدار.وما دنياك إلا مثل ظل أظلك حيناً ثم آذن بالزوال فدار الدنيا سريعة الانقضاء، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**مالي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل ساعة تحت شجرة ثم تركها**)(**الترمذي ٢٣٧٧**)، فالدنيا ساعة.وقد مر النبي صلى الله عليه وسلم على ملأٍ من بني سلمة وهم يعمرون داراً من دورهم فقال: (**الأمر أسرع من هذا يا بني سلمة**)، فالأمر أسرع من أن يعمر الناس الدار ويسكنونها.وكم ستمكث في هذه الدار؟ الله أعلم، فالدنيا امتحان وابتلاء، قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين، وقليل من يجاوز**)(**الترمذي ٣٥٥٠**)، فمن بلغه الله الستين فقد أعذره، من بلغه الله الستين فماذا ينتظر؟! كان السلف إذا بلغ أحدهم الأربعين اعتزل الدنيا، واستعد للقاء الله، واشترى كفنه، ولازم المسجد، ولازم الصيام والقيام.ثم ستنتقل من هذه الدار إلى دار ثالثة: وهي دار القبور، وهي إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النيران، ولك الخيار فأنت الذي تختار، كما قال تعالى: **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا [الإنسان:٣]**، ثم ستخرج من تلك الدار، وسيتقرر المصير، فإما إلى جنة، وإما إلى نار، وليست الخسارة أن تخسر صفقة مالية، أو تخسر وظيفة، أو تخسر أي أمر من أمور الدنيا، قال تعالى: **وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ [الشورى:٤٥]**.وينادون ويسألون كما قال تعالى: **قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ [المؤمنون:١١٢]**، سيسألون عن الأوقات وعن الأعمار وعن الخمسين والستين، قال تعالى: **قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ، فأما الذين فرطوا وضيعوا فيقولون: كما قال تعالى: لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ [المؤمنون:١١٣]** أي: فاسأل أولئك الذين عرفوا قيمة اللحظات والدقائق والليالي والأيام، ثم يأتيهم التوبيخ الشديد: **قال تعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ [المؤمنون:١١٥]، وقال: أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى [القيامة:٣٦-٤٠]**، بلى قادر، وقال تعالى: **مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ [لقمان:٢٨]**.**وقال عليه الصلاة والسلام**: (**ما منكم من أحد إلا وسيقف بين يدي ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أمامه فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**).(**البخاري ٧٥١٢**) نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله عباد الله، قال تعالى: **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ [البقرة:٢٨١]**. أحبتي في الله! كثير من الناس فرطوا في أوقاتهم، وفرطوا في أعمالهم،

ومع زيادة التفريط ضيعوا أبناءهم ومن يعولون، فمع بداية أيام الإجازات انقلبت الموازين في البيوت، فأصبح الليل نهاراً، والنهار ليلاً، وأصبح الأبناء في الشوارع حتى ساعات متأخرة من الليل بلا حسيب وبلا رقيب!واعلم –بارك الله فيك– أنك إن غفلت عن تربية هؤلاء فإن الشارع يربي، والشاشات والقنوات تربي، وأصحاب السوء يربون، والمخدرات والمسكرات تربي، وقد يكون الابن صالحاً لكن مع التفريط والإهمال يصبح من الضائعين. جاءني أحد الآباء يبكي بدموع حارة وقد مات ابنه، ويريد أن يعرف: هل تسبب هو في ضياعه؟ قال: كان ابني من الصالحين، من الذين يحافظون على الصلوات، ويحفظون القرآن، وفجأة بدأت أحواله تتغير، وبدأ يكثر السهر، وبدأ يلازم الشارع أكثر من لزومه للبيت، وبدأت طباعه تتغير، والطيور على أشكالها تقع.

فلا تصحب أخا الفسق وإياك وإياه فكم فاسقاً أردى مطيعاً حين آخاه

يقول هذا الرجل: وبدأ ابني يسرق، وبدأ يحتال ويكذب، وأهملت الأمر في أوله، ثم بدأ الأمر يتعاظم شيئاً فشيئاً، فبدأت أتتبعه، ثم اكتشفت أن ابني صار مدمناً للمخدرات، فطلبت له العلاج، وأخذته هنا وأخذته هناك، وسافرت به إلى كل مكان، وكان يرفض العلاج، وكلما رجعنا من السفر عاد إلى أصحاب الشر؛ فأخذوه مرة ثانية، فحاولت نصحه بكل الطرق وبشتى الأحوال ولم يكن يستجب للعلاج، فقررت أن أحبسه في الدار، فحبسته في دار فيها دورة مياه – أعزكم الله– يأكل ويشرب، ولا يغادر المكان، وقلت: أحبسه حتى يقضي الله بيني وبينه أمراً كان مفعولاً، فبدأ صياحه يزيد، وقلت لأمه ولأخواته ولأقاربه: لا تفتحوا له الباب، ولا تأخذكم الشفقة والرحمة عليه، لا نريد أن نخسره، فقد خسرناه بما فيه الكفاية، ونريد أن نسترجع ابننا من الضياع الذي بدأ يسير عليه، وصار بكاؤه وصياحه يخف يوماً بعد يوم، وبدأ يستجيب لنا، لكن أصحاب السوء كانوا يترددون حول بيتنا ويسمعونه، إنهم قريبون منه.ومضت أيام فجاءت جدة العيال لزيارتهم، فلما سمع صوتها أخذ يبكي ورفع صوته بالبكاء قائلاً: ارحميني يا جدة! واسمعيني يا جدة! أنا تبت، وأنا كذا وكذا، فرقت الجدة لأمره، وفتحت له الباب، فالتقطه أصحاب المخدرات مرة أخرى، وخرج معهم، يقول الأب: جئت من وظيفتي في ذلك اليوم فرأيت بابه مفتوح، قالوا لي: جدته فتحت له الباب، قال: فألقي في روعي أني لن أرى ابني بعد ذلك اليوم، مضى يوم ومضى اليوم الثاني، بحثت عنه في كل مكان، ولم يبق جحر ضب إلا دخلته، وفي اليوم الثالث تعبت وأيست من وجوده، أين يختبئون؟ أين يذهبون؟ لا أعلم، وبعد أيام وفي ساعة متأخرة من الليل إذا طارق يطرق الباب، فقلت: **اللهم! إني أعوذ بك من طوارق الليل إلا طارقاً يطرق بخير**(**الكبير ٣٤٥٤**)، فتحت الباب فإذا بسيارة الشرطة، قالوا لي: أنت فلان بن فلان؟ قلت: نعم، قالوا لي: البس ثيابك فنحن نريدك في أمر هام، فلبست الثياب

وانطلقت معهم، فأخذوني إلى مجمع من المجمعات يغلق في تلك الساعات من الليل، فأدخلوني في سرية وفي هدوء تام، وأخذوني إلى دورات المياه، وقالوا لي: تعرف على هذه الجثة، فنظرت إليه فإذا هو ابني ابن التاسعة عشرة من العمر قد فارق الحياة، فأين أصحابه؟ وأين الذين أوصلوه إلى تلك النهاية؟ إنا لله وإنا إليه راجعون! ومثل هذا كثير، فكم خسرنا من أبنائنا بمثل هذه الصورة؟ وهذا بسبب تفريط الآباء، وبسبب تضييع البيوت للأمانة، وعدم حفظ الأوقات، فنتركهم هملاً في الشوارع حتى ساعات متأخرة من الليل، فلا صلاة فجر يصلونها، ولا صلاة جماعة يحافظون عليها.فما المطلوب منا أن نصنعه للأبناء؟قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ [التحريم:٦]**، وكيف يكون ذلك؟ يكون ذلك بأن نربيهم على فعل الطاعات، ونربيهم على ترك الفواحش والمنكرات، ونهيئ لهم في البيوت البيئة الصالحة التي يعبدون الله فيها، فنطهر البيوت من الفواحش والمنكرات. وأزيدكم من الشعر بيتاً؛ حتى تعرفوا مقدار المأساة! بالأمس القريب جاءني رجل يستفتي، فقلت له: ما سؤالك؟ قال لي: سؤالي عظيم، فالأمر أكبر مما تتصور، استر علي ستر الله عليك، قلت له: ما القضية؟ قال: لي زوجتان، أتعاهد هذه، وأتعاهد تلك، ولي ابن في سن العشرين، يغدو ويروح بلا حسيب وبلا رقيب، فأدمن شرب الخمور فأردت أن أدخله مصحة لكن فات الأوان، فقد اعتدى ابني على ابنتي ابنة السابعة عشرة وهو في حالة سكر شديد! فقلت له: صحح الموقف، قال: مضى وقت التصحيح؛ فالبنت حبلى من الزنى من أخيها وهي الآن في الشهر الرابع!هذا ما يحدث في بيوت المسلمين اليوم، قلت له: فماذا أصنع؟ قال: أريد أن يقام عليه القصاص، لا أريد أن أراه بعد اليوم، لكن ماذا أصنع بالبنية التي تحمل ابناً في بطنها؟!وليست هذه بالمرة الأولى التي نسمع بمثل هذا، أما آن لنا أن ننتبه ونربي البنين والبنات، فنهيئ لهم البيئة الصالحة، ونتخلص من الشاشات والقنوات التي أفسدت أخلاق البنين والبنات؟! اتقوا الله عباد الله! واحفظوا بيوتكم، واحفظوا أبناءكم، واحفظوا أعراضكم، واحفظوا صغاركم، وطهروا بيوتكم من المخالفات قبل أن يقع الفأس على الرأس.اللهم هل بلغت؟ اللهم فاشهد. اللهم طهر بيوتنا وبيوت المسلمين من الفواحش والمنكرات يا رب العالمين!اللهم أصلح البنين والبنات، والنساء والأطفال يا حي يا قيوم!اللهم ردنا إليك رداً جميلاً يا رب العالمين! اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا -يا ربنا- من الراشدين، وصن أعراضنا، واحقن دماءنا، وآمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين!اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تؤاخذنا بالتقصير، إنك -يا مولانا- نعم المولى ونعم النصير.عباد الله! **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ**

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

***

أهوال يوم القيامة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**.**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله، وكل ضلالة في النار. معاشر الأحبة! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله وبياكم وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته، وأن يجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين، وأسأله سبحانه أن يفرج هم المهمومين، ويكشف كرب المكروبين، ويقضي الدين عن المدينين، وأن يدل الحيارى ويهدي الضالين، ويغفر للأحياء وللميتين.فأنا وإياكم في ليلة مباركة، في مكان مبارك، في لقاء مبارك، أسأل الله أن يجعله حجة لنا لا حجة علينا. أحبتي! في زمن انشغال الناس بدنياهم اخترت لكم موضوعاً بعيداً عن مشاغل الحياة، وبعيداً عن مشاغل الدنيا، وأردت أن ننتقل من صخب الحياة إلى مكان آخر، وأردت أن تكون هذه الليلة موعظة قرآنية لحاجتنا للمواعظ، وأردت أن تكون هذه الليلة موعظة قرآنية بكل ما تعني الكلمة، بعيداً عن صخب الحياة وعن مشاغلها، فكلنا في أمس الحاجة إلى التذكير. فكما أن المطر يحيي الأرض فإن ذكر الله يحيي القلوب، والحياة الحقيقية وحياة السعادة والراحة والطمأنينة هي حياة القلوب، كما قال علام الغيوب: **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ [الرعد:٢٨]**.ولا نجاة يوم القيامة إلا لأصحاب القلوب السليمة، والحياة المؤمنة المطمئنة الراضية بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً.إنك ترى -بارك الله فيك- شدة حاجة الأرض إلى المطر، وكيف أنه إذا انقطع المطر عن الأرض اصفرت وأقحطت وأجدبت، وتحولت بعد الحياة إلى موت، ثم يتنزل المطر عليها فيبدل حالها من حال إلى حال، من اصفرار إلى اخضرار، ومن جدب إلى زهور وثمار وإلى عطاء ونماء، وكذلك هي القلوب

–بارك الله فيك– إذا تنزل **عليها ذكر الله –تبارك وتعالى–، قال جل في علاه: وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ [الحج:٥–٧]**.فحياة الأرض بالماء دليل على حياة القلوب بذكر الله تبارك وتعالى، والحياة الحقيقية هي حياة القلوب كما قال الله: **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا [الأنعام:١٢٢]**. فإذا حييت القلوب استعدت للقاء علام الغيوب، وإذا حييت القلوب تعلقت بذكر علام الغيوب، وإذا غفلت نست وقست، والله يقول: **فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ [الزمر:٢٢]**، فتعالوا نعطر المسامع في هذه الليلة المباركة بآيات من الذكر الحكيم، وبكلام من كلام سيد الأولين وسيد الآخرين.إن التدبر والتمعن والنظر في آيات الله الكونية والشرعية يحيي القلوب، ويحيي القلوب أيضاً الجلوس مع مثل هذه الوجوه التي ما جاءت إلا وهي تريد ما عند الله تبارك وتعالى، وانظر كيف يعاملها الله بكرمه حين ينفض المجلس قائلاً لهم: (**قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات، ما جمعكم إلا ذكري**)(**مصنف ابن ابي شيبة ٣٠٠٩١**)، وشرف المجالس بشرف المذكور، ويكفي الذاكرين قوله جل في علاه: **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ [البقرة:١٥٢]**، فيكفي الذاكرين لله شرفاً أن الله يذكرهم.أحبتي! إن الحياة هي الإيمان والإيمان هو الحياة، ولا قيمة للحياة بلا إيمان، فالذي يجعل للحياة قيمة، والذي يجعل للحياة طعماً، والذي يجعل للحياة نبضاً؛ هو الإيمان، وعلى قدر قوة هذا الإيمان يكون للحياة قيمة ومعنى.والمشكلة التي نعاني منها اليوم هو ضعف الإيمان في قلوبنا، وقلة التعلق بالله وباليوم الآخر، وضعف الاتصال بيننا وبين الله تبارك وتعالى، وما جاء القرآن إلا ليربطنا بالله تبارك وتعالى، وما جاء القرآن إلا موعظة من رب العالمين. قال الله تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ [يونس:٥٧]**، فالإيمان هو الحياة، والحياة هي الإيمان، ومن أركان هذا الإيمان العظيم: الإيمان باليوم الآخر، ذلك اليوم الذي سيجمع الله فيه الأولين والآخرين؛ ولأهمية ذلك اليوم قدمه الله على أركان الإيمان في مواضع عدة، إشارة ودلالة على أهميته، قال الله: **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ [البقرة:١٧٧]**، **وقال: ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ [البقرة:٢٣٢]**، وما من صفحة من صفحات القرآن إلا وهي تذكر ذلك اليوم، لا تكاد صفحة من صفحات القرآن تخلو من ذكر ذلك اليوم وما فيه من الآيات والصور والعظات، وذلك إما تصريحاً وإما تلميحاً، قال الله: **لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ** *

وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ [القيامة:١-٣]، ثم قال في آخر السورة: **أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى [القيامة:٣٦-٤٠]**، **قال قتادة : بلى وعزته وجلاله، بلى قادر كما قال الله: مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ [لقمان:٢٨]**. (**الطبري ٢٤\٨٤**)فتأمل وتدبر وانظر ما من صفحة من صفحات القرآن إلا وهي تخبرنا عن ذلك اليوم العظيم، فتكرار تلك الصور دليل على أهمية وعظمة ذلك اليوم **ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ [هود:١٠٣-١٠٥]**، فهذه هي القضية التي لا بد أن تشغل كل واحد منا، قضية: من الشقي ومن السعيد، **عن عبد الله بن مسعود أبي عبد الرحمن رضي الله عنه قال: حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال:** (**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم مثلها علقة، ثم مثلها مضغة، ثم يأتيه الملك فينفخ فيه الروح، ثم يؤمر أن يكتب أربع كلمات: عمله ورزقه وأجله وشقي أم سعيد**)(**البخاري ٣٢٠٨**)، فهذه أربع مسائل لا بد أن يتفكر كل منا فيها، ثم قال ابن مسعود في آخر الحديث: (**والذي لا إله غيره إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**)، فلا بد أن يتفكر كل واحد منا في قضية المصير: إما إلى جنة وإما إلى نار.وتأمل في قوله تبارك وتعالى: **الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ [القارعة:١-٥]**.تقول فاطمة زوج عمر بن عبد العزيز رحمه الله: رأيت منه ليلة العجب العجاب! قام يصلي ثم قرأ القارعة، فما كاد يصل إلى قوله تبارك وتعالى: **يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ [القارعة:٤-٥]** إلا خر مغشياً عليه، وأخذ يفحص في مكانه كما يفحص العصفور، حتى ظننت وقلت في نفسي: والله ليصبحن الناس ولا أمير لهم، تقول: ثم أفاق وبدأ يقرأ ويصلي حتى إذا بلغ قوله تبارك وتعالى: **يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ [القارعة:٤-٥]**، فخر مغشياً عليه من شدة البكاء.فأسألك بالله العظيم! كم مرة يمر على مسامعنا هذا القول العظيم؟! وكم مرة قرعت القارعة مسامعنا؟ وكم مرة قرعت الصاخة آذاننا؟ وكم مرة مر على مسامعنا الطامة والصاخة وتلك الأسماء العظيمة التي سمَّى الله بها ذلك اليوم؟ إن لم تتأثر

القلوب بالقرآن، إن لم تحيا القلوب بمواعظ القرآن، فالقضية تحتاج إلى مراجعة حسابات.**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ [المعارج:١-٤]، قال الحسن البصري :كيف أنت بأقوام وقفوا على أقدامهم خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة، ولم يشربوا فيها شربة واحدة**(التخوف من النار **٢٠٢\١**) كيف يكون حالهم؟! اليوم في وسط هذا الزحام يشتكي الناس من شدة الحر، ويشتكي الناس من شدة الأوضاع والأحوال، فكيف إذا جمع الله الأولين والآخرين على صعيد واحد وكيف إذا جمع الله أبناء آدم من لدن آدم حتى آخر من يكون على وجه الأرض؟ وكيف إذا جمعهم الله على صعيد واحد؟! لقد سمى الله يوم القيامة يوماً عظيماً، قال الله: **أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [المطففين:٤-٦]**.وسماه الله يوماً ثقيلاً، ووصف الله حال الناس في ذلك اليوم وصفاً عجيباً فقال: **وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ [الحج:٢]**.ومن دلائل عظمة ذلك اليوم: أنها تتقطع فيه الأحساب والأنساب.ومن دلائل عظمة ذلك اليوم: أن الكافر يتمنى أن لو كان في ذلك اليوم تراباً. إنه يوم طويل، فكيف سيبدأ؟ وكيف سينتهي؟ وكيف سينقسم الناس؟ومن دلائل عظمة ذلك اليوم أنه ما ترك القرآن شاردة ولا واردة إلا ذكرها وصورها عن ذلك اليوم العظيم.اسمع بارك الله فيك وتدبر وافتح القلب قبل أن تفتح الأذنين! قال جل في علاه: **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ [الحاقة:١٣-١٨]**، فلا إله إلا الله! كيف سيكون الحال إذا بعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور؟!إن يوم القيامة يبدأ بصيحة واحدة وينتهي بانقسام الناس إلى قسمين: فريق في الجنة وفريق في السعير، **وقد جاء في حديث الصور الطويل**: أن الله بعد أن ينفخ في الصور نفخة واحدة -أي: النفخة الأولى-: **فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ [الزمر:٦٨]**، قال: (**ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيسأله الجبار -وهو أعلم- من بقي؟ فيقول: بقي حملة العرش، وبقي جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، وبقيت أنا، وبقيت أنت، وأنت الحي الذي لا يموت، فيقول الله تبارك وتعالى: فليمت جبرائيل وميكائيل، فيصيح العرش قائلاً: يا رب يموت جبرائيل وميكائيل، فيقول الرب تبارك وتعالى: إني كتبت الموت على كل من تحت عرشي، فيموت جبرائيل وميكائيل، ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار تبارك وتعالى**

فيسأله -وهو أعلم-: من بقي؟ فيقول: بقي حملة العرش، وبقيت أنا، وبقيت أنت الحي الذي لا يموت، فيقول الجبار: فليمت حملة العرش، فيموتون، ثم يسأل الله ملك الموت عليه السلام: من بقي؟ فيقول: بقيت أنا، وبقيت أنت الحي الذي لا يموت، فيقول: أنت خلق من خلقي خلقتك لما ترى، فمت، فيموت ملك الموت، فلا يبقى كائن حي لا في السماء ولا في الأرض ثم ينادي الجبار جل جلاله: لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، ثم يجيب نفسه تبارك وتعالى فيقول: لله الواحد القهار).فهو الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، ثم ينفخ في الصور نفخة أخرى فيقوم من في السماوات ومن في الأرض، ويبعثر ما في القبور، ويحصل ما في الصدور، فتأمل حالهم عند الخروج من القبور: **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ [القمر:٦-٨]**، فأما حال المجرمين: فحال ليس بعده حال: **إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ * وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ [القمر:٤٨-٥٣]**.وأما حال المتقين: **ففي جنات ونهر فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ [القمر:٥٥]**.يا ألله! كيف إذا خرج العباد من القبور ينفضون التراب عن رءوسهم! إنهم خرجوا لا يدرون إلى أين يذهب بهم، ولا يدرون كيف سيكون المصير! **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ * وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ * قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ * يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ [ق:٢٠-٣٠]** يا ألله! إنها أحوال وأهوال، تحصل في ذلك اليوم العظيم، فلا الأرض التي كانوا يعرفونها، ولا السماء التي كانوا يرونها **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ [إبراهيم:٤٨-٥٢]**.فمنهم من يحشر على قدميه، ومن يحشر على ركبتيه، ومنهم من يحشر على وجهه **وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا**

[الإسراء:٩٧] قال رجل: كيف يحشرون على وجوههم يا رسول الله؟ قال: (**الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يحشرهم على وجوههم**) (**الحاكم ٣٥١٨**)وقال الله: **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ [الأنعام: ٩٤]**.وقد سماه الله يوم التلاق، ففيه يلتقي العباد برب العباد تبارك وتعالى، ويلتقي فيه الظالم مع المظلوم، ويلتقي فيه آدم مع آخر أبنائه في ذلك اليوم العظيم، وإذا جمعتهم أرض المحشر فلا يغادر الداعي منهم أحداً. **روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:** (**كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في وليمة فقدمت إليه الذراع، فنهس منها نهسة واحدة، ثم قال: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، أتدرون مما ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فلا يغادر الداعي منهم أحداً، فيسمعون الداعي، ويبصرهم الناظر، ثم تدنو الشمس من رءوس العباد مقدار ميل –قال الراوي: لا أدري أميل المسافة أم ميل المكحلة–، قال: فيغرق الناس في عرقهم، فمنهم من يأخذه العرق إلى كعبيه، ومنهم من يأخذه العرق إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه العرق إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، فبينما هم على تلك الحال من الشدائد والأهوال إذ قال بعضهم لبعض: ألا ترون ما نحن فيه؟ ألا ترون ما قد غلبنا من الهم والغم؟ ألا ترون من يشفع لنا عند ربنا؟ فيقولون: أبوكم آدم، فيهرعون إلى آدم فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسكنك جنته، أما ترى ما نحن فيه، أما ترى ما قد بلغنا من الهم والغم، فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني نهيت عن تلكم الشجرة فعصيت، نفسي نفسي نفسي، فيتبرأ آدم أبو البشر من البشر فيزداد الهم والغم على الناس، فيقول لهم: اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً، أما ترى ما نحن فيه، أما ترى ما قد بلغنا من الهم والغم، فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، فيزداد الهم والغم على الناس، فيقول لهم: اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله أما ترى ما نحن فيه؟ أما ترى ما قد بلغنا من الهم والغم؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كذبت ثلاث كذبات.. –ولو عددناها نحن لعددناها من صالح أعمالنا فهو كذبها في ذات الله جل في علاه وما كان كاذباً–، فيقول: نفسي نفسي، فيزداد الهم والغم على الناس، فيقول لهم إبراهيم: اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون له: أنت نبي الله وكليمه، أما ترى ما نحن فيه؟ أما ترى ما قد بلغنا من الهم والغم؟**

ألا تشفع لنا عند ربنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، فيزداد الهم والغم على الناس-، فيقول لهم: اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: أنت نبي الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا من الهم والغم؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً)، فهل تدري من هؤلاء الذين ينادون بأعلى الصوت: نفسي، نفسي، نفسي إنهم المصطفى آدم، والشكور نوح، والخليل إبراهيم، والكليم موسى، وكلمة الله عيسى! فهؤلاء خير من صلى وصام، وهؤلاء خير من عبد الله وأطاعه، فإن كان هذا هو حالهم في ذلك اليوم فكيف يكون حالي وحالك؟! وكيف سيكون حال من ترك الصلاة؟! وكيف سيكون حال من أكل الربا؟! وكيف سيكون حال أولئك الذين حاربوا الله بالمعاصي؟! فإنهم ينادون: يا آدم! يا نوح! يا إبراهيم! يا موسى! يا عيسى! وكلهم يجيبون بأعلى الصوت: نفسي نفسي نفسي.(فيقول لهم عيسى اذهبوا إلى محمد، فيأتون فيقولون: يا محمد! أنت نبي الله، وخاتم المرسلين، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، أما ترى ما نحن فيه؟ أما ترى ما قد بلغنا من الهم والغم؟ ألا تشفع لنا عند ربنا؟ فأقول: أنا لها).يقول الحبيب: أنا لها، فأبشروا يا أمة محمد! فما تخلى عنا محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك الموقف. (فأقول: أنا لها، فأنطلق إلى العرش فأخر ساجداً، فيفتح الله علي من محامده ما لم يفتحه على بشر من قبلي، فيقال: يا محمد! ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب! أمتي أمتي أمتي)، فما تخلى عنا الحبيب، فأين أمة محمد اليوم عن سنته؟ وأين أمة محمد عن نصرة دعوته؟

يا مدعي حب طه لا تخالفه فالخلف يحرم في دين المحـبينا
مالي أراك تأخذ شيئاً من شريعته وتترك البعض تهويناً وتدوينا
خذها سماوية خيراً تفوز به أو اطَّرحها وخذ رجس الشياطـينا

(فيقال: يا محمد! ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب! أمتي أمتي أمتي، فيقال: يا محمد! أدخل من أمتك من ليس عليه حساب من الباب الأيمن من الجنة، وهم شركاء الناس في سائر الأبواب يقول -بأبي هو وأمي-: والذي نفسي بيده! إن ما بين المصراعين من مصارع الجنة كما بين مكة وهجر، وليأتين عليها يوم وهي كظيظ من الزحام!)، فيشفع الحبيب، ويأذن الله في الحساب.لا تظن أن الأمر بهذا قد انتهى، بل انتقل الناس من حال إلى حال، ومن أهوال إلى أهوال، فيبدأ العرض، ويبدأ الحساب: **وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ [الكهف:٤٨]** حفاة، عراة، غرلاً، قالت عائشة : (الرجال والنساء عراة ينظر بعضهم إلى بعض؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا

عائشة ! الأمر أعظم من أن ينظر بعضهم إلى بعض).فكيف سيكون حالي وحالك **إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ [الفجر:٢١-٢٣]**، يؤتى بجهنم في ذلك الموقف لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها!**إِذَا رَأَتْهُم مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا [الفرقان:١٢]** تزفر زفرة فتصيح الخلائق بأعلى الصوت، ثم تزفر زفرة ثانية فتجثوا الأمم على الركب: **وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [الجاثية:٢٨-٢٩]**.**إِذَا رَأَتْهُم مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا [الفرقان:١٢]**، وتقول: والله لأنتقمن اليوم ممن خلقته فعبد سواك، والله لأنتقمن اليوم ممن أكل رزقك وشكر سواك.**وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى [الفجر:٢٣]**.**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ [الحاقة:١٨]**، فينادي الله في ذلك الموقف: (يا آدم! أخرج بعث النار، فيقول: يا رب! لبيك وسعديك والخير كله بيديك، وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: فذلك يوم تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ [الحج:٢]).فقل لي من الناجي في ذلك اليوم؟! وأين سيكون المصير؟! فيصف العباد صفوفاً متتالية متتابعة، والقلوب واجفة، والأبصار خاشعة، والكل ينتظر كيف سينتهي ذلك اليوم، فبينما هم وقوف على ذلك الحال إذ نادى المنادي: فلان بن فلان! استعد للوقوف بين يدي الله، فكيف سيكون حالي وحالك؟! فتأخذه الزبانية مطأطئ الرأس، راجف القلب، لا يدري إلى أين يؤخذ به، والخلائق كلها تنظر إليه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: (**يدني الله العبد منه يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه -يعني ستره- ثم يقرره بذنوبه -إن كان تائباً عابداً منيباً لله قرره الله بذنوبه في ذلك اليوم- حتى إذا ظن العبد أنه هلك، قال أرحم الراحمين: إني قد سترتها لك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم، فيعطى كتابه بيمينه**) فيخرج بين الخلائق صائحاً فرحاً مسروراً قائلاً بأعلى الصوت: هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ [الحاقة:١٩-٢٠]، وأما إن كان عاصياً فاجراً محارباً لله بالمعاصي فيقرره الله بذنوبه، حتى يقر ويعترف بكل ذنب، فيشتد غضب الجبار عليه تبارك وتعالى، فينادي زبانيته وملائكته: يا ملائكتي! خذوه، ومن عذابي أذيقوه، فلقد اشتد غضبي عليه، وقل حياؤه معي، فيربط بالسلاسل والأغلال، ويسحب على وجهه أمام الخلائق، وينادي بأعلى الصوت حسيراً كسيراً: **يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ [الحاقة:٢٥-٢٧]**، والنتيجة: **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ**

* **ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ [الحاقة: ٣٠-٣٢]**، وجريمته: **إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ [الحاقة:٣٣-٣٧]**.فأسألك بالله العظيم أما أمرنا بالاستعداد لذلك اليوم؟ أما خلقنا من أجل تحقيق العبودية لله رب العالمين؟ أما قال الله: **قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ [التحريم:٦]**؟ فنفر من الناس علموا لماذا خلقوا، وحققوا العبودية لله رب العالمين، وأكثر الناس غفلوا عن هذا المقصد العظيم، ويذَكَّرون فلا يتذكرون، ويُوعظون فلا يتعظون.والله! إن الخسارة كل الخسارة إذا وقفنا في ذلك اليوم وانقسم الناس فيه إلى قسمين: إما إلى جنة وإما إلى نار، وهناك آية واحدة فقط من أبلغ وأعظم مواعظ القرآن الكريم ذكر الله فيها حقائق عظام لو تفكرنا فيها لتغير الحال من حال إلى حال، قال الله: **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ [آل عمران:١٨٥]**.والمطلوب: الاستعداد في الصباح والمساء، وألا نغفل عن ذكر ذلك اليوم، والمطلوب: أن نتواصى فيما بيننا بالحق ونتواصى بالصبر؛ علنا نكون ممن يستظلون بظله في ذلك اليوم.أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يستر في ذلك اليوم عوراتنا، ويؤمن فيه روعاتنا، وأن يثقل فيه موازيننا، ويبيض فيه وجوهنا، ويزحزحنا عن النار، ويدخلنا الجنة، إنه أرحم الراحمين.اللهم لا تؤاخذنا بالتقصير، واعف عنا الكثير، وتقبل منا اليسير، إنك يا مولانا! نعم المولى ونعم النصير.أستغفر الله العظيم، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

أين أنتن من هؤلاء؟

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**.**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.معاشر الأحبة رجالاً ونساء! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. حيا الله الجميع، وأسال الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعنا وإياكم في دار كرامته وأن يحفظنا وإياكم بحفظه، وأن يستر علينا وإياكم بستره، أساله سبحانه أن يجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين. أيتها الغالية! هل سمعت عن تلك التي قالت لقومها: إي والله إني على دينه؟!ما شأنها.. وما قصتها.. وما خبرها؟**إنها أم شريك إنها غزية بنت جابر بن حكيم القرشية العامرية التي كانت من أوائل من أسلم هي وزوجها، تحكي رضي الله عنها قصة حياتها، حياة الثبات والصبر على دينها رغم التعذيب القاسي.تقول: جاءني أهل زوجي فقالوا لي: لعلك على دين محمد؟! قلت: إي والله إني لعلى دينه –تأملي نبرة العزة– قالوا: لا جرم! والله لنعذبنك عذاباً شديداً، ثم ارتحلوا بي على جمل هو شر ركابهم وأغلظه، يطعمونني الخبز والعسل ويمنعون عني الماء، حتى إذا انتصف النهار وحميت الشمس نزلوا فضربوا أخبيتهم وتركوني في الشمس قائمة وفعلوا بي ذلك ثلاثة أيام حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري، ثم قالوا لي في اليوم الثالث: اتركي دين محمد وما أنت عليه!تقول: قلت في نفسي: ليتهم رجعوا إلى أنفسهم بعدما عاينوا صبري وقد ذهب عقلي وسمعي وبصري لعلهم يرجعون عن غيهم وفعلتهم هذه ويدخلون في دين الله عز وجل الذي تذوقت حلاوته.نعم أيتها الغالية! إنها امرأة لا تملك من حطام الدنيا شيئاً لتفتدي به نفسها من ذلك العذاب الشديد، ولكنها تمتلك الإيمان الذي خالطت**

بشاشته القلوب فامتلأت بحب علام الغيوب.. نعم إن الإيمان هو المحرك الحقيقي لهذا الإنسان.تقول غزية : وما دريت والله ما يقولون إلا الكلمة بعد الكلمة، كنت أشير بإصبعي إلى السماء –علامة على ثباتها على معرفة الله الواحد الأحد– تقول : فوالله إني لعلى ذلك وقد بلغ مني الجهد، ولكن شاء الله عز وجل أن يلطف بي بعد ذلك البلاء المبين!أما قال سبحانه: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ [محمد:٣١]، أما قال سبحانه : أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ [آل عمران:١٤٢]؟تقول: وبينا أنا على تلك الحال إذ وجدت برد دلو على صدري، فأخذته فشربت منه جرعة واحدة ثم انتزع، فنظرت –وهي التي فقدت بصرها– فنظرت فإذا هو معلق بين السماء والأرض فلم أقدر عليه، ثم تدلى ثانية فشربت منه جرعة، ثم تدلى ثالثة فشربت حتى رويت وأرقت على رأسي ووجهي وثيابي.خرج أهل زوجي ونظروا إلي على تلك الحال وقالوا: من أين لك هذا يا عدوة الله؟! فقلت بكل عزة وثبات: إن عدو الله غيري، إنه من خالف دين الله وعصى أوامره، ثم قلت: أما هذا الذي تسألون عنه فهو من عند الله عز وجل رزق رزقنيه الله.. الله الذي يجيب المضطر إذا دعاه.. الله الذي قال: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ [البقرة:١٨٦].قريب.. أسمع وأجيب، وأعطي البعيد والقريب، وأرزق العدو والحبيب.قريب.. أغيث اللهفان، وأشبع الجوعان، وأسقي الظمآن، وأكافئ الإحسان.قريب.. عطائي ممنوح، وخيري يغدو ويروح، وبابي مفتوح، وأنا حليم كريم صفوح.قريب.. يدعوني الغريق في البحار، والضال في القفار، والمحبوس خلف الأسوار، كما دعاني عبدي في الغار. قريب.. فرجي في لمحة البصر، وغوثي في لفتة النظر، المغلوب إذا دعاني انتصر. سبحانه.. اطلع فستر، وعلم فغفر، وعبد فشكر، وأوذي فصبر.. سبحانه لا إله إلا هو. قالت: قلت: أما هذا الذي تسألون عنه فهو من عند الله عز وجل رزق رزقنيه الله، الله الذي يجيب المضطر إذا دعاه، هنا انطلق أهل زوجي سراعاً إلى قرابهم المملوءة بالماء وإلى أوعيتهم الأخرى يستجلون الخبر فعند القرب والأوعية الخبر اليقين، **وجدوها موكوءة لم تحل، فعادوا إليها وقالوا: نشهد بأن ربك هو ربنا وأن الذي رزقك في هذا الموضع بعد أن فعلنا بك ما فعلناه هو الذي شرع هذا الدين العظيم(الخصائص الكبري ٢\٣٢)**، هو الإله الحق.ثم أسلموا وهاجروا جميعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثباتها وعزتها وموقفها الشديد، أسلم القوم وظهر لهم الحق.إنه درس من الثبات، إنه الإيمان الذي جعل المؤمنات كالجبال الراسيات، فلا عذاب ولا تهديد يجعلهن يقدمن

أي تنازلات، بل إباء وشموخ وثبات.أما قال بلال وهو الذي ذاق أمر العذاب لما سئل: كيف تحملت كل هذا العذاب؛ قال: مزجت حلاوة الإيمان بمرارة العذاب فطغت حلاوة الإيمان.

كرر علي حديثهم يا حادي فحديثهم يجلي الفؤاد الصادي

في الصحيح عن أنس بن مالك قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان – وفي رواية: ذاق حلاوة الإيمان – أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار).(**البخاري ١٦**) أخية! إن الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلب وصدقه اللسان وعملت به الجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.أيتها الغالية! إن الإله هو الذي يألهه العباد حباً وذلاً وخوفاً ورجاءً وتعظيماً وطاعةً له، بمعنى مألوه: وهو الذي تألهه القلوب، أي تحبه وتذل له. أيتها الغالية! إن العقول تحكم بوجوب تقديم محبة الله على محبة النفس والأهل والمال والولد وكل ما سواه، وكل من لم يحكم عقلها بهذا فلا تأبه لعقلها، فإن العقل والفطرة والنظر تدعو كلها إلى محبته سبحانه بل إلى توحيده في المحبة، وإنما جاءت الرسل بتقرير ما في الفطر والعقول كما قيل:

هب الرسل لم تأت من عنده ولا أخبرت عن جمال الحبيب
أليس من الواجب المستحق محبته في اللقاء والمغـــيب
فمن لم يكن عقله آمراً بذا ما له في الحجا من نصـــيب
وإن العقول لتدعو إلى محبة فاطـــــرها من قريب
أليست على ذاك مجبولة ومفـــطورة لا بكسب غريب
أليس الجمال حبيب القلوب بذات الجـمال وذات القلوب
فيا منكراً ذاك والله أنت عين الطـــريد وعين الحريب
ويا من يوسد محبوبه ويرضـــيه في مشهد أو مغيب
حظيت وخابوا فلا تبتئـــس بكيد العدو وهجر الرقيب

اسمعي أمة الله! اسمعي أماه! اسمعي أختاه! عن المحبات الصادقات وتساءلي وقولي: أين نحن من هؤلاء؟في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: (**أن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب**).وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أتاني جبريل فقال: هذه خديجة أتتك ومعها إناء فيه طعام وشراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها من ربك السلام ومني**)، الله أكبر! ربها يقرئها السلام.نزلت عليه صلى الله عليه وسلم آيات سورة المزمل تأمره

بقيام الليل، فقام بأبي هو وأمي وقامت معه خديجة وقام الصحابة اثني عشر شهراً حتى انتفخت أرجلهم، ثم نزل التخفيف لما رأى الله صدقهم فقال سبحانه: **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ [المزمل:٢٠]**، أما قال عنها صلى الله عليه وسلم: (آمنت بي يوم كفر بي الناس، وآوتني يوم طردني الناس، وصدقتني يوم كذبني الناس، وأعطتني مالها يوم حرمني الناس)، فلا عجب أن يقرئها ربها السلام. القاسمه اهي الصديقة بنت الصديق ، المبرأة من فوق سبع سماوات، يقول القاسم : كانت عائشة تصوم الدهر، وقال: كنت إذا غدوت – يعني إذا أصبحت – أبدأ بعائشة فأسلم عليها، فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ: **فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ [الطور:٢٧–٢٨]** فانتظرت حتى مللت الانتظار، فذهبت إلى السوق لحاجتي ثم رجعت فإذا هي في مكانها قائمة تصلي وتبكي **وتردد فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ * فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ [الطور:٢٧–٢٩]**.تأملي يا رعاك الله! إذا كان هذا نهارها فكيف تكون إذا جن عليها الليل؟! فإن كان الرسول صلى الله عليه وسلم سيد العابدين فالصديقة العالمة بليله وقيامه ووتره سيدة المتهجدات **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ [النساء:٣٤]**.أما بنت الفاروق حفصة فقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**قال جبريل: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة**).(**الحاكم ٦٧٥٣**) وقال نافع : ماتت حفصة حتى ما تخطئ. أخية! من علمت وأيقنت أن آخر العمر إلى اللحد لم تنشغل بتزيين المهد.سؤال ونحن في هذا المكان: كيف تكون أول ليلة في الزفاف والعرس؟ اسمعي وقولي: **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ [يوسف:١١١]. لما أهديت معاذة العدوية إلى زوجها صلة بن أشيم أدخله ابن أخيه الحمام، ثم أدخله بيت مطيباً فيه العروس، فقام يصلي حتى أصبح، وقامت معاذة خلفه فلما أصبح عاتبه ابن أخيه على فعله فقال له: أدخلتني بيتاً أذكرتني به النار، ثم أدخلتني على تلك العروس فتذكرت الجنة، فما زالت فكرتي فيهما حتى أصبحت**(**التخويف من النار ١\٣٤**)!لله درهم كم علت بهم هممهم! وأي كلام يترجم أفعالهم؟ امرأة تحيي ليلة بنائها كلها، فما بال النسوة في زماننا؟! بل ما بال الرجال في هذا الزمان؟!أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها كانت رحمها الله إذا جاء النهار قالت: هذا يومي الذي أموت فيه فما تنام حتى تمسي، فإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها، فلا تنام حتى تصبح. اسمعي ما قاله **ثابت البناني** عن خبرها يوم أن بلغها نبأ

استشهاد زوجها وابنها، إنها مصيبة عظيمة لكن على المؤمنات أبداً ما تكون، فأتت النساء يواسينها في مصابها فقالت: إن كنتن جئتن لتهنئنني فمرحباً بكن، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن من حيث أتيتن!الله أكبر ولله درها! أي صنف من النساء هذه التقية النقية؟! لا عجب فهي تلميذة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

يقول الحسن : لما مات زوجها شهيداً لم توسد فراشاً بعده، قالت لابنتها من الرضاعة: والله يا بنية! ما محبتي للبقاء في الدنيا للذيذ عيش، ولا لروح نسيم، وإنما أحب البقاء لأتقرب إلى ربي عز وجل بالوسائل، لعله يجمع بيني وبين أبي الصهباء في الجنة. تقول عنها عفيرة العابدة: لما احتضرها الموت بكت ثم ضحكت، فقيل لها: مم البكاء ومم الضحك؟ قالت: أما البكاء الذي رأيتم فإني ذكرت مفارقة الصيام، والصلاة، والذكر، فكان البكاء لذلك، وأما الذي رأيتم من تبسمي وضحكي فإني نظرت إلى أبي الصهباء قد أقبل في صحن الدار عليه حلتان خضراوان في نفر والله ما رأيت لهم في الدنيا شبهاً، فضحكت إليه وضحك إلي، ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضاً معكم، قالت: فماتت قبل أن يدخل عليها وقت الصلاة التالية.سبحان الله، بكت! لكن على ماذا بكت؟! بكت على فراق الصيام، والصلاة، والذكر، وأنت أيتها الغالية! على ماذا تبكين؟! ما هي همومك؟! وفيم أحزانك؟! على ماذا تلك الدمعات الغالية؟! من أجل من تذرفينها؟!قوم مضوا كانت الأيام بهم نزه والعيد كالعيد والأوقات أوقات ماتوا وعشنا فهم عاشوا بموتهم ونحن في صور الأحياء أموات أخية! إن أول علامات الإيمان: هو حب الله جلا وعلا، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم، ولما كثر المدعون في المحبة، طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، قال سبحانه: **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [آل عمران:٣١]**، فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الحبيب في أفعاله، وأقوله، وأخلاقه.اسمعي يا رعاك الله! ماذا قالوا عن المحبة التي هي من مقتضى وشروط لا إله إلا الله: قال **عبد الله القرشي** : المحبة هي أن تهب كلك لمن أحببت، فلا يبقى لك منك شيء.معنى كلامه أن تهبي إرادتك، وعزمك، وأفعالك، ونفسك، ومالك، ووقتك لمن تحبينه، وتجعليها حبساً ووقفاً في مرضاته ومحابه، فلا تأخذي لنفسك منها إلا ما أعطاك هو، فتأخذيه منه ومن أجله.قالوا: المحبة: الميل الدائم في القلب الهائم. وقالوا: **المحبة:** إيثار المحبوب على جميع المصحوب.ومن أجمل ما قيل ما ذكره أبو بكر الكتاني قال: جرت مسألة في المحبة بمكة أعزها الله تعالى أيام الموسم، فتكلم الشيوخ في المحبة، وكان الجنيد أصغرهم سناً، فقالوا: هات ما عندك يا عراقي! فأطرق رأسه، ودمعت عيناه، ثم قال: المحب عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه

بقلبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله، ولله، ومع الله. فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد.المحب الصادق إذا تكلم فمن أجل الله، وإذا سكت فمن أجل الله، وإذا أعطى فمن أجل الله، وإذا منع فمن أجل الله، فهو بالله ولله ومع الله، فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد. **ذكر ابن القيم رحمة الله عشرة أمور توصل إلى محبة الله تبارك وتعالى..أولها: قراءة القران، والتدبر، والتفهم لمعانيه، وما أريد به.ثانياً: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض.ثالثاً: دوام ذكره على كل حال بالقلب واللسان.رابعاً: إيثار محابه على محابك.خامساً: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته.سادساً: مشاهدة بره، وآلائه، وإحسانه، ونعمه الظاهرة والباطنة.والسابع: – وهو أعجبها كما قال – انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى.تاسعها: الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوته كتابه، والوقوف بالقلب، والتأدب بأدب العبودية بين يديه.عاشرها: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم، كما تنتقى أطايب الثمرات.عاشراً: مباعدته كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل(مدارج السالكين ٣\١٧).وإليك مزيداً من أخبارهم، وقولي وكرري**: **أين نحن من هؤلاء**؟ أيتها الغالية! أماً كنت أم أختاً! على ماذا نربي أبناءنا اليوم؟! ما هي الأمنيات التي نتمناها لهم؟ أما قال سبحانه: **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ [النساء:١١]**، فوصى الآباء بالأبناء، قبل أن يوصي الآباء بالأبناء.انظري حولك في واقع الأبناء في هذه الأيام لتعرفي مقدار المأساة، أما أولئك كيف ربوا أبنائهم؟ وماذا علموهم؟ وماذا أعدوهم له؟ اسمعي وافتحي القلب قبل أن تفتحي الأذنين.جاء في السير أنه كان في البصرة نساء عابدات، وكانت منهن أم إبراهيم الهاشمية، فأغار العدو على ثغر من ثغور المسلمين، فانتدب الناس للجهاد، فقام عبد الواحد بن زيد البصري خطيباً، فحضهم على الجهاد، كانت أم إبراهيم هذه حاضرة في مجلسه، وتمادى عبد الواحد في كلامه، ثم وصف الحور العين، وذكر ما قيل فيهن وأنشد في صفة حوراء:

غادة ذات دلال ومرحي جد الناعس فيها ما اقترح
خلقت من كل شيء حسن طيب فالليت فيها مطرح
زانها الله بوجه جمعت فيه أوصاف غريبات الملح
وبعين كحلها من غنجها وبخد مسكه فيه رشح
ناعم تجري على صفحته نظرة الملك ولألاء الفرح

فهاج المجلس وماج الناس بعضهم في بعض واضطربوا، فوثبت أم إبراهيم من وسط الناس وقالت لعبد الواحد : يا أبا عبيد ! ألست تعرف ولدي إبراهيم ؟ ورؤساء أهل البلد يخطبون على بناته وأنا أضن به

عليهم، فلقد والله أعجبتني هذه الجارية، وأنا أرضاها عروساً لولدي، فكرر ما ذكرت من حسنها وجمالها، فأخذ عبد الواحد في وصف الحوراء فأنشد

:تولد نور النور من نور وجهها فمازج طيب الطيب من خالص العـــطر

فلو وطئت بالنعل منها على الحصى لأعشبت الأقطار من غير ما قـــطر

ولو شئت عقد الخصر منها عقدت هك غصن من الريحان ذي ورق خضر

ولو تفلت في البحر شهد رضابها لا طاب لأهل البر شرباً من البـــحر

فاضطرب الناس أكثر مما اضطربوا، فوثبت أم إبراهيم وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد قد والله أعجبتني هذه الجارية وأنا أرضاها عروساً لولدي، فهل لك أن تزوجه منها، وتأخذ مني مهرها عشرة آلاف دينار ويخرج معك إبراهيم في هذه الغزوة، فلعل الله يرزقه الشهادة ويكون شفيعاً لي ولأبيه يوم القيامة. فقال لها عبد الواحد : لئن فعلت والله لتفوزن أنت وولدك وأبو ولدك، والله لتفوزن فوزاً عظيماً.فنادت ولدها: يا إبراهيم! فوثب من وسط الناس وقال لها: لبيك يا أماه! قالت: أي بني! أرضيت بهذه الجارية زوجة لك ببذل مهجتك في سبيل الله وترك العودة للذنوب؟ فقال الفتى: إي والله يا أماه! رضيت أي رضاً.فقالت: اللهم إني أشهدك أني زوجة ولدي هذا من هذه الجارية، ببذل مهجته في سبيلك وترك العودة للذنوب فتقبله هدية مني لك يا أرحم الراحمين.ثم انصرفت، ثم رجعت فجاءت بعشرة آلاف دينار وقالت: يا أبا عبيد هذا مهر الجارية تجهز به وجهز الغزاة في سبيل الله.ثم انصرفت فاشترت لولدها فرساً وسلاحاً جيداً، فلما خرج عبد الواحد خرج إبراهيم رغم صغر سنه ،يعدو والقراء حوله يقرءون: **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ [التوبة:١١١]**، فلما أرادت أم إبراهيم فراق ولدها دفعت إليه كفناً وحنوطاً، وقالت له: أي بني! إذا أردت لقاء العدو فتكفن بهذا الكفن، وتحنط بهذا الحنوط، وإياك ثم إياك أن يراك الله مقصراً في سبيله، ثم ضمته إلى صدرها وقبلته بين عينيه، وقالت: يا بني! لا جمع الله بيني وبينك إلا بين يديه في عرصات القيامة.قال عبد الواحد : فلما بلغنا بلاد العدو وبرز الناس للقتال، برز إبراهيم في المقدمة، فصال وجال، وكر وفر، تارة في الميمنة، وتارة في الميسرة، فقتل من العدو خلقاً عظيماً، ثم اجتمعوا عليه فقتلوه، فلما أردنا الرجوع إلى البصرة قلت لأصحابي: لا تخبروا أم إبراهيم بخبر ولدها حتى ألقاها بحسن العزاء، لأن لا تجزع فيذهب أجرها.قال: فلما وصلنا البصرة خرج الناس يتلقوننا، وخرجت أم إبراهيم مع من خرج، فلما أبصرتني قالت: يا أبا عبيد هل قبلت مني هديتي فأهنأ، أم ردت علي فأعزى، فقلت لها: قد قبلت والله هديتك، إن إبراهيم حي يرزق مع الشهداء إن شاء الله، فخرت ساجدة لله شكراً وقالت: الحمد لله الذي لم يخيب ظني وتقبل نسكي. ثم انصرفت.فلما كان من الغد

أتت إلى المسجد فقالت: السلام عليك يا أبا عبيد بشراك.. بشراك، فقلت: لا زلت مبشرة بالخير فقالت: رأيت البارحة ولدي إبراهيم في روضة حسناء وعليه قبة خضراء، وهو على سرير من اللؤلؤ، وعلى رأسه تاج وإكليل وهو يقول لي: أبشري أماه! فقد قبل المهر وزفت العروس.تأملي أيتها الغالية! كيف تساهم المرأة المسلمة في إعداد الأبطال! انظري إلى همِّ المرأة المسلمة وهو نصرة الإسلام مهما كان الثمن! انظري إلى الدور العظيم الذي تستطيع أن تقوم به المرأة المسلمة إن هي صلحت أولاً!إن الأمة اليوم في أمس الحاجة إلى مثل هؤلاء الأمهات اللائي يرضعن أبنائهن مع اللبن حب الإسلام والتضحية في سبيله، فهل تكونين تلك المرأة؟ومن يتهيب صعود الجبال يعيش أبد الدهر بين الحفر كثيرات يدعين المحبة، ولكن شتان بين الصادقين والصادقات، وبين الكاذبين والكاذبات، في المصائب، في الآلام، في المواقف، في الشدائد تظهر معادن الرجال والنساء. بعد معركة أحد أشيع أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل، فخرج النساء يتلقين الجيش العائد من أرض المعركة، والكل يسأل عن أخبار ذلك اليوم العظيم، خرجت من بينهن امرأة. من الأنصار، خرجت لتستقبل الجيش، خرجت لتطمئن على الحبيب صلى الله عليه وسلم، قيل لها: مات أبوك، فاسترجعت وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا صنع النبي صلى الله علية وسلم؟فقيل لها: مات زوجك، فاسترجعت وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا صنع النبي صلى الله عليه وسلم؟فقيل لها: مات أخوك، فاسترجعت وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا صنع النبي صلى الله علية وسلم؟فقالوا لها: هو بخير، قالت: والله لا يهدأ لي بال، ولا يقر لي قرار حتى أراه بأم عيني، فلما رأته بكت، وضحكت، وتبسمت، وقالت: كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله، كل فقد غير فقدك يهون يا رسول الله.هل شاهدت مثل هذا الحب؟! أرأيت كيف هان عندها فقد الأب، والزوج، والأخ؟إنه الحب الصادق لله ولرسوله، كيف لا تحبه وهو الذي أنقذها الله به من الظلمة إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الجهل إلى العلم، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن النار إلى الجنة.أنا أعرف أنك تحبينه ولكن ما هو الدليل؟ هل اتبعت سنته؟ هل أخذت بهديه؟ كم تذكرين اسمه وتصلين عليه في اليوم والليلة؟ كم تحفظين من أحاديثه؟ ماذا تعرفين عن سيرته؟ أين أنت من أوامره التي أمر بها؟ وأين أنت من نواهيه التي نهى عنها؟ كم بذلت لنصرة هذا الدين والدعوة إليه.قال صلى الله عليه وسلم: (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين**)(**البخاري ١٣**).

نسينا في ودادك كل غالٍ فأنت الـــــيوم أغلى ما لدينا
تسلى الناس بالدنيا وإنا لعمر الله بعـــــــدك ما سلينا
ولما نلقكم لكن شوقاً يذكرنا فكيـــــــف إذا التقينا

نلام على محبتكم ويكفي شرفاً نلام ولا عليـــــــنا

إن كان عز في الدنيا اللقاء ففي مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا

أخيراً: إليك هذا الخبر الذي يحمل صفة وخصلة لو حملتها ولبستها لصلحت لك جميع الأمور. عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الحياء لا يأتي إلا بخير**) (**البخاري٦١١٧**).وفيهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه**).(**البخاري ٣٥٦٢**) وفي الصحيح عنه **صلى الله عليه وسلم**: (**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت**).(**البخاري ٣٤٨٣**)**قال الجنيد رحمه الله: الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء**.(**الاذكار ١\٣١٦**) وحقيقته: خلق يبعث على ترك القبائح ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق.**وقال السري السقطى : إن الحياء والأنس يطرقان القلب، فإن وجدا فيه الزهد والورع وإلا رحلا**.وآخر **قال: والله إني لأستحي أن ينظر الله في قلبي وفيه أحد سواه(مدارج السالكين ٢\٢٦٠**).**وقال الفضيل بن عياض : خمس من علامات الشقوة: قسوة القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل وقال يحيى بن معاذ : من استحيا من الله مطيعاً استحى الله منه وهو مذنب**.(الرسالة القشيرية **١\٩٩**) **وقال ابن القيم : من لا حياء فيه فليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شي(مفتاح دار السعادة ١\٢٧٧**) **وقال زيد ثابت : من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله**(روضة **العقلاء١\٥٨**).قيل لعمر بن عبد العزيز : إذا ذهب الحياء ذهب نصف الدين، قال: لا. إذا ذهب الحياء ذهب الدين كله.إن كان الحياء جميلاً في الرجال فهو في النساء أجمل وأزين، ووالله إذا فقدت المرأة حياءها لباطن الأرض خير لها من ظاهرها،

قال الشاعر

:إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهــب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء

(**روضة العقلاء١\٥٧**)

اسمعي! كيف تضرب سيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم مثلاً للعفاف والحياء كما ينبغي أن يكون، اسمعيها وهي تقول وتحاور أسماء بنت عميس : **يا أسماء إني لأستحى أن أخرج**

غداً على الرجال من خلال هذا النعش جسمي. كانت النعوش عبارة عن خشبه مصفحة يوضع عليها الميت ثم يطرح عليه الثوب فيصف حجم الجسم.خشيت فاطمة رضي الله عنها إذا هي ماتت أن تحمل على مثل هذه النعوش، فيكون ذلك خدشاً لحيائها وحشمتها.قالت أسماء : أولا نصنع لك شيئاً رأيته في الحبشة؟ فصنعت لها النعش المغطى من جوانبه بما يشبه الصندوق، ثم طرحت عليه ثوباً فكان لا يصف الجسم، فلما رأته فاطمة فرحت به وقالت لأسماء : ما أحسن هذا وأجمله، سترك الله كما سترتني(الحاكم ٤٧٦٣)! قال ابن عبد البر : هي أول من غطي نعشها في الإسلام على تلك الصفة.أريت (عون المعبود ٨\٣٣٧) أيتها الغالية وسمعت كيف تحمل المؤمنة هم حيائها وعفافها وحجابها حتى بعد مماتها، تريد أن تعيش عفيفة وتموت عفيفة وتحشر إلى الله وهي عفيفة.إن الحياء والحجاب عند المؤمنة قضية لا تحتمل النقاش، وهم لا يقبل المساومة، إنه طاعة لله واستجابة لأوامر الله وانقياد لحكمة الله، إنه الثغر الذي تتحصن به المسلمة فلا تتسرب من خلاله رذيلة وفاحشة إلى المجتمع، ولا تستباح محرمات ولا تدنس أعراض، إنه عنوان صلاح المرأة ودليل اعتزازها بدينها وشعارها الذي ترفعه في وجه أعدائها وكل من يخالفها.اسمعي إلى التي قالت:

لست من تأسر الحلي سباقه فكنوزي قلائد الـــقرآن

وحجاب الإسلام فوق جبيني هو عندي أبهى من التيجان

لست أبغي من الحياة قصوراً فقصوري في خالدات الجنان

انظري إلى الواقع من حولك أخية! كيف تتفلت النساء من حيائهن وحجابهن؟ كيف يقلن إن الحياء والحجاب تخلف ورجعية وتقييد للحرية؟ ولكن صدق الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حين **قال:** (**بدأ الدين غريباً، وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء**)(**مسلم ١٤٥**)، قال سبحانه **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ [الأحزاب:٥٩]**. أيتها الغالية! هذه أخبار من أخبارهن، وقصص من قصصهن، وكما استطعن هن أنت أيضاً تستطيعين.فلو كان النساء كما ذكرنا لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب وما التذكير فخر للهلال

اسمعي هذه البشارة من رب العالمين: **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا [الأحزاب:٣٥]**.اسمعي هذه البشارة من رسول رب

العالمين: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئت)**، (**ابن حبان ٤١٦٣**).إن كن قد استطعن فأنت أيضاً تستطيعين.المنبع واحد، والمصدر واحد، والطريق واحد، إنما يختلف الناس باختلاف الهمم، أرجل في الثرى ورءوس في الثريا.اقرئي التاريخ فإن في التاريخ عبر، ضل قوم لم يعرفوا الخبر، استعيني بالصبر والصلاة، **لا تحزني بقلة السالكين، ولا تغتري بكثرة الهالكين، أما قال ربك**: **وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ [سبأ:١٣]**، أما قال ربك جلا في علاه: **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ [يوسف:١٠٣]**، وقال سبحانه **وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ [الأنعام:١١٦]**، أما قال: **قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ [المائدة:١٠٠]**.فليكن شعارك التعاون على البر والتقوى والتناهي عن الإثم والعدوان.. سدد الله خطاك وحفظك في دينك ودنياك، وجعلك ذخراً وحصناً للإسلام والمسلمين.اللهم فرج هم المهمومين واكشف كرب المكروبين، واقض الدين عن المدينين، ودل الحيارى واهد الضالين، واغفر للأحياء والميتين، اللهم اجمع شملنا ووحد صفنا وأصلح ذات بيننا، وانصرنا يا قوي يا عزيز على القوم الكافرين.أستغفر الله العظيم وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

أين دارك غداً

بسم الله الرحمن الرحيم إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**، **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**، **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد..فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة بالنار.معاشر الأحبة!السلام عليكم ورحمة الله وبركاته طبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً. أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته إخواناً على سرر متقابلين، أسأله سبحانه أن يحفظني وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن.هذا لقاء من لقاءات مواعظ القلوب!العلاج الذي لا بد منه لقسوة القلوب، فقسوة القلوب مرض خبيث يقعد عن الخير ويصد عن الهداية، قال الله: **فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ [الزمر:٢٢]**.القلوب ما بين رقة وقسوة، إذا رقت تذكرت علام الغيوب، وإذا قست نست فكان لا بد لها من التذكير، إذا غفلت لا بد لها من مواعظ القرآن والمواعظ النبوية، مواعظ القرآن التي تحيي القلوب القاسية، لأن كلام الرحمن لو تنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله.نحن في لقاء بعنوان: (أين دارك غداً؟).أنت الآن تسكن القصر الفسيح وتقطن الدار الرحيبة، وغداً ستكون في مكان آخر طال الزمان أو قصر:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه إن بناها بشر خاب بانيـــــها

إن مواعظ القرآن أعظم ما يحيي القلوب، والمواعظ النبوية الموجزة البليغة من أعظم المواعظ التي تحيي القلوب، فأعطني السمع والقلب والجوارح والأركان حتى نمر في موعظة قرآنية:قال الله جل في علاه: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**

إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ [فاطر:٥-٦].ترى ما الذي غرهم من الدنيا وهذه سهامها تصيب كل يوم أحدهم بسهم فترديه هالكاً وتسلمه إلى القبر المظلم المطبق عليه، سالكاً سبيل من سبقوه من الأموات الهالكين، وقد خرقت القبور منهم الأكفان ومزقت الأبدان ومصت الدم وأكلت اللحم؟ترى ما صنعت بهم الديدان؟! أليست قد محت الألوان وعفرت الوجوه الحسان وكسرت الفقار، وأبانت الأعضاء ومزقت الأشلاء؟! أليس الليل والنهار عليهم سواء؟! أليسوا في مدلهمة ظلماء؟!قد فارقوا الحدائق فصاروا بعد السعة إلى المضايق.إن المنادي كل يوم ينادي: يا ساكن القبر غداً ما الذي غرك من الدنيا؟! أين دارك الفيحاء؟ أين رقاق ثيابك؟ليت شعري! كيف ستصبر على خشونة الثرى؟ وبأي خديك يبدأ البلى؟

والموت فاذكره وما وراءه فما لأحد عنه براءه

وإنه للفيصل الذي به يعرف ما للعبد عند ربه

والقبر روضة من الجنان أو حفرة من حفر النيران

إن يك خيراً فالذي من بعده أفضل عند ربنا لعبده أو يك شراً فالذي بعد أشد ويل لعبد عن سبيل الله صد قال سبحانه: **وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ * لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ * وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ * فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ [المرسلات:١٩-٤٠]**.وقال سبحانه: **فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ * أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ [المؤمنون:٥٤-٥٦]**.وقال سبحانه: **وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ * وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [السجدة:١٢-١٤]**.إنها المواعظ القرآنية التي تحيي القلوب!قال تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ [يونس:٥٧]**.نعم أيها الغالي! مواعظ القرآن هي علاج قسوة القلب، فإذا غفل القلب فلا يحيا إلا بمواعظ القرآن، وليس أحسن للقلب من مداومة ذكر الله بشرط أن يتواطأ القلب واللسان، ولا أحسن من سماع المواعظ النبوية والتدبر

والعمل بما تسمع، وحتى تنتفع بالمواعظ لا بد من العمل، قال سبحانه: **وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا [النساء:٦٧-٦٨]**.فبالاتباع هدى وثبات واستقامة وحياة لأولي الألباب. القبر أعظم موعظة، ما وقف على القبر واقف إلا تذكر، وما نظر إلى القبر ناظر إلا تفكر.هي الدار التي ستسكنها طال الزمن أو قصر، ثم بعد السكنى الثانية ستخرج من تلك الدار **يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ [المعارج:٤٣-٤٤]**.لاحظ الفرق حين تغادر فراشك في سفر أو في رحلة قريبة، كيف يصيبك الأرق؟ والهم والغم:**فارقت موضع مرقدي يوماً ففارقني السكون القبر أول ليلة بالله قل لي ما يكون** القبر أول منازل الآخرة!ولماذا الحديث عن القبر؟لأن في القبر يتحدد المصير إما إلى جنة وإما إلى نار.القبور على نوعين أيها الغالي، القبور على نوعين أيتها الغالية: إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران لا بد من الاستعداد، لا بد من عمارة الدار قبل سكناها. عندما تموت وتموتين سيتبعك ويتبعك ثلاثة: العمل، المال، الولد.سترجع الدنيا وما فيها وستبقى رهين العمل، (**فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد دون ذلك فلا يلومن إلا نفسه**)(**مسلم ٢٥٧٧**).**قال صلى الله عليه وسلم**: (**ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه**)(**الترمذي ٢٣٠٨**).**فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا أخالك ناجياً عند** (**ابن ماجة ٤١٩٥**)**عن البراء قال**: (**كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على شفير القبر وبكى حتى بل الثرى، ثم قال: يا إخواني! لمثل هذا فأعدوا**).دخل أحد العباد وهو **كعب القرظي** على عمر بن عبد العزيز بعد توليه الخلافة فجعل ينظر في وجهه فإذا هو وجه شاحب وبدن ناحل، كأن جبال الدنيا قد تساقطت عليه، فقال يا عمر ! ما الذي دهاك؟! يا عمر ما الذي أصابك؟! والله لقد رأيتك أجمل فتيان قريش، تلبس اللين وتجلس على الوثير، لين العيش نظر البشرة، والله يا عمر ! لو دخلت عليك في غير هذا المكان ما عرفتك!فتنهد عمر باكياً وقال: أما إنك لو رأيتني بعد ثلاث ليال من دفني وقد سقطت العينان، وانخسفت الوجنتان، وعاثت في الجوف الديدان، وتغير الخدان؛ لكنت لحالي من حالي أشد إنكاراً وعجباً. ثم بكى عمر وبكى الناس حتى ضج مجلسه بالبكاء.بكى عمر من حاله في القبر، ونحن على ماذا نبكي؟! بكى عمر بن عبد العزيز من حاله في القبر ونحن على ماذا نبكي؟! **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً**

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ [التوبة:٨٢]، أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ * فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا [النجم:٦٠-٦٢].

ضعوا خدي على الترب ضعوه ومن عفر التراب فوسدوه
وشقوا عنه أكفاناً رقاقاً وفي الرمس البعيد فغيبوه
فلو أبصرتموه إذا تقضت صبيحة ثالث أنكرتموه
وقد سالت نواظر مقلتيه على وجناته وانفض فوه
وناداه البلى هذا فلان هلموا فانظروا هل تعرفوه
حبيبكم وجاركم المفدى تقادم عهده فنسيتموه

هل سمعت عن القبر وضمته؟!عند النسائي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**هذا الذي تحرك له عرش الرحمن، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لقد ضم ضمة ثم فرج عنه**) (**النسائي ٢٠٥٥**) يعني سعد بن معاذ .وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: (**إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ**)(**بن حبان ٣١١٢**).سعد وما أدراك ما سعد ؟سعد الذي اهتز له عرش الرحمن عند وفاته!سعد الذي شيعه سبعون ألف ملك لم ينزلوا إلى الأرض قط!سعد الذي فتحت له أبواب السماء!سعد سيد الأوس والخزرج!سعد الذي مناديله في الجنة خير من الدنيا وما فيها!هذا حال سعد فكيف يكون حالي وحالك؟(**لقد ضم ضمة ثم فرج عنه**).سبحانك! يا من ذللت بالموت رقاب الجبابرة، سبحانك يا من أنهيت بالموت آمال القياصرة، فنقلتهم بالموت من القصور إلى القبور، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود، ومن ملاعبة النساء والجواري والغلمان إلى مقاساة الديدان والهوام، ومن التنعم بأنواع الطعام والشراب إلى التمرغ في أنواع الوحل والتراب.**وقف علي رضي** الله عنه على القبور فنادى أصحابها:أتخبرونا أخباركم؟ أم نخبركم أخبارنا؟أما أخبارنا فإن الأموال قد اقتسمت، والنساء تزوجت، والمساكن قد سكنت، قال سبحانه: **كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ [الدخان:٢٥-٢٩]**.**قال تعالى: أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧]**.القبر كل يوم يناديك: يا ابن آدم! تمشي في جماعة على الأرض وسوف تقع وحيداً في بطنيبا ابن آدم ! تفرح وتمرح على ظهري وسوف تبكي في بطني.يا ابن آدم ! تأكل أموال الربا والحرام واليتامى على ظهري، وسوف يأكلك الدود في بطني.يا ابن آدم ! تنظر إلى الحرام بعينيك وسترى ما ينتظرك في بطني.يا ابن آدم ! تسمع الحرام بأذنيك

وستسمع الأهوال في بطني. يا ساهياً يا غافلاً!سيحملك أهلك وأخلاؤك إلى تلك الحفرة، سيتبعك مالك وولدك وعملك، سيرجع الكل وسيبقى العمل.ستتزوج الزوجة من بعدك، وسيتقاسم الأولاد أموالك.وأنت.. وأنت ينادى عليك:

رجعوا وتركوك، وفي التراب وضـــعوك،

وللحساب عرضوك، ولو بقوا معك ما نفعوك،

ولم يبق لك إلا أنا وأنا الحي الذي لا يمـوت

. **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ * كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ [الانفطار:٦-١٢]**.

كأني بك تنحط إلى اللحد وتنغط وقد أسلمك الرهط إلى أضيق من سم

هناك الجسم ممدود ليستأكله الدود إلى أن ينخر العود ويمسي العظم قد رم

بسم الله الرحمن الرحيم **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ [التكاثر:١-٢]**. ستسمع قرع نعالهم وستبقى وحيداً فريداً إلا من العمل، هناك ستمتحن امتحاناً شديداً، وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان.امتحانات الدنيا تعوض، والفرص تعطى مرات ومرات، لكن قل لي بالله العظيم! كيف سيكون الحال إذا ظهرت النتائج هناك؟ كيف سيكون الحال إذا وسدوك وجاءك الملكان وأقعدوك؟**عن البراء بن عازب قال: (كنا في جنازة مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار، وجلسنا عند القبر ولم يلحد بعد، وكانت في يده صلى الله عليه وسلم عصا فنكت بها في التراب ثلاثاً ثم قال: استعيذوا بالله من عذاب القبر.ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في إدبار من الدنيا وإقبال من الآخرة، جاءته ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة وجلسوا منه مد البصر، وجاء ملك الموت عليه السلام وجلس عند رأسه، فيقول: يا أيتها النفس الطيبة! اخرجي إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان. فتخرج روحه كما يسيل القطر من السقاء، فإذا قبضها ملك الموت لم تدعها الملائكة في يده طرفة عين حتى يلبسوه ذلك الكفن الذي من الجنة، ويحنطوه بذلك الحنوط الذي من الجنة فتخرج منه رائحة كأطيب رائحة مسك وجدت على وجه الأرض، ثم يعرج به إلى السماء فما يمرون على نفر من الملائكة إلا قالوا: من هذه الروح الطيبة صاحبة الريح الطيب؟ فيقال: هذا فلان بن فلان -بأحب أسمائه التي كان ينادى بها في الدنيا- حتى إذا وصلوا إلى باب السماء واستفتحوا له فتح له، ثم يشيعه مقربو تلك السماء إلى السماء التي تليها، حتى إذا وصل إلى السماء السابعة نادى منادي الله: أن اكتبوا كتابه في**

عليين وأرجعوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.فتعاد روحه في قبره فيأتيه ملكان أنفاسهما كاللهب، أبصارهما كالبرق الخاطف، أصواتهما كالرعد القاصف، فيقعدانه فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن هو ذلك الرجل الذي بعث بكم؟أما المؤمن فيقول: ربي الله حقاً، ونبيي محمد صدقاً، وديني الإسلام. فيقال له: وما علمك؟ فيقول: تعلمت القرآن وعملت به، فينادي منادي الله: أن قد صدق، فافرشوا له فراشاً من الجنة وافتحوا له باباً من الجنة، فيأتيه من روحها وريحانها ويوسع له في قبره مد البصر، فيأتيه رجل أبيض الوجه طيب الشمائل، فيقول: من أنت؟ فوجهك والله لا يأتي إلا بالخير، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي).هذا حال المؤمن الذي حافظ على الصلوات وترك النواهي والمحرمات.قال: (أما العبد الكافر، -أو قال: العبد الفاجر- إذا كان في إدبار من الدنيا وإقبال من الآخرة جاءته ملائكة سود الوجوه، معهم كفن من أكفان النار وحنوط من حنوط النار وجلسوا منه مد البصر، ثم يأتي ملك الموت عليه السلام فيجلس عند رأسه فيقول: أيتها الروح الخبيثة صاحبة الريح الخبيث! أبشري بسخط من الله وغضب، فتسل روحه كما ينزع السفود من القطن -يعني الحديد المتشابك- فإذا قبضها ملك الموت لم تدعها الملائكة في يده طرفة عين حتى يلبسوه ذلك الكفن الذي من النار ويحنطوه بذلك الحنوط الذي من النار، وتخرج منه رائحة كأنتن رائحة على وجه الأرض، ويعرج به إلى السماء، فما يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: من هذه الروح الخبيثة صاحبة الريح الخبيث؟ فيقال: هذا فلان بن فلان -بأقبح أسمائه التي كان ينادى بها في الدنيا- حتى إذا جاءوا إلى أبواب السماء واستفتحوا له لم يفتح له.ثم قرأ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ * لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ [الأعراف: ٤٠-٤١]، ثم ينادي منادي الله: أن اكتبوا كتابه في سجين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.فتعاد روحه في قبره، فيأتيه الملكان فيقعدانه ويسألانه فيقولان: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيخر في الأرض سبعين خريفاً، حتى إذا أفاق أقعداه وقالا له: وما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيضربانه حتى إذا أفاق قالا له: ومن ذلك الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: سمعت الناس يقولون كذا وكذا، فيقال له: لا دريت ولا تليت فينادي منادي الله: أن كذب عبدي،

فافرشوا له فراشاً من النار وألبسوه لباساً من النار وافتحوا له باباً من النار.فيضيق عليه في قبره حتى تختلج أضلاعه، فيأتيه رجل قبيح المنظر قبيح الريح فيقول: من أنت، فوجهك والله لا يأتي إلا بالشر؟ فيقول: أبشر بالذي يسوءك؟ هذا يومك الذي كنت توعد، أنا عملك السيئ، فيقول: رب لا تقم الساعة).هذا حال الذين ضيعوا الصلاة وارتكبوا الفواحش والمنكرات، حالهم: **يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا [الأحزاب:٦٦]**، حالهم: **أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ [الأعراف:٥٣]** يبكون فلا يستجاب لهم، ينادون فلا يسمع كلامهم **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ [فاطر:٣٧]. روى الذهبي في كتاب**(الكبائر١\١٧) **قصة رجل ماتت أخته فقبرت ودفنت، ثم ذهب إلى بيته فتبين له أنه فقد كيساً من الذهب، فراجع حساباته فتبين له أنه سقط في القبر حين كان يحفر ويدفن، فرجع ونبش القبر، فإذا بالقبر نار تتأجج، فرجع لأمه خائفاً باكياً وجلاً: أماه! أختي تقية نقية ما علمت عليها من سوء! كيف وقد وجدت قبرها ناراً تتأجج؟!اسمع يا صاحب القلب! اسمع وراجع الحسابات قبل فوات الأوان، قبل أن تبكي دماً، قالت الأم: أختك كانت تؤخر الصلاة عن وقتها**.إذا كان هذا حال الذي يؤخرون، فكيف سيكون حال الذين ينامون عن الصلوات؟ كيف سيكون حال الذين لا يصلون؟كم سمعنا عن وجوه قد اسودت؟ كم سمعنا عن أبدان قد تقطعت؟**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [الأنفال:٥٠-٥١]**.مر رجل على قصر من القصور قد اجتمع عليه ملأ من الناس، فقال: ما الخبر؟ قالوا: إن الأمير قد بنى هذا القصر وجمع الناس، فقال لهم: من قال لي: أن في هذا القصر عيباً أعطيته ما شاء. قال الرجل قبل أن يدخل القصر فيه عيبان: أنه سيفنى القصر وسيفنى صاحبه:

عش ما بدا لك سالماً في ظل شاهقة القصور
يغدى عليك بما اشتهيت من الرواح إلى البكور
فإذا النفوس تقعقعت في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقناً ما كنـــــت إلا في غرور

قال سفيان : من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وقيل لبعض الزهاد: **ما أبلغ العظات؟ قال: النظر إلى محلات الأموات.** (التزكرة ١\١٠٨).وسأل رجل أحمد : ما يرق قلبي؟ قال: ادخل المقبرة.قال آخر: ما اشتقت إلى البكاء إلا خرجت إلى المقابر.وما أعظم قول الصادق المصدوق في موعظة بليغة موجزة: **(ألا إني قد نهيتكم عن**

زيارة القبر، ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة)(**احمد ١٢٣٥**).ما أحوجنا أن نخلو آحاداً آحاداً في ذلك المكان، اخلع النعال وسر بين القبور ففيها الأغنياء والفقراء والصغار والكبار سواء. **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ [يونس:٥٧]**.حتى تستفيد من الموعظة افعل ما توعظ به!(**ألا إني قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها**)فإن في زيارتها حياة للقلوب الغافلة، إن في زيارتها تذكيراً للغافل والناسي والساهي، والقبر لا يعرف صغيراً ولا كبيراً ولا يعرف غنياً ولا فقيراً.الكل في ذلك المكان مرتهن بالعمل الذي عمله وبالعمل الذي قدمه.فاتقي الله أمة الله! واتق الله عبد الله! اتق الله أيها الشاب في شبابك، واتق الله أيها الشيخ في شيبتك.والله الذي لا إله إلا هو إن الذي حال بين الناس وبين التوبة والصدق في التوبة: طول الأمل، ومن أطال الأمل أساء العمل، قال سبحانه: **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الحجر:٣]**.

يا غافلاً عن العمل وغره طول الأمل الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

اللهم هون علينا الموت والقبر وظلماته، هون علينا السؤال وشدته، هون علينا اللحد وضمته.اللهم امنن علينا بتوبة نصوح قبل الموت، وبشهادة عند الموت، وبرحمة بعد الموت يا رب العالمين.اللهم ارحم ضعفنا وتقصيرنا وإسرافنا في أمرنا يا رب العالمين، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا يا ربنا من الراشدين.اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.اللهم نور على أهل القبور قبورهم، اللهم اغفر لهم وارحمهم ويسر أمورهم، اللهم آنس وحدتهم ونور ظلمتهم، اللهم أبدلهم داراً خيراً من دارهم، وأبدلهم أهلين خيراً من أهليهم.اللهم ارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه تحت التراب وحدنا، إذا نسينا الأحباب وفارقنا الأهل والأصحاب، اللهم كن لنا عوناً وظهيراً ومؤيداً ونصيراً يا رب العالمين.اللهم لا تؤاخذنا بالتقصير، واعف عن الكثير، وتقبل منا اليسير، إنك يا مولانا نعم المولى ونعم النصير.اللهم اجمع شملنا وأصلح ولاة أمورنا، انصر من نصر الدين، واخذل من خذل عبادك الموحدين.اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الموحدين، انصر المجاهدين في كل مكان، ثبت أقدامهم واربط على قلوبهم، أفرغ عليهم صبراً يا رب العالمين، عجل بنصرهم يا قوي يا عزيز، اكبت عدوك وعدوهم فإنهم لا يعجزونك يا جبار السماوات والأرضين.ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.أستغفر الله العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

بشرى في الحصار

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**.**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. معاشر الأحبة! أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وانقسم الناس إلى قسمين: مؤمن وكافر، فريق حق وفريق باطل. ومن سنن الله التي لا تتغير ولا تتبدل سنة الابتلاء وسنة الصراع، ابتلاء للمؤمنين في كل مكان؛ حتى يرفع الله من درجاتهم، وليبتلي ما في صدروهم، وليمحص ما في قلوبهم، قال تعالى: **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ [آل عمران:١٤٢]**.ولقد مضت سنة الابتلاء على الأولين، قال تعالى: **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ [العنكبوت:٣]** فلا بد من الابتلاء، ولن تتمكن أمة الإسلام حتى تبتلى، كما جاء في الحديث عند مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الله أمرني أن أعلمكم مما علمني إياه، إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين- ثم قال في سياق الحديث- ثم بعثتك لأبتليك وأبتلي بك**)(**ابن حبان ٦٥٣**) فسنة الابتلاء ماضية حتى يرث الله الأرض ومن عليها. منذ أن انقسم الناس إلى قسمين: فريق حق وفريق باطل، بدأ الصراع بين الحق والباطل، وبدأت المواجهات بين حزب الله وحزب الشيطان، بين حزب الحق وحزب الباطل، وهاهي الفلوجة اليوم تسطر صوراً من صور المواجهة بين الحق والباطل، كما سطر التاريخ من مثل تلك الصور الشيء الكثير، وهاهو الكفر يتزعمه الصليب ومن خلفه من أبناء القردة والخنازير، ومن أبناء الكفر بكل أنواعها ومللها

ونحلها قد جمعت أحزابها، وحاصرت الفلوجة من كل الجهات براً وبحراً وجواً، يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.فما المطلوب منا في مثل هذه الظروف، وفي مثل هذه الأحوال؟أقول:

اقرءوا التاريخ إذ فيه العبر ضل قوم ليس يدرون الخبر

وحتى ننتصر في مثل هذه الظروف لا بد من إظهار عدة المؤمنين المستمدة من قوله جل وعلا: **وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ [آل عمران:١٣٩-١٤١]**، فمنذ قرون مضت، وحين ظهر نور الإسلام بدأت المؤامرات، وبدأت الدسائس تحاك على الإسلام يوماً بعد يوم، ولم يتعرض دين لمثل تلك الدسائس التي تعرض لها الإسلام، فسنوات بل قرون طوال وهم يمكرون بالإسلام وأهله، ولو لم يكن الإسلام دين حق لما استطاع أن يقاوم تلك الدسائس ومكر الليل والنهار.إن أمتنا قوية بدليل أنهم يهاجمونها من كل الجهات، ولو لم تكن قوية لما ألبوا أحزابهم وجمعوا جموعهم، فهم تغيظهم صحوة الشباب في كل مكان، والتي قد بدأت ظاهرة جلية تعلن عن عودة الشباب إلى دينهم وتمسكهم بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم.منذ قرون مضت عندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وبدأت شوكة الإسلام تقوى، وبدأ الإسلام يضرب أطنابه يمنة ويسرة، وبدأ الأتباع يزيدون كما الصحوة اليوم في ازدياد، وأبشركم بأن المصلين في صلاة الفجر في ازدياد، وقد اكتمل صفنا الثاني بعد أن كنا لا نصلي إلا صفاً واحداً، والصف الثالث أيضاً في ازدياد يوماً بعد يوم، وعدد الذين يصلون معنا الفجر من الأطفال خمسون، ومن خلفهم آباء وأمهات، فأمتنا بخير، وأمتنا معطاءة تحييها مثل هذه الظروف، وتمحص قيسها من تميمها في مثل هذه الظروف، قال تعالى: **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ [آل عمران:١٧٩]**. بدأ الإسلام يخرج من المدينة بقوة، وبدأت المؤامرات على الإسلام من المنافقين والمشركين وأحفاد القردة والخنازير الذين يتزعمون موائد المفاوضات والاستسلام، فخرج اليهود من خيبر إلى مكة يحرضون مكة على حصار المدينة، ووعدوهم على أن يكون الأمر بينهم سواء، وعلى أن تقسم بينهم غنائم المسلمين، وأن تسبى نساؤهم، وأن تصادر أموالهم، فجاءت مكة بوثنيتها التي تحمل الحقد على الإسلام والمسلمين، وخرجت اليهود التي تحمل الحسد والمكر على الإسلام والمسلمين، وبدأ منافق الداخل يؤلب هذا ويضعف ذاك، والتأم والتف حول المدينة عشرة آلاف لم تلتف من قبلها على مدينة من المدن، وصور الله ذلك الموقف تصويراً عجيباً، فقال تعالى: **إِذْ جَاءُوكُمْ**

مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا [الأحزاب:١٠] ظنُّ المنافقين وليس بظنِّ المؤمنين، وإنما ظن المؤمنين حين رأوا ذلك، قال تعالى: **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا [الأحزاب:٢٢]** إنها سنة الصراع التي لا تتغير ولا تتبدل، قال تعالى: **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ [البقرة:٢٥١]** والتفت قريش واليهود والوثنية بكل أنواعها حول المدينة، وطوقوها من كل الجهات، فأشار سلمان الفارسي رحمه الله ورضي الله عنه وأرضاه بحفر الخندق أمام تلك الجموع التي لم تر العرب مثلها قط، وبدأ الخوف يدب من كل مكان، ولك أن تتصور الحال: خوف وجوع وأحوال لا يعلمها إلا الله! فكيف كان حال فريق المؤمنين؟! وكيف كانت المؤامرات تحاك من الداخل ومن الخارج؟!وما أشبه الأمس باليوم، فماذا صنع الرجال في تلك المواقف؟ التفوا حول نبيهم يداً واحدة، قياماً بالليل، وصياماً بالنهار، وانضباطاً على الأوامر، وتركاً للمعاصي والمخالفات؛ لأن النصر لا يستمد إلا من السماء، وأظهروا من العزة ما سطره التاريخ وعجزت الصفحات عن تسطيره.**ربعي يدخل في إيوان كسرى وهو مليء بالأثاث الوثير، ووزراؤه من حوله، وقادة جيشه يلتفون من حوله، فيسألونه وقد دخل ببغلته ورمحه المثلوم، وثيابه المقطعة، لكن تكلم بعزة المؤمن، يقول له كسرى : لماذا أتيتم؟ وماذا تريدون؟ أليس الفقر والجوع هو الذي أخرجكم؟ قال: لا الجوع ولا الفقر أخرجنا، وإنما الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.فقال كسراهم: ما المطلوب منا، وماذا تريدون؟قال: أسلم تسلم، لك ما لنا وعليك ما علينا.قال: فالثانية؟قال: الثانية تدفعون لنا الجزية عن يد وأنتم صاغرون.قال: وإن لم ندفع؟قال: السيف بيننا وبينكم.فهل تدري أين يتكلم؟ ومن أين ينطق بمثل هذا الكلام؟ إنه يتكلم من إيوان كسرى الذي سيكون غنيمة لهم كما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم.** (**تاريخ الطبري ٢\٤٠١**)
جاء في السير أن المسلمين عندما بدءوا بحفر الخندق استعصت عليهم صخرة، فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فجاء -بأبي هو وأمي- وأخذ الفأس أو المعول من بين أيديهم، وضرب الصخرة مرة واحدة، فخرج منها مثل الشرر والنور، فقال: (**الله أكبر! رأيت أقوام اليمن، فتحت لي قصور اليمن**) ثم ضرب الضربة الثانية، فقال: (**الله أكبر! أُريت قصور الشام البيضاء، ثم ضرب الثالثة، فقال: الله أكبر فتحت لي قصور العراق وما فيها**)(**مصنف بن ابي شيبة ٣٧٩٧٥**) يتكلم بهذا وهو محاصر في

المدينة، والعدو جاءهم من فوقهم ومن أسفل منهم، وزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، ولكنها الثقة بوعد الله، والثقة بنصر الله جل في علاه، قال تعالى: **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ [غافر:٥١]** فتعلمت الأمة معنى العزة في كل الظروف وفي كل الأحوال، أمماً وآحاداً.**وهاهو خباب يؤتى به إلى مكة وهو الذي صنع بهم العجب يوم بدر، بل في كثير من المواجهات، فخرج قريش وقد جمعوا نساءهم وأطفالهم، وألبوا عليه من كل مكان، ونصبوه على جذع شجرة، فقالوا له: أتتمنى أن محمداً مكانك وأنت بين أهلك؟ واسمع هذا الحب الصادق لله ولرسوله مهما كانت الظروف ومهما كانت الأحوال– قال: والله ما وددت أن محمداً يشاك بشوكة وأنا آمن مطمئن بين أهلي. قيل له: قل في الإسلام، أو قل في محمد وأصحابه؛ لكنه والله ما نطق بكلمة كفر، وإنما طلب منهم الصلاة، فصلى وأسرع في صلاته، وقال لهم: حتى لا تظنوا أني أخاف من الموت فكان سلاحه الثقة واليقين والصبر والدعاء، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إنك ترى ما يصنع بنا، اللهم فبلغ رسولك أنا بلغنا الرسالة، وأدينا الأمانة، اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً، ثم قال:**

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجــمع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم وقربت من جذع طـــويل ممنع
إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي وما أرصد الأعداء لي عند مصرع
وقد خيروني الكفر والموت دونه وقد هطلت عيناي في غير مجزع
وما بي حذار الموت إني لميت ولكن حذاري جحـــم نار ملفع
ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصـــرع

يففي كل الظروف والأحوال عزة وثبات؛ لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فقد تعلم هؤلاء الرجال من نبيهم الذي قرأ عليهم القرآن وعلمهم كيف تكون العزة، وكيف يكون الثبات.ولما اجتمع الأحزاب حول المدينة، وكان المسلمون قد عاهدوا اليهود على حماية النواحي الخلفية من المدينة، ذهبت قريش إلى اليهود وساوموهم، فنقضوا العهود ولا عجب، فهم نقاضوا العقود ونكاثوا العهود، أما قال الله: **أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ [البقرة:١٠٠]**؟! بلى والله، حالهم لا يتغير ولا يتبدل، فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بخيانة اليهود من الداخل، قال لأصحابه: (**أبشروا فلقد اقترب النصر**) انقطعت الحبال الأرضية، ولم يبق إلا حبل السماء، انقطعت الأسباب ولم يبق إلا الارتباط برب الأرض والسماء مسبب

الأسباب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، أبشروا فلقد اقترب النصر، وأنا أقول: عباد الله! أبشروا، فلقد اقترب النصر.

يا أمة الإسلام بشرى لن يطول بك الهوان
قد لاح فجرك باسماً فلتذكري ذاك الزمان
أبطالنا بجهادهم ومضائهم قصموا الجبان
وبنوا لمجدك سلماً بدمائهم بلغ العنان
فلتهنئي يا أمتي ولى زمان الغافلين
كم من سنين قد مضت والليث يهتف لن أعود
لن أنثني لن أشتكي لن أرتضي ذل القعود
ولسوف أمضي شامخاً رغم المشقة والقيود

لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الحصار والمؤامرات أراد أن يخفف على أهل المدينة، فإنهم جياع لا يجدون ما يأكلون، وحفاة لا يجدون ما ينتعلونه، ومحاصرون من كل الجهات -وهاهي الفلوجة اليوم تشهد نفس الموقف، ونفس المؤامرات- **فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الأحوال دعا قادة غطفان، وقال لهم: (تعالوا إلى أمر بيننا وبينكم سواء)، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أن غطفان خرجت للغنيمة لا للثأر من المسلمين، قال لهم وقد خرجوا في أربعة آلاف من العشرة آلاف: نعطيكم نصف ثمار المدينة على أن تفكوا الحصار عن المدينة وترجعوا، فوافقوا، فكتبت الوثيقة ولم يشهد عليها؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أستشير أهل المدينة أولاً) فأتى بالسعدين: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهم وعرض عليهم الأمر وقال لهم: إني قد عرضت على غطفان كذا وكذا على أن يفكوا الحصار عن المدينة ويرجعوا، فماذا تقولون؟ فقال سعد بن معاذ -الذي اهتز لموته عرش الرحمن-: يا رسول الله! أمر تحبه أم أمر أمرك الله به، أم أمر تصنعه من أجلنا؟ فإن كان الأمر من الله فليس لنا إلا السمع والطاعة، وإن كان الأمر منك: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ [النساء:٨٠]، وإن كان أمر تصنعه من أجلنا فلنا في الأمر مقال، قال: بل أصنعه من أجلكم، قالوا: يا رسول الله! كنا وهؤلاء القوم على كفر وشرك لا يعلمه إلا الله -حين كنا وإياهم على الكفر والشرك- كانوا لا يأكلون طعامنا إلا قرىً، ولا يأخذون أموالنا إلا بحقها، واليوم بعد أن أعزنا الله بالإسلام نعطيهم أموالنا؟!واليوم بعد أن أظهرنا الله بالقرآن وزيننا بالإيمان نعطيهم أموالنا؟! والله ليس بيننا وبينهم إلا السيف، في مثل هذه الظروف تخرج عزة المؤمنين، وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا**

وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران:١٣٩] سحابة صيف وستنقشع: وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ [الشعراء:٢٢٧] .فالمطلوب: صدق التوكل، والتفاؤل في كل حال من الأحوال، والثقة والتبشير بنصر الله جل في علاه: **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ [الصافات:١٧١-١٧٣]، وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله زوى لي الأرض، فأريت مشرقها ومغربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها)(مسلم ٢٨٨٩)**، إنها ثقة ويقين بنصر الله ووعده: وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ [الشعراء:٢٢٧].نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم. الحمد

لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.عباد الله! اتقوا الله، ومن تقواه أن نستشعر قضية الجسد الواحد، نستشعر أن المؤمنين كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وما يصيب الفلوجة اليوم إنما هو بسبب ذنوبنا؛ وبسبب تقصيرنا .. فالفلوجة اليوم تذيق الصليب وتلقنه الدروس في العزة والثبات، رغم المحاصرة من كل الجهات. يسأل مذيع الأخبار أحد رجالات الفلوجة الأبطال: ما هي استعداداتكم وأنتم ترون هذا الحصار يضرب عليكم من كل الجهات؟ فقال: لقد استعدينا لهم بلا إله إلا الله محمد رسول الله، لا يملكون طائرات ولا دبابات، بل حتى حاصروا المستشفيات، فالمطلوب: ثقة ويقين، وهاهي الأمة تعلن ترابطها مع العراق، وتعلن الوحدة في البأساء والضراء، وهاهي المنابر، وهاهي المساجد، وهاهي أكف الضراعة ترفع من أجل إخواننا في العراق، وهاهي البطولات تخرج والأثر يخرج من هناك، لقد أسقطوا الطائرات ودمروا الدبابات، وأسروا أحفاد القردة والخنازير والصليبيين، وقتلوا في جيش الصليب، بل لقد قتلوا قائد القوات، فإلى النار وبئس المصير، وصحيح أنه قتل منا أبرياء، وقتل منا أطفال ونساء، لكن قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار. يدعون أنهم يريدون أن يحرروا الشعوب، فلماذا تقتلون الشيوخ؟!! ولماذا تقتلون الأطفال؟!! وما ذنب الأبرياء؟!! ولماذا تهدم المساجد؟!! لكن صدق الله إذ يقول: **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ [البقرة:١٢٠]**.اللهم اقلب عليهم أرض الفلوجة ناراً، وسماءها شهباً وإعصاراً.اللهم سلط عليهم ما خرج من الأرض، وما نزل من السماء.اللهم ثبت أهل الفلوجة، اللهم ثبت المسلمين في كل مكان، في فلسطين والشيشان وكشمير وأفغانستان وفي السودان والفلبين. اللهم انصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، اللهم

اربط على قلوبهم، أفرغ عليهم صبراً، وثبت الأقدام، اللهم أنزل عليهم رحمة من عندك، سدد رأيهم ورميهم، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين!اللهم إنهم قلة فكثرهم، جياع فأطعمهم، حفاة فاحملهم، خائفون فأمنهم، مظلومون فانتصر لهم، اللهم انصر من نصرهم، اللهم اخذل من خذلهم.اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، اللهم اهزم الصليبيين وزلزلهم، واهزم اليهود الغاصبين وزلزلهم، اهزم المنافقين والوثنيين وأعداء الملة والدين، اللهم لا تدع لهم قوة في الأرض إلا دمرتها، ولا قوة في السماء إلا أسقطتها، ولا قوة في البحر إلا أغرقتها، اللهم اجعل جنودهم غنيمة للمسلمين، اللهم مكن المجاهدين من رقابهم، اللهم مكن المجاهدين من رقابهم، اللهم مكن المجاهدين من رقابهم.اللهم لا ترفع لهم في بلاد المسلمين راية، ولا تحقق لهم في بلاد المسلمين غاية، وأخرجهم منها أذلة صاغرين، اللهم ندرأ بك في نحورهم، ونعوذ بك اللهم من شرورهم، فإنهم لا يخفون عليك ولا يعجزونك. يا قوي يا عزيز! بك نصول وبك نجول، عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، وطهر بيوتنا من الفواحش والشهوات، ورد الشباب والشيب إليك رداً جميلاً يا رب العالمين.عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذا القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون.اذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

***

بصراحة مع الشباب

بسم الله الرحمن الرحيم إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]. يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١].يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد.. فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله، وكل ضلاله بالنار. معاشر الأحبة!السلام عليكم ورحمة الله وبركاته حياكم الله وبياكم وسدد على طريق الحق خطاي وخطاكم، أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجمعني وإياكم في دار كرامته إخواناً على سرر متقابلين، كما أسأله سبحانه أن يحفظني وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين. بصراحة مع الشباب:المقصد: كيف نسلك سبيل النجاة؟ كيف نتعاون على البر والتقوى؟ كيف نتعاون على أن ننجو بأنفسنا وأهلينا من عذاب الله؟بصراحة مع الشباب: الشباب -بارك الله فيهم- هم بناة الحضارة، وعلى أكتاف الشباب يتغير الواقع، وبأيدي الشباب تستعيد الأمة مكانتها، وتستعيد الأمة العزة المفقودة والعزة المسلوبة؛ لكن أي نوع من الشباب هو الذي سيغير الواقع؟ الشباب اليوم على صنفين، وتعال نتكلم بصراحة ونقول للشباب: ماذا تريدون؟ كثير من الشباب يدعي أنه في سعادة ويدعي أنه في راحة وطمأنينة، لكن في قرارة نفسه يعلم أنه ليس كذلك.على غير ميعاد منذ أسابيع مضت كنت في سفر إلى الرياض فصعدت الطائرة، وبينا أنا أضع حقائبي في المكان المخصص إذا بمنادٍ من خلفي يقول: السلام عليكم يا فلان! فالتفت فإذا بشاب أعرفه منذ سنوات طوال فرقت بيني وبينه أحوال الدنيا هنا وهناك، وكان في آخر عهدي به منذ سنين مضت أنه مذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء سار مع أهل الاستقامة فترة ثم عاد إلى ما كان عليه. الذي أعرفه أنه أصبح موظفاً في الخطوط الجوية وأصبح مضيفاً، وهذه أمنية كان يتمناها هو، كنت أسأله: لماذا تريد هذه الوظيفة المتعبة؟ قال: أحب السفر هنا وهناك كل يوم في بلد. مضت الأيام وتفرقنا، والذي أعرفه أنه التحق في ذلك المجال

الذي يريده، جاءتني الأخبار أنه تزوج وأصبح أباً، لم أره منذ عشر سنوات إلا في الطائرة في ذلك اليوم، قلت: فلان! قال: نعم، قلت: أهلاً وسهلاً، كان يرتدي ثياب الوظيفة لكنه لم يكن على مهمة في تلك الطائرة، كان يريد الذهاب إلى الرياض ثم من الرياض سيصعد على طائرة إلى خارج البلاد في رحله تستغرق أربع ساعات ثم يرجع إلى البلاد في نفس الليلة. جلست معه، وقلت: ما هي أخبارك؟ قال: أبشرك بخير وسعادة وما مر علي لحظات إلا وأنا أحسن. قلت: عندي خبر أنك تزوجت، قال: نعم تزوجت وعندي طفل صغير اسمه خالد، قلت: ما شاء الله تبارك الله، الآن أصبحت رجلاً مسئولاً عن أسرة كاملة، فكيف هي أحوالك؟ قال: بعد أن أنجبت زوجتي هجرتني لسنة كاملة، ذهبت وتركت البيت لسنة كاملة. قلت: لماذا؟ قال: بصراحة يا شيخ! لسوء تصرفاتي، لقد كذبت عليك حين قلت لك إني في سعادة وإني في طمأنينة، الحقيقة يا شيخ! إني أعيش هموماً وغموماً لا يعلمها إلا الله، والله يا شيخ إني في ضياع لا يعلمه إلا الله كثرة السفر وكثرة التنقلات كنت أظنها ستجلب لي سعادة؛ لكن الذي حدث أنها أحدثت لي عكس ذلك، انجرفت مع الأشرار من بلد إلى بلد ومن مصيبة إلى مصيبة حتى تركتني زوجتي وذهبت إلى أهلها سنة كاملة، رجعت بعد أن عاهدتها أني سأستقيم وأني سأعود إلى صراط الله المستقيم؛ لكني ما صدقت في عهودي ولا في مواثيقي. يقول: منذ أيام حدث حادث أثر في حياتي، وغير من مجريات حياتي، كنت في إحدى البلاد الأسيوية، بعد أن وصلت الرحلة المفترض أننا سنبقي ثلاث ليال هناك ثم نرجع مرة ثانية، خرجت مع من خرج يسرح ويمرح في تلك البلاد، رجعت ومعي فاجرة إلى الفندق، يقول: فلما تجردت من ثيابها وتجردت أنا من ثيابي إذا بنداء هز كياني، إذا بالأذان يرتفع من مسجد مجاور لنا، يقول: خافت هي وانتفضت ولبست ثيابها ودخلت إلى دورة المياه وتوضأت ثم خرجت وجلست تصلي وتبكي، وأنا لم يتحرك شيء في داخلي، قلت في نفسي: إلى هذه الدرجة أنا وصلت إلى الضياع! إلى هذه الدرجة أصبح الأذان يؤذن ولا يحرك في قلبي شيئاً! إلى هذه الدرجة أرى من يتأثر ويبكي ولا يعني لي شيئاً! فرجعت ولم أصنع شيئاً؛ لكني رجعت وأنا أحمل الهم وأنا أقول: إلى متى وأنا أسير على هذا الطريق؟ إلى متى وأنا أسير على طريق الضياع؟ سبحان الله! فاجرة سمعت الأذان ينادي فانتفضت في مكانها ورفضت أن تفعل الفاحشة وتوضأت وصلت باكية في مكانها! يقول لي: أنا الآن تجاوزت الثلاثين سنة ولا أدري متى سيتغير الواقع؟ قلت له: كيف أنت مع الصلاة؟ قال: أنا لا أصلي يا شيخ! قلت له: وكيف تحيا إذاً وأنت لا تصلي؟! ولا تعرف أوامر الله ولا تأتمر بأوامر الله؟! قال: كأن الله قد ساقك إليَّ الليلة، أنا أحتاجك يا شيخ! أنا أريد أن أصرح لك بما يدور في داخلي. الذي يدور في داخله هو آثار الذنوب والمعاصي، آثار البعد عن الله جل في علاه، آثار الإدبار عن صراط الله المستقيم، كيف يتغير الواقع وهو لا يعرف أبسط

أمور الدين، وهي الاستقامة على صلاته. قلت: أنا أنزل في الرياض في مهمة وأرجع على طائرة الحادية عشرة والنصف. قال: هي موعد رجوع طائرتي أيضاً، أنا أسافر إلى بيروت ثم أرجع وأقلع على طائرة الحادية عشرة والنصف؛ قال: أرجوك أنا أريدك يا شيخ! فقد مللت هذا الطريق وهذه الحياة. قلت: استقم في صفوف المصلين والزم المسجد واركع واسجد لله حتى يتغير الحال، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. افترقنا في صالة المطار على أن نلتقي في الساعة الحادية عشرة والنصف حتى نرجع إلى الدمام، ولظروف تأخرت في المجيء إلى المطار حتى كادت الرحلة تفوتني، حتى قال لي الشباب في الرياض: امكث يا شيخ! امكث هذه الليلة وارجع غداً صباحاً، قلت: لا أنا على موعد في المطار، أنا على موعد مع ذلك الشاب الذي واعدته على أن نلتقي مهما كانت الظروف، فقد ودعني في المطار بعين باكية ولا زلت أذكر ذلك الوجه وهو يفترق ويبتعد عني وهو يقول لي: أرجوك يا شيخ! أنا أحتاجك، فما أردت أن أتخلف عن موعده. انتقلت من منطقة بالرياض في الساعة الحادية عشرة والطائرة تقلع في الساعة الحادية عشرة والنصف، لما وصلت إلى المطار الساعة الحادية عشرة والنصف وجدت أن الركاب كلهم قد ركبوا إلا صاحبي كان ينتظر عند البوابة، فلما رآني بكى وأخذ يقول: والله يا شيخ ما كنت لأركب الطائرة حتى تأتي أنت، ثم ركبنا، وبين السماء والأرض باح واعترف، بين السماء والأرض أعلنها توبة لله رب العالمين، قال لي فيما قال في الحديث الذي دار بيني وبينه: أبشرك يا شيخ لقد صليت ولأول مرة أصلي منذ سنوات، والله لأول مرة بين السماء والأرض أحس أني قريب من الله، لأول مرة أحس بالراحة والطمأنينة في داخلي. أقول: أحبتي! الإنسان في ضياع حتى يتعرف على الله جل في علاه قال سبحانه: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات:٥٦]** من معانيها: ما خلقتهم إلا ليتعرفوا علي. وكيف يكون التعرف على الله إلا بالركوع والسجود والخضوع لأوامره والانتهاء عن نواهيه، أنت عبد للسيد الذي خلقك وأعطاك وأمدك بكل شيء، لا بد أن تحقق العبودية حتى يحقق الله لك ما وعد، لا بد أن تسير على النهج الذي خلقك الله من أجله.. ظل يبكي بين السماء والأرض ويدلي باعترافات: تركتني زوجتي، تركني المقربون، تركني أناس كثيرون، والسبب: الذنوب والمعاصي، كنت أظن أن السفر والترحال سيجلب لي سعادة كنت أظن أن السفر هنا وهناك ومعاشرة هؤلاء وهؤلاء ستجلب لي سعادة، قال: والله ما استشعرت السعادة إلا مرة واحدة منذ سنوات مضت، حين انتشلني أولئك الشباب الصالحون وأخذوا يغدون بي ويروحون إلى المسجد، حينها عرفت أنني إنسان، حينها عرفت أن لي قيمة في هذا المجتمع، اجتهدت أكثر من بعض الشباب في تلك الفترة، لكن حين سلكت تلك الوظيفة وبدأت أطير من بلد إلى بلد بدأت رحلة الضياع.بصراحة: كثير من الشباب يعيش في ضياع لا يعلم به إلا الله، هو يضحك ويتبسم لكنها

ليست بابتسامة خارجة من القلب، ابتسامة وراءها ما يعبر عنها، وأشياء كثيرة يخفيها الشباب خلف ابتساماتهم. قل لأصحاب المعاصي والضياع: ماذا صنعت المعاصي بهم، وهل جلبت لهم سعادة؟ المطلوب مني ومنك بارك الله فيك أن نسير على طريق الاستقامة، أن نعيش عبيداً لله رب العالمين. اسمع بصراحة إلى واقع الشباب: التقيت بثلاثة على إحدى الطرق الطويلة في ساعة متأخرة من الليل، قلت وقد توقفت لهم: أين تريدون؟ قالوا: نريد الدمام، قلت: اصعدوا فأنتم على طريقي. لما ركبوا وهم في مقتبل العمر لم تتجاوز أعمارهم الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين، سألتهم: أين تريدون؟ قالوا: نريد المكان الفلاني، قلت: ماذا تريدون من هناك؟ قالوا: نبحث عن وظائف، قطعوا مسافات طويلة بحثاً عن وظيفة، بحثاً عن الجاه، بحثاً عن الرزق. ولا عيب في أن يسعي الإنسان لرزقه؛ لكن عيب كل العيب أن يراه الله مقصر في حقه، عيب كل العيب أننا نخرج من أجل دنيانا وفي قضاء حوائجنا ولا نخرج في طاعة الله حين ينادينا منادي الله: الصلاة خير من النوم، أو حي على الصلاة حي على الفلاح. قلت: اصدقوني ما هي المؤهلات التي تحملونها. فما ذكروا مؤهلات تذكر، منهم من يحمل الشهادة المتوسطة ومنهم من يحمل دون ذلك، قلت: الأمر لله من قبل ومن بعد، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم، لكن من كان مع الله كان الله معه، وما سميت الصلاة صلاة إلا لأنها صله بين العبد وربه، ولأن الله يصل بفاعلها إلى الجنة ويصل بتاركها إلى النار، ولأن الله يتعهد أهل الصلوات، قال الله تعالى: **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى [طه:١٣٢]**. لذلك سألتهم وقلت: كيف أنتم مع الصلاة؟ اسمع بارك الله فيك! اسمع أخبار الشباب وبصراحة مع صلواتهم التي هي أساس أمور دينهم، قال الذي يجلس بجانبي: أقول لك الصراحة أم أكذب عليك يا شيخ! قلت: إن كذبت فأنت لا تكذب علي بل تكذب على نفسك أنت، قال: بصراحة أنا ما أصلي، قلت: إذاً كافر، قال: لا، قلت: كيف وقد جاء في الحديث: (**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**)، (**بين المرء وبين الكفر ترك الصلاة**) (**مسند ابي عوانة ١٧٧**) فهل ترضى بهذا الاسم؟! قال: لا. قلت: إذاً فافعل بفعل المسلمين الذين من أساس أركان دينهم بعد توحيد الله: إقامة الصلاة. أما الثاني فقال لي: أنا أحسن منه يا شيخ! أنا أحسن منه حالاً! قلت: وكيف؟ قال: أنا أصلي من الجمعة إلى الجمعة.قلت: هذا دين جديد وهذا شرع جديد. قال: وماذا أفعل إذاً؟ قلت: هي خمس صلوات بارك الله فيك! قال الثالث: أنا أحسنهم حالاً يا شيخ! قلت: وكيف؟ قال: أنا أصلي في اليوم صلاتين. أيعقل أن هذا هو حال الشباب، منهم من لا يركع ولا يسجد، ومنهم من لا يصلي إلا من الجمعة إلى الجمعة، ومنهم من لا يعرف الله إلا في وقت الشدة، في أوقات الامتحانات والاختبارات يقبل

الناس على المساجد، وحين ترفع وتقضي حوائجهم يدبرون عن أوامر الله **أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ [الأعراف:٩٩]**، يعدهم الشيطان ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً. كم خسرنا من شاب وفتاة لا يصلون ولا يعرفون أوامر الله، كم خسرنا من صغار ومن كبار خرجوا من الحياة بلا رصيد من الحسنات، غرتهم الأماني وغرهم بالله الغرور. يقول أحد مغسلي الموتى: جيء لنا بشاب في مقتبل العمر، فلما بدأنا بتغسيله وتكفينه انقلب لونه من البياض الشديد إلى السواد الشديد، خفنا من المنظر الذي رأيناه فخرجنا خائفين فوجدنا رجلاً في الخارج، قلنا: من أنت، ومن الميت؟ قال: الميت ميتنا وأنا أبوه. قلت: ما خبر ميتكم هذا؟ قال: ميتنا هذا لم يك من المصلين، قلنا: نعوذ بالله! خذوا ميتكم أنتم وغسلوه وكفنوه، فحكم الله في هذا ألا يغسل ولا يكفن ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يدعى له ولا يستغفر له ولا يحمل على الرقاب، بل يسحب على وجهه، وتحفر له حفرة في الصحراء ثم يكب فيها على وجهه **وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [النحل:٣٣]**. أتدري كم من أمر للمحافظة على الصلوات في كتاب الله؟ أكثر من تسعين أمراً، يكفينا أمر واحد حتى نعلم أن القضية قضية خطيرة، وأن القضية يترتب عليها إما جنة وإما نار، وأول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة الصلاة، وحتى يستقيم حاله في دنياه وينظر الله في أموره في آخرته لا بد أن يستقيم صفوف المصلين. أحد الشباب يقول: أنا وصاحب لي نغدو ونروح في أوقات الصلوات والله لا نعرف المساجد ولا نعرف الأوامر، نستهزئ بالمصلين ونستهزئ بأهل الاستقامة وأهل الالتزام، حتى جاء يوم فافترقنا بعد الفجر ولم نصلها، نمت فلما استيقظت قال لي أخي الأكبر: فلان صاحبك قد مات اليوم! ظننت بأن الأمر مزح وليس بالأمر الجد، فقلت: اترك عنك هذا الكلام فقد فارقته هذا الصباح وذهب هو إلى البيت. قال: أقول لك بالحرف الواحد: فلان قد مات! فذهبت إلى بيته أتقصي الخبر، طرقت الباب فخرج إلي أبوه، قلت: أين فلان؟ فقال لي والدمعة على خده: عظم الله أجرك في فلان، قلت: أين هو؟ قال: أين هو؟! لن نصلي عليه ولن ندفنه في مقابر المسلمين، لأنه كان لا يصلي، كم نصحناه وإياك أن تحافظا على أوامر الله! يقول الشاب: حينها علمت أني على خطر، حينها تأكدت أني أسير على طريق غير صحيح، علمت أنه لا بد أن أصحح المسار، فهذا الموت يتخطف الصغار ويتخطف الكبار، منهم من يأخذه في الجو، ومنهم من يأخذه في الأرض، ومنهم من يأخذهم على ضفاف البحار؛ فكيف يكون حالي إذا جاءني المنادي يقول: يا فلان بن فلان، قد انقضى العمر وانتهت الحياة، وأنا على حال لا يعلمها إلا الله. قال لي الأب: صل قبل ألا يصلِّ عليك كما فعلنا بفلان! علمت حينها أني على خطر عظيم، علمت حينها أن الله قد مد في عمري وأعطاني فرصة حتى أراجع الحسابات

.تمضي السنين وتنقضي الأيام والناس تلهو والأنام نيام
والناس تسعي للحياة بغفلة لم يذكروا القرآن والإســلام
والمال أصبح جمعة كتهجد وتمتع الشهوات صار صيام
قد زين الشيطان كل رذيلة والناس تفعل ما تشاء حرام
يا نفس يكفي فالذنوب كثيرة إن الغرور يسبب الأجرام
هل تعلم اليوم المحدد وقته الله يعلم وحده الــعلام
ماذا تقول إذا حملت جنازة ودفنت بالقبر الشديد ظـلام
هذا السؤال فهل علمت جوابه ماذا تقول إذا نطقت كلام
اليوم تفعل ما تشاء وتشتهي وغداً تموت وترفع الأقلام

بصراحة إن كثيراً من الشباب يحتاج إلى مراجعة الحسابات، اذهب إلى صلاة الفجر مع الجماعة فلا ترى إلا قليلاً من الشباب الذين هداهم الله وآباء وأجداداً يصلون، والبقية الباقية تمر وكأن الأمر لا يعنيها، ستخونهم المعاصي، ستخونهم المنكرات، ستخونهم المخالفات في ساعات هم في أمس الحاجة إلى العون والتثبيت من الله ولكن لا يثبت الله إلا أهل الصلوات.يقول أحد مشايخنا الكرام: مات أحد الشباب الذين نعرفهم بالصلاح –نحسبهم والله حسيبهم ولا نزكي على الله أحداً– يقول شيخنا: أعرفه تمام المعرفة، كان من الذين يحافظون على الصلاة وتكبيرة الإحرام في الصف الأول، أعرفه حريصاً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أعرفه حريصاً على فعل الخيرات وعلى ترك الفواحش والمنكرات، مات لكنه مات على طاعة، فكنت ممن غسله وكفنه وودعه في قبره.قال: في ذلك اليوم رأينا في جنازته عجباً، رأينا في جنازته عبرة لأولي الألباب، لما بدأنا بتغسيله وتكفينه بدأنا بمزج المسك والكافور، يقول: والله الذي لا إله إلا هو لقد فاحت رائحة المسك منه قبل أن نضع المسك عليه حتى فاحت في المكان كله، فقلت لصاحبي: أتشم؟ قال: إي والله، والله ما شممت أحلى ولا أجمل من تلك **الرائحة إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ [فصلت:٣٠]**. قال: فلما كفناه وذهبنا به إلى المقبرة كنت ممن نزل في قبره، وكان الناس على شفير القبر يريدون إنزاله، فلما أنزلوه وكنت أنا وصاحبي في القبر يقول: والله الذي لا إله إلا هو إنه حمل من بين أيدينا وما حملناه! ووالله إنه وضع في التراب وما وضعناه! والله إنه وجه إلى القبلة وما وجهناه! يقول: كشفت عن وجهه فإذا هو يضحك وعلى وجهه ابتسامة لولا أنني أنا الذي غسلته وكفنته لما كنت أظن أنه قد مات، ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء؛ عاش على الطاعة ومات على الطاعة، فثبته الله في أشد

اللحظات، كما خانت المعاصي أصحابها ثبتت الطاعات أهل الطاعات في أمس اللحظات. بصراحة: ماذا يريد الشباب اليوم؟! وما الهدف الذي يحيا من أجله كثير من الشباب؟! اعلم بارك الله فيك أنه من أراد الوصول فعليه بالأصول، ومن سار على الدرب وصل، وما ربك بظلام للعبيد، الطريق واضح الطريق مستقيم لا اعوجاج فيه يمنة ولا يسرة، إنما الاعوجاج في طريق المنكرات والفواحش والمخالفات، لذلك كان من فضل الله علينا وعلى الناس أن جعل الصراط مستقيماً حتى تقوم الحجة على الصغير وعلى الكبير، وأنت كل يوم يا من تصلي تسأل الله الثبات على هذا الصراط المستقيم لأن الإغراءات كثيرة، لكن من تعرف على الله تعرف الله عليه. شاب أعرفه رويت لي أخباره تمام المعرفة، يقول أخوه: منذ صغره وهو متعلق بالمساجد، شاب نشأ وترعرع في طاعة الله، أحسبه **والله حسيبه من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**، فكما أننا نرى نماذج من الضياع نرى ولله الحمد نماذج كثيرة للاستقامة، وهؤلاء حجة على أولئك، لا يتعذر الشباب ويقول كثير منهم: نحن لا نستطيع، نقول: إن استطاع فلان فأنت أيضاً تستطيع؛ لكن خذ بالأسباب وخذ بسبل النجاة التي سلكها فلان حتى تنجو أنت. يقول أخوه: نشأ وترعرع في طاعة الله، كبر وهو يحب المساجد ويحب أهل المساجد، لما التحق بالوظيفة التحق بالسلك العسكري، فكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً لا ينساه أبداً، ويتذكر ذلك اليوم حين قوبل في مقابلة القبول ووافقوا عليه موظفاً في السلك العسكري، جاء اليوم الذي ستسلم فيه البطاقة له، فقال له الذي يأخذ الصور: أنت بلحيتك هذه، إن تصورت اليوم على هذه الصورة فأنت لا تستطيع بعدها أن تزيل هذه اللحية! فهل تريد إزالتها قبل أن نأخذ لك صورة؟ قال: أسأل الله أن يأخذ عمري قبل أن أبدل سنة محمد صلى الله عليه وسلم، سنوات وأنا أعتني بسنة محمد صلى الله عليه وسلم، سنوات وأنا أعتني بمظهري ثم آتي الآن من أجل وظيفة أتخلى عن دين الله أو أتخلى عن أي شيء من دين الله، خذ الصورة وكلي عزة أنني أقتدي بمحمد صلى الله عليه وسلم. فأخذت له الصورة في لحية تجلله وتجلل وجهه يظهر منها أثر النور، نسأل الله أن يتقبله فيمن عنده. ثم بدأ يسلك طريق الاستقامة مع المستقيمين ويعمل مع العاملين، يقول أخوه: والله لا يهدأ بالليل ولا بالنهار يعمل على إصلاح الشباب وعلى استقامة الشباب بالليل والنهار، يأتيه الناس في حوائجهم وهو لا يكل ولا يمل، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**أنفع الناس أنفعهم للناس**)، وسئل عن رجل يخالط الناس ويتحمل أذاهم، وعن آخر لا يخالط الناس ولا يتحمل أذاهم فقال صلى الله عليه وسلم: هذا أحب إلى الله وخير عند الله. أي: الذي يسعى في هداية الناس ويسعى في قضاء حوائج الناس. يقول: حتى إذا بلغ سن الزواج تزوج ثم رزقه الله بصبية وبنات وهو لا يكل ولا يمل في العمل الدعوي والعمل الخيري، ثم التحق بأحد الهيئات الخيرية يعمل معهم في نصرة الإسلام

وفي نصرة المسلمين، حتى إذا بلغ متوسط العشرين أو دونها أو أكثر منها بقليل أصابه مرض وما علم أحد بمرضه، كان يتألم ألماً شديداً ولم يظهر لأحد من الناس ضعفه ولا ما سببه له المرض، كان يتألم ولا يبث شكواه إلا إلى الله جل في علاه، ثم بدأ المرض يتفاقم ويزيد عليه. كان يخفي عن أمه آلامه حتى لا تتأذى المسكينة وتحمل هم مرضه، يقول: حتى إذا بلغ المرض منه مبلغة أخذناه إلى الطبيب، فقال الطبيب: إنه مصاب بورم خبيث في بطنه ولا بد أن يرضخ ويجلس للعلاج. بدءوا علاجه بالمسكنات حتى يخففوا عنه الآلام. ثم تفاقم المرض وزاد وكان لا بد أن يعالجوه بالجرعات الكيماوية، الجرعات الكيماوية هي الأخرى ماذا تسبب؟ أبسط مسبباتها أنها تسبب تساقط الشعر، سبحان الله! كان دائماً يدعو أن يثبته الله على دينه وأن يلقى الله غير مبدل ولا مغير، كان يعتز بمظهره الذي يدل عليه! سبحان الله! يقول الطبيب الذي عالجه: بدأنا بإعطائه جرعات كيماوية، سبحان الله! أول ما يظهر على المريض من مفاعلات عكسية من أثر هذه الجرعات أنه يتساقط الشعر، يقول: والله الذي لا إله إلا هو ما سقطت شعرة واحدة من جسمه، يقول الطبيب: كنت أتعجب! كل المرضى تحدث لهم مثل هذه الأعراض وكلهم يتساقط شعر جسدهم، يقول: كنت آتية وهو نائم في إغماءة كاملة من أثر هذه الجرعات ومن أثر الآلام التي كان يعانيها، وكنت أشد لحيته فلا تسقط منها شعرة واحدة؛ لأنه كان يدعو الله أن يلقى وهو غير مبدل ولا مغير. اعتز بدينه فاعتز الله به، ثبت على دينه فثبته الله في أشد اللحظات، مات ولكن موته كان له أكبر الأثر على غيره، كثير يموتون وتنقضي أخبارهم بعد ثلاثة أيام، وآخرون يموتون ويحيا بموتهم أقوام، حتى في ساعات مرضه كان يدعو من حوله، أما يكفي أن الله أكرمه عند موته ولقي الله وهو معتز بسنة محمد صلى الله عليه وسلم، التي قال لصاحب الوظيفة: والله إني لن أتخلى عن لحيتي ولا طرفة عين. فثبته الله في لحظات موته! بصراحة! الشباب يحتاجون إلى مراجعة حساباتهم، الشباب بحاجة إلى أن يراجعوا حساباتهم وأن يستقيموا في صفوف المصلين، سأسلك سؤالاً واصدقني في الجواب: كيف أنت مع صلاتك؟ وهل صليت الفجر اليوم في جماعة المسلمين أم مع المتخلفين، أم كنت مع الذين أولئك الذين لم يركعوا ويسجدوا لله رب العالمين؟ كم عمرك اليوم؟ لقد بلغت من العمر عتياً؛ بعضنا جاوز العشرين وبعضنا جاوز الثلاثين وبعضنا قد جاوز الأربعين. لن أسألك عن العشرين ولا عن الثلاثين ولا عن الأربعين سنة، سأسلك عن أشهر مضت منذ بداية العام حتى يومنا هذا: قل لي وكن صادقاً كم مرة فاتتك صلاة الجماعة؛ مرة أم مرتين أم ثلاثاً؟ قل لي واصدقني بالله العظيم كم مرة ناداك منادي الله: الصلاة خير من النوم وواقع حالك يقول: النوم خير من الصلاة؛ مرة أم مرتين أم ثلاثاً؟ وأنت يا من تدعي أنك محافظ على الصلوات وأنك لا تتخلف عن الجماعات! اصدقني وقل لي بالله العظيم: كم مرة تفوتك تكبيرة الإحرام على مدى أشهر

وعلى مدى أيام؟ والله لا يستقيم حال الشباب صغاراً ولا كباراً حتى يستقيموا في صفوف المصلين. قرأت عبارة جميلة علقت في أماكن كثيرة هنا وهناك: إذا أردنا النصر فلنصل الفجر.إذا أردنا أن ننتصر على أعدائنا فلا بد أن ننتصر أولاً على أنفسنا. ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإن انتهت عنه فأنت عظيم والله الذي لا إله إلا هو إنك لن تلقى الله بقربة أعظم من المحافظة على الصلوات، والله لن يقودك إلى الجنان إلا المحافظة على الصلوات، ولو سألت أهل النيران عن سبب سلوكهم ذلك الصراط وذلك الطريق الضال: **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ [المدثر:٤٢-٤٣]**. فالشباب بصراحة يحتاجون إلى مراجعة حساباتهم، حتى الشيب حتى الكبار يحتاجون إلى مراجعة الحسابات، فأين نحن من أولئك الذين لم تفتهم الصلوات؟ هذا يقول: أربعين سنة لم تفتني تكبيرة الإحرام، وآخر يقول: خمسين سنة ما فاتتني صلاة الجماعة، فأين نحن من هؤلاء؟ والله لن يتغير الحال ولن يتغير الواقع إلا إذا انضبطنا في صفوف المصلين، ولن يكون للكلام الذي سمعناه بالأمس ولا من قبله ولا اليوم أثر حتى نغير ما بأنفسنا، والصادق هو الذي يصدق مع نفسه، وما ربك بظلام للعبيد. أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلني وإياكم من الذين هم على صلاتهم دائمون، وأن يجعلني وإياكم من الذين هم على صلاتهم يحافظون، وأن يجعلني وإياكم من الذين هم في صلاتهم خاشعون، اللهم اجمع شملنا، ووحد صفنا، وأصلح ولاة أمورنا، وانصرنا يا قوي يا عزيز على القوم الكافرين. وأستغفر الله العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. السؤال: ما نصيحتك حتى أكون محافظاً على الصلوات، فإني أفرط في بعضها وأحافظ على البعض، ومن أهم أسباب عدم المحافظة الصحبة السيئة، فما توجيهكم حفظكم الله؟الجواب: الحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه..أقول: للصحبة دور كبير في معرفه نوعية الشباب، فإن الطيور على أشكالها تقع، وما ضيع كثير من الشباب إلا الشباب أنفسهم، هذا يزين لهذا وهذا يزين لذاك حتى إذا وقع أحدهم في ورطة تخلى عنه أصحابه إلا أهل الصلاح.ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل، ما الدافع الذي يدفعنا للمحافظة على الصلوات؟ وما الذي يجعل القلوب حية حتى تستقيم على أوامر الله؟ فإن الحياة الحقيقية هي حياة القلب لا حياة الأجساد بالطعام والشراب، إذا حي القلب حيت الجوارح والأركان، وإذا مات القلب فالناس أموات في نظر الله ليسوا بأحياء. أقول: الطيور على أشكلها تقع! سأصف لك علاجاً لكني أريدك أن تأخذ بالعلاج حتى يرفع الله عنك هذا التفريط وهذا الضياع: كثير من الناس يظن أنه على خير، وهذا لجهله وقلة معرفته بنفسه، قال لي أحد الرؤساء الذين أعمل معهم: فلان من الناس أخلاقه عالية، سلوكه وتصرفاته راقية؛ لكنه فيه عيب واحد! قلت: ما هو؟ قال: لا يصلي معنا في المسجد.قلت: والله هذا عيب يقدح في رجولة

الرجل، فإن الله سمى أهل المساجد رجالاً، أما من دونهم فتنتفي عنهم هذه الصفة عند الله جل في علاه. التقيت هذا الذي ذكره وكنا قد خرجنا من المسجد وهو قد خرج من الصالة الرياضية مجتهداً على بدنه وعلى عضلاته؛ هكذا حال المنافقين نسأل الله العفو والعافية **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ [المنافقون:٤]**. التقيته والناس قد خرجوا من الصلاة وهو قد خرج من الصالة الرياضية، قلت: فلان! قال: نعم، قلت: أريدك في أمر هام، سلمت عليه ثم قلت: رئيسك يذكرك بالخير ويقول: فلان أخلاقه عالية وتصرفاته راقية لكن فيه عيب واحد! قال: ما هو؟! انظر بارك الله فيك كيف يحرص على أن يزيل عيوبه أمام رئيسه وفيه من العيوب أمام الله ما الله به عليم، لم يحرص يوماً على مراجعة حساباته مع ربه! قلت: يقول: إنك لا تصلي معهم في المسجد ولا تشهد الجماعة، قال: صحيح يا شيخ! أنا مقصر، قلت: لا، انتبه بارك الله فيك! كلنا نقصر لكن فرق بين التقصير وبين الضياع، أنا تفوتني تكبيرة الإحرام مرة في اليوم فأنا مقصر، أن تفوتني صلاة الفجر وأصليها بعد الفجر أنا مقصر، ألا أدرك أربعاً قبل الظهر من حين أو فترة من الفترات أنا مقصر، أن يفوتني قراءة وردي من القرآن يوماً أنا مقصر؛ لكن أن تفوتني صلاة الجماعة أو الجمعة والجماعات؟ قلت: أنت مضيع يا شيخ! أنت تعيش في ضياع وأنت لا تعلم. وكثير على حاله وعلى شاكلته ويظن أنه على خير؛ قال الله جل في علاه: **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ [الزخرف:٣٦-٣٧]**، لا يصلي ولا يشهد الجمعة والجماعات ويظن أنه على خير، أي خير هذا؟! قلت: انتبه يا فلان! أنت تعيش في ضياع، التقصير كلنا نقصر ولا أحد يخلو من التقصير، لكن أنت تعيش في واد وأهل الصلاح يعيشون في واد آخر. فراجع الحسابات واستقم في صفوف المصلين، لله در أقوام تنصحه مرة واحدة فيراجع الحسابات ويستقيم مع المستقيمين، فما جاءت الصلاة التي بعدها إلا وقد رأيته بثياب بيضاء وغترة بيضاء قد استقام في صفوف المصلين من كلمة واحدة، فإن الحر الذي تكفيه الإشارة.فأقول أولاً: هناك حقيقة لا بد أن نعرفها: أننا لا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً، وأننا لا ندري متى ننتقل من هذه الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى، فالموت يأتينا بغتة، فهل يرضيك يا من تفرط في الصلوات أن يأتيك الموت وأنت على حال التفريط؟ الجواب: لا، إذاً لا بد أن تسعى إلى التغيير وتسعى إلى التبديل. سأل رجل رجلاً رجل عنده وكان مضيعاً مفرطاً في أوامر الله، فقال: يا فلان! الحال التي أنت عليها هل ترضاها للموت؟ قال: لا، قال: فهل نويت أن تغير هذه الحال إلى حال ترضاها للموت؟ قال: ما اشتاقت

نفسي بعد، قال: وهل تضمن ألا يأتيك الموت وأنت على هذه الحال؟ قال: لا، قال: وهل بعد هذه الدار دار فيها معتمل؟ قال: لا، قال: والله ما رأيت عاقلاً يرضى بهذه الحال! اعمل بالنصيحة بارك الله فيك! واسمع الموعظة فقد قال الله عن المعرضين: **فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ [المدثر:٤٩-٥١]**.العلاج: جاهد النفس، كما قال النبي صلى الله علية وسلم: (**ألا إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة**).ما غفل من غفل ولا فرط من فرط إلا لأنه تناسى الموت الذي هو أقرب إلى أحدكم من شراك نعليه، الموت الذي ينتظر كل واحد منا، لو أيقنا بالموت ولحظاته وساعاته وأنه يأتينا بغتة لتغير حال كثير من الناس، كيف حال أولئك الذين فرطوا في ساعات احتضارهم ينادون بأعلى الصوت: رباه ارجعون، فلا يستجاب لهم؟ وحيل بينهم وبين ما يشتهون. فاجعل لك زيارة للمقبرة من حين إلى حين تزور بها الموتى وتتذكر فيها حالهم، وتدعو لك ولهم.سبحان الله! ما يعرف قيمة النعمة إلا من فقدها. زر المرضى وانظر في أحوالهم، وانظر إلى من سلب نعمة السمع ونعمة البصر ونعمة القدم ونعمة اليدين، حتى تعلم أنك في خير عظيم.رجل يعمل في أحد الأسواق حمالاً، طويل القامة مفتول العضلات، يحمل من الأثقال ما لا يستطيع أن يحمله الرجل والرجلان، قيل له: لماذا لا تصلي؟ لكنه لا يستجيب، قال: أنا على هواي، أفعل ما أشاء ولا أحد يأمرني وينهاني، اغتر بقوته وبعضلاته، يذهب الناس حين الصلاة بعد إغلاق متاجرهم إلى المسجد وهو يجلس في مكانه يأكل ويشرب. سبحان الله! أما حمد الله على هذه النعم؟ وهل الحمد والشكر يكون بالكلام فقط، والله يمهل ولا يهمل. سار يوماً بين المحلات وهو يحمل حملاً ثقيلاً فزلت قدمه على قشرة موز، فأصيب بشلل كامل ووضع على الفراش لا يتحرك منه إلا رأسه، يسأل: ما هي الأمنية التي تتمناها الآن؟ قال: أتمنى أن أصلي مع الجماعة! الله أكبر! أما كنت تذكر ويقال لك: صل مع المصلين وحافظ على أوامر الله مع المحافظين، فما استجبت: **فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ** . اعلم بارك الله فيك أنه من لم يعتبر بالآخرين سيكون لهم عبرة في يوم من الأيام؛ فزر المقابر وزر المرضى، وإذا حدثتك نفسك بالتفريط والتضييع فذكرها أن الموت قريب. أسأل الله أن يحيي قلبي وقلوبكم وقلوب السامعين، وأن يجعلنا هداة مهدين لا ضالين ولا مضلين.

***

بل الرفيق الأعلى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**.**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.عباد الله! منذ سنوات طوال وأمة الإسلام تعاني ما تعاني من الأهوال.قتل وتشريدٌ وهتك محارم فينا وكأس النائبات دهاقُ الأقصى منذ عقود وهو يئن ويشتكي، والآهات تأتي من الشيشان، وكشمير بكت، وقبلها مندناو وأفغانستان، ومن البوسنة وكوسوفا كانت تأتينا الأخبار، أخبار الاغتصابات والانتهاكات والمعتقلات، واليوم عراقنا جريح محاصر، والعراقيات يرسلن الرسائل والاستغاثات، أرسلت إحداهن رسالة من المعتقل تقول فيها: أدركونا فبطوننا وأرحامنا تحمل أبناء الصليبيين.وتتتابع المصائب والابتلاءات! بالأمس القريب قتلوا أحمد ياسين غدراً، ثم ما كادت دموعنا تجف حتى أتبعوه بعبد العزيز الرنتيسي، ثم فجعنا بأبي الوليد المجاهد الصنديد والمقاتل العنيد.يا رب! يا رب!

يا فارج الأزمات والكرب! وكاشف الغم والويلات والنوب!
إليك وحدك نشكو ما ألم بنا فقد غدونا نعاني شر منقـــــلب
في كل صقع من الأصقاع نازلة بالمسلمين وحال العـرب في تعب
يا رب! هذي شعوب الأرض قد وثبت وأمتـي بعد لم ترق أو تثب
يا عالم الغيب يا سؤلي ومؤتملي متى تعود إلينا وحدة الـــرب
تعود في قوة والدين يعصمها من المـهاوي التي تودي إلى العطب

أحبتي! مصائب وآلام أردت اليوم أن أخففها، فأذكر نفسي وإياكم أنه ما من مصيبة إلا وهناك أعظم منها، وما من بلية إلا وهناك أطم منها، وإذا تذكرنا المصائب العظام هان علينا ما دون ذلك، فلن يضر

الأمة موت فلان أو فلان، فقد فقدت الأمة قبل هؤلاء محمد بن عبد الله عليه صلوات الله، نعم كل المصائب تهون عند هذه المصيبة، **قال أبو الجوزاء : كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه، وقال: يا عبد الله! اتق الله، فإن لك في رسول الله أسوة حسنة.(المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٣\٥٧٢)**

تذكرت لما فرق الدهر بيننا فعزيت نفسي بالنبي محـمد

وقلت لها إن المنايا سبيلنا فمن لم يمت في يومه مات في غد

عباد الله! كانت الجمادات تتصدع من ألم مفارقة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكيف بقلوب المؤمنين؟! كان في مسجده صلى الله عليه وسلم جذع نخل يتكئ عليه عندما كان يخطب، فأقاموا له منبراً ليقوم عليه، فلما خطب على منبره الجديد حن الجذع وبكى، وصاح كما يصيح الطفل، فنزل إليه صلى الله عليه وسلم فاعتنقه، فجعل يهدأ كما يهدأ الطفل الصغير الذي يسكن عند بكائه، فقال بأبي هو وأمي: **(لو لم أعتنقه لحن وبكى إلى يوم القيامة)، وكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال: هذه خشبة تحن إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأنتم أحق أن تشتاقوا (ابن حبان ٦٥٠٧) إليه.روي أن بلالاً كان يؤذن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم قبل دفنه، فإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب، فلما دفن صلى الله عليه وسلم ترك بلال الأذان، ما أمر عيش من فارق الأحباب، خصوصاً من كانت رؤيته حياة للألباب(المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٣\٥٧٢)**، لقد أدرك المسلمون عظم المصيبة التي أصابتهم بفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم، وأيقنوا أن أبواب الشر قد انفتحت عليهم، وأن الفتن آتية لا محالة، وأن اللحظة التي طالما انتظرها أهل النفاق قد حان زمانها.**أخرج (الحاكم ٨٣٥٤)عن ابن عمر مرفوعاً**: **(ليغشين أمتي من بعدي فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل). صححه الألباني رحمه الله**، ولقد أشار محمد بن إسحاق بكلمات صادقة وتصوير رائع إلى الآثار التي أعقبت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، والحالة التي أصبح عليها المسلمون بعد فراقه صلوات ربي وسلامه عليه **فقال: ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب، واشرأبت اليهودية والنصرانية، ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية؛ لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم،(ابن هشام ٢\٦٦٥)** قلت أنا: يا لله! كيف لو رأى حالنا؟! وماذا صنعت بنا اليهودية والنصرانية بتعاونهم مع المنافقين والخائنين؟! **قال القرطبي مبيناً عظم هذه**

المصيبة وما ترتب عليها من أمور: من أعظم المصائب المصيبة في الدين كما قال صلى الله عليه وسلم: (إذا أصاب أحدكم مصيبة، فليذكر مصابه بي، فإنها أعظم المصائب).(الدارمي ٨٦) صدق بأبي هو وأمي؛ لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم من بعده إلى يوم القيامة، فبموته انقطع الوحي وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب، وكان أول انقطاع الخير ونقصانه.(الجامع لاحكام القران ١٢\١٧٠) عباد الله! لقد أكد القرآن العظيم حقيقة بشرية النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه كغيره من البشر سوف يذوق الموت ويعاني من سكراته كما ذاقه قبل إخوانه من الأنبياء والمرسلين، قال الله: **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر:٣٠]** فلما قرأها صلى الله عليه وسلم قال: (نعيت إلي نفسي) قال الله: **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِينْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ [الأنبياء:٣٦-٣٥]**، وقال تعالى: **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [آل عمران:١٤٤].قال القرطبي : فأعلم الله تعالى في هذه الآية أن الرسل ليست بباقية في قومها أبداً، وأنه يجب التمسك بما أتت به الرسل(الجامع لاحكام القران ٤\٢١٨)**، وقد أخبرنا القرآن بموته وببشريته وكذا أخبرنا هو صلوات ربي وسلامه عليه بأنه سيموت، فعن جابر رضي الله عنه قال: **(يوم كان حجة الوداع، وقد التفت الجموع والأفئدة من حوله صلى الله عليه وسلم قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: خذوا عني مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه، وقال: بل لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا)(مسلم ١٢٩٧).قال النووي : وفيه إشارة إلى توديعهم وإعلامهم بقرب وفاته، وحثهم على الاعتناء بالأخذ عنه، وانتهاز الفرصة من ملازمته، وتعلم أمور الدين؛ ولهذا سميت حجة الوداع، (شرح مسلم النووي ٩\٤٥)**وأخذ يودع الناس، قال معاذ : **(إن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن خرج راكباً والنبي صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته)، تأمل في تواضعه صلوات ربي وسلامه عليه، وهو يودع أحد شباب الإسلام سفيراً إلى اليمن، فقال: (يا معاذ ! إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا، فتمر بقبري ومسجدي) فبكى معاذ لفراقه صلى الله عليه وسلم،(معرفة الصحابة ٥\٢٤٣٦)** كيف لا يبكي وهو الذي أنقذه الله به من الظلمات إلى النور!

نسينا في ودادكم كل غال فأنتم اليوم أغلى ما لدينا

نلام على محبتكم ويكفيلنا شرفاً نلام وما علــينا

ولما نلقكم لكن شوقاً يذكرنا فكيف إذا التقيــنا

تسلى الناس بالدنيا وإنا لعمر الله بعدك ما سلينا

عباد الله! إن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أعظم مصيبة وأعظم حدث مر على أمة الإسلام، وكل حدث مهم تسبقه علامات وإشارات تشير إلى وقوعه، فمن تلك الإشارات الدالة على موته عليه الصلاة والسلام فتح مكة، وإقبال الناس على دين الله أفواجاً، وأنزل الله عليه في حجة الوداع: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا [المائدة:٣]، فلما سمعها عمر رضي الله عنه قال: ما بعد التمام إلا النقصان(الطبري ٩\٥١٩)**.ونزلت عليه في أواسط أيام التشريق: **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا [النصر:١-٣]**، فهذه الآيات والأحداث مؤشرات تدل على أن مهمته صلى الله عليه وسلم قد انتهت، وأن عليه الإكثار من الدعاء والاستغفار، والاستعداد للقاء الرفيق الأعلى، نعم لقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فأخذ بعد عودته من حجة الوداع يرغب أصحابه بكثرة ملازمته والجلوس معه قبل أن يحرموا ذلك حتى قال لهم يوماً: (**والذي نفس محمد بيده ليأتين على أحدكم يوم ولا يراني، ثم لئن يراني أحب إليه من أهله وماله)(مسلم ٢٣٦٤)**، فبكى أصحابه رضوان الله عليهم، وبدءوا يستشعرون أن حبيبهم بدأ يودعهم، وفي أواخر الأيام خرج إلى أحد وصلى على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات، فلما رجع انصرف إلى المنبر فقال: (**يا أيها الناس! إني فرطكم، وإني شهيد عليكم، وإني لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني والله ما أخاف أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم من الدنيا أن تنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم)(البخاري ٤٠٨٥)**.كل هذه العبارات دلائل ومؤشرات تدل على قرب الأجل، والنهاية التي لا بد منها لكل كائن كان، فالكل سيموت إلا ذا العزة والجبروت. وفي جو ليلة من الليالي الأخيرة في حياته أيقظ مولاه أبا مويهبة وقال له: (**إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع، فانطلق معي، فلما وقف بين أظهرهم قال: السلام عليكم يا أهل القبور! ليهنكم ما أصبحتم فيما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها، الآخرة شر من الأولى، ثم أقبل على أبي مويهبة فقال: يا أبا مويهبة ! إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة، فقال أبو موهيبة : بأبي أنت وأمي خذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها والجنة، فقال: لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء**

ربي، لقد اخترت لقاء الله والجنة، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف بعد أن قال لهم: إنا بكم لاحقون).(**الحاكم ٤٣٨٣**) وبعد رجوعه من البقيع بدأ وجعه الذي قبض فيه، **ودخل على عائشة ووجدها تشكو صداعاً في رأسها وتقول:** (**ورأساه! ورأساه! فقال: بل أنا والله! يا عائشة ورأساه!**) **ثم قال لها مهدئاً من روعها ومداعباً لها على ما به من شدة الألم:** (**وما ضرك يا عائش لو مت قبلي، فقمت إليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك، فقالت له وهي تداعبه –ولم تعلم أن هذا المرض هو الذي سينقله إلى ربه–: والله لكأني ولو قد فعلت– يعني: مت– لرجعت إلى بيتي فأعرست ببعض نسائك، قالت: فتبسم صلى الله عليه وسلم**)(**الدارمي ٨١**) ثم ازداد به الوجع، وبدأ يطوف على نسائه وهو يقول لهن: (**أين أنا غداً؟! أين أنا غداً؟!**) (**البخاري ٤٤٥٠**) فاستأذنهن أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها فأذن له، تأمل إلى مراعاته خواطر نسائه مع شدة مرضه، واستمر معه المرض ثلاثة عشر يوماً، وقيل أربعة عشر، والمرض يزداد عليه يوماً بعد يوم، زيادة في التشريف والتكريم، **تقول عائشة رضي الله عنها: كنت كثيراً ما أسمعه في أيام مرضه يقول:** (**إن الله لم يقبض نبياً حتى يخيره، فسمعته وهو يحتضر يقول: بل الرفيق الأعلى من الجنة**)، **فعلمت أنه يخير فقلت: إذاً لا يختارنا**(**حلية الاولياء ١٨٩\٢**)، لقد اشتاق إلى لقاء ربه كما اشتاق ربه إلى لقائه، وفي أيام مرضه مر أبو بكر والعباس على مجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون، فقال لهم أبو بكر : ما يبكيكم؟ فقالوا: ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم بيننا، فدخل أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك، فخرج إليهم معصوب الرأس يهادى بين علي والفضل تخط قدماه في الأرض، ثم صعد المنبر لآخر مرة في حياته، صعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم، فارتقى في سلم العبودية حتى وصل إلى سدرة المنتهى، يوم أن أسرى به ربه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكه والرسل في المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت به التفوا بسيدهم كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذي خطرومن يفز بحبيب الله يأتمم
جُبت السماوات أو ما فوقهن بهم على منورة درية النجم
ركوبة لك من عز ومن شرف لا في الجياد ولا في الأينق الرسم
مشيئة الخالق الباري وصنعته وقدرة الله فوق الشك والتهم

صعد المنبر بأبي هو وأمي ليرد الحقوق، ويعلن للبشرية جمعاء: إن أكرمكم عند الله أتقاكم، صعد المنبر أمام الناس فنظروا إليه ونظر إليهم، واشتد البكاء في المسجد، قام متوكئاً على خشبة المنبر –حتى المنبر يبكيه–

وقال: (يا أيها الناس! من ضربته، من أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، من ضربت له جسداً هذا جسدي فليقتص منه اليوم، قبل ألا يكون درهم ولا دينار، فقام عكاشة بن محصن الأسدي أمام الناس قائلاً: يا رسول الله! أما إنك قد طلبت القصاص منك، فأنا أريد أن أقتص منك، وذلك أنك يوم كنت تسوي الصفوف يوم بدر طعنتني بعصاً في يدك في خاصرتي، وقد آلمتني، وأنت عرضت نفسك الآن للقصاص، فقام علي رضي الله عنه فقال: أنا في القصاص فداء له)، كيف لا يكون له فداء وهو الذي قال بأبي هو وأمي: (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين**)؟

فدىً لك من يقصر عن فداك فما شهم إذاً إلا فـداك

أروح وقد ختمت على فؤادي بحبك أن يحل به سواك

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباك

فقال صلى الله عليه وسلم: (لا يا علي ! بل يقتص مني، فأمر بالعصا التي كانت معه يوم بدر فأتي بها، ورفعها عكاشة في يده، واتجه نحو المنبر، وارتفع صوت البكاء في المسجد)، إنه موقف من أشد المواقف وأصعبها على أصحاب محمد، حبيبهم في مرض شديد، وصحابي سيقتص منه أمام الناس على منبره (فلما وصل عكاشة إلى المنبر ألقى العصا من يده، ثم ضم الجسم الشريف، ومرغ وجهه في وجه النبي صلى الله عليه وسلم، وبكى بكاءً شديداً وهو يقول: جسمي لجسمك فداء) فضج المسجد بالبكاء. أوصى على منبره في آخر أيامه بعده وصايا، منها: (**أوصيكم بالأنصار، فهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم**).(**البخاري ٣٧٩٩**)ثم حذر الأمة من اليهود والنصارى فقال: (**ألا لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، فلا تتخذوا قبري وثناً يعبد من دون الله**)(**البخاري ١٣٣٠**).ثم أمر بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا يختلط على الناس دينهم.ثم أوصى الأمة بالصلاة، فهي صلتها بربها وقرة عينها فقال من منبره: (**الصلاةَ وما ملكت أيمانكم، الصلاةَ وما ملكت أيمانكم**)(**ابن ماجة ١٦٢٥**) فكيف هي صلاتنا اليوم؟ وهل عملنا بالوصية أم ضيعناها؟ ثم نزل عن المنبر ولم يصعد عليه مرة أخرى.بكتك المنابر كلها بأبي أنت وأمي! رد الحقوق ورد المظالم وبدأ يستعد للقاء ربه، فدنت ساعة الرحيل، واشتد عليه الوجع، وزاد عليه الألم مضاعفة للأجر ورفعة للدرجات، وفي فجر يوم الإثنين الذي قبض فيه وبينما المسلمون يصلون صلاة الفجر إذ انكشف الستار الذي على بيت عائشة، ورأى الصحابة حبيبهم، رأوه متبسماً وجهه كأنه قطعة قمر، كيف لا يتبسم وصفوف المسلمين متراصة متكاملة في صلاة الفجر؟! قلت: آه! ثم آه! ثم آه! كيف لو رأى النبي صفوفنا في صلاة الفجر اليوم، نظر إلى أصحابه نظرة وداع أخيرة وما كشف ذلك الستار

بعد ذلك اليوم، كاد الصحابة يفتنون في صلاتهم، ظنوا أن حبيبهم قد برأ من المرض وهو على وشك الخروج للصلاة معهم، فأشار إليهم متبسماً أن أكملوا صلاتكم، وأسدل الستار، وكانت آخر نظرة وآخر ابتسامة، وطفق الألم والوجع يزداد عليه صلوات ربي وسلامه عليه، وبدأ يتغشاه من الألم والكرب ما الله به عليم، ودخلت عليه فاطمة رضي الله عنها، فلما رأت ما حل بأبيها من الشدة صاحت وقالت: واكرب أبتاه! واكرب أبتاه! فقال لها: (**لا كرب على أبيك بعد اليوم**(**ابن ماجة ١٦٢٩**))، فسارها فبكت، ثم سارها فضحكت، فسألتها عائشة عن ذلك فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنها أخبرت بذلك بعد وفاته، سارها في الأولى فقال لها: **إنه يقبض في مرضه هذا؛ فبكت، ثم سارها الثانية فقال: وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي ففرحت**) ففرحت رضي الله عنها وأرضاها، ستلحق بأبيها في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فكيف لا تفرح وقد بشرها بأنها سيدة نساء العالمين؟! ثم دعا بالحسن والحسين فقبلهما وذكرهما ووعظهما، ثم دعا أزواجه فوعظهن وذكرهن، ثم دنت لحظات الاحتضار، وأخذ الوجع يشتد ويزيد، كان يقول لعائشة : (**لم أزل أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر**)(**تعليقا البخاري**).قلت: قاتل الله اليهود، فلقد سمموا نبينا، ومسلسل غدرهم ومكرهم لم ينته إلى اليوم، ثم أسندته عائشة إلى صدرها، وكانت تقول: من أعظم نعم الله علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وقد جمع الله بين ريقي وريقه عند موته. وفي آخر لحظاته دخل عليه عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده السواك، فأخذته عائشة منه لعلمها أن حبيبها يحب السواك، تقول: فلينت له بريقي، ثم أعطيته إياه، فأخذ يستاك، ويضع يده في ركوة فيها ماء، ويمسح على وجهه ويقول: (**لا إله إلا الله إن للموت سكرات**) تقول عائشة : ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على النبي صلى الله عليه وسلم، وما إن فرغ من السواك حتى رفع يده مشيراً بسبابته، وشخص بصره نحو السقف، فلقد التفت حوله ملائكة الرحمن، لتشييعه إلى الملأ الأعلى للقاء ربه، فتحركت شفتاه، فلقد كان يخير في تلك اللحظة بين البقاء في الدنيا أو لقاء ربه، فأصغت إليه عائشة وهو يقول: (**مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، اللهم ألحقني بالرفيق الأعلى! اللهم الرفيق الأعلى! اللهم الرفيق الأعلى! اللهم الرفيق الأعلى**) قالها ثلاثاً ثم مالت يده، وهدأت أنفاسه، وسكت قلبه، وخرجت الروح إلى بارئها، مالت أفضل يد، وهدأت أزكى نفس، وسكت أعظم قلب، وخرجت أطهر وأزكى روح، فإنا لله وإنا إليه راجعون، لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بمقدار، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، فعظم الله أجري وأجركم.اللهم أجرنا بمصيبتنا

خيراً يا رب العالمين! أظلمت المدينة على ساكنيها، عبر أنس عن هذه المصيبة بقوله: **والله ما رأيت أجمل ولا أحلى من ذلك اليوم الذي دخل فيه النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، فقد أضاء فيها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن النبي صلى الله عليه وسلم الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا**،(**ابن ماجة ١٦٣١**) وما إن تسرب النبأ الخادع والمصاب العظيم، وعلم الناس بالخبر، حتى طاشت عقولهم، وعمتهم الحيرة، وأقعدتهم الدهشة، وأظلمت الحياة في وجوههم.**أما فاطمة فلما سمعت بالخبر بكت وقالت: واأبتاه! واأبتاه! واأبتاه! أجاب رباً دعاه، واأبتاه! جنة الفردوس مأواه، واأبتاه! إلى جبريل ننعاه، فلما دفن قالت رضي الله عنها لأنس : يا أنس ! كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله**(**البخاري ٤٤٦٢**)؟! قلت: والله ما طابت، ولكنا أرغمناها إرغاماً. **أما عمر فقد استل سيفه، وقام يحلف للناس بأن النبي صلى الله عليه وسلم ما مات**(**البخاري ٣٦٦٧**)، **ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران وأخذ يقول للناس: والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجالٍ ونساء زعموا أنه قد مات**(**احمد ١٣٠٥١**)، في تلك الساعات، وفي تلك اللحظات ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، فمنهم من خر مغشياً عليه، ومنهم من لم يستطع القيام، ومنهم من حبس لسانه فلم يستطع الكلام، ومنهم من أنكر موته من شدة هول الصدمة والمصيبة، إنها مصيبة عظمى، وخطب جلل، إنه فقدٌ وغياب سيد ولد آدم، خير من صلى وصام، وخير من عبد رب الأنام، لكن الله ثبت الأمة في شخص أبي بكر رضي الله عنه خليفته وصاحبه في الغار.أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.أما بعد: أحبتي! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، ماتقوا الله عباد الله: **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ [البقرة:٢٨١]**.عباد الله! ولئن أظهر الصديق رضي الله عنه رباطة جأش وثباتاً وقوة أمام المسلمين ، وذلك خرج عليهم ليؤكد نبأ وفاته صلى الله عليه وسلم، ولئن صرخ فيهم قائلاً: من كان يعبد محمداً -هكذا باسمه مجرداً- فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، إن كان قد ثبت أمام الناس فإنه لم يستطع أن يثبت أو يتمالك نفسه أمام ذلك الجسد الطاهر، وقد تمدد أمامه لا يستطيع حراكاً، فأكب عليه باكياً، وقبل ما بين عينيه مودعاً، **قالت عائشة : أقبل أبو بكر على فرس من مسكنه بالسنح، حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة**

فيمم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغطى، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة الأولى التي كتبت عليك فقد متها،(البخاري٤٤٥٣) –وفي رواية (لأحمد ٢٤٠٧٥): **أنه رضي الله عنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل رأسه، فأخذه بين يديه، فمس فاه وقبل جبهته، ثم قال: وانبياه! ثم رفع رأسه، ثم حدر فاه، وقبل جبهته ثم قال: واصفياه! ثم رفع رأسه وحدر فاه وقبل جبهته ثم قال: واخليلاه!** مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم كفكف دموعه وربط الله على قلبه، وخرج على الناس وهو على حال لا يعلمها إلا الله، فقال: يا أيها الناس! من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.ثم قرأ عليهم: **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** [آل عمران:١٤٤]، **قال ابن عباس :كأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية إلا لما تلاها أبو بكر**(**البخاري ٤٤٥٣**)، فتلقاها الناس، فما أسمع نفراً من الناس إلا يتلوها، أما عمر فيقول: ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها حتى أهويت على الأرض، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات، فرجعت السكينة إلى الناس، وهدأت أحوالهم، تذكروا رباً فوق سبع سماوات، وأنه حي قيوم لا يموت، والإنس والجن يموتون، نعم لقد مات محمد، لكنه معنا في كل اللحظات، معنا في صلاتنا، أليس هو الذي قال: (**صلوا كما رأيتموني أصلي**)؟ هو معنا في حجنا، في طوافنا وسعينا، أليس الذي هو قال: (**خذوا عني مناسككم**)؟ معنا بسنته وبهديه، معنا بسيرته، معنا بأخلاقه وأخباره، ولقد أمرنا الله بالسير على خطاه، واتباع سنته فقال سبحانه: **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب:٢١]**، بل لن نحب الله حتى نصدق في حبنا لنبيه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** [**آل عمران:٣١**]. المطلوب منا: الإكثار من الصلاة عليه، فمن صلى عليه صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً.والمطلوب منا: العمل بسنته وعدم التهاون بها، قال الله: **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء:٦٥]**.المطلوب منا: أن ننشر دعوته للناس في كل مجلس ومنتدى.المطلوب منا: أن نحبه حباً صادقاً، فلن نؤمن حتى يكون أحب إلينا من أنفسنا وأولادنا وأموالنا والناس أجمعين.باختصار المطلوب منا: طاعته فيما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، مصداق ذلك قول الله: **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [الحشر:٧]**، مات محمد صلى الله عليه وسلم،

وواصلت الأمة مسيرتها في نصرة دينها، ونشر دعوتها، مات من مات وما تعطلت المسيرة ولن تتعطل، ولن تقف بموت أحد أو حياته.

لئن عرف التاريخ أوساً وخزرجاً فلله أوس قادمون وخزرج

وإن كنوز الغيب تخفي طلائعاً صابرة رغم المكـائد تخرج

مات ابن ياسين والرنتيسي وأبو الوليد وغيرهم من الأبطال أدوا الأمانة، ونالوا الشهادة، وساروا على طريق محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى طريق أصحابه وطريق الأبطال، سبقونا إلى الجنة بإذن الله، وأنا وأنت ماذا قدمنا؟! ما هي اهتماماتنا؟! ما هي طموحاتنا؟ ما هي أهدافنا؟ هذا هو السؤال وعليكم الجواب، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال تعالى: **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا [الفرقان:٥٨]**.**عباد الله! إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [الأحزاب:٥٦]**، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم صل على محمد في الأولين، اللهم صل على محمد في الآخرين، اللهم صل على محمد في الملأ الأعلى إلى يوم الدين، اللهم اجز عنا محمداً خير ما جزيت نبياً عن أمته.اللهم لا تحرمنا رؤيته، واتباع سنته، ونصرة دعوته، أوردنا حوضه، واسقنا من يده، ولا تفرق بيننا وبينه حتى تدخلنا مدخله يا رب العالمين! اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده، اللهم إذا أردت بعبادك فتنة فخذنا إليك غير مفتونين.نسألك اللهم حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربنا إلى حبك يا رب العالمين! اللهم ارض عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة أجمعين، وعن التابعين وتابعي التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين!اللهم آمنا في أوطاننا، اللهم آمنا في أوطاننا، اللهم آمنا في أوطاننا، أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم رد حكام المسلمين إلى الحق يا رب العالمين! قيض لهم بطانة صالحة تعينهم على الخير يا رب العالمين!اللهم وفقهم للعمل بكتابك وسنة نبيك يا رب العالمين، ول على المسلمين خيارهم، واكفهم شرارهم يا رب العالمين!اللهم ارحم المستضعفين في العراق وفي فلسطين، وفي الشيشان، وفي نيجيريا وفي تايلاند وفي كل مكان، اللهم ارحم المستضعفين في كل مكان، اللهم كن لهم عوناً وظهيراً ومؤيداً ونصيراً، فلقد قل الناصر وقل المعين.اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك، انصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، وصن أعراضهم، واحقن دماءهم، وفك أسرانا وأسراهم يا رب العالمين!اللهم أنزل على أسرانا في العراق وفي غونتانامو رحمة وتأييداً من عندك يا رب العالمين!اللهم عليك بكفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيلك، ويعذبون عبادك، اللهم اشدد وطأتك عليهم، اللهم اشدد

وطأتك عليهم، اللهم اشدد وطأتك عليهم.اللهم أنزل عليهم بأسك ومقتك إله الحق، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك يا قوي يا عزيز!عباد الله! إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون.فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

***

توبة صادقة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**، **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**، **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد.. فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة بالنار. **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [الزمر:٥٣]**، **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً [طه:٨٢]**.أنا وإياكم في مكان مبارك في ساعة مباركة في حضور مبارك في ليلة عنوان: توبة صادقة. التوبة بداية حياة ونهاية حياة، بداية مع الهداية ونهاية مع الغواية، التوبة منة وفضل من الله يمن بها على من يشاء من عباده فهو التواب الرحيم.التوبة امتحان للتائبين ليعرف الصادقون والكاذبون، التوبة ميلاد جديد وانطلاقة إلى عهد مديد، إنها حياة شعارها الحياة مع الله.المطلوب: هو الصدق مع الله، لذا أسميت المحاضرة: توبة صادقة.أحبتي! كثير هم الذين يتوبون، لكن قليل هم الذين يصدقون في توبتهم ويثبتون. كتبت المحاضرة على مدى أيام وليال طوال، تنقلت فيها من كتاب إلى كتاب، وسمعت أخباراً وأخباراً فاخترت من أخبار الماضي والحاضر طرزتها بالآيات والأحاديث والآثار، ضمنتها أبياتاً من الأشعار وأقوالاً للصالحين الأخيار.أردت من طرح الموضوع تثبيت التائبين وتذكير الغافلين.أردت أن أذكر الجميع أنه ما نزل ذنب إلا ببلاء، وما رفع إلا بتوبة، جعلت الحديث موجهاً للجميع ذكراناً وإناثا نساءً ورجالاً، فالتوبة وظيفة الجميع. فهيا معاً نركب قطار المستغفرين إلى ديار التائبين، وننضم إلى قوافل العائدات والعائدين، ونبدل الحال من حال إلى حال قبل نزول مفرق الجماعات وهادم اللذات، فلا ندري أين تكون الدار غداً، إلى روضة من رياض الجنة أم إلى حفرة من حفر النار، ومن أشرقت بدايته أشرقت نهايته، ومن كان مع الله كان الله معه، إن من صدق مع الله في توبته صدق الله معه ووفقه لحسن خاتمته. إن التوبة والنجاة

بالاستغفار لا بالتمادي والاستهتار، وإنه من بذل الأسباب وصل إلى الأبواب. عناصر اللقاء: العنصر الأول: توبة كاذبة.العنصر الثاني: باختصار مع الذين خلفوا. العنصر الثالث: من ترك شيئاً لله. العنصر الذي يليه: لست فاتنة بل ظالمة. ثم أخيراً: اعتبروا يا أولي الأبصار! **قال منصور بن عمار** : كان لي صديق مسرف على نفسه ثم تاب، وكنت أراه من العباد والقوام والصوام، أراه كثير العبادة والتهجد ففقدته أياماً، فقيل لي: هو مريض، فأتيت إلى داره فخرجت إلي ابنته فقالت: من تريد؟ قلت: قولي لأبيك فلان، فاستأذنت لي ثم دخلت فوجدته في وسط الدار وهو مضطجع على فراشه وقد اسود وجهه، وذرفت عيناه، وغلظت شفتاه، فقلت له وأنا خائف منه: يا أخي! أكثر من قول لا إله إلا الله، ففتح عينيه فنظر إلي بشدة ثم غشي عليه، فقلت له ثانياً: يا أخي! أكثر من قول لا إله إلا الله، ثم كررتها عليه ثالثاً، ففتح عينيه فقال: يا أخي منصور! هذه كلمة قد حيل بيني وبينها! فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قلت له: يا أخي! أين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام، فقال: كان ذلك لغير الله، وكانت توبتي كاذبة، إنما كنت أفعل ذلك ليقال عني وأذكر به، وكنت أفعل ذلك رياءً للناس، فإذا خلوت إلى نفسي أغلقت الأبواب وأرخيت الستور وشربت الخمور وبارزت ربي بالمعاصي، ودمت على ذلك مدة، فأصابني المرض وأشرفت على الهلاك، فقلت لابنتي هذه: ناوليني المصحف، فقلت بعد أن أخذت المصحف: اللهم بحق كلامك في هذا المصحف العظيم إلا ما شفيتني ورفعت عني البلاء، وأنا أعاهدك ألا أعود إلى ذنب أبداً. ففرج الله عني، فلما شفيت عدت إلى ما كنت عليه من اللهو واللذات وأنساني الشيطان العهد الذي بيني وبين ربي، فبقيت على ذلك مدة من الزمن، فمرضت مرة ثانية أشرفت حينها على الهلاك والموت، فأمرت أهلي فأخرجوني إلى وسط الدار كعادتي ثم دعوت بالمصحف وقرأت فيه ثم رفعته وقلت: اللهم بحرمة ما في هذا المصحف الكريم من كلامك إلا ما فرجت عني ورفعت عني البلاء، فاستجاب الله مني وفرج عني، ثم عدت إلى ما كنت عليه من اللهو والضياع ما كأني عاهدت الله ألا أعود، فوقعت في هذا المرض الذي تراني فيه الآن، فأمرت أهلي فأخرجوني إلى وسط الدار كما تراني، ثم دعوت بالمصحف لأقرأ فيه فلم يتبين لي حرف واحد منه، فعلمت أن الله سبحانه قد غضب علي فرفعت رأسي إلى السماء وقلت: اللهم فرج عني يا جبار السماء والأرض، فسمعت كأن هاتفاً يقول:تتوب عن الذنوب إذا مرضت وترجع للذنوب إذا برأت فكم من كربة نجاك منها وكم كشف البلاء إذا بليت أما تخشى بأن تأتي المنايا وأنت على الخطايا قد لهوت قال منصور بن عمار : فوالله ما خرجت من عنده إلا وعيني تسكب العبرات، فما وصلت الباب إلا وقيل لي إنه قد مات. وحيل بينهم وبين ما يشتهون. نعم أحبتي! التوبة ليست نطقاً باللسان، إنما هي ندم بالقلب وعزم على عدم العودة إلى الماضي المرير، ومن شروط صحة التوبة أن تكون

قبل معاينة أمور الآخرة، فمن باشره العذاب أو عاين الموت فقد فاته موسم القبول. والله ما صدق صادق فرد عن الأبواب، ولا أتى الباب مخلص فصد عن الباب، ورب الأرباب، إنما الشأن في صدق التوبة، لذلك قال الله: **اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة:١١٩]**.

يا رب عفوك لا تأخذ بزلتنا واغفر لنا ربنا ذنباً جنيناه

كم نطلب الله في ضر يحل بنا لما تولت بلايانا نسيناه

ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا لما وصلنا الشاطي عصيناه

ونركب الجو في أمن وفي دعة وما سقطنا لأن الحافظ الله

فأين الشباب اليوم؟ أين الصادقون؟ أين الذين يتوبون ثم يستقيمون ويصدقون؟ إن الأمة اليوم في أمس الحاجة لشبابها وفتياتها الذين يعتزون بدينهم ويتمسكون بعقيدتهم ويفخرون بماضيهم، فوالله الذي لا إله إلا هو لا زال في أمتنا خير وفي شبابها خير، وفي فتياتها خير، بل حتى في أطفالها خير. مع البداية أهمس لك همسة: كان هناك فتاة عابدة صوامة قوامة في عمر الورود والأزهار، من بنات هذا الجيل لا من بنات الأجيال الماضية، تقدم لها شاب فترددت فقيل لها: لماذا التردد ولماذا لا توافقين؟ قالت: أحب الصيام والقيام! فقيل لها: إن خدمة الزوج عبادة وقربة إلى الله، فأنت في خير وعبادة، فاستخارت ثم قطعت التردد بالموافقة، قالت: لكن بشرط واحد ليس لي شرط سواه، قالوا: وما هو؟ قالت: أن يأذن لي بصيام ثلاثة أيام من كل أسبوع، فهي تعلم أن صيام النافلة لا بد أن يكون بإذن زوجها، فأخبروه ففرح بالشرط ووافق، وفرحت هي بموافقته وزفت إليه، وبني بيت على تقوى من الله ورضوان. الله أكبر! نريد بيوتاً تبنى على صيام بالنهار وقيام بالليل، من مثل هذه البيوت يتخرج الرجال والأبطال. وإليك أنت أيضاً همسة أهمسها مع البداية. اعلم بارك الله فيك! أن كل الأبطال تخرجوا من مدرسة الليل، ففي الظلام تعلموا الإخلاص والإقدام، اعلم أنك لن تكون فارساً مغواراً بالنهار حتى تتعلم الرهبانية بالليل. أخبرت عن شاب نحيل الجسم، كثير الحياء، قليل الكلام، همه الإسلام والعمل للدين، لم يتجاوز السابعة والعشرين لكنه ذو رأي وقول سديد موفق –والتوفيق بيد الله– يقول أحد الشباب: رافقته مراراً في رحلات دعوية كم أصابنا فيها من التعب والإرهاق والمشقة والعناء، ومع هذا رأيت منه العجب العجاب؛ كان صاحب قيام ليل، وليس بأي قيام، بل قيام طويل تتعب منه الأقدام. أحبتي! كثير هم الذين يقومون لكن أين قيام من قيام، من وقف دقيقة ليس كمن وقف ساعة، يقول الشاب عن صاحب ذلك الجسم النحيل: كان يقوم في الليلة الواحدة بخمسة أجزاء من القرآن، وما تخلف عن ذلك ليلة واحدة مهما كانت الظروف ومهما كانت الأحوال. قلت: هكذا هم الصادقون: **كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ [الذاريات:١٧]، هكذا هم**

الصادقون، **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [السجدة:١٦-١٧]**، إن أمة تمتلك أمثال هؤلاء الفتيات والفتيان أمة لا تقهر ولا تغلب بإذن الله، ولكنها تمتحن وتبتلى حتى يأتي أمر الله، وحينها يفرح المؤمنون، وحينها سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. إنه حبر توبة زكاها الله في القرآن، ثم أمرنا الله أن نكون منهم ومعهم، قال سبحانه: **وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ [التوبة:١١٨]** ثم اسمع إلى هذا النداء العظيم: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة:١١٩]**.**جاء خبرهم عند** (**البخاري**٤٤١٨) مفصلاً وأنا أسوقه لكم باختصار:أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ليتأهبوا للغزو، وكان ذلك في غزوة تبوك، كان الحر شديداً والسفر بعيداً والعدو كثيراً وعنيداً.يقول كعب بن مالك راوي الحديث وأحد الثلاثة الذين خلفوا: والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت في تلك الغزوة، ولما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه قلت: غداً ألحقهم، ولكن لم يقدر لي ذلك، ولقد هممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت، ولكن لم يقدر لي ذلك، ولقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عني وهو في القوم بتبوك فقال رجل: يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عطفه، فقال معاذ بن جبل : بئسما قلت، والله يا رسول الله ما علمت عنه إلا خيراً!فأين هم الذين يدافعون عن أعراض إخوانهم اليوم، يقول كعب : فلما بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم توجه قافلاً -أي راجعاً- حضرني همي وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً؟ فلما قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم قد حل بالمدينة قادماً زاح عني الباطل، وعلمت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت على أن أصدقه في الحديث.جاء المخلفون وكانوا بضعة وثمانين فطفقوا يعتذرون ويحلفون، فقبل منهم النبي صلى الله عليه وسلم علانيتهم ووكل سرائرهم إلى الله.أحبتي! الله لا ينظر إلى المظاهر ولكن الله سيبتلي السرائر! قال: فلما جئته تبسم تبسم المغضب، فلما جلست بين يديه قال لي: ما خلفك؟! ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ قلت: بلى! والله لقد علمت لئن حدثتك بحديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله.أحبتي! قد تأخذ ما عند فلان أو فلان بالكذب أو الافتراء، ولكن والله الذي لا إله إلا هو إنك لن تأخذ ما عند الله إلا إذا صدقت مع الله، قد تنصب على فلان وتضحك على فلان وتأخذ ما تشاء، ولكن لن ينجيك من الله إلا أن تصدق مع الله. **قال كعب** : والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط

أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال صلى الله عليه وسلم: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك!يقول كعب : فقمت فلامني من لامني، وقالوا لي: يسعك ما وسع غيرك ويكفيك استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لك، فقلت: هل قال مثل قولي أحد؟ فذكروا لي رجلين هما: مرارة بن الربيع وهلال بن أمية ، فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامنا نحن الثلاثة، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لنا الأرض فلا هي الأرض التي نعرفها، بل حتى تنكرت لنا أنفسنا التي بين جنوبنا فلا هي بالأنفس التي نعرفها، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، أما صاحباي فقعدا في بيوتهما يبكيان، أما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج لأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق ولا يكلمني أحد، كنت آتي النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مجلسه فأسلم عليه بعد صلاته وأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه أسارقه النظر، فلما طال الأمر واشتد ذلك علي، تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي، فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام، قلت: أنشدك بالله يا أبا قتادة هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت. فناشدته فسكت. فناشدته في الثالثة فقال: الله ورسوله أعلم! ففاضت عيناي، وخرجت أمشي في سوق المدينة، فإذا بنبطي من أهل الشام يقول: من يدل على كعب بن مالك ؟ فأشار الناس إلي. فجاءني فدفع لي كتاباً من ملك غسان يقول فيه: لقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولن يجعلك الله بدار مضيعة أو هوان، إلحق بنا نواسك! فعلمت أن هذا من زيادة البلاء فتيممت به التنور ورميته فيه.يمتحن العبد على قدر إيمانه؛ إن كان في إيمانه شدة شدد عليه في البلاء وإن كان في إيمانه رقة خفف عنه في البلاء! يقول كعب : فعلمت أن هذا من زيادة البلاء فتيممت به التنور ورميته فيه، فلما مضت أربعون من الخمسين ليلة، جاءنا الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم أن نعتزل نساءنا، قلت: أأطلقها أم ماذا؟ قال: بل اعتزلها، فقلت لها: إلحقي بأهلك حتى يقضي الله في هذا الأمر، ولقد قيل لصاحبي مثل ما قيل لي، أما امرأة هلال بن أمية فجاءت للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله! إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه، فقال: لا. ولكن لا يقربنك، فقالت: والله الذي لا إله إلا هو ما به حركة إلى شيء ولا زال يبكي من أمره إلى يومه هذا. هكذا حال الصادقين! دموعهم حارة مدرارة بالليل والنهار! يقول كعب رضي الله عنه: فلبثت بعد عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامنا، فلما صليت صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، وأنا على تلك الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت؛ إذا بصارخ يصرخ على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر! يا كعب بن مالك أبشر! فخررت ساجداً وعرفت أنه قد جاء الفرج، وأنه قد

أذن النبي صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا، فذهب الناس يبشروني ويبشرون صاحبي هلالاً ومرارة ، فلما جاء من يبشرني نزعت ثوبي فكسوته إياهما ببشارته، ووالله ما أملك غيرهما ،ثم استعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجاً بعد فوج يهنئونني بالتوبة يقولون لي: لتهنك توبة الله عليك! لتهنك توبة الله عليك! فلما دخلت المسجد قام لي طلحة بن عبيد الله مهرولاً فصافحني وهنأني، ووالله ما أنساها لطلحة. يقول كعب : فلما سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم قال لي ووجهه يبرق من السرور وكان إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر؛ قال: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك!قلت: أمن عندك يا رسول الله أم عند الله؟ قال: بل من عند الله! فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله! إنما نجاني الله بالصدق، وإن من صدق توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، ووالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني. تأمل أيها التائب، وتأملي أيتها التائبة في قول **النبي صلى الله عليه وسلم لكعب** : (**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**). يا الله! ما أجمل التوبة! وما أجمل الرجوع إلى الله! التوبة ابتلاء وامتحان، **لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ [الأنفال:٤٢]**.أحبتي! صدق أقوام في توبتهم فصدق الله معهم فعفا عنهم وزكاهم.واسمع واسمعي معي بعضاً من آثار توبة الصادقين والصادقات: فمنهم من يحزن على اقتراف المعصية حزناً لا يفارقه حتى الموت، ومنهم من يهجر الناس ويعتزلهم ويضج بيته بالبكاء، ومنهم من يتمنى أن يكون تراباً حتى لا يحاسبه الله على ذنبه ومعاصيه، ومنهم من يمرغ خده بالتراب حتى يذوق طعم الذلة عل الله أن يرحمه على تلك الحال، ومنهم من يتعلق بأستار الكعبة مطرقاً خاشعاً يطلب العفو من الله، ومنهم من يجوب الصحراء هائماً على وجهه يعاهد الله عز وجل ألا يرجع إلى بيته إلا وقد تاب وتاب عليه الله، ومنهم من يعتكف في بيت من بيوت الله يذكر الله ويتلو القرآن ويركع ويسجد والدموع تتزاحم في عينيه ندماً على ما فرط في جنب الله، ومنهم من يحس بآلام ورعشة وبكاء واضطراب كالحية يتغشاها الألم ويخر مغشياً عليه حياء من الله، ومنهم من يشهق شهقة يموت بعدها خوفاً ووجلاً من الله، ومنهم من بلغ من عبادة ربه أنه يوم مات كأنه جذع محترق من عبادة الله.أخي! أخية! لا غرابة فيما ذكرت وقلت، فالخوف من الله أرجف قلوب العصاة وكاد يخلعها من مكانها، فكم رعدت بروق الخوف في القلوب القاسية فذهبت عنها سحب الغفلة وأمطرت دموع الخشية، فصفا سماء القلب واستنار وطلعت عليه شمس النهار، وسبحان الذي قال عن التائبين:**يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ [النور:٣٧]**.

بذكرك يا مولى الورى نتنعم وقد خاب قوم عن سبيلك قد عموا

إلهي تحملنا ذنوباً عظيمة أسأنا وقصرنا وجودك أعظم

ألست الذي قربت قوماً فوفقوا ووفقتهم حتى أنابوا وأسلمو
الك الحمد عاملنا بما أنت أهله فسامح وسلمنا فأنت المسلم

هذا مبتلىً بالذنوب والمعاصي تركها من أجل الله فجاءه العوض من الله جل في علاه، كان مولعاً بالغناء محباً للطرب، ومما زاد حبه لهذه المعصية ذلك الصوت الجميل الذي وهبه الله له، صوت شجي خلاب يحرك المشاعر والأحاسيس، لم يكن يفكر في حرمة الغناء وعواقبه، كان تفكيره كيف يكون مشهوراً ويظهر أمام الناس، فسعى إلى شهرة الباطل وأخرج شريطاً غنائياً وأخذ يوزعه بين أهله وأصحابه وأقاربه.زاره يوما أحد أقاربه من مدينة بعيدة ومعه شاب صالح، وباتا عنده، فلما سمع ذلك الشاب الصالح عنه وعن أغانيه وعن صوته الجميل قال له: ليت هذا الصوت الجميل كان يرتفع ويصدح بالقرآن بدلاً من مزامير الشيطان، أما سمعت قول الله: **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا [الإسراء:٦١-٦٥]**.فأثرت تلك الكلمات والآيات فيه ووجدت قبولاً في قلبه، فلما جن الليل ونام النائمون استيقظ التائبون، يقول قريبه الذي كان يزوره: بينما نحن نائمون يغطينا ظلام الليل الدامس والسكون يملأ المكان استيقظت على صوت بكاء، فإذا بقريبي المغني ساجد لله في صلاته يشهق من البكاء ألماً وندماً على ما فرط في جنب الله. ففرحت لبكائه وندمه وأنه ترك الماضي بكل ما فيه، وأقبل على الله يرجو ما عنده فكان العوض من الله، عوضه الله خيراً مما ترك، أصبح يحب القرآن يغدو ويروح مع آياته، يترنم بالآيات بالليل والنهار، أخذ يتعلم علم القرآن وفن التلاوة حتى صار إماماً وقارئاً يشار إليه بالبنان لجمال صوته وخشوعه في صلاته. فسبحان مغير الأحوال! صدق في توبته فصدق الله معه، وترك من أجل الله فعوضه الله خيراً مما ترك، وأي عوض أجمل من القرآن؟! يا الله! ما أجمل التوبة! وما أجمل العودة إلى الله! **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ [الأعراف:٢٠١]**.

قل للذي ألف الذنوب وأجرما وغدا على زلاته متندما
لا تيأسن من الجليل فعندنا فضل ينيل التائبين تكرما
يا معشر العاصين جودي واسع توبوا ودونكم المنى والمغنما
لا تقنطوا فالذنب مغفور لكم إني الجدير بأن أجود وأرحما

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى [طه:٨٢]. اعلم واعلمي: أن الذنوب الصغيرة تكبر وتعظم بأسباب، منها: الإصرار والمواظبة، لذلك قيل: لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع الاستغفار، قال محمد بن سيرين رحمه الله: والله لا أبكي على ذنب أذنبته ولكني أبكي على ذنب كنت أحسبه هيناً وهو عند الله عظيم. وتعظم الذنوب أيضاً باستصغارها، فإن الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله تعالى، وكلما استصغره العبد كبر عند الله تعالى. جاء في الخبر: (**إن المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه، وإن المنافق يرى ذنبه كذباب مر إلى أنفه فأطاره بيديه**)(**بن ابي شيبة ٣٥٦٨٠**). أوحى الله إلى بعض أنبيائه: لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى كبريائي وعظمة من عصيت. وتعظم الذنوب إذا فرح بها أصحابها وتبجحوا بها وبذكرها يظنون أن التمكن من الذنب نعمة، ما دروا أنه غفلة وشقاوة. يا حي يا قيوم برحمة نستغيث أصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين. تعظم الذنوب إذا تهاون أصحابها بستر الله عليهم وحلمه عنهم وإمهاله إياهم، ما درى أولئك أن الله يمهل ولا يهمل، وأنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. تعظم الذنوب إذا جاهر بها أصحابها، فإن في ذلك كشفاً لستر الله الذي أسدله وتحريكاً لرغبة الشر في من أسمعه. والأعظم من ذلك: قلة الحياء مع الله، قال صلى الله عليه وسلم: (**كل أمتي معافى إلا المجاهرين، يبيت أحدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه**).(**البخاري ٦٠٦٩**) قال بعضهم: لا تذنب فإن فعلت فلا ترغب غيرك بالذنب، فتكون كالمنافقين الذين قال الله فيهم: **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ [التوبة:٦٧]**، الحمد لله الذي عافنا مما ابتلاهم به، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً. أسوق إليك هذه القصة التي هي بعنوان: (لست فاتنة بل ظالمة): اختصرتها مع طولها ففيها من العبرة الشيء الكثير، اسمها فاتنة وهي كاسمها جريئة متحررة مثقفة في كل شيء إلا في الدين، الدين عندها أن تكون ذات قلب طيب، ولا عليها بعد ذلك أن تخالط من تشاء، تلبس ما تشاء، تفعل ما تشاء. جمعت ليلة صويحباتها في الكلية للاحتفال بعيد ميلادها، عيد ما أنزل الله به من سلطان ورثناه عن الكفار تشبهاً **وتقليداً** (**ومن تشبه بقوم..**)(**مسند احمد ٥١١٥**) سأترك البقية لكم! كانت في أجمل هيئة وأحسن مظهر، بدأت تدور بين صويحباتها تطلق الضحكات هنا وهناك تسألهن: أتدرين يا بنات ماذا ينقص حفلتنا هذه؟ فأجبنها إجابات وهي تقول: لا، ثم لا، وهي مصرة على سؤالها، ثم قالت مجيبة على سؤالها وهي تضحك: تنقصنا الشيخة علياء، فانطلقت موجات الضحك من كل مكان، ثم قالت أحداهن مدافعة: لماذا كل هذا الضحك؟ لماذا كل هذا الضحك والاستهزاء

بعلياء؟! أليست زميلتنا في الصف! أليست صديقتنا في الكلية! ألم تكن إلى عهد قريب رفيقة لنا في سهراتنا وحفلاتنا وهي الآن في محرابها مع صلواتها وقرآنها، إنها تبحث عن الآخرة ونحن عن ماذا نبحث؟! فتجاهلن سؤالها. قالت أخرى: لقد ذهبنا إليها –أي إلى علياء– لندعوها لعيد الميلاد ولكنها اعتذرت وأعطتنا محاضرة طويلة عريضة في الأخلاق والدين والعادات والاجتماعات. قالت فاتنة: مسكينة علياء ! لقد كانت عاقلة متحررة قبل أن يصيبها هذا الهوس الديني الذي اختطفها من بيننا –قلت أنا: سبحان الله أصبح الدين هوساً وجنوناً– ثم تابعت فاتنة حديثها وهي تقول: فعلاً مسكينة علياء ! لقد انقلبت بسرعة وتسممت أفكارها وتغيرت هيئتها، لقد أطالت ثيابها فأصبح منظرها ككبيرات السن لم تعد تؤمن بأن خير اللباس ما قل ودل، والأدهى من ذلك شعرها أصبح بضاعة محرمة مغطاة تحت ذلك السواد، مسكينة علياء ! نسيت أن الله يهمه منا القلب وكل ما عدا ذلك شكليات. الله أكبر! أصبح الحجاب والتمسك بالدين شكليات، قاتل الله الشاشات والقنوات.ثم تابعت فاتنة حديثها عن علياء : إنها تخوفنا من النار وأن الله سيحرق به أجسادنا المكشوفة، إنها تنذرنا من شيء اسمه الموت، وآخر تسميه الحساب، بل اسمعوا يا بنات! إنها تحملنا مسئولية إغواء الشباب وإغراء الرجال، فقالت أحداهن: لقد قتلتها الهواجس والوساوس ونسيت أن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال، مسكينة علياء ! أين ستجد فتى أحلامها، أين ستجد السعادة والأنس، لقد قتلت نفسها وهي في ريعان الشباب، ولا بد أن نصنع شيئاً لإنقاذها. مساكين! ما درين أنهن هن بحاجة إلى إنقاذ. فارتفعت الأصوات: لا بد من إنقاذها! إنها تقتل نفسها بطول العبادة وكثرة الصيام وقراءة القرآن ولزوم البيت، فلا أسواق ولا حفلات، ما هذا الفهم الخاطئ للدين، إن الحياة متعة وحرية، أما الموت فمالنا وله الآن، نعم سنموت عندما نشيخ ونهرم. إنه الأمل الطويل! ووالله ما حال بين الناس وبين الصدق في التوبة إلا طول الأمل، ومن أطال الأمل أساء العمل، قال الله تعالى عنهم: **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الحجر:٣]**. انتهى الاحتفال ودارت سنوات تخرجت فيها فاتنة وتخرجت علياء وثبتت على طريق الاستقامة والالتزام، فماذا حدث لفاتنة، وماذا حدث لعلياء؟تعالوا أحبتي .. أعطوني المسامع نتابع القصة من مكان آخر: في إحدى المستشفيات في الدور الرابع في غرفة من الغرف صوت أنين مريضة يملأ الغرفة، إنها في تلك الغرفة منذ عدة أشهر، ولقد أيس الأطباء من حالتها وأصبح صوت أنينها معتاداً مألوفاً في المستشفى ولا أحد يستطيع أن يفعل لها شيئاً، لقد تعودت الممرضات على سماع أنينها، أما الطبيبة المناوبة الجديدة في المستشفى فلم تستطع أن تتجاهل ذلك الصوت وذلك الأنين، فقلبها مليء بالرحمة، وهكذا الإيمان يملأ القلب رحمة وعطفاً على الآخرين. فأخذت بعض العقاقير والمهدئات ودخلت لتلك الغرفة، فتحت الباب فإذا بامرأة

على السرير في شبه غيبوبة، جست نبضها فإذا هو ضعيف على وشك التوقف، أصغت إلى تنفسها فكان التنفس مضطرباً خافتاً، جلست بجانبها وأعطتها بعض المنعشات فأفاقت بعد قليل واستوت على سريرها، أدارت عينيها فيما حولها -المريضة- ثم ثبتت نظرها على وجه الطبيبة، ثم أخذت تفرك عينيها بيديها الضعيفتين، ثم زاد اضطرابها ثم قالت للطبيبة: أسألك بالله من أنت؟! فقالت: أنا الطبيبة يا أمي! فقالت المريضة: أنا لا أسألك عن مهنتك، أنا أسألك عن اسمك، أسألك بالله ألست أنت علياء؟ فقالت الطبيبة باستغراب: بلى أنا علياء، وفي لحظات إذا بالمريضة تأخذ برأس علياء تطوقه بذراعيها وتضمه إلى صدرها وتقبله وتجهش بالبكاء. زاد استغراب علياء وصعقت: من عساها تكون هذه المرأة؟ وهل بها مس من جنون؟! كيف عرفتني وأنا لم أقابلها من قبل ولم يسبق لي علاجها، بل هذه أول ليلة لي في هذا المستشفى كطبيبة مناوبة. فرجعت علياء برأسها إلى الوراء وأخذت تنظر إلى المريضة مشدوهة لا تدري ماذا تفعل، ثم قالت للمريضة: من أنت يا خالة؟ وكيف عرفت اسمي؟ وهل التقينا من قبل؟! فردت المريضة بصوت تخنقه العبرات: نعم يا علياء لقد التقينا مرات ومرات، إن اسمك وصورتك لم يفارقا خاطري خاصة عندما أصابني المرض قبل ثلاث سنوات، آه يا علياء، أنا التي أكلت لحمك واستهزأت بك أنا فاتنة يا علياء ، أنا فاتنة يا علياء، ثم انفجرت بالبكاء والنحيب. صدمت علياء ولم تستطع الكلام ثم قالت وهي لا تصدق ما سمعت: أقسمت عليك بالله أأنت فاتنة؟! مستحيل فاتنة كانت كاسمها أصغر وأجمل وأنضر. فقالت فاتنة بصوت خافت متقطع: نعم، أنا التي كان يقال لها ذات يوم فاتنة، فأكبت عليها علياء تضمها إلى صدرها وتجهش بالبكاء المرير الأليم عليها. فلما هدأ البكاء أخذت فاتنة تروي قصة سبع سنين منذ أن افترقتا، قالت: تخرجت من البكالوريا وحاولت إكمال الدراسة، فلم أستطع، كنت لاهية متمردة على كل شيء، لم أكن أشك بالله، ولكني كنت أعتقد بأن كل ما له علي أن أكون طيبة القلب وكفى، تعرفت على شبان وفتيات وفتيان ثم ارتبطت برجل تعرفت عليه في الوظيفة أحبني وأحببته، لكننا كنا نعيش حياة غافلة بعيدة عن الله، ثم بعد زواجنا بسنوات رزقنا الله بطفلة صغيرة جميلة رائعة سميتها سوسن على اسم صاحبتي التي تعرفينها، ثم بدأت أشكو من آلام في بطني فقال الأطباء: إنها قرحة، فأخذت أتعالج ولكن دون فائدة، أخذت آلامي تزيد وهمومي تزيد، وبدلاً من أن أهرب إلى الله فررت إلى مزيد من الغفلة والضياع، ثم تدهورت صحتي وجاء التشخيص الجديد ليقول: بداية تورم خبيث في المعدة، وهكذا استحالت القرحة إلى سرطان، ثم أخذ السرطان يستفحل ويزيد إلى أن أقعدني هنا أصارع الألم وأنتظر الموت في أية لحظة، لم أر ابنتي منذ أربعة أشهر، عمرها الآن أربع سنوات وزوجي لم يأت لزيارتي منذ أسبوعين، لقد تعب من التردد علي كل يوم لعله ملني أو كرهني. فلما سمعت علياء قصتها لم تتمالك نفسها وانخرطت

في بكاء شديد، ثم تمالكت نفسها وقامت إلى فاتنة تضمها إلى صدرها تواسيها وتخفف عنها: لا تجزعي يا فاتنة ، لا تجزعي يا فاتنة لقد عرفتك شجاعة قوية، لا تقنطي من رحمة الله، لا تستسلمي لليأس، قد يكتب الله لك الشفاء وقد يكون هذا ابتلاء، فاستسلمي إلى قضاء الله وقدره واصبري فالصبر جميل والله مع الصابرين. هدأت فاتنة وغطت وجهها بكفيها وأخذت تقول: عفوك يا الله! عفوك يا الله، لم يبق لي سواك فهل تقبلني، رحماك يا الله! ليته الابتلاء ولكنه الانتقام، لكم تجاهلت تلك الآيات تقرأ على مسامعي، لكم تجاهلت كلام أمي الصالحة الحنون، إنه الانتقام للضحايا الذين فتنتهم وأغويتهم، يا الله! كم أغويت من شاب وكم أفسدت من فتاة، ثم أخذت تردد وتقول: اقترب مني يا موت فلطالما خدعتني أوهامي، لقد ظننت أنك لا تأخذ إلا الكبار والشيوخ وتترك الشباب، لقد خدعتني نفسي وغرني أملي.

يا غافلاً عن العمل وغره طول الأمل الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

ثم أخذت تسأل علياء : أصحيح يا علياء أن القبر مظلم! أصحيح أن القبر ضيق! فتجيب نفسها: نعم صحيح وعما قريب سأحمل إليه جسداً بارداً هامداً، هناك لن يكون معي أهل ولا أحباب، ولن يكون معي مال ولا ثياب، لن يكون هناك زوج ولا أصحاب. يا الله! كيف سأفارق صغيرتي سوسن أنا لا زلت صغيرة ولم أشبع من الحياة، ثم تلمست عينيها، وقالت: بكما أرى النور وكم أسقطت بنظراتي من شاب، أحقاً سيأكلكما الدود؟! وينهشكما التراب؟! أخذتها علياء بين ذراعيها وضمتها إلى صدرها وأخذت تقرأ عليها القرآن وتدعو لها بالشفاء، وأخذت تقول لها: كفى يا فاتنة لا تيأسي من رحمة الله ولا من شفاء الله. قالت فاتنة : أسألك بالله يا علياء : أيغفر الله لي وقد فعلت ما فعلت وأجرمت ما أجرمت؟ فقالت علياء بصوت واثق: وكيف لا يا فاتنة أليس الله واسع المغفرة؟ أليس الله تواباً رحيماً؟ ألم تسمعي قول الله وهو يخاطب العصاة: **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [الزمر:٥٣]**. فقالت فاتنة : بربك يا علياء! لا تناديني بعد الآن فاتنة ، ناديني ظالمة، نعم ظالمة، لقد ظلمت نفسي كثيراً وأجرمت في حق نفسي جرماً كبيراً، ثم استوت فاتنة على سريرها بقدرة عجيبة ورفعت يديها إلى السماء وهي ترتجف ضارعة وأخذت تدعو الله برقة وخشوع: اللهم اشهد بأني قد رجعت إليك، وأنبت إليك، فها أنذا طريحة على بابك، اللهم إن كنت قد كتبت لي الشفاء وهذا ليس صعباً عليك وقد أخفق الأطباء وعجز الحكماء فاشهد يا حكيم بأني لن أعصيك أبداً ما بقيت، اللهم وإن كنت قد قدرت علي الموت عاجلاً فاشهد يا رحيم بأني لن أيأس من رحمتك ولن أقنط من مغفرتك طالما بقي في صدري نفس يتردد يا رحمن الدنيا والآخرة، يا الله ظلمت نفسي ظلماً كبيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، إنك أنت الغفور الرحيم.

إلهي لئن جلت وعظمت خطيئتي فعفوك عن ذنبي أجل وأوسع
إلهي لئن أعطيت نفسي سؤلها فها أنا في روضة الندامة أرتع
إلهي ترى حالي وفقري وفاقتي وأنت مناجاتي الخفية تسمع
إلهي فلا تقطع رجائي ولا تزغ فؤادي فلي في نهر جودك مطمع
إلهي أجرني من عذابك إنني أسير ذليل خائف لك أخضع
إلهي أذقني طعم عفوك يوم لا بنون ولا مال هنالك ينفع

قال أحد الصالحين: **إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد أعلمه أنه قد بقي من عمرك ساعة، وأنك لا تستأخر عنها طرفة عين، فيبدو للعبد من الأسف والحسرة ما الله به عليم، فيتمنى أن يضاف إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليتدارك التقصير والتفريط فلا يجد إلى ذلك سبيلاً، وهذا معنى قول الله: وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ [سبأ: ٥٤]**، (**قوت القلوب في معاملة المحبوب ١\٣٠٤**) وإلى هذا أشار الله جل في علاه بقوله: **مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ [المنافقون:١٠]**. قيل: الأجل القريب الذي يطلبه أنه يقول لملك الموت: أخرني يوماً أعتذر فيه لربي وأتوب وأتزود صالحاً لنفسي، فيقول له: فنيت الأيام فلا يوم، فيقول: فأخرني ساعة فيقول: فنيت الساعات فلا ساعة، فيغلق عليه باب التوبة، فيا خسارته ويا ندامته حين يموت على تلك الحال: **وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [آل عمران:١١٧]**، **قال الله: وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا [النساء:١٨]**، **إنما التوبة لمن؟ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا [النساء:١٧]**. اللهم اجعل خير عمرنا آخره وخير عملنا خواتيمه وخير أيامنا يوم نلقاك.كتب لي أحد التائبين قصة توبته ورجوعه إلى الله بعد ضياع ومعاناة استمرت سنوات، قال في سطوره وفي رسالته:لا أدري كيف أبدأ وكيف أعبر لك عن قصة الرجوع، أنا شاب أبلغ اليوم من العمر ستة وعشرين عاماً، أنا أكبر إخوتي وأسرتي فقيرة جداً، أما أصحابي فلا يصلون ولا يصومون، حياتنا بكل صراحة سهر وخمر ومخدرات، سبع سنوات على هذه الحال حتى مللنا من هذا الضياع، فبدأنا بطريق آخر من طرق الضياع وبدأنا رحلة جديدة من رحلات الغفلة، اقترح أحدنا أن نسافر لبلاد الكفار بحثاً عن المتعة والتغيير، ففعلنا وليتنا لم نفعل، هناك تعلمنا فنون الزنا والخنا والنصب والاحتيال، كنا نمكث في سفراتنا أشهراً طوالاً فإذا نفذت أموالنا اتصلنا على أهلنا ونحن في سكر شديد نطلب منهم أن يمدونا بالمال حتى نستطيع الرجوع، فإذا وصل المال مددنا فترة

البقاء، وهكذا في كل مرة كان أحدنا يتصل على أهله للكذب والاحتيال.في مرة من المرات استأجرنا سيارة وذهبنا إلى أحد نوادي الضياع حيث الخمر والموسيقى والرقص كالأنعام، بل حياة الأنعام أفضل من هذه الحياة، وبينما نحن جلوس نتبادل الحديث ونتبادل كئوس الخمر إذ قال أحد أصحابنا: سوف أذهب إلى مكان قريب وأرجع إليكم بسرعة. فذهب وكان في حالة سكر شديد، مضت الساعات ولم يرجع، فخرجنا نبحث عنه وبعد بحث وجدناه وقد سقط وهوى بسيارته من مكان مرتفع ومات على أشنع حال!بكينا وحزنا على موته ورجعنا إلى ديارنا محملين بالأحزان، فما مضى شهران حتى عدنا إلى ما كنا عليه، يا ألله! كم هي قاسية قلوبنا، لم أكن أملك مالاً ولا دخلاً شهرياً، بل كنت أحتال وتحمل أهلي بسبب ذلك ديوناً كثيرة، بل كنت أقترض وأتحمل مصاريف السفر مع الأصحاب وأتحملها عنهم مع أنهم كانوا أكثر مني مالاً وأحسن حالاً، وكنت أظن أن هذا من الكرم والجود على الأصحاب والخلان.تراكمت الديون علي وساءت الأحوال وبدأ يتخلى عني الأصحاب، أي أصحاب هؤلاء، أصبحوا يسافرون ولا يخبروني بسفرهم وأنا الذي تحملت الديون من أجلهم، اكتشفت حينها أنهم أصحاب مصلحة وضياع –قلت أنا: اكتشاف متأخر!– فصاحبت غيرهم ولم يكونوا بأحسن حال منهم، جمعت أموالاً وسافرت أنا وإياهم مع ابن عم لي مع مجموعة من الأصحاب إلى بلد آسيوي مشهور بالمجون وفساد الأخلاق، بعد يومين من وصولنا قال ابن عمي إنه سوف يرجع، فلما سألته عن السبب قال: لقد رأيت في المنام أن الناس في هذه البلاد يحترقون وقد اشتعلت بهم النيران، وأتاني رجل شديد البياض فقال: ارجع قبل أن تحترق معهم، فرجع ابن عمي ورجعت معه، فمكثت في البيت بلا مال وبلا أصحاب، وأصابني من الهم والحزن والضيق ما الله به عليم.في يوم من الأيام حانت ساعة الانتقال فجاءتني أمي باكية وقالت: لماذا لا تصلي؟! لماذا لا ترجع إلى الله؟! وأعطتني شريطاً وأقسمت علي أن أسمعه، ثم ذهبت وتركتني.فبدأت أسمع الشريط فأحسست أني أنا المخاطب، كان الشريط يتكلم عن اللذين يغرقون في الذنوب والمعاصي، كان الشريط يتكلم عن أثر الصحبة في الاستقامة وأثرهم في الضياع، أخذت أبكي وأبكي وأبكي فقررت التوبة ومراجعة الحسابات.يقول صاحب الرسالة: أتعرف يا شيخ من هو صاحب الشريط؟ إنه أنت، وأنا أحبك حباً شديداً، وكان اسم الشريط: أحوال الغارقين، ثم أعطتني أمي شريطاً آخر اسمه: قوافل العائدين –قلت أنا: اللهم اجعلنا خيراً مما يقولون– وأحسن مما يظنون، واغفر لنا ما لا يعلمون –يقول: ها أنذا أكتب لك الرسالة وأنا أبكي بكاءً شديداً وأمي جالسة عندي تبكي معي وتدعو لك بالثبات حتى الممات وهي فرحة جداً بتوبتي، يا شيخ! إن قصتي أكبر وأعظم من هذا، ولكني ذكرتها لك باختصار.أما من أخباري الجديدة منذ أن بدأت الحياة الجديدة حياة التوبة والاستقامة، فأنا أنتقل من خير إلى خير، ومن نور إلى نور، لقد

حصلت على وظيفة وأنا الذي كنت عاطلاً لسنوات، بل لست أملك شهادة كما يملك الغير، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء.وأزيدك خبراً من الأخبار ستفرح لي عندما أخبرك به: فزيادة على وظيفتي أنا الآن مؤذن في بيت من بيوت الله، أصدح بالأذان وأردد في اليوم مرات ومرات: الله أكبر ولا إله إلا الله، فادع لي بالثبات وإني والله لأدعو لأصحاب الماضي بالهداية والصلاح وأتمنى أن يعتبر بقصتي أولو الأبصار. أحبتي!إن الذنوب والمعاصي باب كلنا ولجناه وبحر كلنا سبحنا فيه، ولا ينجو من ذلك إلا المعصومون ممن اصطفاهم الله واجتباهم من الأنبياء والرسل، أما أنا وأنت وأنت فكلنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**)، وقال بأبي هو وأمي: (**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم**)، **رواه(مسلم ٢٧٤٩)**.فالوبال والهلاك هو الاستمرار على المعصية التي زينتها النفوس الضعيفة والشياطين الخبيثة، قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: يا أيها الناس! من ألم بذنب فليستغفر الله وليتب، فإن عاد فليستغفر الله وليتب، فإن عاد فليستغفر الله وليتب، فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال، وإن الهلاك كل الهلاك في الإصرار عليها. أخي! أخية! لا بد من الندم والبكاء بسبب المعصية والإقلاع عنها في الحال، فالرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، ولن تطيب الحياة إلا بالعودة إلى الله والتمسك بالدين! كثير هم المترددون، كثير هم الذين يقولون: ذنوبنا كثيرة، معاصينا غزيرة، فهل يغفر الله لنا؟أقول: نعم –وبأعلى الصوت– يغفر الله لكم إن تبتم وندمتم ورجعتم، بل ويفرح سبحانه بتوبتكم وعودتكم، بل يحب التوابين ويحب المتطهرين.تأمل وتأملي معي في هذه الآيات وهذه الكلمات النبويات:**قال الله: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ [الأعراف:١٥٦]**، فالرحمة واسعة ونحن لا شيء، وهو أرحم الراحمين. تدبر وتدبري وتأمل وتأملي في قول الرحمن الرحيم: **إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا [الزمر:٥٣]**، نعم يغفر الذنوب جميعاً، بل من كرمه ومنه وجوده يبدل السيئات إلى حسنات. قال سعيد بن المسيب في قوله تعالى: (**فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا [الإسراء:٢٥] قال: هو الرجل يذنب الذنب ثم يتوب، ثم يذنب الذنب ثم يتوب،(حلية الاولباء ٦\٢٠١**) فالباب مفتوح ويداه سبحانه مبسوطتان بالليل والنهار ليتوب مسيء الليل ويتوب مسيء النهار.قال الفضيل : قال الله: (**بشر المذنبين بأنهم إن تابوا قبلت منهم، وحذر الصديقين أني إن وضعت عليهم عدلي عذبتهم**).قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي الصحيح: (**إن الله قال: من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له على ما كان منه ولا أبالي ما لم يشرك بي شيئاً**).(**الحاكم ٧٦٧٦**) واعلم رعاك الله واعلمي بارك الله فيك! أن نبي الهدى والرحمة قال: (**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**). فلنسارع بارك الله في

الجميع إلى التوبة والندم والرجوع إلى الله، سارعوا بارك الله فيكم قبل أن نصيح بأعلى الصوت: رباه ارجعون؛ رباه ارجعون؛ فلا يستجاب لنا، لكن الباب مفتوح ورحمة الرحمن واسعة.بل أبشر أيها التائب! وأبشري أيتها التائبة! بهذه الآيات العظيمة التي تستغفر الملائكة فيها للتائبين قال الله: **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُم وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [غافر:٧-٩]**.فالبدار البدار! والمسارعة المسارعة! فإن حياة النفوس في السمو ونجاتها في العلو. الله الله في التوبة والإنابة. الله الله في الثبات حتى الممات. الله الله في الصدق في التوبة مع الله. الله الله في الصدق في التوبة مع الاستقامة.واعلم أن باب الاستقامة هو المحراب فالخير كل الخير في ارتياد المساجد، وزاد المساجد هو خير زاد **للانطلاق فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ [النور:٣٦-٣٧]** فما جزاء خوفهم؟ **لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [النور:٣٨]**.عمارة المساجد من الإيمان كما قال الله: **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ [التوبة:١٨]**، وقال صلى الله عليه وسلم: (**من غدا إلى المسجد أو راح، بنى الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح وأحب البقاع إلى الله المساجد وأبغضها إلى الله الأسواق**) (**مسلم \ ١ \ # ٦٦٩**).**قال الحسن بن علي رضي الله عنها: (من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب ثماني خصال: آيةً محكمة، وأخاً مستفاداً، وعلماً مستظرفاً،ورحمةً منتظرةً، وكلمةً تدله على هدى أو تردعه عن ردى، وترك الذنوب حياءً أو خشيةً).(مسند البزار ٤ \ ١٧٤) ولله در القائل:**

لا يصنع الأبطال إلا في مساجدنا الفساح

في روضة القرآن في ظل الأحاديث الصحاح

شعب بغير عقيدة ورق يذريه الرياح

من خان حي على الصلاة يخون حي على الكفاح

اللهم ارحم عباداً غرهم طول إمهالك، وأطمعهم دوام إفضالك، ومدوا أيديهم إلى كرم نوالك، وتيقنوا أن لا غنىً لهم عن سؤالك.قولي وقل ولنردد: اللهم إن يكن الندم توبة إليك فإنا إليك من النادمين، وإن يكن

الترك لمعصيتك إنابة إليك فإنا لك يا رب من المنيبين، وإن يكن الاستغفار حطة للذنوب فإنا لك من المستغفرين، اللهم فتقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وثبت حجتنا، وأهد قلوبنا، واسلل سخيمة صدورنا، ولا ترجعنا مرجع الخيبة من رحمتك فإنك أنت التواب الرحيم الجواد الكريم، يا غافر الذنب يا قابل التوب يا أرحم الراحمين.

يا من له وجب الكمال بذاته بل كل غاية فوزهم لقياه

سبحان من أحيا قلوب عباده بلوائح من فيض نور هداه

من كان يعرف أنك الحق الذي بهر العقول فحسبه وكفاه

مولاي جودك لم يدع لي مطلباً إلا وتممه إلى أقصاه

اللهم اجعلنا من التوابين واجعلنا من المتطهرين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. اللهم اقبل توبة التائبين واغفر ذنوب المذنبين. اللهم ردنا إليك رداً جميلاً، اجعل اجتماعنا هذا اجتماعاً مرحوماً وتفرقنا بعده تفرقاً معصوماً، ولا تجعل فينا ولا من بيننا شقياً ولا محروماً يا أرحم الراحمين.اللهم وفقنا لتوبة نصوح قبل الموت وشهادة عند الموت ورحمة بعد الموت يا رب العالمين.اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يجاهدون من أجل إعلاء كلمة دينك، اللهم انصرهم في كل مكان يا رب العالمين.اللهم ثبت إخواننا في العراق وفي فلسطين وأفغانستان وكل مكان، كن لهم عوناً وظهيراً ومؤيداً ونصيراً.واعلموا أنهم ينصرون بدعوة التائبين، فلنجدد التوبة وندعو لهم منيبين إلى الله راجعين.تقبل منا إنك أنت السميع العليم، آمنا في أوطاننا اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين.ربنا ظلمنا أنفسنا وإلا تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. أستغفر الله العظيم وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

حتى لا يلقى الطفل عند القمامة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢] يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.معاشر الأحبة! جريمة الزنا من أعظم الجرائم وأبشعها وأفظعها، ضررها معلوم، تنتهك بالزنا الأعراض، وتضيع به الأنساب، وبه تنتشر الأمراض التي ما سمعنا بها في آبائنا الأولين، **والقاعدة الشرعية تقول: إن الله إذا حرم شيئاً حرم كل ما يوصل إليه،** فسد الله أبواب الزنا، فحرم الاختلاط، وحرم الخلوة بالمرأة، وحرم التبرج والسفور، بل حرم النظر إلى ما لا يرضي الله جل في علاه، وزيادة على هذا كله شرع أشد العقوبات لمن يرتكب هذه الجريمة العظيمة -أي: الزنا-: الرجم حتى الموت إن كان محصناً؛ لأن الجريمة بشعة، فكان الحد مناسباً لبشاعتها، الرجم حتى الموت.ومما لا يختلف فيه: أن الرجل بحاجة إلى المرأة، وأن المرأة بحاجة إلى الرجل، فطرة الرجل تسدها المرأة، وفطرة المرأة يسدها الرجل، غريزة موجودة في الذكور والإناث، إن لم تسد هذه الغريزة بما شرع الله، فسيلجأ الناس أو ضعاف الإيمان إلى سدها بالحرام. فمن أجل ذلك شرع الله الزواج حين حرم الزنا، ثم سد الأبواب الموصلة إلى الفاحشة.شرع الله الزواج وهو سنة الأنبياء وسبيل المؤمنين، قال الله: **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً [الرعد:٣٨]**، **وقال: وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ [النور:٣٢]، وقال صلى الله عليه وسلم:** (**يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج** ..)، (**البخاري ٥٠٦٦**) فشرع الله الزواج لتلبية الحاجة في نفوس الرجال والنساء، فلا خلاف في مشروعية الزواج وفضله، بل نهى الله عن العضل، الذي هو: منع المرأة وحبسها عن الزواج فقال الله سبحانه: **فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ [البقرة:٢٣٢]** وعظم الله ذلك العقد

بين الرجل والمرأة وسماه ميثاقاً غليظاً؛ لعظم شأنه وحرمته عند الله جل في علاه، فقال سبحانه: **وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا [النساء:٢١]** ولأهمية الزواج قدمه كثير من المحدثين والفقهاء على الجهاد؛ لأن الجهاد يحتاج إلى الرجال، ولا سبيل لإيجاد الرجال إلا عن طريق الزواج.ومن فوائد الزواج محاسنه:أنه من أسباب الغنى، وصد الفقر، كما قال الله: **إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ [النور:٣٢]**.فبالزواج يحفظ النسل، وتصان الفروج، وتحفظ الأعراض، ويحصل الإحصان، ويأمن المجتمع من جريمة الزنا.عباد الله! معدلات الزنا في المجتمع في ارتفاع يوماً بعد يوم، ولقد اطلعت على تقارير الهيئات في ضبط المشاكل والخلوات فوجدت أكثرها لفتيات وشبان في شقق وفي سيارات، اذهب إلى المجمعات فسترى آلافاً مؤلفة من الفتيان والفتيات في أبهى حلة، وأحسن زينة، ماذا يريد هؤلاء؟! ولماذا خرجوا؟ بحثاً عن إشباع الغرائز، ولماذا ارتفع الزنا؟ وزادت معدلاته؟اسمع رعاك الله! قبل أن أذكر لك الأسباب سأذكر نسبة أولاد السفاح، ففي المنطقة الشرقية في العام الماضي فقط، عام ١٤٢٤هـ عدد أولاد السفاح الذين وجدوا على أبواب المساجد وفي المزابل والقمامات ثمانية وأربعون طفلاً، فما ذنب هؤلاء؟يقول أحدهم: خرج أبي لصلاة الفجر وفي طريقه إذا به يسمع صياح طفل صغير يصدر من مكان ما، ارتفع صياحه، وبحث أبي عن مصدر الصوت، فإذا به في القمامة قد لف بقطعة قماش، ورمي هناك، ما ذنب هذا الصغير؟ ومن أين أتى؟أقول: إنها جريمة الزنا، الجريمة الشنيعة التي شرع الله أشد العقوبات لمرتكبيها من الرجال والنساء.أسباب انتشار الزنا في زماننا عديدة من أهمها ما يلي:أولاً: القنوات والتبرج والسفور:إن إثارة الغرائز في كل مكان هو من أعظم أسباب انتشار الرذيلة، ففي البيوت شاشات وقنوات، ومجلات وأغان ماجنات، وفي دراسة أجريت على أكثر من خمسمائة فيلم يعرض على هذه الشاشات والقنوات، تبين أن (٧٠%) من موادها إثارة جنسية، ودعوة إلى الجريمة والسرقة ومفاسد الأخلاق، كيف لا يتأثر البنون والبنات بمثل هذا؟!!إن خرجنا إلى الشارع وجدنا نساء كاسيات عاريات في كل الطرقات! أين نذهب إذاً؟! وأين يفر الشباب من الفتن؟!شاشات وقنوات ملئت بها البيوت يشاهدها الصغير والكبير بلا حياء، وبلا رقيب ولا حسيب، وأغان صباحاً ومساءً تدعو إلى مثل هذه الأمور، والأطم والأعظم تأخير الزواج بأعذار واهية، فتارة يقول الأب: ابنتي صغيرة، والله الذي لا إله إلا هو إن اللائي ضبطن في الخلوات، أعمارهن في سن الخامسة عشرة والسادسة عشرة، فأعمارهن لم تتجاوز العشرينات، أي صغيرة هذه؟!!والله لو تكلمت الصغيرة- وما ردها إلا الحياء- لقالت لأبيها: إن أمنيتي رجل صالح وبيت صغير، تأوي إلى ذلك الرجل، ويأوي إليها.اتصلت إحدى فتياتنا على أحد مشايخنا قائلة: انصحوا أبي، إنه يرد الخطاب عني، وأنا والله على خطر عظيم.تعتذر البيوت بصغر الفتيات، وتناسى هؤلاء أن أم المؤمنين عائشة تزوجت وهي ابنة تسع

سنوات.ومن الأعذار الواهية قولهم: نريدها أن تكمل تعليمها، أقول: وهل التعليم أهم من الزواج؟! ولسنا ضد التعليم أصلاً، وما المانع من أن تتزوج وتكمل تعليمها؟! أمهات الجيل الماضي لا يقرأن ولا يكتبن وخرجن أجيالاً من أحسن الأجيال، ما ضرهن والله أنهن لا يقرأن ولا يكتبن.تقول إحداهن: كنت صغيرة في السن حين تقدم لي الخطاب، فردهم أبي بقوله: أريدها أن تكمل تعليمها، فلما تخرجت قال: أريدها أن تحصل على الوظيفة، ولا زال الخطاب يتقدمون وهو يردهم عني، حتى بلغت الثلاثين وبدأ الخطاب يقلون عني، وهو يردهم بأوهى الأعذار، بل ربما يتقدمون وأنا لا أعلم عنهم حتى بلغت الأربعين من العمر، فجاءته الساعة التي لا بد أن تأتي لكل واحد منا، في ساعات الاحتضار يتذكر الإنسان ما قدم وما أخر، وفي تلك اللحظة تذكر الأب ذلك الظلم الذي أوقعه على تلك الفتاة، فأخذ يعتذر إليها في آخر اللحظات، قالت: والله لن أسامحك! والله لن أسامحك! صويحباتي أمهات وجدات وأنا بين الجدران الأربعة، والله لن أسامحك! مت غير مغفور لك، والله لن أدعو لك، ولن أستغفر لك، وإذا وقفت أنا وأنت أمام الله فسأخاطبك أمام الله: حرمتني حقاً من حقوقي.والله الذي لا إله إلا هو إني لأعرف بيتاً من بيوت المسلمين فيه سبع فتيات تجاوزت أعمارهن الثلاثين، ولا يزال الأب يرد الخطاب طمعاً وجشعاً وظلماً وعدواناً، تارة صغيرة، وتارة أريد منها أن تكمل التعليم، أي تعليم هذا؟! ثانياً: العصبية الجاهلية للأنساب:ومن أعظم الأسباب التي تفشت بين الناس اليوم بين حضر وبدو أن هذا لا يزوج فلاناً! وهذا لا يقبل فلاناً، إنها الجاهلية بأم عينها؛ لأن الميزان في الإسلام: **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ [الحجرات:١٣]** فالناس عند الله سواسية كأسنان المشط، لا تقدمهم أحسابهم ولا أنسابهم، وفي الحديث: (**ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**)(**مسلم ٢٦٩٩**).اسمع الطامة العظمى!اتصلت بي إحداهن وهي طالبة في الكلية في السنوات الأولى، فقالت: نحن في خطر، تكلموا عن الخطر الذي يهددنا، الإباحية في كل مكان، نريد أن نعف أنفسنا بالزواج، ادع لي يا شيخ، قلت: عسى الله أن ييسر الأمور.ثم اتصلت بي أخرى بعد حين باكية قائلة: تقدم لي حافظ للقرآن، حافظ لآيات الله وكلامه، ذو خلق وأدب عظيم، يشهد له القاصي والداني، فرده أبي قائلاً: أنا من قبيلة كذا وكذا فلا أزوج هذا، بل قال لي: اقطعي الأحلام، والله لأزوجنك من قاطع طريق وشارب خمر، ولا أزوجك هذا، وهو حافظ للقرآن! قال تعالى: **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ [المائدة:٥٠]**.إن الله وضع ميزاناً هو ميزان التقوى، وهو ميزان التفاضل بين الناس، الناس عند الله سواسية، فلماذا نرد فلاناً وفلاناً؟ ما الضابط للرجل حين يتقدم؟قال صلى الله عليه وسلم: (**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه**)(**الترمذي ١٠٨٤**)، يتقدم الشاب اليوم فلا يسأل

عن خلقه ولا يسأل عن دينه، وإنما يقال له: ابن من؟ وممن؟ وما هي وظيفتك؟ ووضعنا الدين آخر الدرجات ثم قال عليه الصلاة والسلام: (**إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**) والفساد واقع في كل مكان. ثالثاً: غلاء المهور:من الأسباب التي عطلت الزواج وجعلته عقبة في وجوه الشباب: غلاء المهور، تفرض آلاف مؤلفة ما أنزل الله بها من سلطان، من أين للشباب بثلاثين وأربعين وخمسين ألفاً ورواتبهم لا تتجاوز الألف والألفين؟! والفتن في كل مكان تطارد الفتيات والفتيان، ثم توضع هذه العقبات والعراقيل.ثم ما المقصد من الزواج أصلاً؟ أليس المقصد حفظ الفتاة والشاب، وإنشاء أسرة مسلمة؟! اليوم لا تنشأ الأسرة المسلمة إلا بملايين الريالات؛ لأن الرجال لا يديرون الأمور، فتخلوا عن المسئولية وأعطوها للنساء.في زواج مضى كانت حفلة الزواج فيه قد كلفت أكثر من عشرة ملايين ريال! ثم باء هذا الزواج بالفشل بعد شهر واحد، فمن أين للشباب مئات الآلاف من الريالات؟ يريد خمسين ألفاً للمهر، وخمسين لإعداد عشة الزواج، من أين لهم بمثل هذا؟! كثير من الشباب لا يبني حياته إلا على ديون لسنوات طوال، أما قال النبي صلى الله عليه وسلم كما **في** (**مسند أحمد ٢٥١٦٢**)**وغيره**: (**أبركهن أيسرهن مئونة**).وهل فتياتنا وبناتنا أحسن من أمهات المؤمنين؟! حين سئلت عائشة رضي الله عنها عن صداقه صلى الله عليه وسلم لنسائه -كما **عند** (**مسلم ١٤٢٦**)**وغيره- فقالت**: (**ما زوج النبي صلى الله عليه وسلم بناته ولا أصدق نساءه بأكثر من ثنتي عشرة أوقية ونشاً، قالت: أتدري ما النش؟ نصف أوقية، فذلك خمسمائة درهم**) خمسمائة درهم لأمهات المؤمنين، وهن أطهر النساء وأعفهن، وأكرمهن عند الله جل في علاه، ولبناتنا نطالب بثلاثين وأربعين وخمسين ألفاً، من أين يأتي الشباب بمثل هذا؟أيسرقون أم يلجئون إلى الزنا؟ نحن الذين دفعناهم إلى هذا، كم من شاب التزم وأراد تحصين فرجه فإذا بالأبواب مغلقة أمامه! وكان ذلك سبباً في انتكاسته، الكل يتحمل المسئولية؛ لأن الحلال في المجتمع بمئات الآلاف من الريالات، والحرام بأيسر الأموال!وجدت حالة إيدز اكتشفت في المنطقة الغربية لطالب في المرحلة المتوسطة، وبعد التتبع عثر على وكر من أوكار المتخلفين من الحج يقدم الزنا بعشرة ريالات، الحرام بعشرة ريالات في حين أن الحلال بمئات الآلاف من الريالات.اتقوا الله عباد الله! فما أنزل الله بهذا من سلطان.أحد الشباب يروي قصة زواجه، فيقول: حين عزمت على الزواج اخترت بيتاً صالحاً أعرفه -وهذا هو الأصل؛ لحديث: (**تخيروا لنطفكم**؛(**ابن ماجة ١٩٦٨**) **فإن العرق دساس**)(**شعب الايمان ٦٣٨**)، أي: ابحثوا عن الصلاح لا الحسب والنسب، فالضابط هو صلاح الرجل والمرأة- قال: فذهبت إلى أبيها في المسجد، وصليت بجانبه، فلما انتهى من صلاته فاتحته بالموضوع على تردد، هو يعرفني، قال: أنت ممن نرضى دينه

وخلقه، جئنا بأهلك حتى نتعرف عليهم، جئته بعد أيام بأهلي، تعارف الأهل، وحصلت بينهم مودة وألفة، قال لي الأب: الأسبوع القادم إن شاء الله تأتي ومعك الشهود نعقد لك على فلانة، أردت أن يبين لي كم المهر؟ وما هي الشروط والضوابط؟ فلم يتكلم قال: الموعد الأسبوع القادم.يقول الشاب: كنت على الوظيفة منذ عشر سنوات، جمعت مبلغ عشرين ألف ريال -وهذا إنجاز في ظل هذه الظروف التي نمر بها الآن، أي: أن يجمع إنسان مبلغ عشرين ألف ريال- قلت: عشرين ألف أستحي أن أعطيه إياها؛ لأن السائد تنافس الناس على المظاهر والإسراف والتبذير، حتى أصبحنا إخواناً للشياطين الذين من أصلهم الإسراف والتبذير، كما قال تعالى: **وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ [الإسراء:٢٦-٢٧]** فاقترضت عشريناً أخرى حتى أصبح المبلغ أربعين ألف ريال.وقلت: الأربعون لا تكفي اليوم! فذهبت في اليوم المحدد وجاء الشيخ بعقد النكاح، وبدأت الدقائق تمر علي وأنا في حرج شديد، حتى حانت تلك الساعة التي قال فيها الشيخ: كم المهر؟ فسكت، فرددها علي، قلت: أربعين ألفاً، قال الأب: لا، فسقط قلبي بين يدي، قال الأب: خمسة آلاف تكفيها، واستعن بالباقي أنت وإياها على قضاء حوائجكما، فقمت فقبلت رأسه، وحق لمثل هذا أن يقبل رأسه، ومثله قليل.أعينوا الشباب وساعدوهم واحفظوا الفتيات والمجتمع، فالزنا في كل مكان، أولاد السفاح في كل مكان، على أبواب المساجد .. في المزابل والقمامات! اتقوا الله عباد الله! يسروا ولا تعسروا، اللهم من يسر على الشباب فيسر عليه، ومن عسر عليهم فرده إلى الحق يا رب العالمين!اللهم احفظ بيوتنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه.اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه. أما بعد:عباد الله! أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله عباد الله، ومن تقوى الله تيسير المهور، وتيسير أمر الشباب والفتيات، المقصد من الزواج بناء أسرة مسلمة نحفظ بها هذه المجتمعات من الوقوع في الفاحشة والرذيلة، ثبت في الصحيحين: أن النبي صلى الله عليه وسلم زوج رجلاً فقيراً بما عنده من القرآن، فمن يسن هذه السنة الحسنة اليوم فينا الآن؟! أين من يزوج الصالح؟ أين من يبحث لابنته عن ذلك الشاب التقي النقي، فيعطيها ويسلمها إليه؟ذكر في السير: أن مجلس سعيد بن المسيب يحضره عشرات، بل مئات من الشباب الصالحين، فانقطع شاب من الشباب عن الحضور يوماً، فلما حضر بعد أيام سأله سعيد : أين كنت يا أبا وداعة ؟ قال: ماتت زوجتي، وانشغلت بدفنها وعزائها، فقال سعيد رحمه الله: هلا أخبرتنا حتى نعزيك ونواسيك؟! ثم قال له: هل نويت بأمر بعدها؟ أي: هل

عزمت على زواج بعدها؟ قلت: ومن يزوجني، وأنا لا أملك إلا ثلاثة دراهم؟ قال سعيد : سبحان الله! ثلاثة دراهم لا تعف مسلماً، قلت: ومن يزوجني؟ قال: أنا، قلت: ابنة سعيد بن المسيب التي يخطبها الأمراء والوزراء ويردهم عنها، تدري لماذا؟ لأنه يريد لها صاحب الدين والخلق، ما نظر إلى الجاه ولا للحسب والنسب، يريد أن يعطي تلك الأمانة التي استرعاه الله إياها إلى يد أمينة، قال: أنا أزوجك، قلت: ابنة سعيد بن المسيب التي يخطبها الأمراء والوزراء فيردهم، قال: أنا أزوجك، فدعا من كان في ناحية المسجد، ثم قال: الحمد لله، وأثنى على الله، ثم قال: زوجنا فلاناً على فلانة بدرهمين، تم العقد، يقول: طرت من الفرح، ابنة سعيد ! ذهبت إلى داري وأنا أطير من شدة الفرح، دخلت وكان الوقت ساعة مغيب الشمس، كنت صائماً، أخرجت خلاً وخبزاً أريد الإفطار، فإذا بطارق يطرق الباب، قلت: من؟ قال: سعيد، فجاء على بالي كل سعيد إلا سعيد بن المسيب –فما رئي منذ أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، ما فاتته تكبيرة الإحرام أربعين سنة– فتحت الباب فإذا بسعيد بن المسيب قلت: لقد رجع في كلامه، قلت: لماذا أتيت كان حري بك أن تستدعيني وأنا آتيك؟! قال: مثلك يؤتى إليه، أنت إنسان زوجناك وخفت أن تبيت الليلة عزباً، ويحاسبني الله على عزوبيتك، فإذا بسواد من خلفه دفعها داخل الباب سقطت من حيائها، ثم قال: بارك الله لك وبارك عليك، هذه زوجك، أسأل الله أن يوفق ويصلح بينكما، ثم ذهب في طريقه، يقول: فنظرت إليها فإذا هي من أجمل النساء، والله ما رأت عيني أجمل منها، فصعدت إلى سطح المنزل، ناديت جيراني، قلت لهم: سعيد بن المسيب زوجني من ابنته، وقد أتى بها هذه الليلة، انزلوا عندها، وقال: سأذهب لأخبر أمي بالخبر، فذهبت إليها فقالت لي: وجهي من وجهك حرام، والله لا تقربنها إلا بعد ثلاثة أيام، حتى أزينها كما تزين العروس، وبعد ثلاثة أيام أدخلت عليها، والله ما رأت عيني أجمل منها، إن تكلمت أحسنت الكلام، وإن سكتت على أجمل مقام، مكثت معها شهراً كاملاً لم أر منها إلا صياماً وقياماً، وبعد شهر أردت الذهاب إلى مجلس سعيد ، فقالت: إلى أين تذهب؟ قلت: إلى مجلس سعيد لطلب العلم، قالت: اجلس فإن علم سعيد كله عندي، ذهبت إلى مجلس سعيد بعد شهر، فلما رآني تبسم ولم يكلمني حتى انفض الجمع من المجلس، فلما انفض جئته وجلست بين يديه، فقال: كيف ضيفكم؟ قلت: على أحسن حال، قال: إن رأيت ما لا يعجبك فالعصا، ثم أعطاني عشرين ألف دينار، وقال: استعن أنت وإياها على قضاء حوائجكما.أين لنا بمثل سعيد اليوم؟! أين لنا بمثل هؤلاء؟! الزنا في كل مكان، والشاشات والقنوات عاثت فساداً في الأخلاق والأعراض، أعراضنا تنتهك، شبابنا لا يجدون ما يسد حاجتهم، وفتياتنا في الأسواق كاسيات عاريات، ونحن نقول: عشرات الآلاف من الريالات!اتقوا الله عباد الله!يسروا أمور الزواج، احفظوا المجتمع من الفواحش والمنكرات، ولن يكون هذا إلا إذا سرنا على

المنهج الرباني والنبوي الصحيح، فما زوج بناته ولا تزوج أمهات المؤمنين بأكثر من خمسمائة درهم عليه الصلاة والسلام، فلماذا مثل هذا عباد الله؟!اللهم يسر للشباب وحصن فروجهم، واحفظ الفتيات وحصن فروجهن يا رب العالمين!اللهم من يسر على معسر فيسر عليه، ومن عسر عليه فرده إلى الحق يا رب العالمين!اللهم احفظ مجتمعاتنا من الفتن والفواحش والمنكرات ما ظهر منها وما بطن يا رب الأرض والسماوات!اللهم طهر بيوتنا من الشاشات والقنوات، اللهم احفظ نساءنا وأطفالنا!اللهم وسع على شباب المسلمين يا رب العالمين!اللهم حصن فروجهم، وغض أبصارهم، وثبتهم على الطاعة يا رب العالمين! اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين!اللهم ول علينا خيارنا، واكفنا شرارنا، اجمع شملنا، ووحد صفنا، وأصلح ولاة أمورنا، وانصرنا يا قوي يا عزيز على القوم الكافرين!اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمتك، اللهم فك أسرهم، وارفع الحصار عنهم يا رب العالمين!اللهم أمدهم بمدد من عندك، وجند من جندك يا حي يا قيوم!انصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، قو عزائمهم، واربط على قلوبهم، وثبت أقدامهم.اللهم من أرادنا وبلادنا وبلاد المسلمين بسوء فأشغله بنفسه، واجعل تدبيره في تدميره، وكيده في نحره يا رب العالمين!اللهم عليك باليهود والنصارى المعتدين الظالمين، وعلى أعداء الملة ندرأ بك في نحورهم ونعوذ بك اللهم من شرورهم.عباد الله! **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل:٩٠]** فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم.

***

ذنوبنا تفجرنا

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**.**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.عباد الله! في مثل هذه الظروف الخطيرة، والأحداث المتلاحقة التي تمر بها بلادنا وبلاد المسلمين، نحتاج إلى وقفة صادقة مع أنفسنا ومع الآخرين.لا بد من عودة ودعوة؛ فنحن لا نحتاج إلى أن نقول: إن هذه الأفعال التي تحدث من تفجيرات ومواجهات أخطاء، فكلنا يعلم ذلك، ولا يقر ولا يرضى بذلك عاقل من العقلاء.إن في مثل هذه الظروف نحتاج إلى كلام طبيب يرى الأعراض ويصف الدواء، ومن له الحق أن يتكلم في مثل هذه الظروف والأحوال، هل عامة الناس، أم العلماء؟قال الله: **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ [النحل:٤٣]**، إن مسألة الأمن من أخطر المسائل التي تمس الأمة، لأنها تمس الجميع، لذا كان لا بد من الرجوع إلى العلماء الربانيين في مثل هذه الأمور الخطيرة، قال الله: **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا [النساء:٨٣]**.ومن أنا حتى أقول لكم: رأيي كذا وكذا؟لذا قد اخترت لكم كلاماً نفيساً بديعاً لعالم رباني جليل ودَّع الأمة بعد أن ترك فيها أثراً سيستمر إلى يوم الدين، إنه محمد بن عثيمين عالم الأمة الرباني، العالم بأحوالها وأمراضها ودوائها، فهيَّا نستمع معاً لكلام العالم الرباني الجليل، والطبيب المتخصص، والعالم بالمرض والعلاج، قال رحمه الله:لقد قال الله عز وجل مبيناً تمام قدرته وكمال حكمته وأن الأمر أمره، وأنه المدبر لعباده كيف يشاء من أمن وخوف ورخاء وشدة، وسعة وضيق، وقلة وكثرة، **قال الله: يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [الرحمن:٢٩]** فلله تعالى في خلقه شئون، يمضي حكمه فيه

على ما تقتضيه حكمته وفضله أحياناً، وعلى ما تقتضيه حكمته وعدله أحياناً أخرى، ولا يظلم ربك أحداً: **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ [الزخرف:٧٦]**.أيها المسلمون! إننا نؤمن بالله وقدره، إن الإيمان بقدر الله هو أحد أركان الإيمان، إننا نؤمن أن ما يصيبنا من خير ورخاء فهو من نعمة الله علينا فيجب علينا أن نشكر مسديها ومواليها بالرجوع إلى طاعته، وباجتناب ما نهى عنه، وفعل ما أمر به، إننا إذا قمنا بطاعة الله ونحن شاكرون لنعمه حينئذٍ نستحق ما وعدنا الله وتفضل به علينا من مزيد هذه النعمة، يقول الله عز وجل: **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ [النحل:٥٣]**، **ويقول تعالى: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ [إبراهيم:٧]**.ثم واصل كلامه رحمه الله قائلاً: إننا في هذه المملكة نعيش –ولله الحمد– في أمن ورخاء، ولكن هذا الأمن والرخاء لن يدوم أبداً حتى نقوم بطاعة الله عز وجل، وحتى نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وحتى نعين من يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؛ لأن هؤلاء الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر هم واجهة الأمة، هم الذين يذبون عنها أسباب العقاب والعذاب؛ فعلينا أن نناصرهم، وعلينا أن نكون في صفهم، وعلينا إذا أخطئوا أن نعرف الخطأ وأن نحذرهم منه، وأن نرشدهم إلى ما فيه الهداية، لا أن نجعل ما أخطئوا فيه سبباً لإزالتهم وإبعادهم عن هذا المنصب، إن هذا الدرب ليس بجيد.وقال: إنما أصاب الناس من ضر وضيق مالي أو من ضر وضيق أمني –فردياً كان أو جماعياً– فبسبب معاصيهم وإهمالهم لأوامر الله عز وجل، ونسيانهم شريعة الله، والتماسهم الحكم بين الناس من غير شريعة الله الذي خلق الخلق وكان أرحم بهم من أمهاتهم وآبائهم، وكان أعلم بمصالحهم من أنفسهم، يقول الله عز وجل مبيناً ذلك في كتابه حتى نحذر وحتى نتبين، قال سبحانه: **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ [الشورى:٣٠]**، **ويقول تعالى: مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ [النساء:٧٩]** وما أصابنا من حسنة من الخيرات والنعم والأمن فإنه من الله، وهو الذي تفضل به أولاً وآخراً، وهو الذي تفضل علينا فقمنا بأسبابه، وهو الذي تفضل علينا فأسبغ علينا نعماءه.وأما ما أصابنا من سيئات من قحط وخوف وغير ذلك مما يسوءنا فإن ذلك من أنفسنا، ونحن أسبابه، ونحن الذين ظلمنا أنفسنا وأوقعناها في الهلاك.أيها الناس! إن كثيراً من الناس اليوم يعزون المصائب التي يصابون بها سواء كانت المصائب مالية، اقتصادية، أمنية، سياسية، يعزون هذه المصائب إلى أسباب مادية بحتة، أو إلى أسباب سياسية، أو أسباب مالية، أو أسباب حدودية، ولا شك أن هذا من قصور أفهامهم، وضعف إيمانهم، وغفلتهم عن تدبر كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.أيها المسلمون المؤمنون بالله ورسوله! الراضون بدين الله شرعاً ومنهاجاً! إن وراء هذه الأسباب

أسباب شرعية لهذه المصائب أقوى وأعظم وأشد تأثيراً من الأسباب المادية، لكن قد تكون الأسباب المادية وسيلة لما تقتضيه الأسباب الشرعية من المصائب والعقوبات، قال عز وجل: **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [الروم:٤١]**. أيها الناس! أيها المسلمون! يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم، اشكروا نعمة الله عليكم بما أنعم به عليكم من هذه النعمة التي ستسمعونها يا أمة محمد! يا أفضل الأمم وأكرمها على الله عز وجل! إن الله لم يجعل عقوبة هذه الأمة على معاصيها وذنوبها كعقوبة الأمم السابقة بالهلاك العام المدمر كما حصل لعاد حين أهلكوا بالريح العاتية: **سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ [الحاقة:٧-٨]**.**ولم يجعلها كعقوبة ثمود الذين أخذتهم الصيحة والرجفة فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ [هود:٦٧]**.ولم تكن كعقوبة قوم لوط الذين أرسل الله عليهم حاصباً من السماء، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها.أيها المسلمون! إن الله بحكمته ورحمته بهذه الأمة جعل عقوبتهم على ذنوبهم ومعاصيهم أن يسلط بعضهم على بعض، فيهلك بعضهم بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً، قال الله عز وجل: **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ * وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ [الأنعام:٦٥-٦٦]**.وقد أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره أحاديث عديدة تتعلق بالآية الأولى، منها ما أخرجه (البخاري ٤٦٢٨)عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (**لما نزلت هذه الآية: قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ [الأنعام:٦٥]، قال النبي صلى الله عليه وسلم: أعوذ بوجهك الكريم! أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ [الأنعام:٦٥]، قال النبي صلى الله عليه وسلم: أعوذ بوجهك الكريم! أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ [الأنعام:٦٥] قال النبي صلى الله عليه وسلم: هذه أهون وأيسر**).**وما أخرجه** (**مسلم٢٨٩٠**) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (**أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررنا على مسجد بني معاوية، فدخل صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين فصلينا معه، فناجى ربه عز وجل طويلاً، ثم قال: سألت ربي ثلاثا: سألته ألَّا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالسنة -أي: بالجدب كما حصل لآل فرعون- فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**).وهذا هو واقعنا اليوم، يوم أن تركنا الجهاد وانشغلنا ببعضنا البعض فأصبح بأسنا بيننا شديد.**وعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: وافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة**

صلاها كلها، حتى كان مع الفجر فسلم صلى الله عليه وسلم من صلاته، فقلت: يا رسول الله! لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت مثلها! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجل إنها صلاة رغب ورهب، وقد سألت ربي عز وجل فيها ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي عز وجل ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فأعطانيها، وسألت ربي عز وجل ألا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيها (**النسائي ١٦٣٨**)–وانظر بارك الله فيك فإن الأمة تقاوم الأعداء الخارجيين بكل قوة، فهذه الفلوجة على ما فيها من الضعف تقاوم الأعداء بكل قوة وشراسة لكن بأسنا بيننا شديد – **وسألت ربي عز وجل ألا يلبسنا شيعاً ويذيق بعضنا بأس بعض فمنعنيها**).قال شيخنا رحمه الله: أيها المسلمون! إنكم تؤمنون بهذه الآيات، وتؤمنون بالأحاديث التي صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلماذا لا تفكرون فيها؟ ولماذا لا تعزون هذه المصائب التي تحصل إلى تقصير في دينكم حتى ترجعوا إلى ربكم، وتنقذوا أنفسكم من أسباب الهلاك المدمرة؟!فاتقوا الله عباد الله، وانظروا في أمركم، وتوبوا إلى ربكم، وصححوا إليه مسيرتكم، واعلموا أن هذه العقوبات التي تنزل بكم –أيها الأمة– وهذه الفتن التي تحل بكم إنما هي من أنفسكم وبذنوبكم، فأحدثوا لكل عقوبة توبة ورجوعاً إلى الله، واستعيذوا بالله من الفتن المادية التي تكون في النفوس بالقتل والجرح والتشريد، وفي الأموال بالنقص والدمار، والفتن الدينية والتي تكون في القلوب بالشبهات والشهوات التي تصد الأمة عن دين الله، وتبعدها عن نهج سلفها، وتعصف بها إلى الهاوية.فإن فتن القلوب أعظم وأشد وأسوأ عاقبة من فتن الدنيا؛ لأن فتن الدنيا إذا وقعت لم يكن فيها خسارة إلا خسارة الدنيا، والدنيا سوف تزول عاجلاً أو آجلاً، أما فتن الدين فإن بها خسارة الدنيا والآخرة، قال سبحانه: **قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ [الزمر:١٥]**.**ال**لهم إنا نسألك ونحن في انتظار فريضة من فرائضك أن تجعلنا من المعتبرين بآياتك، المتعظين عند نزول عقوباتك. اللهم اجعلنا من المؤمنين حقاً الذين يعزون ما أصابهم من المصائب إلى أسبابه الحقيقية الشرعية التي بينتها في كتابك، وعلى لسان رسولك محمد صلى الله عليه وسلم.اللهم ارزق الأمة الإسلامية وولاتها رجوعاً إليك، رجوعاً حقيقياً في الظاهر والباطن، في القول والفعل حتى تصلح الأمة؛ لأن صلاح الولاة صلاح للأمة.اللهم إنا نسألك أن تصلح ولاة أمور المسلمين، وأن ترزقهم الاعتبار بما وقع، وأن توفقهم لما تحب وترضى يا رب العالمين.اللهم إنا نسألك أن تبعد عنهم كل بطانة سوء إنك على كل شيء قدير، اللهم أبدلهم ببطانة خيِّرة تدلهم على الخير وتأمرهم به، وتحثهم عليه يا رب العالمين.اللهم اجعلهم سلماً لأوليائك حرباً على أعدائك يا رب العالمين.اللهم من كان من بطانة

ولاة أمور المسلمين ليس ناصحاً لهم ولا لرعيتهم فأبعده عنهم، وأبدلهم خيراً منه يا رب العالمين يا ذا الجلال والإكرام.أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الحمد في الآخرة والأولى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى وخليله المجتبى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن بهداهم اهتدى وسلم تسليما كثيراً.أما بعد: أواصل معكم حديث الشيخ رحمه الله حيث قال: يا عباد! اتقوا الله عز وجل وإياكم والغفلة عن شريعة الله! إياكم والغفلة عن آيات الله! إياكم والغفلة عن تدبر كتاب الله! إياكم والغفلة عن معرفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم! فإن في كتاب الله وسنة رسول الله سعادتكم في الدنيا والآخرة إن التزمتم بهما تصديقاً للأخبار وامتثالاً للأوامر.عباد الله! إن من الناس من يشكون ويشككون في كون المعاصي سبباً للمصائب، وذلك لضعف إيمانهم وقلة تدبرهم لكتاب الله عز وجل، وإني أتلو على هذا وأمثاله قول الله عز وجل: **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ [الأعراف:٩٦-٩٩]**.قال بعض السلف: إذا رأيت الله ينعم على شخص ورأيت هذا الشخص متمادياً في معصيته فاعلم أن هذا من مكر الله به، وأنه داخل في قوله تعالى: (**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ [الأعراف:١٨٢-١٨٣]**.أيها المسلمون! يا عباد الله، والله إن المعاصي لتؤثر في أمن البلاد، وتؤثر في رخائها واقتصادها، وتؤثر في قلوب الشعوب، إن المعاصي لتوجب نفور الناس بعضهم عن بعض، إن المعاصي لتوجب أن يرى كل مسلم أخاه المسلم وكأنه على ملة أخرى غير ملة الإسلام، ولكن إذا كنا مصلحين لأنفسنا ولأهلنا ولجيراننا ولأهل حارتنا ولكل من نستطيع إصلاحه، وكنا نأتمر بالمعروف ونتناهى عن المنكر، ونؤازر من يقوم بذلك بالحكمة والموعظة الحسنة فإنه بذلك يكون الاجتماع والائتلاف، يقول الله عز وجل: **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ [آل عمران:١٠٤-١٠٥]**.واسمع بارك الله فيك، اسمع كلام الرحمن! **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [آل عمران:١٠٥]** إني أدعو نفسي وإياكم -يقول شيخنا رحمه الله ولم يشهد هذه

المصائب العظام- إني أدعو نفسي وإياكم -أيها الإخوة- إلى أن نتآلف في دين الله عز وجل، وأن نتكاتف على إقامة شريعة الله، وأن ينصح بعضنا بعضاً بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نجادل من يحتاج إلى المجادلة بالتي هي أحسن بالأسلوب والإقناع بالحجج الشرعية العقلية، وألا ندع أهل الباطل في باطلهم؛ لأن لهم حقاً علينا، وهو: أن نبين لهم الحق ونرغبهم فيه، وأن نبين لهم الباطل ونحذرهم منه.أما أن نكون أمة متفرقة لا يلوي بعضنا على بعض، ولا يهتم بعضنا ببعض؛ فإن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.أيها المسلمون! إنني أكرر وأقول: إنه يجب علينا -ونحن ولله الحمد مسلمون مؤمنون- أن ننظر إلى الأحداث والمصائب نظرة شرعية مقرونة بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ لأننا لو نظرنا إليها نظرة مادية لكان غيرنا من الكفار أقوى منا من الناحية المادية وأعظم منا، وبها يتسلطون علينا ويستعبدوننا.ولكننا إذا نظرنا إليها نظرة شرعية من زاوية الكتاب والسنة فإننا سوف نرجع عما كان سبباً لهذه المصائب، ونحن إذا رجعنا إلى الله، ونصرنا دين الله عز وجل، فإن الله يقول في كتابه وهو أصدق القائلين وأقدر الفاعلين: **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ [الحج:٤٠-٤١]**. لم يقل: الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا مسارح الفسق واللهو والمجون، ولكنه قال: **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ [الحج:٤١]**.وتأمل يا أخي المسلم، كيف قال الله عز وجل: **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ [الحج:٤٠]** أكد هذا النصر بمؤكدات لفظية وهي القسم المقدر، واللام التي تدل على التوكيد، ونون التوكيد، وأكد ذلك بمؤكدات معنوية، وهي قوله: **إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ [الحج:٤٠]** فبقوته وعزته ينصر من ينصره.وتأمل كيف ختم الآيتين بقوله: **وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ [الحج:٤١]** فإن الإنسان قد يقول بفكره الخاطئ: كيف ننتصر على هذه الأمم الكافرة وهي أقوى منا وأعتى منا؟ فبيَّن الله تعالى أن الأمر إلى الله وحده وأنه على كل شيء قدير.ولا يخفى علينا جميعاً ما تحدثه الزلازل التي تكون بأمر الله عز وجل بأن يقول للشيء كن فيكون، فيحدث من الدمار العظيم الشامل في لحظة واحدة ما لا تحدثه قوى هذه الأمم مجتمعة، يحدث في لحظات رب الأرض والسماوات من الدمار العظيم الشامل ما لا تحدثه قوى هذه الأمة إذا كانت مجتمعة.والله لو نصرنا الله حق النصر لانتصرنا على كل عدو لنا في الأرض، لكن مع الأسف أن كثيراً منا كانوا أذيالاً لأعداء الله وأعداء رسوله، ينظرون ماذا يفعلون من المحادة لله ورسوله فيتبعونهم على ذلك، وربما يذهبون إلى بلادهم فيلقون بأفلاذ أكبادهم من الأولاد بنين وبنات، ومن أهل تلك الديار التي لا

تسمع فيها إلا النواقيس، لا تسمع فيها أذاناً، لا تسمع فيها ذكراً لله عز وجل، لا ترى فيها إلا مسارح اللهو والمجون، فنسأل الله تعالى أن يرد ضال هذه الأمة إليه رداً جميلاً.انتهى كلامه رحمه الله، قلت: إلى الله المشتكى! كيف لو نظر ابن عثيمين في ما أصابنا من الدمار والفرقة والشقاق! كيف لو رأى ابن عثيمين ما صنعت بنا أكاديميات استار! عباد الله! كم يشتكي الناس اليوم من الهموم والغموم، وقلة البركة والتوفيق في كثير من الأمور، أما وعدنا الله أن لو حققنا تقواه أن ينزل علينا بركات السماوات والأرض؟! أما وعدنا إن نحن خالفناه أن ينزل علينا العقوبات؟ عباد الله! إلى متى الرقاد والنوم؟! إلى متى تستمر غفلتنا ويستمر لهونا وسط الألم الذي نعانيه؟! إلى متى يستمر ابتعادنا عن طريق عزنا ونصرنا؟! إلى متى ونحن نرى المعاصي ظاهرة في كل مكان: في المنازل.. في الأسواق.. في الجرائد.. في المجلات.. في الشاشات.. في المؤسسات.. في المعاملات.. بل قل: في كل جوانب حياتنا؟! حرب على الله! فكيف ننتصر إن كنا نحن الذين نحارب الله! وكيف سينصرنا الله ومعاصينا ظاهرة بارزة في كل مكان! ألم ندرك بعد ونتيقن أن ذلك هو سبب ذلنا وضعفنا وهواننا؟! إلى متى عباد الله ونحن نبارز جبار السماوات والأرضين بالمعاصي؟! أما نخاف، أما نخشى؟! هل تناسينا وعده ووعيده وعقابه؟! قال تعالى: **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ [هود:١٠٢]** .. **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا [الإسراء:١٦]**.أما آن أن نصحو من غفلتنا، أم أننا لن نصحو إلا عندما تأتي علينا الطامات والعقوبات التي بدأنا نرى نذرها تلوح في السماء، ونكون وقتها استحققناها بإعراضنا وقسوة قلوبنا! قال الله: **فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ [الأنعام:٤٣-٤٤]**.ما الذي أهلك القرى والأمم السابقة؟ أليست الذنوب والمعاصي! **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [العنكبوت:٤٠]**.

وأخيراً: أهمس لأولئك الذين يستهينون بالمنكرات والأوامر الشرعية صغيرة كانت أو كبيرة، وسط هذا الوسط المؤلم الخطير الذي تعيشه بلادنا وأمتنا أن ينتبهوا إلى أن معاصيهم ومنكراتهم لا تعود بالضرر عليهم فقط، بل يعود على الأمة بأكملها، فهم من أسباب الانهزام والتآكل والضعف، ومن المؤلم أنه على رغم الأحداث الأخيرة الخطيرة التي مرت بنا، فإن الكثير من المسلمين أفراداً ومجتمعات لا زالوا مصرين على

الذنوب والابتعاد عن منهج الله، بل بعضهم يجاهر بمعاصيه في كل مكان.والله إن هذه خيانة لله ولرسوله، والله إنها خيانة لله ولرسوله، قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنفال:٢٧]**.إن كل عاصٍ متخلف عن أوامر الله هو من أسباب ضعف الأمة، وكل مطيع سائر على الصراط المستقيم هو من أسباب نصرها.من صلى الفجر اليوم في جماعة فهو من أنصار هذا الدين، فأسألك بالله العظيم هل كنت في صفوف الذين صلوا ودعوا وتضرعوا، أم كنت في صفوف المتخلفين؟!وهل كنت سبباً من أسباب قوة الأمة اليوم، أم من أسباب ضعفها؟!قال تعالى: **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ [الزخرف:٧٦]**.إن الله لا يجامل أحداً، ولا يحابي أحداً، فليس بيننا وبين الله إلا هذا الدين، إن قمنا به ونصرناه فلقد وعدنا بالنصر والتمكين، قال تعالى: **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا [النور:٥٥]**.فاتقوا الله عباد الله! فإنه ليس هناك عاقل يرضى بما يحدث في بلادنا وفي بلاد المسلمين، لكن قبل أن نُخطِّئ بعضنا البعض لا بد أن نراجع الحسابات، ولا بد على الراعي والرعية أن يتكاتفوا فيما بينهم لإنقاذ السفينة من الغرق، ولا بد على الراعي والرعية أن يتناصحوا فيما بينهم لإنقاذ السفينة من الغرق.اللهم من أرادنا وبلادنا وبلاد المسلمين بسوء فأشغله بنفسه، واجعل تدبيره في تدميره، وكيده في نحره يا رب العالمين.اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين.اللهم طهر بلادنا وبلاد المسلمين من الفواحش والمنكرات ما ظهر منها وما بطن يا رب الأرض والسماوات.اللهم امنن علينا بتوبة نصوح يا رب العالمين، واغفر ذنب المذنبين، واقبل توبة التائبين، وردنا إليك رداً جميلا يا رب العالمين.اللهم اجمع كلمة المسلمين على الحق يا رب العالمين، اللهم من حاد منهم عن الصواب فرده إلى الحق والصراط المستقيم يا رب العالمين، اللهم اجمع كلمة المسلمين على الحق يا جبار السماوات والأرضين.اللهم انصر المجاهدين في سبيلك والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، اللهم أيدهم بتأييدك يا حي يا قيوم. اللهم ادفع عنا الغلاء والوباء والربا، وقنا الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن.اللهم اجمع كلمة حكام المسلمين على الحق يا رب العالمين، وأصلح الراعي والرعية يا رحمان السماوات والأرضين.اللهم اكبت عدوك وعدونا من اليهود والنصارى الذين يمكرون بنا مكر الليل والنهار، ندرأ بك اللهم في نحورهم، ونعوذ بك اللهم من شرورهم، اللهم اجمع قلوبنا على الحق يا حي يا قيوم.عباد الله! **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ**

تَذَكَّرُونَ [النحل:٩٠]، فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ [العنكبوت:٤٥].

***

رفقاً بالقوارير

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**.**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**.**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد:سأل مسلم أحد المجوس: أي امرأة أنكح؟ فقال: ديننا ودين اليهود والنصارى كل له مواصفات في الزوجة، قال: في الجاهلية كانت تنكح للنسب، وعند النصارى تنكح للجمال، وعند اليهود تنكح للمال، ونبيكم ينكح للدين، فاختر أنت، فهذا هو الضابط للمرأة، أن تكون صاحبة خلق ودين.ونفس الشيء للرجل: (**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**)(**ابن ماجة ١٩٦٧**).إذا وضعت المرأة في يد الرجل الصالح الأمين، إن أحبها أكرمها، وإن لم يحبها لم يهنها، إما سيمسكها بمعروف، أو سيفارقها بإحسان اليوم تحصل إهانات في البيوت وأحوال لا يعلم بها إلا الله، وقد اتصلت بي أحد النساء تقول: يريدون أن يزوجوني من ولد عمي، قلت: هذا أمر طيب وخير وبركة، قالت: لكنه لا يصلي، وأعرف تماماً أنه لا يركع ولا يسجد.هل يجوز أن نزوج مثل هذا يا إخوان؟! حتى لو كان ولد عمها، أو ولد خالها، أو قريباً من أقاربها، لا يجوز. لماذا نقدم العادات والتقاليد القبلية البائدة على أوامر الدين؟ هذا هو سبب التأخر والمشاكل التي تحدث في البيوت الآن، فقلت لها: الجئي إلى وليك بعد الله، قالت: لجأت له بعد الله، ولكن للأسف! قال لها: إن شاء الله هدايته تكون على يديك. تقول: قلت له: وما يدريك لعل انحرافي يكون على يديه هو؟ فأنا أحتاج إلى من يعينني لا أن أعينه.سبحان الله! البيوت -في بعض الأحيان- إذا لم توضع لها هدفاً منذ بُنيت والله لن تستمر الحياة الزوجية، وإن استمرت فستستمر وفيها أخطاء وملابسات، وفيها أشياء لا يعلم بها إلا الله، إن لم تقم هذه البيوت على قوله تعالى: **قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ**

وَالْحِجَارَةُ [التحريم:٦]، ويضع أصحاب البيوت هذا الهدف نصب أعينهم، ويسعون من أجل تحقيق هذا الهدف، وإلا والله كل البيوت ستتلاعب بها الشياطين صباح مساء.كتبت إلي إحداهن تقول: تزوجنا منذ سنتين، وكنا في حال لا يعلم بها إلا الله، وكنا لا نصلي إلا نادراً (الزوج والزوجة)، وأصوات الأغاني دائماً تتردد على مسامعنا؛ فبفضل الله وبرحمته اهتدى زوجي إلى طريق الحق والصواب والثبات، وتغيرت أحوالنا تماماً، فاستبدلنا أشرطة الأغاني بأشرطة الحديث والقرآن، وحافظنا على الصلوات والصيام، ولم يكن يقف أمامنا عائقٌ إلا الدش، قاتل الله هذه الأطباق!تقول: اقترحت على زوجي أن يحذف جميع القنوات ويبقي لنا بعض القنوات التي تبث البرامج الدينية، ولكن هذه ليست وسيلة للتخلص، فالقنوات لا تزال موجودة، وكل ما عليك: أن تغير الرقم السري وتفتح التشفير مرة أخرى، فأنت لم تتخلص منها، والشيطان لا يزال يوسوس لك، ويقول لك: غير وافتح وبدل، لكن التخلص من المعصية أن تتخلص منها تماماً وألاَّ تبقي لها أثراً أمامك.تقول: اقترحت عليه أن يحذف جميع القنوات، ويبقي لنا بعض القنوات التي تبث بعض البرامج الدينية، وانتقلنا إلى بيت ثانٍ بحكم أن البيت الأول لم يكن قريباً من المسجد. ويوم أن جاءت الهداية وجاءت الاستقامة تغيرت الأحوال، يريدون بيتاً بجوار المسجد وغيروا القنوات، هكذا يصنع الإيمان! لكن حتى الإيمان إذا لم نحفظه فإنه يذهب، الإيمان تارة يرتفع إذا حافظنا على الطاعات، وإذا ارتكبنا المعاصي والمنكرات انخفض، فليس من الصعب أن تصل إلى قمة الجبل، لكن الصعب أن تمكث في القمة، محتمل أن تنزل، لكن إن نزلت وراجعت الحسابات تستطيع أن ترجع مرة ثانية وبسرعة، لكن إذا استمر الانحدار، ولم تراجع الحسابات، ثم إذا التفت إلى القمة فإذا هي بعيدة فالرجوع إليها يكون صعباً؛ لذا من صفات الجادين المحاسبة، ومن صفات الصادق الجاد الذي عنده هدف أنه يجرد حساباته من حين إلى حين، فإذا راجع الحسابات أولاً بأول، فإنه سيرتقي بإيمانه مرة أخرى، وكثير من الناس من ينتكس ثم يهمل نفسه، وفي داخله منادٍ يناديه: ارجع فلا يستجيب، ارجع فلا يستجيب، ثم يأتي في يوم من الأيام يفكر أن يرجع لكن المسافة قد صارت بعيدة، والفجوة صارت سحيقة، لكنه إذا راجع حساباته من أول مرة سيرجع بإذن الله.تقول: بعد مرور سنة على حالنا هذه صارت لزوجي ظروف عمل، واضطر إلى أن يسافر عدة أشهر، وكان من الصعب أن يتركني وحدي في البيت، بحكم أننا لم نرزق بأطفال، ففكرت في أن أذهب إلى أهلي إلى أن يعود، وبالفعل ذهبت.ثم صارت ظروف في العمل واختاروا شخصاً آخر، ورجع هو قبل إتمام المهمة، وكان المفروض أننا إذا سافرنا أن نؤثر على الآخرين لا أن يؤثروا علينا.ومنذ أن سافر انغسلت الأفكار وتغيرت الوجهات، تقول: منذ أن رجع وبعد دخوله البيت بأسبوع أدخل لنا الإنترنت، ونحن لسنا ضد الإنترنت، ففيه خير كثير، لكن نحن ضد الاستخدام السيئ للإنترنت ما وقياساً

على الحديث: ما خلا رجل أو امرأة بالإنترنت إلا كان الشيطان ثالثهما، فكم أفسدت الشبكات العنكبوتية؟! وكم دمرت من بيوت؟! وكم من عفيفة أصبحت زانية؟ وكم من شاب مستقيم أصبح من المنحرفين؟السبب: الاستخدام الخاطئ، وضعف الوازع الديني، وقلة المراقبة في الخلوات، كل ذلك يؤدي بكثير من الشباب إلى الانحرافات نسأل الله العفو والعافية، ارتق بإيمانك، بأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.بعض الشباب تضعه في مكان يؤثر على الجميع، ولله دره ما عندنا من هؤلاء إلا قليل، في أي مكان تضعه فهو يؤثر ولا يتأثر، وبعضهم بمجرد أن ينتقل من بيئة إلى بيئة إذا به يرجع لنا بأفكار أخرى.أقول: قس مدى حقيقة إيمانك، ليس أمام الناس؛ لأن أمام الناس الكل يتزين، والكل يدعي أمام الناس أنه عابد زاهد، لكن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل يجر أقتابه في النار -نسأل الله العفو والعافية- فيقول له أهل النار: أما كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: بلى، كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه.ومن أشد الناس عذاباً يوم القيامة أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها، قس إيمانك -بارك الله فيك- إذا كنت خلف الجدران أترى سارقاً يسرق والناس يرونه؟ أتراه يزني والأبصار تشاهده؟ أبداً والله، لكن الذي يستشعر عظمة الله، ودعته امرأة ذات حسن وجمال، (**وغلقت الأبواب وقالت هيت لك**) **ماذا قال لها؟! مَعَاذَ اللَّهِ [يوسف:٢٣]**، يستشعر رقابة الله.أيها الإخوة! ساعة مع الإنترنت تهدم إيمان سنة، وساعة واحدة فقط أمام صور إباحية ومناظر خليعة تهدم طاعات وقيام ليل وصيام، أي إيمان هذا؟! أي شيء لا ينبني على أساس متين فمصيره إلى الزوال، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة**) (**البخاري ٣٣٣٢**) فيما يظهر للناس لكنه إذا خلا وجلس أمام الإنترنت يتصفح صفحة صفحة، يا ليت أنه يتصفح الطيب، وإنما يتصفح الخبيث، نسأل الله العفو والعافية .فلماذا تخاطر بدينك؟ أعجبني ذلك الشاب ولله دره، قال: عرضت علي دورة عمل -وكان حديث استقامة، ولم يمض على استقامته إلا شهور- قلت: ما هي الآثار المترتبة على هذه الدورة؟ قال: يا شيخ! الوظيفة ستتغير رأساً على عقب، وراتبي سيتضاعف من ستة آلاف إلى اثني عشر ألفاً، والمميزات التي سأحصل عليها بعد حصولي على الشهادة ستختلف تماماً، لكني أخاف على ديني، ولست أضمن إن ذهبت إلى هناك أني أرجع وأنا ملتزم.يقول لي ببسيط عبارته: أنا لم أكد أتمكن من الدين وأسلك الطريق المستقيم، حتى أرجع على ما كنت عليه مرة أخرى.والله لن أقبل هذه الدورة مهما أعطوني، ومهما بينوا لي.الله أكبر يخاف على ماذا؟ إنه يخاف على دينه، ونحن أيها الإخوة! نجازف بديننا في مثل هذه الأمور وكأن الدين رخيص، وكل مصائب الدنيا تهون إلا مصيبة الدين.تقول المرأة: منذ رجع أدخل الإنترنت بدون علمي حتى بدون أن يستشيرني، وبدأ يوم بعد يوم يهمل الصلاة، وترك الدروس والمحاضرات نهائياً:

بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا [الكهف: ٥٠]، بدل الصلوات وقراءة القرآن صار أمام الشاشات والقنوات والصور الخليعة والصور الإباحية، وصار شغله الشاغل الإنترنت، فيجلس عليه طوال الوقت، وكنت أقوم بالليل ولا أجده بالفراش، وإنما جالساً ساعات وساعات أمام الشاشات والقنوات، ولا يجلس معي، ولا يكلمني إلا إذا احتاج إلى شيء، هاتي لي .. أو افعلي لي!لكن طالب الحور العين، والذي يتذكر تلك التي لو ضحكت غطى نور وجهها نور الشمس والقمر، يبدل هذا بذاك، بعد ذلك.. ما هي المتعة أو اللذة المترتبة على هذا؟ أليس النظر إلى المحرمات موت بطيء، ونار تحترق في الداخل، لماذا أخاطر بنفسي؟! أمرنا الله بغض الأبصار لكي يعذبنا؟ أبداً، وإنما أمرنا حتى نرتاح وتطمئن النفوس؛ لأن المعاصي تنكت في القلب، فإذا أطلق النظر، وأطلق السمع، وأطلق الكلام، ماذا بقي؟ سيبدأ يتبع خطوات الشيطان خطوة خطوة.تقول: لا أذكر أنه كلمني بكلام طيب منذ أن أدخل الإنترنت، إذا كلمته لا يرد علي، تقول: بدأت أعانده، وأجلس معه عند الإنترنت ولا أتحرك، حتى لا يستخدمه كيف ما شاء، وبدأ يصرخ علي ويطردني ويهددني بالضرب، وفي النهاية ضربني، لماذا ضربها؟ هل لأنها خالفت أمر الله؟! لا، ولكن لأنها حالت بينه وبين معصية الله جل في علاه.تقول: ضربني وبدون شعور، وصب علي جام غضبه، ثم بعد أن أصبحت حاملاً أصبح يخاصمني فقط، ولم يعد يضربني نهائياً، وإنما فقط يرفع علي صوته بالسب والشتم واللعان، وكانت نفسيتي مرهقة جداً، وهو لا يقدر هذا، لا اهتمام ولا رعاية بل صراخ وسب وشتيمة.وفي بعض الأحيان أطلب منه أن يذهب بي إلى المستشفى وهو مشغول على شاشة الإنترنت.ثم بعد شهرين من الآلام والهموم سقط حملي، وكان هو السبب الرئيسي في ذلك، ثم ساءت حالتي النفسية، ثم بعدها تقول: أخذ يلومني، يقول: أنتِ لم تهتمي، وأنتِ السبب في إسقاط هذا الجنين.يا إخوان! الكلمة الطيبة ترفع المعنويات، والكلمة الطيبة تغير في حياة الكثير، فكيف بالكلمة السيئة؟! نسأل الله العفو والعافية.تقول: أصبح يقول: أنتِ لو انتبهتِ على نفسك وأكلت جيداً، واهتممت بنفسك ما حصل هذا، قلت: أخرِج الإنترنت من البيت وإلا فسأخرج أنا، قال: اخرجي أنت.مع العلم يا إخوان! أنها زوجة طاهرة عفيفة، توفر له كل شيء، إن أراد طعاماً وفرت له الطعام، وإن أراد الشراب وفرت له الشراب، وثيابه نظيفة، وحتى النكاح إذا أرادها وجدها، ماذا يريد هؤلاء من الجلوس أمام الشاشات والقنوات؟! ماذا يريد هؤلاء؟! هذه خطوات المعاصي، وهذه هي الخطوات التي تهدم الدين، نسأل الله العفو والعافية.تقول: رضيت وبقيت وأنا غير راضية، وحاولت بقدر استطاعتي أن أساعده في تحدي هذه المحنة، لكن للأسف لم يكن يعطيني فرصة، كتبت له نصائح.. وضعت له أوراق.. وضعت له أشرطة، ولكنه كان يرميها في المهملات.سبحان الله! أما كان يصلي؟ أما كان يقرأ القرآن؟ لكن بدأ الانحدار شيئا فشيئاً، لو

راجع الحسابات لرجع إلى ما كان عليه، لكنه أهمل نفسه حتى وصل إلى الحضيض.تقول: كتبت له نصائح.. كتبت له أوراق.. حاولت أمنعه.. أجلس معه.. أشغله.. كان دائماً يقف في وجهي ولا يلتفت إليَّ.الآن صار يقول لي: وقتي فارغ، وما عندي شيء يشغلني إلا الإنترنت، يقول لي: دائماً أنا فارغ، ولا يشغلني إلا الإنترنت، وإذا قعد معي قليلاً تأفف وقال: لقد مللت.النبي صلى الله عليه وسلم يوم أن أسري به: رأى الجنة ورأى النار، ورأى من أصناف النار أقواماً بين أيديهم لحم طيب، وبين أيديهم لحم خبيث، فإذا هم يتركون اللحم الطيب ويأكلون من اللحم الخبيث، قلت: سبحان الله، ما هذا؟ قال: هذا الرجل أوتي الحلال فيتركه ويذهب إلى الحرام.إنها امرأة طاهرة عفيفة بين يديه، فيتركها ويجلس أمام الشاشات والقنوات والإنترنت، وتضييع الأعمار والأوقات.ألم يستشعر كلمة: الله يراني؟ ألم يستشعر **الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ [الشعراء:٢١٨]**؟ والله ما استشعرها، ولو استشعرها ما خطى مثل هذه الخطوات، تقول: كلما جلست معه تأفف وقال لي: لا تكلميني، بل لا تجلسي أمام وجهي، إذا سألته لماذا؟ يقول دعيني أجلس أمام الإنترنت، وبعد ذلك أرتاح وأجلس معك.احترت! ماذا أفعل؟! ماذا أقول له؟!تقول: تكلم عن مشكلتي فهي موجودة في كثير من البيوت، بل أرجو أن تخرج لنا شريطاً يعالج مثل هذه المشكلة وهذا فيض من غيض.وقد جاءتني مثلها رسالة في الجوال أيضاً، تشتكي سوء أدب الزوج مع زوجته، فتقول: قبل أن تُقدم على الزواج اعرف أن الزواج مسئولية، وأنه أمانة ستسأل عنها أمام الله، يقول صلى الله عليه وسلم: (**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**)، فهل تظن أن كلمة (**مسئول**) قضية سهلة؟! لن تزول قدما عبد يوم القيامة إلى الجنة أو إلى النار حتى يسأل، لماذا الله سمى يوم القيامة يوم **الفرار يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ [عبس:٣٤-٣٧]**؟لأنه يوم الحقوق.والدواوين عند الله يوم القيامة ثلاثة: ديوان شرك لا يغفر.ديوان بين العبد وبين ربه، لا ينظر الله إليه إلا إذا تاب العبد.ديوان بين الخلق لا يتركه الله حتى يعطي كل ذي حق حقه.وحتى الشاة القرناء تقتص من الشاة التي نطحتها يوم إعطاء الحقوق، فالزوجة ستطالب بحقها في ذلك اليوم، والأبناء سيطالبون بحقوقهم في ذلك اليوم، والموظف الكفيل سيطالب بحقه في ذلك اليوم، فهو يوم أداء الحقوق، وستسأل عن كل صغيرة كبيرة. لعلِّي في عجالة أذكر بعض عيوب المتزوجين. فبعضهم هاش باش في الشارع، يضحك مع هذا، ويضحك مع ذاك، وإذا دخل إلى بيته لا تكاد تراه يتبسم في وجه أهله!كثير من يظن -نسأل الله العفو والعافية- أنه يوم نقرأ أحاديث السلام، أو أحاديث المصافحة، أو أحاديث الخصومة، أو أحاديث كذا أننا نطبقها على الناس ولا نطبقها على أهلنا (**تبسمك في وجه أخيك صدقة**)،

(**الترمذي ١٩٥٦**) لكن تبسمك في وجه أهلك أعظم، حين تتصدق على الفقير فالأمر عظيم، لكن حين تتصدق على أهلك الأمر أعظم، حين تصافح فلاناً وفلاناً الأمر عظيم، وتحط خطاياكم، لكن حين تصافح أهلك فالأمر أعظم.سبحان الله! كثير من النساء يشتكين: ما عرفنا كلام الحب والغرام إلا أيام الملكة، فإذا أخذها في داره ومضى الشهر ثم الشهران فلا تسمع مثل هذا الكلام، كلمة (أحبك) غير موجودة في قاموس كثير من الشباب اليوم.أقسم بالله العظيم أني خاطبت مجموعة من الشباب يوماً بينما كنا نتبادل أطراف الحديث، قلت: متى آخر مرة قلت لزوجتك: أنا أحبك؟ قال: لماذا أقول لها أصلاً، هي تعلم أني أحبها، أين أثر الكلمة الطيبة؟ اسألها: ألا تريدين أن أقول لك مثل هذا الكلام؟!اتصلت بي امرأة باكية بعد محاضرة من المحاضرات، فقالت: الحمد لله الذي أنقذني! لقد كنت على شفا حفرة من النار وأنا متزوجة، تقول: أقسم بالله العظيم أنه أصبحت لي علاقات هاتفية، ولولا أن الله ستر علي لخرجت معهم.لكن الحمد لله، الله أنقذني؛ بقي أن تنصحوا أزواجنا بأن يتلطفوا معنا في العبارات، قولوا لأزواجنا: أن يتلطفوا معنا بالعبارات، وأن يقولوا لنا كلاماً فيه حنان ومودة ولطف، لماذا نسمع هذا الكلام من الذئاب؟! أيها الإخوة! المرأة تسيطر عليها المشاعر فهي تحتاج إلى أن تسمع مثل هذا الكلام منك، مثل: أحبك! أودك! أنت أغلى ما عندي! أنت أم عيالي! زوجتي العزيزة! زوجتي الحبيبة! وتعالوا نفتح قاموساً جديداً، ونضع فيه مثل هذه العبارات.كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يدخل على أهله يستاك ويتطيب، واليوم الواحد منا يدخل على أهله وله رائحة كريهة يا إخوان! والله البعض يترفع أن يبتسم، بل إن البعض حين يتكلم عن أمه أو عن أخته أو عن زوجته يقول: المرأة أعزكم الله، فهو إذا تكلم عن المرأة يظن أنها أمر مهان، أبداً إنها مخلوق مكرم من عند الله، بل إن الله قال: **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ [البقرة:٢٢٨]**، فوضع لها حقوقاً وواجبات.ويوم حجة الوداع خصص النبي صلى الله عليه وسلم جزءاً كبيراً من الخطبة في ذلك اليوم العظيم للمرأة، وكان أكثر ما تكلم عن حقوق المرأة، ثم أرشد الأمة فقال: (**ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد**) لماذا؟ لأن الجاهلية كانت تهين المرأة، ولا تضع لها اعتباراً، وليس لها قيمة، فكانت لا تستشار ولا يؤخذ برأيها، بل كان يتم التعامل معها كمتاع من أمتعة البيت، فجاء الإسلام ليغير هذا المفهوم، فقال: (**استوصوا بالنساء خيراً**) (**البخاري ٥١٨٥**) في آخر وصاياه وهو يودع الحياة.ثم تأمل في هذه العبارات الجميلة: (رفقاً بالقوارير) واسمع بارك الله فيك! وهو يتلطف مع النساء: (**رفقاً بالقوارير**) (**البخاري ٦٢١٠**) إنه قائد أمة -أيها الإخوة- وعنده تسعة بيوت، ويتعاهد البيوت كل يوم، ويلاطف نساءه التسع، وأنت عندك زوجة واحدة، ولم تستطع أن تلاطفها بالليل وبالنهار، ألست تطالبها

بالتزين والزينة أمامك؟أنا لست أدافع، لكني أرد لكل ذي حق حقه، فعند النساء كثيراً من الأخطاء وسنتكلم في أخطاء النساء، لكن الرجل بيده التغيير يا إخوان! والرجل أكثر صبراً وتحملاً، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**استمتعوا بهن على عوج**) (**الترمذي ١١٨٨**). والظروف التي تمر بها هي، أو هل تدري ماذا يعني حمل ونفاس؟ والله أحوال لا يعلمها إلا الله، فتخيل وأنت تحمل في يدك قطعة وزنها كيلو واحد، وأنت حامل لها لمدة ساعة أو ساعتين أو ثلاث، فهل تستطيع أن تتحمل؟ وكم ستتعب؟ وكم ستضايقك؟ وتأمل في حملها تسعة أشهر الثلاثة أربعة أو إلى خمسة كيلو في بعض الأحيان، ثم هي تصبر وتتحمل، ثم يأتي من يهينها بعد صبرها وتحملها.بعض الأزواج يضحك ويتبسم في الشارع، فإذا دخل إلى بيته لا تكاد تسمعه، تقول عائشة : (**كان بساماً في بيته يضاحك أهله ويلاعب أهله**) بل أصبح تعدد الزوجات اليوم فضيحة من الفضائح، ومصيبة من المصائب في المجتمع الإسلامي، والسبب: الظلم.إن زواجه صلى الله عليه وسلم من تسع لم يمنعه من أن يعطي كل بيت حقه، بل كان يجمع النساء ويلاعبهن، وقد اجتمعت عنده سودة وعائشة يوماً من الأيام، فأخذ يضاحك هذه ويضاحك هذه حتى قامت عائشة مرة بحريرة ولطخت بها وجه سودة ، ولأن سودة امرأة أضعف من عائشة ، فمسك النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة وأخذت سودة تلطخ وجهها. ويعملن هذا وهن ضرائر! لكن من الذي قام بالمسئولية؟ ومن الذي ألف بين القلوب؟ إنه الرجل، فهو الذي يؤلف بين القلوب.وأنت عندك امرأة واحدة فاكسب قلبها بارك الله فيك! وأنت إما زوج وإما ستكون زوجاً في القريب العاجل، فتعلم أدب الزواج قبل الزواج.وبعضهم قد يتزين للناس ولا يتزين لأهله، ويلبس للناس أحسن الثياب، فإذا جاء أمام أهله لبس أرداها.يقول ابن عباس : والله إني لألبس لها أغلى ثيابي، وإني لأتزين أشد مما هي تتزين لي.واليوم وقت شاشات ومغريات، والمصيبة العظمى: ضياع الغيرة من قلوب الرجال، فيجلس هو وإياها وهي تشاهد الرجال، وهو يشاهد النساء.ثق تمام الثقة بأي منظار أنت تنظر للمرأة، بنظرة الإعجاب في طولها! في قوامها! في شعرها! ثق تمام الثقة أنها تنظر للرجال بنفس النظرة.لما دخل ابن أم مكتوم الأعمى، وكانت حفصة وعائشة جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم، فلما **جلس قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة وحفصة** : (**انصرفا، فقالتا: يا رسول الله! إنه أعمى، قال: أعمياوان أنتما؟!**)(**الفوائد الغيلانيات ١٥٠**).فالمرأة تنظر إلى الرجل بنفس النظرة التي أنت تنظر إلى المرأة، والأدهى والأطم عندما يجلس هو وإياها يشاهدان المصارعة الحرة، فتخيل رجلاً مفتول العضلات! فهم يأتون بأناس مفتولين العضلات كالمنافقين، هيئات وشعور طويلة، وهي تنظر إلى زوجها تقول: الله ابتلاني بهذا، تشاهد رجلاً ذا طول وعرض وعضلات، وشعر طويل وحركات، ثم ماذا يلبس أمامها؟ إنه شبه عار، ثم ترى هذا

يكحكح أمامها بسبب الدخان، والسمنة قد أهلكته!لماذا الله أخبرنا أن من كمال نساء الجنة أنهن قاصرات الطرف؟ من كمال جمال المرأة في الجنة أنها قاصرة الطرف لا تنظر إلى أحد من الرجال غير زوجها، وهذا هو المطلوب من المرأة اليوم، أنها لا تلتفت إلى أحد من الرجال غيره.اسمع هذه دعابة وخذها مني: امرأة تقول: أنام مع زوجي ونضع الشاشات والقنوات معنا في غرفة النوم، وهو يسهر وأنا أنام، وكلما قمت أحسست ببلل على وجهي! وفي اليوم الثاني أجد ثيابي مبللة، ووجهي مبللاً، فقلت: سأنظر ماذا يصنع زوجي؟ ومن أين يأتي هذا البلل؟ فكان الزوج يا إخوان! كلما نظر إلى امرأة على شاشة التلفاز بصق على زوجته. ولو نمت أنت واستيقظت وهي تشاهد الرجال، والله ستملأ وجهك مثلما ملأْت وجهها. نعم يا إخوان! الله أمر الرجال بغض الأبصار، وفي المقابل أمر النساء كذلك، هذا يغض البصر، وهذا يغض البصر، حتى لا يسقط كل واحد من عين صاحبه، وحتى لا تسقط زوجتك من عينك، ولا يسقط زوجك أنت من عينك، قال تعالى: **حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ [الرحمن:٧٢]**، **لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ [الرحمن:٧٤]**.لما مات النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ على سودة أم المؤمنين رضي الله عنه قول الله: **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى [الأحزاب:٣٣]**، ما خرجت من بيتها إلا إلى المقبرة، لماذا؟ لأنها قصرت الطرف، ومات حبيبها فما عادت الدنيا تغنيها، فالرجل يحتاط لأهل بيته.تقول لي إحداهن: له شهر ما يكلمني، ونحن نعرف الحديث الذي فيه: (**لا يحل لامرئ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**)(**البخاري ٦٠٦٥**) هذه زوجته، تقول: حتى السلام لا يسلم علينا، وبعضهم يهجرها أطول من هذا، وقد تستمر الخصومات في البيوت لأشهر طويلة، نسأل الله العفو العافية. إننا ندعي أننا أتباع محمد، فكثير ادعوا أنهم يحبونه وأنهم أتباعه، فطلب الله منهم الحجة والبينة، فقال: **إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [آل عمران: ٣١]**، فصدق المحبة في صدق الاتباع، كيف كان مع أهله؟ يقول صلى الله عليه وسلم: (**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**).(**الترمذي ٣٨٩٥**) سئلت عائشة : ماذا يصنع في بيتكم سيد البشر؟ ليس برئيس شركة، ولا أمير دولة، ولا ملك، ولا وزير، لا، بل سيد البشرية كلها، وخير من وطئ الأرض من البشر كلهم، يقال لعائشة : ماذا يصنع عندكم؟ فقالت: (**كان يقوم خدمتنا فيكنس بيتنا، ويصلح طعامنا، ويغسل ثيابنا**).أسألك بالله متى آخر مرة غسلت الصحون؟! هل هو عيب؟ لماذا نضطر لإحضار خادمات؟ لماذا الرجل لا يتلطف مع زوجته ويقف معها؟ لماذا دائماً نحب الأوامر والنواهي؟ بل إن التربية تبدأ بـ: (جي وهاتي) من ليلة العرس ومن يسيطر من ليلة الدخلة!هذه بنت تعطيها أمها التعاليم، ورجل تعطيه أمه التعليمات

والبيانات، فالمرأة قالت لها أمها: من أول ليلة إما أن تركبينه، وإلا ستفقدين السيطرة، فافرضي شخصيتك من أول ليلة، قالت: وماذا أعمل يا أمي؟ قالت: إذا جلستم وغيرتم ثيابكم، وجلستم على فراش الزوجية، ضعي كأساً من الماء بعيداً عنك، فإذا جاء يريد أن يجلس بجوارك، قولي: لو سمحت! هات كأس الماء، أعطيه الأوامر من أول ليلة، وهو أمه قد وصته، فجاءت البنت تطبق الخطة التي علمتها أمها فتزينت وتعطرت وغيرت ثيابها، ثم وضعت كأس الماء وأبعدته يوم جاء وقرب، قالت له: لو سمحت هات كأس الماء، قال: (يلعن أبو وجهك) ولطمها على وجهها، قالت له أمه: أول أمر تعطيك لابد بأن تُجيب عليه بصفعة.لكن أقول: خير الهدي هدي محمد، فإذا دخل على زوجته في أول ليلة وضع يده على رأسها: (**اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلت عليه**) (**ابن ماجة ١٩١٨**)، وبعضهم لا يدري لماذا نصنع هذا؟دخل النبي صلى الله عليه وسلم على إحدى زوجاته وقد كان أهلها أعطوها وصايا؛ لكن وصاياهم لم تكن في محلها، قالوا لها: إذا أردت أن يحبك النبي صلى الله عليه وسلم أول ما ترينه قولي: أعوذ بالله منك، فلما دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وقالت له هذا، قال لها: (**لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك**).(**البخاري ٥٢٥٤**) هي آداب، فإذا اتبعنا الهدي النبوي فإن البركة تحل من أول ليلة، والهدي النبوي أولاً يكون في الاختيار، قال صلى الله عليه وسلم: (**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه**)، **وقال**: (**تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس**)، **وقال**: (**إياكم وخضراء الدمن! قيل: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسنة في المنبت السوء**)، [**مسند الشهاب – القضاعي٩٥٧**] نختار، ثم إذا اخترنا نطبق الهدي النبوي، كيف كان في بيته؟ قالت عائشة : (**كان يخدمنا فيغسل ثيابنا، ويصلح طعامنا، حتى إذا سمع النداء كأنه لا يعرفنا**).لبعض سبحان الله! إحساس يعرف متى يلاطف أهله؟ ومتى يتجنب ذلك؟ ويعرف ساعات غضبهم، ويعرف ساعات انفعالهم، ويراعي مثل هذا، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**والله يا عائشة! إني لأعرف غضبك ورضاك قالت: كيف يا رسول الله؟ قال: إذا غضبت تهجرين اسمي، فبدل ما تقولين: والذي بعث محمداً بالحق، تقولين: والذي بعث إبراهيم بالحق – وهي صادقة إبراهيم مبعوث بالحق–فتقول: أجل يا رسول الله لا أهجر إلا اسمك**) (**البخاري ٦٠٧٨**)، فهو يعرف أن زوجته غاضبة عندما تهجر اسمه.وبعضهم إذا قيل له: راض زوجتك، يقول: دعها تنفجر، لماذا لا تنفجر؟ انفجر أنت والله، هي دم ولحم ومشاعر، وما أعطيناك إياها لكي تقول: دعها تنفجر، إذا لم يكن عندك استعداد لترضيها فلماذا أخذتها؟ وهل تظن أن الحياة كلها ضحك؟ بل سبحان الله! الحب الحقيقي بعد الغضب في البيوت الصادقة يرجع أحسن مما كان.البيوت الصادقة تغضب،

والغضب مثل الملح في الطعام، ينقي الشوائب، ويطهر البيوت، ويرجعها أحسن مما كانت عليه، اليوم أتباع محمد أبعد ما يكونون عن تطبيق سنة محمد صلى الله عليه وسلم وهديه في الزواج، سب.. شتم.. إهانات.. مقاطعات.. وحتى الضرب يحصل لأتفه الأسباب، وقلة الغيرة، وشك في كل الأمور، أين نحن من قوله صلى الله عليه وسلم (**استوصوا بالنساء خيراً**)؟!البيوت اليوم تهدم لأتفه الأسباب، امرأة ضُرِبت، وتشتكي فتقول: ضربني ضرباً حتى أمسكوه، ووصلت إلى درجة تقول: إن عيني عليها سواد، ووجهي كله اخضرار من كثرة الضرب، فهل هذه حلبة ملاكمة؟ وهل أتيت تفتل عضلاتك عليها! وما وجدت إلا هذه الضعيفة تظهر عليها قوتك، لكن ثق تمام الثقة أن الله سيسلط عليك من لا يخافك فيه ولا يرحمك.أتدري لماذا ضربها؟ ليتهمها بأنها ارتكبت جريمة، قلت: لماذا فعل هذا بك؟ اسمع -بارك الله فيك- حتى تعلم أنه تافه، إن كثيراً من الرجال تافه نسأل الله العفو والعافية، بل قل حقير في بعض الأحيان.تقول: كان عنده ثوب صوف اشتراه بأربعمائة ريال، وهو يغسل بالبخار، فقال لي: لا تغسليه مع الثياب، تقول: فاختلط مع الثياب فغسلته، فلما رآه كال لي الضرب والسب واللعان بأربعمائة ريال، فكسر رأسي ! هذه أم عيالك يا أخي! والمفروض أن تقول لها: فداكِ المال والعيال والحلال لو كنت صادقاً في الحب، أما أن تضربها مثل هذا الضرب فما جاءت بفاحشة مبينة يا إخوان!فهل هذا هدي محمد؟ أم هل هذا هدي القرآن؟ بل إن القرآن في حالة نشوز المرأة وعدم طاعة زوجها، وضع لنا حلولاً، قال تعالى: **وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ [النساء:٣٤]** أول حلٍ: الموعظة، ثم قال: **وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ [النساء:٣٤]**، ثم السنة بيَّنت كيف يكون الضرب؟ بأن يكون ضرباً بسيطاً غير مبرح، أي: ضرب تأديب لا ضرب إهانة وإيلام، حتى تراجع حساباتها بارك الله فيك، لكن أن تضرب على ثوب -نسأل الله العفو والعافية- فلا يعقل ذلك.وحتى الطلاق أصبح اليوم يقع لأتفه الأسباب.تريد تضحك، اسمع: صلى رجل الفجر ثم عاد -لا أقول إنه مجنون وإنما هو شخص عاقل، لكن في تلك اللحظة ذهب العقل- جاءها وهي جالسة مسرورة تنتظر رجوعه، يضحك وإياها، فقال لها: هل تريدين أن أطلقك؟ قالت: أتحداك، قال لها: أنت طالق.أقسم بالله يا إخوان! أني أعرفه تمام المعرفة، وأقسم بالله العظيم إنه جاءها وهي تضحك! وهو الآن في ذمة الله، لكن العقول تزيغ يمنة ويسرة! ثم يقول: بعدما قلتها استشعرت ما الذي قلته؟ فجاءني أحد الشباب فقال: أريد أن أتزوج؛ لأني طلقت التي قبل، فقلت له: تريد تتزوج وتطلق، لماذا طلقتها؟ قال: زعلتني!! **فثلاثة أمور جدهن جد وهزلهن جد؛ العتاق والطلاق والزواج**، (**الترمذي ١١٨٤**) فلماذا نتلاعب بمثل هذه الكلمة؟ يقول: أنا كنت غاضب، وهل يطلق واحد وهو يضحك؟

هل يطلق وهو بيده كأس شاي وهو يضحك، ويقول لها: أنت طالق، إلا أخونا هذا صاحب صلاة الفجر.امرأة قالت لزوجها: أنا سأشتري خيلاً من تبوك، قال لها: والله لن يركبها أحدٌ سواي، قالت: والله لن تركبها -لاحظ أن الخيل ليست موجودةً- قال: علي الطلاق، والله أنت طالق.أين الخيل؟ إنها غير موجودة، وطلقت المرأة على أسباب تافهة، وهذا يحدث كثيراً، فتُهدم البيوت على أتفه من هذه الأسباب.ولاحظ أنه من شدة الكلمة ومن ثقل الكلمة ترتبط أسرة بكلمة، بل بكلمة تدخل الجنة أو بكلمة تدخل النار. وهذا حتى تعرف مسئولية الكلمة إن لم تكن أهلاً لها فلا تجني على الآخرين.من المتضرر إذا طلقت النساء؟ إنهم الأطفال.ليتنا نستشعر مسئولية الآخرين، ثم على فرض أنها وصلت الأمور إلى نقطة مسدودة تسمى الطلاق، ما تلاحظون يا إخوان؟! إن العلاقات بين الأسر تنقلب عداوات؛ بل بعضهم لو طُلقت أخته -وهو متزوج أخت المطلق- لطلق زوجته، لأن أخته طُلقت يقول الله: **وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى [الأنعام:١٦٤]**، هو مع هذه وصل إلى درجة لا يستطيع العيش معها، فتأخذهم نعرات الجاهلية والقبلية، ويطلقون الفتيات بسبب أن هذا طلق هذه، يا إخوان! هذا لا يجوز، لا في عرف ولا في شرع ولا في كتاب أنزله الله.لابد أن نعرف قيمة عقد الزواج وشعار الزوجية حتى نقوم بحقه كما ينبغي؛ نستشيرها -ليس شرطاً أن تأخذ برأيها- لتشعر أن لها مكانة ومنزلة، وأنك ستأخذ برأيها، ووالله إن بعض النساء عندهن من الرأي والمشورة أحسن مما عند كثير من الرجال.والله إن بعض النساء عندهن من الرأي والمشورة والحكمة والتدبير ما ليس عند كثير من الرجال، أما كان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير نساءه، ولم ينقص من قدره ولا من قيمته؛ لأنه يعرف أن بعض النساء عندهن من الرأي السليم والمشورة الحسنة ما الله به عليم.أمر أصحابه فقال: (**انحروا هديكم واحلقوا رءوسكم**)، إنهم أتوا يريدون الطواف والعمرة، منذ أن خرجوا من المدينة وهم في شوق إلى الطواف، وببنود جائرة جارت بها قريش على المسلمين، من هذه البنود: أنهم يرجعون ولا يعتمرون هذه السنة، يرجعون السنة المقبلة وتخلي قريش الحرم، ثم يدخل المسلمون يعتمرون، قالوا: يا رسول الله! كيف نرضى أن نرجع وقد أتينا؟! قال: (**أنا رسول الله ولن يخذلني**) ثم قال لهم: (**انحروا هديكم، واحلقوا رءوسكم**) فلم يفعلوا، وليس معصية إنما ظناً منهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد يرجع عن كلامه، فرجع إلى أم سلمة ، وقد كانت رفيقته في تلك الرحلة، قال لها: (**هلك المسلمون أقول لهم: افعلوا كذا وكذا وهم لا يفعلون**)، **قالت: يا رسول الله -اسمع المرأة- اخرج ولا تتكلم وانحر هديك، واحلق رأسك، فخرج بمشورة أم سلمة رضي الله عنها** (**البخاري ٢٧٣٢**) وأرضاها.اللهم إنا نسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم احفظنا في ديننا ودنيانا

وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم هيئ لهم البطانة الصالحة التي تدلهم على الخير وتحثهم عليه، وجنبهم البطانة الظالمة التي تدلهم على الشر وتحثهم عليه.وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

زلزال في موجة الموت

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده **ورسوله يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]**، **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]**، **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب:٧٠-٧١]**.أما بعد:فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.ثم أما بعد:عباد الله! إن ما يقع في العالم من حوادث ومجريات لا يقع صدفة ولا محض عشواء، والظاهرات الكونية من زلازل وبراكين وغيرها من الآيات هي من الآيات الدالة على خالق هذا الكون وعلى عظمته، فلا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن إلا بعلمه وإذنه، قال الله تعالى: **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هو وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ [الأنعام:٥٩]**. عباد الله! لقد أودع الله العليم الحكيم هذا الكون سنناً ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، والجزاء من جنس العمل، وما نشاهده اليوم من العقوبات في بعض البلدان القريبة والبعيدة لهو أكبر زاجر وواعظ، حروب ودمار، شتات وفرقة، زلازل وأعاصير، براكين وفيضانات، لقد طغت الماديات وتفنن الناس في المحرمات، وأصبح المعروف عند بعض الناس من أنكر المنكرات، والمنكر من أعرف المعروفات، والمصيبة الكبرى أن قل الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، فماذا ننتظر بعدها؟!اسمع رعاك الله! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقابه**)، (**٣٠٥ابن حبان)وقال الله تعالى: وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً [الإسراء:١٦]**، وسنن الله ماضية قال الله تعالى: **وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً [الإسراء:١٧]**. **عباد** الله! إن الله تعالى قص علينا قصص الأمم السابقة وما حل بها لنتعظ ونعتبر، ولا نفعل فعلهم حتى

لا يصيبنا ما أصابهم، قال سبحانه: **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ * هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ [آل عمران:١٣٧-١٣٨]**. وسنن الله ماضية وسارية على الجميع دون محاباة ولا تمييز، لذلك قال ربنا تبارك وتعالى: **فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ [الحشر:٢]**، ولذلك قال ربنا تبارك وتعالى: **وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ [القمر:٥١]**.فهذه الظواهر من زلازل وبراكين وعواصف هي من جند الله التي سخرها الله عقاباً للمذنبين، وابتلاءً للصالحين، وعبرة للناجين، وإن لم ننظر لهذه الحوادث بهذا المنظار فلن نستفيد من حدوثها ووقوعها، فالله تعالى حكيم فيما يقضيه ويقدره، فهو سبحانه يسخر ما يشاء من الآيات تخويفاً لعباده وتذكيراً لهم كما قال هو: **وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً [الإسراء:٥٩]**. عباد الله! لقد مر على العالم منذ أيام حدث عظيم سمع به القاصي والداني، ألا وهو: الزلازل العظيم الذي أصاب عدداً من البلاد المسلمة والكافرة، وهاج البحر بسببه فانطلقت أمواجه تحصد الأرواح والممتلكات، ففي أقل من دقيقة كان عشرات الآلاف من القتلى، ومثلهم من المفقودين، وملايين المشردين، ومليارات الخسائر المادية، وما زالت الإحصاءات مستمرة ليعلم الناس أن بطش الله شديد، وأنه جل جلاله فعال لما يريد، **وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [آل عمران:١١٧]**. سبحانك يا الله ما أعظمك! سبحانك يا الله ما أحلمك! سبحانك يا الله ما أعدلك! **إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [يونس:٤٤]**، لقد كان جزء كبير من المناطق المنكوبة منتزهات سياحية يأوي إليها الفساق من السياح من كل مكان، فيتعرون ويرقصون ويغنون ويسكرون ويعربدون، زنا ولواط، وفواحش ومنكرات، فلما رأى البحر محارم الله تنتهك، وأوامره تضيع غار البحر على محارم الله، فثار ومار واستأذن من الجبار.**جاء في مسند (أحمد٣٠٣ -) فيما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات على الأرض يستأذن الله في أن ينفضح عليهم - أي: على العصاة - فيكفه الله عز وجل)**.فلا إله إلا الله.. البحر يتمعر ويتمنى إغراق العصاة، ويستطيع ولكنه مأمور، ولقد أنذرهم الله فتماروا بالنذر، وقد أعذر من أنذر. ففي العام الماضي أو الذي قبله حدث تفجير في أحد المنتزهات السياحية المليئة بالسكر والعربدة، وقتل في هذا الانفجار خلق كثير، فكان هذا بمثابة الإنذار المبكر لهؤلاء القوم لو كانوا يعقلون، ولسنا نقر التفجيرات ولكن أليست هي عقوبة من الجبار جل جلاله، وبدلاً من أن يراجع هؤلاء القوم حساباتهم مع الله، عادوا إلى ما كانوا عليه، وزاد طغيانهم وتسلطوا على عباد الله الصالحين وأوليائه المؤمنين، فاتهموهم بما هم منه براء، وسجنوهم وعادوهم، وما زال كثير منهم حتى الآن

رهن الاعتقال رغم عدم ثبوت إدانته.وعادت تلك المنتزهات إلى ما كانت عليه من الفجور والعربدة، وصدق الله: **وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً [الإسراء:٦٠]**. فغار الجبار الله في سمائه، فأوحى لأرضه أن تزلزلي، وأوحى لبحاره أن هيجي وأغرقي، فما كان للأرض أن تعصيه، وما كان للبحار إلا أن تستجيب لأوامره، فما الذي حدث؟اسمع رعاك الله! وافتح القلب قبل أن تفتح الأذنين، في دقائق معدودة أقاليم بأكملها زالت، وقرى بكل ما فيها انمحت، وأمم من البشر بادت وماتت، بعض الجزر غطاها الموج العاتي، فأفنى بنيانها وأهلك حرثها ونسلها وقطع أشجارها، فلم تستطع المباني الشاهقة، ولا الأشجار العالية، أن تقف أمام الموجات العالية التي وصلت قوتها وسرعتها إلا مئات الكيلومترات.فلا إله إلا الله.. فلا ترى إلا مباني سويت بالأرض، وسيارات ومراكب اصطدمت ببعضها البعض، فهذا فعل الأمواج العاتية بالمباني والأشجار والممتلكات، فما ظنك بفعلها بالبشر الضعفاء؟! يا الله! عشرات الآلاف من الجثث الهامدة، وبقايا أجساد متعفنة، منها ما هو طريح الرمال، ومنها ما هو معلق بالأشجار، ومنها ما هو مدفون تحت البنايات المتهدمة، وليس من شيء يعبر عن وصف تلك الحال مثل قوله تعالى: **فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [يونس:٢٤]**. عباد الله! لقد كانت تلك الشواطئ، وتلك الديار من أجمل بقاع الأرض بما حباها الله من جبال وغابات وبحار وأشجار، وبدلاً من أن يأتي الناس إليها متفكرين لعظيم جمال خلق الله أتوها من كل مكان وجعلوها أماكن للعهر والفساد والفجور **فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ [الزمر:٢٥]**، أما قال الله: **وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم * أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللّهِ أَو تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ [يوسف:١٠٥-١٠٧]**. عباد الله! لقد تحدثتْ جميع وسائل الإعلام عن هذا الحدث العظيم، وحللوا وعللوا وذكروا أسباباً عدة، ولكنهم للأسف لم يذكروا السبب الرئيسي لهذه الكارثة، فهل ربطوا الناس بربهم وخالقهم وبينوا أن الأمر كله لله؟ إنه حدث ضخم كبير، وزلازل مدمر يجب أن يوقف معه وقفات تأمل واعتبار، إن وسائل الإعلام الغشاشة الراعية أصلاً للعهر والفجور، لو نطقت بالحق وأخبرتنا خبر تلك الليلة لسمعت ورأيت ما يشيب له رأسك مما يجري في مراقص العهر وحانات الخمور وفنادق القمار. قد يقول قائل: لقد كان فيهم راكعون وساجدون وأطفال ونساء، قلت: لقد أجابنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا السؤال حين قال: (**أولئك يبعثون على نياتهم**)، ولكن أما تأملت معي وتدبرت أن صلاتهم وصيامهم لم تمنع عنهم العذاب؟ أما قال صلى الله عليه وسلم مهدداً العرب: (**ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج**

وحلق بأصبعيه، قالت أم المؤمنين: أنهلك وفينا الصالحون؟! قال نعم إذا كثر الخبث).(البخاري ٣٣٤٦) عباد الله! إن الناظر في مجريات حياتنا، والمتأمل في واقعنا ومعاشنا سيصاب بالرعب والفزع بسبب ما نراه من انتهاك لحرمات الله وحدوده، وتضييع لأوامر الله وواجباته، فانظر إلى حال الناس في الصلاة، وما مدى محافظتهم على صلاة الجماعة؟ وكم هم الذين يشهدون ويواظبون على صلاة الفجر؟ والذي نفسي بيده، بالأمس فقط قال لي أحد الشباب: أنا لا أصلي، وقالت لي إحدى الفتيات: عمري عشرون سنة ولم أصل إلا من رمضان الذي مضى. وانظر رعاك الله! إلى حال الناس مع أكل الربا والمسارعة إليه والحرص على المشاركة فيه! ألم تنتشر بنوك الربا في كل مكان؟! ألم تعلن الحرب على الله جل جلاله؟! ألم يدعى الناس للمساهمة في المعاملات الربوية، فسارع أكثرهم معرضين عن تهديد الله لهم: **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ [البقرة:٢٧٩]**؟! فأين الصالحون؟!ثم انظر إلى انتشار الرشوة بين الناس، والتي قد لعن النبي صلى الله عليه وسلم آخذها ومعطيها، فلا تقضى لك حاجة ولا ينجز لك عمل حتى تكون من الملعونين الراشيين والمرتشين! فأين الصالحون؟!أما نظرت إلى الأسواق وقد امتلأت بالفسقة والفاسقات، واللاهثين خلف الشهوات والمحرمات؟ أما آلمك ما آل إليه حال النساء من تبرج وسفور؟! فأين الصالحون؟!أما رأيت آلاف الشباب وهم يعبرون الجسور ويركبون الطائرات إلى دول مجاورة، وإلى دول قريبة يذهبون لشرب الخمور ومعاقرة الزنا والفجور؟! فأين الصالحون ؟!أما بلغ مسامعك الموسيقى والألحان ومعازف الشيطان، فتسمع في كل لحظة وفي كل مكان؟! بل أكثر مما يسمع القرآن؟! فأين الصالحون؟! ألم تر وتسمع ماذا فعلت بنا الشاشات والأطباق الفضائيات؟! والله ما فرح الشيطان وأعوانه من الإنس والجان بمثل فرحهم بهذه الأطباق التي فعلت بالأمة فعلها، فضيعت الأمة دينها، وفسدت عقيدتها، ودمرت أخلاقها، حتى وصل الأمر أن يقع الأب على ابنته، والأخ على أخته، فانتهكت المحارم وإنا لله وإنا إليه راجعون. والله لا تنجو المجتمعات إلا بالصالحين المصلحين، الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر، الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. ما أحلم الله! لكنه يمهل ولا يهمل، إننا والله نخشى أن تنزل علينا عقوبة الله بسبب أمننا من مكر الله تعالى وعقوبته، قال الله: **أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَو يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ * أَو يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ * أَو يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ [النحل:٤٥-٤٧]**. أما قال الله حين أهلك القرى الظالمة العاصية: **وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ [هود:**٨٣]، هل بيننا وبين الله حسب؟ وهل بيننا وبين الله نسب حتى نأمن مكره وعقوبته؟! **قُلْ هو الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ**

عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوِمن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَو يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهونَ * وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهو الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ * لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ [الأنعام:٦٥-٦٧]. عجيب والله أمر الناس! الزلازل والفيضانات تضرب غرب الأرض، والناس في شرقها يضحكون ويمرحون، عجيب والله أمر الناس! الزلازل والفيضانات تضرب غرب الأرض، والناس في شرقها يضحكون ويمرحون في غمرة ساهون، لذلك قال الله: **فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ * أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ [المؤمنون: ٥٤-٥٦]**.

يا أم أيمن قد بكيت وإننا نلهو ونمجن دون مـــعرفة الأب
لم تبصري وضع الحديث ولا الـــــــــــكذب
لم تشهدي بعض المعازف والطـــــــــــرب
لم تشهدي شرب الخمور ولا الزنالم تلحظي ما قد أتانا من عطب
لم تشهدي فرق الضلالة والهوى لولا مماتك لرأيت من العجـب
لم تشهدي فعل العدو وصحبهم ها نحن نجثو لليهود على الركـب
وا حر قلبي من تمزق أمتي أضحت أمورك أمتي مثل اللـعب

والله ما ظهرت المعاصي في ديار إلا أهلكتها، ولا فشت في أمة إلا أذلتها، ولا تخلخلت في دولة إلا أسقطتها، فإنه ليس بين أحد وبين الله نسب، قال الجبار: **فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ [الزخرف:٥٥-٥٦]**. ولا تظنن أن العقوبات إنما تكون زلازل وبراكين، بل قد تكون حروباً وذهاباً للأمن والأمان، وقد تكون عقوبات اقتصادية، وسوء للأوضاع المالية فهل نحن مدكرون؟!نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له سبحانه على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله. اتقوا الله عباد الله! فقد أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم أن هذه الزلازل من أشراط الساعة ومن علامات قربها، فقد قال بأبي هو وأمي فيما (رواه البخاري١٠٣٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (**لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، ويتقارب الزمان، وتكثر الزلازل، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، قيل: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: القتل**

القتل!).وها أنتم ترون بأم أعينكم كثرتها وتتابعها في هذا الزمن مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم، فماذا بعد ذلك؟ فماذا بعد ذلك؟ قال الله: **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ * فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ [محمد:١٨-١٩]**. عباد الله! إذا كانت زلزلة دقائق وثوان صنعت هذا الدمار والهلاك فكيف بزلزلة يوم يجعل الولدان شيباً؟! لقد جعل الله هذه الآيات والأحداث عبرة وعظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، قال جل في علاه: **إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ * فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ [الحاقة:١١-١٨]**. يا الله! كم مرة قرأنا قول الله: **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ [الزلزلة:١-٨]**. إنها زلزلة يوم القيامة! وما أدراك ما يوم القيامة؟! في ذلك اليوم يشتد غضب الجبار جل جلاله، فيقبض الأرض بيمينه، والسماوات بشماله وينادي: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم ينادي الجبار: **يا آدم! أخرج بعث النار فيقول آدم: وما بعث النار؟ فيقول الجبار: من كل ألف تسعمائة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: (فحينها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)(البخاري ٦٥٣٠)**.لذلك حذرنا ربنا فقال: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ [الحج:١]**، **كيف سيكون حالي وحالك؟! إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً * وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى [الفجر:٢١-٢٣]**

.يا مخطئاً ما أجهلك عصيت ربـاً عدلك وأقدرك وأمهلك

عجل وبادر أملك واختم بخير عمـــــــــلك

وناد رباً فضلك لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لك

اتقوا الله عباد الله! إن الواجب علينا في مثل هذه الأحداث، وفي مثل هذه الظروف أن نرجع إلى الله، وأن نلجأ إلى الله، وأن نتضرع إلى الله، وأن نتوب ونستغفر الله، ولا نكون كالذين قال الله فيهم: **وَلَقَدْ أَرْسَلنَا**

إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ [الأنعام:٤٢-٤٣]. عباد الله! قد تكون الأحداث في ظاهرها مؤلمة، ولكنها والله رحمة من رب العالمين، حتى يراجع المسيء حساباته ويزيد الصالح في صلاحه، وينتهي أهل الباطل عن باطلهم، وأن يعلم الجميع أن هذه العقوبات والمعاصي والفواحش والمنكرات إنما هي عقوبة، وأن يعلم الجميع أن هذه العقوبات هي بسبب المعاصي والفواحش والمنكرات، كما قال الله: فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ [العنكبوت:٤٠]. **ذكر ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك أنه دخل على عائشة هو ورجل آخر، فقال لها الرجل: (يا أم المؤمنين! حدثينا عن الزلزلة، فقالت: إذا استباحوا الزنا، وشربوا الخمور، وضربوا المعازف، قال الله عز وجل في سمائه لأرضه: تزلزلي بهم، فإن تابوا ونزعوا، وإلا أهدمها عليهم، قال الرجل: يا أم المؤمنين! أعذاباً لهم؟ قالت: لا، بل موعظة ورحمة وذكرى للمؤمنين، ونكالاً وعذاباً وسخطاً على الكافرين)**.فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، واعلموا أنه ما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة، فلا تكونوا من الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون. فالواجب عباد الله! عند حدوث هذه الحوادث وهذه الآيات المسارعة بالتوبة والضراعة إلى الله، والإكثار من ذكره واستغفاره كما قال صلى الله عليه وسلم: (**فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره**). ويستحب أيضاً رحمة المساكين والصدقة عليهم، لقوله صلى الله عليه وسلم: (**ارحموا ترحموا**)(**شعب الايمان ١٠٥٤١**)، وقال أيضاً: (**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**)(**الترمذي ١٩٢٤**)، وقال أيضاً: (**من لا يرحم لا يرحم**). (**البخاري ٥٩٩٧**) والله لقد أخبرنا كثير من الناجين بأنهم نجوا لما لجئوا إلى بيوت الله التي وقفت صامدة أمام الأمواج والأعاصير، فسبحان الذي قال: **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [فصلت:٥٣]**، اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين. أما رأيتم عباد الله صور الموتى من الأطفال والنساء؟ فهل تخيلتم أطفالكم ونساءكم؟! (**يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث أصلح لنا شأننا كله**)،(**الحاكم ٢٠٠٠**) ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اللهم ارحم موتى المسلمين، اللهم ارحم موتى المسلمين الذين ماتوا في هذه الزلازل والفيضانات، واجعل ذلك تكفيراً لسيئاتهم ورفعة لهم في الدرجات، واجعل ذلك عبرة لنا وذكرى يا رب العالمين.اللهم رحماك بالشيوخ والأطفال والنساء والضعفاء يا رب العالمين! اللهم إنهم جوعا فأطعمهم، اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم خائفون فأمنهم يا رب العالمين! ربنا ظلمنا أنفسنا وإلا

تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. اللهم ادفع عنا الغلاء والوباء والربا والزنا والفواحش ما ظهر منها وما بطن، عن بلدنا هذا خاصة وعن سائر بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين! ول علينا خيارنا واكفنا شرارنا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا في من خافك واتقاك وابتغى رضاك يا رب العالمين!اللهم من أرادنا وبلادنا وبلاد المسلمين بسوء فأشغله في نفسك، واجعل تدبيره تدميراً عليه يا رب العالمين!اللهم ردنا إليك رداً جميلاً يا حي يا قيوم!اللهم إنا نسألك توبةً نصوحاً يا رب العالمين!اللهم أصلح الشباب والشيب، اللهم رد الشباب إلى الحق يا رب العالمين! وبارك في أعمال الشيب يا حي يا قيوم! واحفظ نساءنا وأطفالنا وبلادنا وبلاد المسلمين يا رب العالمين! لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا ظالمين، اغفر لنا وارحمنا ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، اللهم عاملنا بما أنت أهله، ولا تعاملنا بما نحن أهله، إنك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة، انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من أجل إعلاء كلمة دينك، اللهم كن معهم في العراق وفلسطين والشيشان وفي أفغانستان وكشمير والفلبين والسودان وفي كل مكان يا رب العالمين! انصر من نصرهم، واخذل من خذلهم، وقو عزائمهم، وثبت الأقدام، وفك أسرانا وأسراهم يا رب الأنام!اللهم اهزم عدوك وعدونا إنهم لا يعجزونك يا قوي يا عزيز! عباد الله! **إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.**

تم بحمد لله الجزء الأول

من المرشد المعين

***

فهرس المحتويات